وصايا وتوجيهات
لطلاب العلم

لكل من :

سماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)

سماحة الشيخ : محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله)

سماحة الشيخ : صالح بن محمد اللحيدان (حفظه الله)

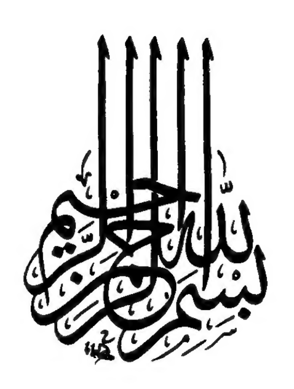
فضيلة الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان (حفظه الله)

اعتنى بها تنظيماً وجمعاً وتصويباً وترتيباً وتخريجاً

د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وأستاذ الفقه المقارن المشارك في المعهد العالي للقضاء

المجلد الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

وصايا وتوجيهات

لطلاب العلم

١

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبا الخيل، سليمان بن عبد الله

وصايا وتوجيهات لطلاب العلم/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل ـ الرياض، ١٤٢٥هـ

٥٩٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٠ ـ ٥٦٩ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الإسلام والعلم　　أ ـ العنوان

ديوي ٢١٩,٧　　١٤٢٥/٨١٨

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٨١٨

ردمك: ٠ ـ ٥٦٩ ـ ٤٤ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مقـدّمة

الحمد لله القائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١]، والقائل: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا﴾ [سورة الزمر: الآية ٩]، والقائل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٢]، والقائل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه: الآية ١١٤]، والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير القائل: «العلماء ورث الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ خيراً وافراً»، والقائل: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين»، والقائل: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»؛ وبعد:

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم المبلغون لمبادىء الشريعة وحدودها عن الله ورسوله ﷺ، والمطبقون لأحكامها على ما يحدث في المجتمع من نوازل، وما يجد من قضايا وحوادث، كبيرةً كانت أو صغيرةً، غامضةً أو واضحة، دينية أو دنيوية؛ وبناءً عليه فإنهم للناس كالجبال للأرض؛ يرسُّونهم ويثبّتونهم، ويبينون لهم ما يشكل عليهم، ويبصِّرونهم في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم وتصرفاتهم وجميع

شؤونهم، ويجعلونهم ينطلقون فيها على هدى وبصيرة، وبدون شك أو تردد، كما أنهم يحذِّرونهم من الوقوع في الشبهات والشهوات والهوى والتوجهات الضارة، والانغماس في المبادىء والأفكار الهدَّامة مهما كان منبعها أو مصدرها والمنادي بها ولها، منطلقين في ذلك من قواعد الشريعة وأصولها وأسسها التي كلها حكم وأحكام وعدل ورحمة وحفظ ومحافظة على الضروريات الخمس وأمن وأمان للمجتمع، وردع للبغاة والمفسدين والمعتدين، وحزم للوقوف سداً منيعاً ودرعاً حصيناً في وجوههم؛ حتى لا يكدِّروا صفو حياة الأمة، ولا يستطيعون شق عصا اجتماعها وألفتها واتفاقها، ولا يفسدون إيمانها وأمانها وأمنها وطمأنينتها واستقرارها.

يقول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: **(لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا)**.

وروى الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ بسنده في كتابه: «مختصر نصيحة أهل الحديث»، **عن** ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ **أنه** سئل عن معنى هذا الأثر فأجاب: **(يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث)**، ويعلل هذا التفسير فيقول: **(لأن الشيخ زالت عنه متعة الشباب، وحدَّته، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال**

الحدث، ومع السن الجلالة والوقار والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى؛ هلك وأهلك). اهـ.

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلي ــ رحمه الله ــ في ذلك: **(وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم؛ لكثرة بيانه ومقاله، وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك)**.

ويقول ابن رجب ــ رحمه الله ــ أيضاً: **(فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك)**. اهـ.

قال بعض علماء الدعوة السلفية:

(فالواجب على طالب الحق إذا أشكل عليه شيء سؤال العلماء، والرجوع إليهم في الأحكام الشرعية، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [سورة النحل: الآية ٤٣].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من اتخذ رؤساء جهالاً فسألهم فأفتوه بغير علم فقد ضلوا وأضلوه.

وفي حديث صاحب الشجة: **(ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال)**.

وقال بعض السلف: (**إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم**).

ومما ينبغي التنبيه عليه ما وقع من كثير من الجهلة من اتهام أهل العلم والدين بالمداهنة والتقصير، وترك القيام بما وجب عليهم من أمر الله سبحانه وتعالى، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه.

ولم يدر هؤلاء أن اغتياب أهل العلم والدين، والتفكه بأعراض المؤمنين، سم قاتل وداء دفين، وإثم واضح مبين، قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾** ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٨].

وإظهاراً لما لعلمائنا الأماجد من مكانة رفيعة ومنزلة كبيرة، وأثر واضح، وجهد مميز، وأعمال دؤوبة، ومساهمة فعالة وقوية، ومشاركات مستمرة، كلها تصب في مصلحة الفرد والمجتمع، وتحقق المصالح وتدرء المفاسد وتبين الحق والباطل وتكشف غوامض الأمور وترد كل فكر وارد أو شارد.

فقد منَّ الله عليَّ بعد أن كلفت بالعمل الإداري في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٣هـ بأن وفقني إلى تنظيم الكثير من اللقاءات والمحاضرات لعدد من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء ـ رحم الله المتوفى منهم وحفظ الأحياء ـ وذلك من أجل ربط طلاب الجامعة بعلمائهم، والقرب منهم، والنهل من معينهم الصافي والاستزادة من معارفهم وتجاربهم، والتحلي بأخلاقهم وآدابهم،

والسير على نهجهم، وتتبع مآثرهم، والأخذ عنهم مباشرة، وسؤالهم في جميع ما يعن لهم من مشاكل وأقضيات وحوادث ونوازل ليعطوهم الدواء الشافي والجواب الكافي، فيسيرون على هدى وبصيرة في أمور دينهم ودنياهم.

وحرصت حرصاً شديداً على متابعة هذه اللقاءات بالعمل على التقديم لها أو حضورها، إضافة إلى تسجيلها عبر الوسائط الإعلامية المتاحة، وتفريغها، والعناية بها مراجعة وترتيباً وتصويباً وتخريجاً، وها هو المجلد الأول منها يدفع إلى طلاب العلم، فيا راغباً بالاستفادة، والصدور عن العلماء ما عليك إلاَّ الاطلاع فيه وقراءته والتأمل فيما حواه من حقائق واضحة وعلوم نافعة، وتوجيهات تربوية سديدة، وآراء قوية، ومنهج سديد وإجابات مقنعة شافية، وأقوال سليمة مبنية على أدلة صحيحة وصريحة وحجج وبراهين منبعها القرآن الكريم ومصدرها السنَّة النبوية المطهرة، ومنهجها طريق السلف الصالح وعلماء الأمة.

سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه ممن ألقاها أو عمل على إخراجها، وأن يرزقنا الفقه في الدين، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق، ويجعلنا هداة مهتدين وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

كتبه

سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل

الرياض ١/ ٩/ ١٤٢٤هـ

محاضرة

سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

(رحمه الله)

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فإني أشكر الله عز وجل على ما منَّ به من هذا اللقاء بأبناء كرام وإخوة في الله، في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود رحمه الله؛ للتواصي بالحق، والتناصح، والتعاون على البر والتقوى، وعنوان الكلمة: (فضل العلم والعمل).

وأسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا اللقاء لقاءً مباركاً، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن يمنحنا وإياكم وسائر المسلمين الفقه في دينه والثبات عليه، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يولي عليهم خيارهم، ويصلح قادتهم، كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يعينهم على كل خير، وأن ينصر بهم دينه وأن يصلح لهم البطانة، وأن يجعلنا وإياكم وإياهم من الهداة المهتدين، إنه جل وعلا على كل شيء قدير.

أيها الإخوة في الله، إن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لهذه الحكمة العظيمة، لدعوة الناس إلى

عبادة الله، وبيانها لهم، وإيضاحها لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [سورة الذاريات: الآيات ٥٦ ـ ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل: الآية ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة هود: الآيتان ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [سورة إبراهيم: الآية ١].

وقال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص: الآية ٢٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة»(١)، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1]، متفق على صحته.

وهذا الحديث العظيم يبين لنا أقسام الناس وأنهم ثلاثة:

قسم: تفقهوا في الدين وعَلِموا وعلَّموا، فهم مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، تعلموا وتفقهوا في الدين وعلموا الناس.

وقسم: تعلموا وتفقهوا ونقلوا العلم إلى الناس، وليس عندهم من التوسع ما عند الأوَّلين في التعليم والتفقيه في الدين، بل يغلب عليهم الحفظ ونقل الأخبار والروايات.

وقسم ثالث: أعرضوا، فلم يتفقهوا في الدين ولم يحملوه، مثلهم كمثل القيعان التي لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً.

وهذا الحديث يدل على وجوب التفقه في الدين والتعلم على كل مكلف؛ حتى لا يكون من الطائفة الثالثة، ثم أنت يا عبد الله مخلوق لعبادة الله، مأمور بها، ولا سبيل إلى أن تعرفها وأن تفقه فيها إلاَّ بالعلم، كيف تؤدي عبادة لا تعرفها؟

وأنت مخلوق لها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات: الآية ٥٦] وأنت مأمور بها، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١]، والرسل بعثوا بها والدعوة إليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: الآية ٣٦].

ولا سبيل إلى هذه العبادة وأدائها على الوجه المطلوب إلاَّ بالله ثم بالعلم والتفقه في الدين، وهذه العبادة هي دين الإسلام، هي الإيمان والهدى، هي طاعة الله ورسوله، هي توحيد الله واتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام، هي الهدى الذي بعث الله به نبيه في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النجم: الآية ٢٣]. هذه العبادة هي توحيد الله وطاعته، هي اتباع الرسل، هي الانقياد لشرع الله، هي الإسلام، هي الإيمان، هي الهدى، هي التقوى والبر، هذه هي العبادة، فالواجب التفقه فيها والتعلم والتبصر، من منطلق الكتاب العزيز والسنَّة المطهرة.

وهذان منبعا العلم: القرآن العظيم والسنَّة المطهرة، هما السبيلان لمنهج الحق واتباعه، ثم إجماع سلف الأمة الذي استند إلى هذين الأصلين، هو الأصل الثالث في معرفة الحق واتباعه، يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهل

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان.

الله له به طريقاً إلى الجنة»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[2].

ويقول عليه الصلاة والسلام يوماً لأصحابه: «أيحب أحدكم أن يذهب إلى بطحان ـ وادي في المدينة ـ فيرجع بناقتين عظيمتين سمينتين، بغير إثم ولا قطع رحم؟» قالوا: نحب ذلك يا رسول الله، قال: «لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فَيَعْلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله، خير له من ناقتين عظيمتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[3].

فأنت يا عبد الله مخلوق لهذه العبادة، مأمور بأدائها على الوجه المطلوب الذي شرعه الله، ولا سبيل لك إلى ذلك إلاَّ بالله ثم بالتفقه في الدين.

ووصيتي لنفسي ولإخواني المستمعين، ولكل من بلغته هذه الكلمة، وصيتي للجميع: تقوى الله في السر والعلن، والعناية بالتفقه في الدين، والتبصر في الدين، فعلى كل مكلف أن يتعلم، الواجب على كل مكلف أن يتعلم ما لا يسعه جهله، من الرجال والنساء، حتى يتعلم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وابن حبان (١١٥) من حديث عقبة بن عامر.

ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه، وحتى يؤدي ما أوجب الله عليه على بصيرة، وحتى يمتنع عمّا نهى الله عنه على بصيرة، هذا واجب الجميع.

وعلى أهل العلم ــ وفقهم الله ــ أن يعلِّموا ويبينوا، وأن يصبروا، عليهم أن يُفَقِّهوا الناس، وأن يعلموا الناس، وأن يبينوا ما عندهم من العلم، يقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآيتان ١٥٩، ١٦٠]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٧]، فالله أخذ ميثاق أهل الكتاب أن يبينوا ولا يكتموا، وكما أُخذ على أهل الكتاب أُخذ علينا؛ فعلينا أن نبين وأن نوضح، وعلى كل مسلم أن يتعلم ويسأل، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النحل: الآية ٤٣].

فالواجب التعلم والتبصر والعمل، فلا بدَّ أن تتعلم ما أوجب الله عليك عن طريق الكتاب والسنَّة، عن طريق علماء السنَّة، علماء الحق، وأن تسأل ربك التوفيق والإعانة، ولا بدَّ أن تعمل، لا بدَّ من العمل ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [سورة النساء: الآية ١]، والتقوى هي العمل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ١٠٢، ١٠٣].

فأنت مأمور بتقوى الله، مأمور بالإسلام، مأمور بالإيمان، وهذا هو العلم والعمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩]، وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة ــ وقد روي: بضع وستون شعبة ــ فأفضلها قول: لا إله إلاَّ الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»(١).

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [سورة النجم: الآية ٢٣]، فأنت مأمور بالتفقه والتعلم، حتى تعرف هذا الدين، تعرف ما هي التقوى، وما هو الإسلام، وما هو الإيمان، وما هو البر، وما هو الهدى، وهذه الكلمات كلها ترجع إلى شيء واحد، هو توحيد الله وطاعته، وتوحيد الله وطاعته هما عبادة الله التي خلقنا لها، وهذا هو الإيمان، والهدى، وهذا هو البر والتقوى، وهو الإسلام الذي قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩] أن تعلم ما أوجبه الله عليك، وأصله توحيد الله والإيمان برسوله ﷺ، وأصل الدين كله: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وحقيقتهما: توحيد الله والعبادة وتخصيصه بها عن إيمان وصدق، مع الإيمان برسول الله ﷺ، والسير على منهاجه، في كل

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة. واللفظ لمسلم.

أمرك، وفي كل عباداتك.

فشهادة أن لا إله إلاَّ الله: توجب عليك الإخلاص لله، وتخصيصه بالعبادة أينما كنت، في السر والعلن، في الشدة والرخاء، في جميع الأحوال.

وشهادة أن محمداً رسول الله: توجب عليك اتباعه، والإيمان بأنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنَّ الله أرسله إلى الناس عامةً جنهم وإنسهم، وأنَّ عليك اتباعه والانقياد لشرعه، كما أمر الله بذلك في كتابه في قوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٣٢]، وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [سورة الحشر: الآية ٧]، ويقول سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة النور: الآية ٦٣]، ويقول جل وعلا: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة النجم: الآيتان ١، ٢]، وهو محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة النجم: الآيتان ٣، ٤].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «إني أوتيت القرآن ومثله معه»(١).

فعلى الأمَّة جميعاً رجالها ونسائها، على جميع المكلفين، على الجن والإنس: أن يوحدوا الله، وأن يخصوه بالعبادة، وأن يؤمنوا بأنه ربهم وإلههم الحق، وأن يؤمنوا بأسمائه وصفاته، ويثبتوها له على الوجه اللائق بجلاله، بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقداد بن معدي كرب.

تمثيل، وعليهم أن يخصوه بالعبادة، وأن يطيعوا أوامره، وأن ينتهوا عن نواهيه.

هذا هو الواجب على الجميع، علماً وعملاً، خُلقوا لهذا وبه أُمِرُوا، والواجب على الجميع التواصي بهذا الأمر والتناصح فيه، قال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١].

هذه أخلاق المؤمنين والمؤمنات، وهذه أوصافهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١] ليسوا أعداء، وليسوا خصوماً، ولكنهم أولياء، وأحباب، هذا وصفهم؛ أحباب فيما بينهم، يتناصحون، ويتواصون بالحق، لا غلَّ بينهم ولا حقد، ولا كذب ولا غش ولا خيانة، ولكن ولاية ومحبة وتعاون وتواصٍ بالحق.

هكذا المؤمنون والمؤمنات، فإذا وجدت من نفسك غلاً على أخيك أو كذباً أو ظلماً؛ فاعلم أنك قد نقصت إيمانك، وأخللت بإيمانك، وأضعفت إيمانك بهذا الخلق الذميم الذي وجدته من نفسك، من خيانة أو غش، أو غيبة أو نميمة، أو كذب أو ظلم، قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

لـذا عـلـيـك أن تـحاسب نفسك وتجاهدها أينما كنت، يروى عن عمر رضي الله عنه أنه كـان فـي خـطـبـه يـقول: (حاسِبوا أنفسكم قبـل أن تـحاسَـبـوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتـأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحاقة: الآية ١٨])[1].

ويقول الله جلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢]، ويقول جل وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر: الآيات ١ ــ ٣].

هذه أخلاق المؤمنين؛ أولياء، متناصحون، متعاونون على البر والتقوى، متواصون بالحق والصبر عليه، فإذا وجدت من نفسك خللاً في هذا؛ فاعرف أنه نقص في دينك، ونقص في إيمانك.

ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً ــ وشبّك بين أصابعه ــ»[2]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦)، وابن أبـي شيبة في المصنف (٣٤٤٥٩)، وابن أبـي الدنيا ــ كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٥ ــ طبعة دار الفكر) ــ والترمذي عقب الحديث (٢٤٥٩) نحوه.

(٢) أخـرجـه البخـاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلـم (٢٥٨٥) مـن حـديـث أبـي موسى الأشعري.

عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1]، ويقول ﷺ في الحديث الصحيح: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[2] متفق على صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ويقول ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[3] أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

فالواجب عليك يا عبد الله وعليكِ يا أمة الله: محاسبة النفس وجهادها في طلب العلم، والتفقه في الدين، وأداء حق أخيك في الله وأختك في الله، فكل واحد، هكذا؛ يتفقه، ويتعلم، ويتبصَّر، ويجاهد نفسه حتى لا يغش أخاه، وحتى لا يظلم أخاه ولا أخته في الله، وحتى يكون وليّاً لأخيه وأخته في الله، ولا حقد ولا كذب ولا غش ولا خيانة ولا ظلم، وحتى يبذل وسعه في التفقيه في الدين والدعوة، عن طريق حلقات العلم، ومن طريق الإذاعة، وكذلك المكاتبة، وأيضاً عن طريق الهاتف، وكذا عن طريق المشافهة.

هكذا المؤمن: ناصح لأخيه أينما كان، وهكذا المؤمنة: ناصحة لأخيها في الله وأختها في الله، فالمؤمن ناصح لإخوانه وأخواته في الله، والمؤمنة كذلك، كما سمعتم في قوله سبحانه في سورة التوبة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير. واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٧١]، وَعَدَهُم الله الرحمة بهذا العمل، بالإيمان وسلامة القلوب والولاية بينهم، ومع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كونك ولي أخيك وولي أختك في الله لا يمنع من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بل يوجب ذلك.

فالأخوة في الإيمان توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع إقام الصلاة كما أمر الله، وأداء الزكاة كما أمر الله، مع طاعة الله ورسوله في كل شيء، وأنت موعود بالرحمة على هذه الأخلاق، وعلى هذه الأعمال، فدين الإسلام: قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا دين الإسلام: قول وعمل، علم وعمل، يزداد بالعلم والعمل والتقوى، وينقص بضد ذلك.

والرحمة تحصل للمؤمن بأعماله الصالحة وتقواه لله في الدنيا والآخرة، يرحم في الدنيا بالتوفيق والإعانة والتسديد، ويرحم في الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار، بسبب إيمانه وتقواه، وقد جمع الله هذا النصح وهذه الولاية في أربع خصال: في الإيمان والعمل والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهذه جماع الدين كله، فالدين كله ينحصر في هذه الأربعة؛ من جمعها؛ أفلح، وتم ربحه، ومن ضيعها؛ تمت خسارته، ومن ضيَّع شيئاً منها، ناله من الخسران بقدر ذلك.

فالناس في خسران، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾

[سورة العصر: الآية ٢] الجن والإنس، في خسران ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر: الآية ٣]، هؤلاء هم الرابحون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة العصر: الآية ٣]، يعني علموا الحق وآمنوا به وصدَّقوا به، وآمنوا بأن الله معبودهم الحق وإلـٰههم، وآمنوا بالرسل واليوم الآخر، والجنة والنار، والحساب والجزاء، وآمنوا بكل ما أخبر الله به ورسوله.

ثم مع هذا الإيمان: حققوا ذلك بالعمل ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة العصر: الآية ٣]، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ [سورة العصر: الآية ٣] فأدوا ما أوجب الله، واجتنبوا ما حرم الله، هكذا المؤمن.

ثم أمر ثالث، وهو من العمل ومن الإيمان، ولكن خصَّه الله بالذكر؛ لعظم شأنه، وهو: التواصي بالحق، والتواصي بالحق عمل وإيمان، داخل في الإيمان، وداخل في العمل، ولكن نصَّ الله عليه بهذه الصورة؛ لعظم الأمر، ليعلم المكلفون، وليعلم المؤمنون: أنه لا بدَّ من التواصي بالحق.

وأمر رابع وهو: التواصي بالصبر؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعمل ويتعلم ويتفقه، ويعلم غيره، ويأمر غيره، إلاَّ باللَّه ثم بالصبر، فمن لم يصبر لم يفعل شيئاً، مثل ما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة لقمان: الآية ١٧]، ويقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الزمر: الآية ١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦]، ويقول لنبيه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٧].

فعلى كل مؤمن ومؤمنة التخلق بهذه الأخلاق الأربعة، والاتصاف بهذه الصفات الأربعة: إيمان صادق بالله ورسوله يتضمن الإيمان بالله وأنه معبودك الحق، وأنه ربك، وأنه الخلاق العليم والرزاق لعباده، وأنه سبحانه المسمى بالأسماء الحسنى والموصوف بالصفات العلى، وأنه سبحانه لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له، وأنه جلَّ وعلا مستحق لأن يُعبد.

ثم الإيمان بالرسل جميعاً، من أولهم إلى آخرهم، من آدم ونوح إلى آخرهم، وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، نؤمن بأنه رسول الله وأنه خاتم الأنبياء، وأفضلهم، وأنه الرسول إلى جميع الثقلين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٨]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

فهو رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، وهو رحمة للعالم كله عليه الصلاة والسلام، بشيراً ونذيراً للجميع، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥، ٤٦].

ثم مع الإيمان والعمل: التواصي بالحق، التناصح.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الكهف: الآية ١٠٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة مريم: الآية ٩٦] إلى غيرها من الآيات، داخل في هذا التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

لكن في سورة العصر نص على ذلك، وقال: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة العصر: الآية ٣]، وهذا من إيمانك ومن عملك الصالح، أن تتواصى مع إخوانك بالحق والصبر، فالطلبة يتواصون فيما بينهم بالصبر على الحق، فكل واحد ينصح لأخيه، في مذاكراتهم، وفي اجتماعهم ليس هناك غلٌّ ولا حقد، ولا حسد، يجتمعون، ويتذاكرون في الدروس، وفي العلم، ويبحثون، عن إخلاص لله ومحبة لله وتعظيم لله، ورغبة في الحق، ثم من كان عنده علم أفاد به أخاه الآخر. وأحبَّ أن يزيده خيراً في مباحثاته ومذاكراته.

وإذا أتوا إلى الأستاذ أتوا بأدب، ورغبة في العلم، وإخلاص وصدق، وسألوه عمَّا أشكل، وأقبلوا على الدرس واعتنوا به قبله وبعده، مع العناية بسؤال الأستاذ عمَّا أشكل بأدب، وعن نية صالحة في طلب الحق ومعرفته.

ومن أسباب ذلك أيضاً: العناية بالمتون وأعظمها القرآن الكريم،

والحرص على حفظه وتدبر معانيه، والإكثار من تلاوته، وهو كتاب الله، وهو حبل الله المتين، وهو الأصل الأصيل؛ هو أعظم أصل وأعظم كتاب وأشرف كتاب، فالعناية به تكون أهم عناية، تدبراً وتعقلاً وعملاً.

ثم السنَّة، العناية بالسنة وحفظ ما تيسر منها، مثل بلوغ المرام وعمدة الأحكام وغير ذلك، يحرص الطالب على حفظ ما تيسَّر من السنَّة، مع العناية بالقرآن الكريم والمذاكرة فيه وتدبرمعانيه، ومراجعة كتب التفسير فيما أشكل.

ومع هذا كله: المذاكرة بين الطلبة ومع الأساتذة، عن إخلاص، وعن صدق، ورغبة، لا عن رياء ولا عن سمعة، ولكن عن صدق وعن رغبة في العلم، فإذا علم الله منك ذلك، زادك حفظاً ووفقك وأعانك، وجعل لك لسان صدق بين إخوانك.

فالوصية للجميع هو النصح للطلبة، والإخلاص لله في ذلك، وحفظ الوقت، كل واحد يحفظ وقته من ليله ونهاره، وقت لشغلك، وقت للمذاكرة، وقت لحاجتك لنفسك، وقت لنومك، فيكون وقته منظماً، قد عُني به، حتى لا يضيع منه شيء، وقت للعلم والعمل والدرس والمذاكرة، ووقت لحاجة البيت والأهل، ووقت للنوم.

المؤمن الحق يرتب نفسه ويجاهدها في أوقاته كلها، ويحذر ما حرم الله عليه، يحفظ وقته ويحفظ جوارحه عمَّا حرَّم الله عليه، فيجتهد في حفظ هذه الجوارح حتى تكون في طاعة ربه، يقول النبي ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي

مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه . . .»[1] الحديث.

فالمؤمن هكذا؛ يعتني بما أوجب الله عليه، ويدع ما حرم الله عليه، ويحرص على التقرب إلى الله بما يسَّر الله من النوافل، عن إخلاص ورغبة فيما عند الله، ويحفظ وقته للعلم والعمل، ومع إخوانه يتواضع ولا يتكبر، يقصد العلم والفائدة، ويكون لين الجانب متواضعاً مع إخوانه ومع أساتذته، ويتأدب مع الأستاذ، ويسأل بقصد العلم وبقصد الفائدة، وبالعبارة الحسنة والأدب الصالح.

وعلى العالم أن يتقي الله وأن يبذل وسعه في إيضاح الحق للطلبة، وأن يصبر وأن يتحمل، وأن يجتهد في العبارات الواضحة والأسلوب الواضح، وأن يعتني بكل ما يحتاجون إليه؛ حتى يتخرج الطالب عن علم وبصيرة، وعن ثقة بما أعطاه الله من العلم.

ومن أهم الأمور: العناية بالعمل، يكون الطالب قدوة لغيره، وهكذا الأستاذ، فالتعليم يكون بالعمل أيضاً، فالأستاذ يعلم بعمله الطيب وبأخلاقه الكريمة؛ حتى يتأسىٰ به الطالب، بالمحافظة على الصلاة والمسارعة إليها والطمأنينة فيها، بمسارعته إلى كل خير، في تواضعه، في حرصه على العلم، في تنبيه الطالب على ما ينفعه، إلى غير ذلك من الأخلاق الجيدة الطيبة، حتى يتأسى به الطالب في أخلاقه وأعماله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة.

وعلى الطلبة أن يكونوا أيضاً قدوة في الخير، يتأسى بهم أهلوهم، يتأسى بهم جيرانهم، يتأسى الطالب الصغير بالطالب الكبير في أخلاقه وأعماله الطيبة، هكذا طالب العلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1]، «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة»[2]، وله مثل عمل أخيه، إذا أرشده وعلمه؛ له مثل أجره؛ يقول النبي ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»[3].

الرسل لهم مثل أجور أتباعهم، ونبينا ﷺ له مثل أجور أتباعه، وكل عالم له مثل أجر من هداه الله على يديه، وهكذا الطالب وهكذا غيره، يقول النبي ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله»، «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، ويقول ﷺ لِعَلِيٍّ لمَّا بعثه إلى خيبر: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[4].

فالوصية مرة أخرى: تقوى الله، والتواصي بالحق، والتناصح والصبر والعمل، وأن يكون كل واحد مثالاً طيِّباً، معروفاً بالأخلاق الطيِّبة والأعمال الصالحة لزملائه وإخوانه وأهل بيته، والوصية أيضاً للمدرسين والعلماء: أن يتقوا الله وأن يصبروا على تعليم الناس،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود البدري.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد.

وأن يحرصوا على تثقيفهم بالأساليب الحسنة، بالتواضع والأسلوب الحسن والصبر والمصابرة في ذلك، والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم جميعاً لما يرضيه، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين.

ومن الواجب أيضاً العناية بأهل البيت، تعليم أهل البيت، من إخوة وأخوات وبنين وبنات وغيرهم، كل واحد من الطلبة والعلماء: الواجب عليه أن يعتني بأهل بيته، وأن يرشدهم ويعلمهم، حتى يستفيدوا من علمه وفضله وأعماله الطيبة.

نسأل الله للجميع التوفيق والهداية، ونسأل الله للجميع حسن الختام، ونسأل الله جلَّ وعلا أن يمنحنا وإياكم المزيد من كل خير، وأن يبعدنا وإياكم من مضلات الفتن، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يجعلنا جميعاً من الهداة المهتدين، إنه جلَّ وعلا جواد كريم. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

ـ شكر الله لسماحة والدنا هذه الكلمة الطيبة المباركة، وأثقل بها موازينه يوم يلقاه، وشكر الله لكم حسن إنصاتكم واستماعكم، ونستأذن سماحتكم في قراءة بعض الأسئلة الآن:

سـؤال: سماحة الشيخ: أرجو بيان أهمية التوحيد، وبيان ذلك خصوصاً وقد زهد كثير من الشباب فيه وفقكم الله؟

الجواب: معرفة التوحيد، هذا هو أصل الأصول وأصل الدين كما تقدم، أصل الدين أن تعلم معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، هذا هو أعظم واجب، وهو أول شيء دعت إليه الرسل ودعا إليه نبينا عليه الصلاة والسلام، تفقيه الناس بالشهادتين، وأن يخلعوا الأوثان والأصنام، وأن يعبدوا الله وحده. هذا أول شيء دعت إليه الرسل، وهذا هو الواجب على كل مكلف: أن يوحد الله وأن يخصه بالعبادة قبل كل شيء، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [سورة محمد: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: الآية ٣٦].

فالواجب على كل مكلف: أن يتفقه في الدين، وأن يخص الله بالعبادة، وأن يعرف معنى (لا إله إلاَّ الله)، ومعنى شهادة (أن محمداً رسول الله)، وأن معنى الأولى: توحيد الله والإخلاص له، وصرف العبادة له دون كل ما سواه، والإيمان بأنَّ هذا هو الحق، وهو أصل الدين وأساس الملة كما قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [سورة الحج: الآية ٦٢] مع الإيمان برسول الله وأنه رسول حقاً، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأن الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وأن الأعمال

لا تُقبل إلاَّ بأمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم قراءة الكتب التي ابتلي صاحبها بها، مثل الكتب التي فيها تأويل صفات الله خلاف منهج السلف الصالح، خصوصاً لمن لم يدرس العقيدة؟ وفقكم الله.

الجواب: ينبغي للطالب أن يتوخى الكتب المعروفة، كتب أهل العقيدة، المعروفين بالعقيدة السلفية، يعتني بها، مثل كتب المتقدِّمين، كتاب عبد الله بن أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وابن خزيمة، رحمهم الله، وغيرهم من الأئمة المتقدِّمين، وهكذا من بعدهم من أهل العلم والبصيرة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن كثير، وأئمة الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وغيره من المشايخ اللذين عنوا بالعقيدة وعنوا بالدعوة إليها، مع الحرص على تدبر القرآن، فإنه أصل الأصول، والعناية بالقرآن والسنَّة في العقيدة وغيرها.

أما الكتب الأخرى إذا دعت الحاجة إليها فينظرها ويستفيد منها، وينبه على الأخطاء، سواء كان ذلك في كتب المتقدِّمين أو كتب المتأخِّرين.

سؤال: إذا حلف على شخص ألا يفعل كذا ففعله، وحنَّثني في يميني وليس بيدي إلزامه فماذا أفعل، أفيدوني بارك الله فيكم؟

الجواب: من حلف على يمين وحنث؛ كفّر عن يمينه؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً

منها إلاَّ كفَّرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»[1]، ويقول ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خير وليكفّر عن يمينه»[2]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ . . .﴾ الآية [سورة المائدة: الآية ٨٩].

فإذا حلفت على إنسان، قلت: والله تغدَّى، والله تأكل هذا، والله تأخذ هذا المبلغ.. وأبى؛ عليك كفارة، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، ومن لم يجد صام ثلاثة أيام؛ لقوله جل وعلا: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨٩].

الإِنسان يحفظ لسانه من اليمين، فلا يحلف، إلاَّ إذا دعت إليها الحاجة، وإذا حلف قائلاً: والله تأكل هذا العشاء، والله تأخذ هذه المساعدة، والله تفعل كذا.. وأبى؛ كفَّر عن يمينه.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظكم الله: هل المرور بين صفوف المأمومين يعد من قطع الصلاة، ويكون صاحبه داخلاً في الوعيد؟

الجواب: إذا مرَّ بين المأمومين لا يضر، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، كما

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة.

مرَّ ابن عباس بين الصفوف ودابته، لكن لا يمر بينهم إلاَّ لحاجة، إمَّا لسدّ خلل أو ما أشبه ذلك، فالمرور بين أيديهم لا يضرهم ولا يضره.

سؤال: سماحة الشيخ: والدتي في صحة وعافية ولكنها فقيرة وبعيدة من مكة، فهل يجوز لي أن أعتمر أو أحج عنها؟

الجواب: إذا كانت لا تستطيع؛ لكبر سن أو مرض لا يُرجى برؤه، فلا بأس، إذا كانت كبيرة لا تستطيع الحج لكبر سنها، أو لأن بها مرضاً لا يرجى برؤه؛ شُرع لك أن تحج عنها كما في الحديث الصحيح: قالت امرأة: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا الظعن، أفأحج عنه؟ قال لها ﷺ: «حجي عن أبيك»[1]، وقال رجل: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الظعن والحج، أفأحج عنه وأعتمر؟ قال: «حج عن أبيك واعتمر»[2].

سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، سماحة الوالد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني أحبكم في الله، السؤال: اختلفت الأقوال في وضع السبابة في أثناء التشهد، فهل هذا الاختلاف من اختلاف التنوع، أم هو اختلاف حقيقي، وما هو الراجح؟ وفقكم الله.

الجواب: أولاً: أحبك الله الذي أحببتنا له؛ لقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٨٥) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه الترمذي (٩٣٠) من حديث أبي رزين. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٧).

الله، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1] متفق على صحته.

وروى مسلم في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلاَّ ظلي»[2] وثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاً له في قرية فأرصد الله له في طريقه ملكاً في صورة إنسان، فلما مرَّ عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخاً لي في الله في القرية الفلانية، قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، إلاَّ أني أحبه في الله، فقال له الملك: إني رسول الله إليك، إن الله يحبك كما أحببته»[3].

فالتحاب في الله من أوثق عُرى الإيمان.

أما السبابة: فالسنة رفعها في التشهد من حين تجلس إلى أن تسلم وهي مرفوعة بانحناء قليل؛ إشارة إلى التوحيد، وتقبض الأصابع كلها، أو تقبض الخنصر والبنصر وتحلق الإبهام والوسطى، كل هذا جائز في الصلاة، وهو من السنَّة. فَعَل النبي هذا وهذا، هذه هي السنَّة في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٦٧) من حديث أبي هريرة.

التشهد الأول والتشهد الأخير، فرفع السبابة إشارة للتوحيد، ويحركها عند الدعاء، كما في الحديث، وعند قوله لعلها: اللَّهمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم. . . إلخ.

سؤال: سماحة الوالد: ما هي الطريقة الصحيحة التي يجب أن يتبعها طالب العلم الشرعي حتى يصل إلى ما يريده من إرضاء الله سبحانه وتعالى، وكسب العلم المفيد والنافع له وللمسلمين، وما هي العوامل التي تساعد الطالب على الحفظ ورسوخ المسائل في ذهنه وعدم النسيان؟

الجواب: أعظم الأسباب، أن تتقي ربك بطاعته وترك معصيته، والإخلاص له وسؤاله التوبة والعون والتوفيق، ثم العناية بالدروس والمذاكرة وحفظ الوقت، فإن هذا من أعظم الأسباب.

ومن أسباب ذلك أيضاً: المذاكرة مع الزملاء، والحرص على الفائدة؛ حتى يستقر العلم، فلا تكتفِ بمطالعتك والدرس مع الأستاذ، بل مع هذا المذاكرة مع الزملاء الطيبين فيما أشكل عليك حتى يستقر في ذهنك العلم.

سؤال: سماحة الشيخ: إذا امتنع الأب من النفقة على الابن، فهل للأم أن تعطيه من زكاة مالها أم لا؟ وفقكم الله.

الجواب: الواجب على الأب أن ينفق على ابنه إذا كان الابن ليس له أسباب وليس عنده قدرة، فإذا لم ينفق الزوج فالزوجة تنفق على أولادها من مال الأب ولو من غير علمه، قالت هند بنت عتبة: يا رسول الله، إن

أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِـيَّ، هل عليَّ من جناح إذا أخذت من ماله من غير علمه؟ فقال النبـي ﷺ: «لا حرج، خذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ ويكفي بنيكِ»[(١)].

فإذا كان الأب بخيلاً؛ فإن الزوجة تأخذ من ماله بغير علمه ما يكفيها ويكفي أولادها، أما الابن الذي عنده قوة وقدرة على العمل، أو عنده مال يكفيه فإنه ينفق على نفسه من ماله، وليس على أبيه شيء، أما إذا كان فقيراً ليس عنده أسباب؛ فالواجب على أبيه أن ينفق عليه، وعلى أمه أن تنفق من مال أبيه إذا كان شحيحاً، ولو من غير علمه.

سـؤال: سماحة الشيخ وفقه الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: ما حكم إفراد يوم السبت بالصيام، وما الدليل؟

الجواب: لا حرج في إفراد يوم السبت بالصوم؛ لأن الحديث الذي فيه النهي عن الصوم يوم السبت حديث ضعيف، مخالف للأحاديث الصحيحة، لا حجَّة فيه، والصواب: أنه لا بأس بصومه مفرداً، أو مع يوم الجمعة أو مع يوم الأحد، كل ذلك لا بأس به.

سـؤال: إذا صام المسلم صيام نفل وأثناء النهار عزم على الإفطار ليأكل أو يشرب، ثم فكر قليلاً فأكمل صومه وقطع عزمه، فما حكم هذا الصوم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١١، ٢٤٦٠، ٣٨٢٥، ٥٣٦٤، ٥٣٧٠، ٦٦٤١، ٧١٦١، ٧١٨٠)، ومسلم (١٧١٤) من حديث عائشة.

الجواب: إذا عزم على الإفطار أفطر، النافلة أمرها واسع، والأفضل الاستمرار في الصوم حتى يكمل صومه، النبـي ﷺ دخل ذات يوم على أهله، فقال: «هل عندكم شيء؟» قالوا: نعم، عندنا حيس، فقال: «قربيه، فلقد أصبحت صائماً فأكل»[1]، فالمقصود أن صوم النافلة أمره واسع، ودخل على جويرية ذات يوم وهي صائمة يوم الجمعة، قال: «أصمتِ أمس؟» قالت: لا، قال: «أتصومين غداً؟» قالت: لا، قال: «أفطري»[2].

سـؤال: سماحة الشيخ: عند ذهابـي إلى المسجد أو أثناء الصلاة تنزل بعض قطرات البول، فما حكم صلاتي، علماً أنه أخبرني بعض الشباب أن أزيل البقعة بالماء فقط، وهل أعيد الوضوء بعد إزالة البقع؟ وفقكم الله.

الجواب: عليك أن تعيد الوضوء والاستنجاء وتغسل ما أصابك من البول، إذا كان البول ليس بمستمر معك، أما إذا كان مستمراً فأنت صاحب سلس، توضأ لكل صلاة بعد دخول الوقت ولا يضرك ما خرج وقت الصلاة؛ لقول النبـي ﷺ: «توضَّئي لوقت كل صلاة»[3].

سـؤال: أظن أحياناً الظن السيِّـىء في أحد أصدقائي فما الحل؟ مع كون الظن يكون أحياناً صحيحاً؟

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥٤) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٦) من حديث جويرية بنت الحارث.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٨) من حديث عائشة.

الجواب: الواجب عليك الحذر من سوء الظن؛ لقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢]، ولقول النبي ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[١].

احذر ظن السوء بأخيك، أما إذا كان عليه علامات، فالله تعالى قال: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢]، ولم يقل: كل الظن، قال: ﴿بَعۡضَ ٱلظَّنِّ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢] فإذا كان له علامات تدل على سوئه فلا بأس أن يظن به السوء، فإذا كان يجالس المتهمين، أو يجالس العصاة، أو يجالس أهل البدع؛ فإنه يظن به السوء، أما إذا كان لا يجلس إلاَّ مع أهل الخير وليس عنده علامات سوء؛ فإنه يحرم عليك أن تظن به السوء، والله ولي التوفيق.

سؤال: سماحة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ما حكم حج من عليه دين؟

الجواب: حجه صحيح والواجب عليه أن يبدأ بالدين إذا كان حالاًّ.



(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤)، ومسلم (١٤١٣) من حديث أبي هريرة.

محاضرات

سَمَاحَة الشَّيْخ : مُحَمَّد بن صَالِح العُثَيْمِين

(رَحِمَهُ الله)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الأولى)

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيطيب لنا في هذه الليلة المباركة أن نلتقي بسماحة شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم، بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وإمام وخطيب الجامع الكبير بمحافظة عنيزة.

يأتي هذا اللقاء ضمن النشاط الثقافي الذي تقيمه عمادة شؤون الطلاب للاستفادة منها، ومعروف عن سماحته محبة مثل هذه اللقاءات التي تجمعه بأبنائه الطلاب، والذي يحرص حرصاً شديداً على مشاركتهم، ومعرفة ما لديهم من مشكلات، وما لديهم من أسئلة واستفسارات؛ ليجيب عليها، ويبين لهم الطريق الصحيح، وذلك حسب ما لديه من الإجابة عليها.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه لكل خير، وأن يحفظه، وأن يديم عليه لباس الصحة والعافية، ويطيل عمره على الطاعة والإيمان، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تشكر لسماحته هذا الحضور الفاعل والمتميز، وهذه المشاركة الدائمة، وترجو أن تستمر مراتٍ ومراتٍ بإذنه تعالى، فليتفضل سماحته مشكوراً.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ هو وحده لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين أرسله الله سبحانه وتعالى بالهدى ودين الحق، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على محجة بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، وتلقاها بعده خير الناس صحابته رضي الله عنهم، فبلغوها إلى من بعدهم صافية نقية، ثم خلف من بعدهم خلوف، اتبعوا الأهواء، وتفرقت بهم الطرق، ولكن لم يزل في هذه الأمة في كل عصر أئمة يبيِّنون الهدى، ويتبعون سبل الروى، يحيـى الله بهم القلوب، ويهتك بهم من أهل البدع العروب، وما زالت الأمة الإسلامية فيها الخير إلى يوم القيامة، ولا تزال طائفة من أمة محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله عزَّ وجلّ، ولقد كان من أئمة الهدى ذلكم الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله وعفا عنه، وخلفه من بعده من تلقوا علمه من أبنائه وأحفاده وتلاميذه، الذين تتلمذوا عليه على كتبه وسيرته، وكان من بركة هذه الدعوة إنشاء

هذه الجامعة المباركة، فإنها جامعة أسست على التقوى بحول الله، أقول ذلك لأن الآثار تدل على المؤثر، هذه الجامعة أول ما أنشئت كانت معاهد تُعد بالأصابع، ثم شاع أمرها وانتشر خبرها في هذه البلاد السعودية، وفي خارج البلاد السعودية، ونفع الله بها نفعاً عظيماً، وكان تلاميذ مدرستها ممن يُشار إليه بالأصابع في الصلاح والإصلاح، والهداية، والقيام بعمله الموكل إليه في جميع مرافق الدولة، ولله الحمد، وهذا يدل على أن هذه الجامعة أسست على التقوى، أسأل الله تعالى أن يجزل المثوبة لمن أسسها وساعد في إنشائها وتطويرها.

وإنه ليسعدني ويسرّني أن ألتقي بطلاب هذه الجامعة، سواءً في أصلها الأم في الرياض، أم في فروعها في الجهات الأخرى؛ لأني أعتبر أن التقاء الكبار سنًا بمن دونهم في السن أعتبره فائدة كبيرة؛ إذ إنَّ للكبار فضل التقدُّم، وفضل الممارسة للأمور، ومعركة الحياة، فعندهم من الخبرة ما ليس عند من دونهم في السن، كما أن الكبار يستفيدون ممن دونهم في السن، بالقوة والاندفاع، ولهذا لا بد من قوة الشباب وحكمة الشيوخ، فإذا كان الكبير يرتقي بالصغير، ويستفيد كل منهما بالآخر، فهذه هي الوسيلة لصلاح الأمة وإصلاحها، وإني لأرجو الله تعالى أن تكثر زيارات العلماء للشباب في هذه الجامعة، وأن يكون الكلام بينهم كلاماً صريحاً من القلب إلى القلب، ليس فيه انطواء، وليس فيه مجاملة تبغي على الحق، بل بالصراحة؛ لأنه لا يمكن للجرح أن يبرأ حتى ينشق وتخرج ما به من المادة، مادة الأذى، وحينئذٍ يتماثل بالشفاء.

أما إذا سكت الإنسان عما في قلبه من المشاكل، سواء كانت المشاكل في العقيدة أم في فرع من فروع الإسلام يشكل على المرء، فإن هذا الإشكال قد يستفحل حتى يصل إلى حال الهلاك؛ لأن الشيطان أول ما يدخل على القلب في مثل هذه الأمور الصغيرة حتى تستفحل، ولذلك أطلب من أبنائي، وإخواني معنا أن تكون أسئلتهم صريحة، وهم في أمن تام مما يلقون، حتى يكون الجواب صريحًا يزيل الله به الإشكال والالتباس، وأن لا تبقى العقد في النفوس من غير الحل، إنني لسعيد أن أجتمع بطلاب هذه الجامعة في مسجد الإسكان الذي يجمع عامة الطلاب الكثير منهم، لما في ذلك من المصلحة والبركة، وسألقي كلمات أرجو الله تعالى أن ينفع بها قبل أن تعرض الأسئلة:

١ ــ يجب على طالب العلم أن يظهر أثر طلب العلم عليه في العبادة، والمنهج والمعاملة، فيُعرف بكثرة العبادة، واللجوء إلى الله تعالى، والخشوع بين يديه، ودوام ذكره تبارك وتعالى، فإن العبد إذا ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه، وإذا ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منه، وإذا تقرب إليه شبراً تقرب الله إليه ذراعاً، وإذا تقرب إليه ذراعاً تقرب الله إليه باعاً، وإذا أتى اللّـهَ يمشي أتاه الله تعالى هرولة، فالرَّب إلى الثواب أسرع من العبد إلى العمل. فليظهر أثر العلم عليه في عبادة الله عزَّ وجل، واللجوء إليه، والإنابة إليه، وألاَّ يغفل قلبُه عن ذكر الله، فإن غفلة القلب عن ذكر الله سببٌ للفشل وضياع الوقت، وعدم النجاح، واستمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ۝٢٨﴾ [سورة الكهف: الآية ٢٨]، أمره: يعني شأنه كله، يكن فرطاً: ليس فيه بركة، لكن إذا كان الإنسان دائم ذكر الله عزَّ وجلّ باللسان والقلب والجوارح، حصل في عمره البركة والخير يكثر، واقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩٠]، أي لأصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١]، يعني: يقولون بقلوبهم وألسنتهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١].

٢ ـ وإن على طالب العلم أن يظهر أثر العلم عليه في محبة الخير لعباد الله، فإن طالب العلم حقيقة هو الذي يحب لإخوانه الخير كما يحبه لنفسه، وكما أن هذا من خصال طالب العلم، فإنه من الإيمان، قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]، وقال النبي ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأتيه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»[٢]، وكلنا يحب أن يزحزح عن النار، ويُدخل الجنة، فإذاً هذا هو الواقع، فيجب أن يكون الواقع أن نستمسك بالدين حتى نموت، فلتأتيه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويجب أيضاً أن

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

نأتي إلى الناس ما نحب أن يؤتى إلينا، ومعلوم أن الإنسان إذا أتى إلى الناس بما يحب أن يؤتى إليه، لا بد أن يكون أن يعينهم في شؤونهم ويكف الأذى عنهم، وأن يحرص غاية الحرص على أن يتقدموا في معلوماتهم وفي أعمالهم، كما يحب أن يتقدم هو في ذلك، وحينئذٍ يرتفع عن الحسد، الحسد الذي هو من أقبح الخصال، وهو من خصال اليهود الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ولئن سئلت عن الحسد، لكان الجواب: أن من العلماء من قال: الحسد تمني زوال نعمة الله على الغير، هكذا فسره أكثر العلماء، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الحسد: أن يكره ما أنعم الله به على غيره، وإن لم يتمنَّ زوال ذلك. فإذا كره الإنسان ما أنعم الله به على غيره من علم أو جاه أو مال أو بنين أو أهل، فهذا هو الحسد، هذا هو الحسد، أن تكره ما أنعم الله به على غيرك؟ إذا كنت تريد أن تكون لك هذه النعمة، أي أن يكون لك مثل ما أنعم الله به على غيرك فاستمع إلى الجواب:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ . . . ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢] هذا هو الحل، ما فضل الله به بعضنا على البعض لا نتمنى أن يكون لنا دون غيرنا، أو نكره ما أنعم الله به عليه، ولكن اسأل الله من فضله، والذي أعطى غيرك قادر على أن يعطيك مثله، فإذا رأيت أن الله أنعم على شخصٍ من العلم لا تكرهه، لا سيَّما إذا كان علماً شرعيّاً؛

لأنَّ الله إذا أنعم على عبدٍ بنعمة العلم الشرعي، وكان يؤدي ما يجب عليه من نشر العلم ودعوة الناس إلى الخير، فهذه من نعمة الله عليك أنت؛ لأنك أنت تحب أن تنتشر شرعية الله في عباد الله، أليس كذلك؟ فإذا انتشرت من عندك أو من عند غيرك فهذا خير، فلماذا تكره؟ ولكن إذا كان الله قد فضله عليك بالعلم والدعوة إلى الخير، فاسأل الله من فضله، ألسنا نقول في صلاتنا: اللّٰهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. الجملة: كما صلَّيت على إبراهيم، هذه وسيلة يعني كما أنعمت بصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، فأنعم بصلاة على محمد وعلى آل محمد.

٣ ــ وينبغي لطالب العلم أن يكون خلوقاً حسن الأخلاق، دائم السرور، دائم الانشراح؛ لأن من صفات النبي ﷺ التي جبله الله عليها، ومنَّ عليه بها، وقال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم: الآية ٤]، من صفاته: أنه كان دائم البُشر، كثير التبسُّم، صلوات الله والسلام عليه.

ولا شك أن الإنسان إذا كان دائم البشر وكثير التبسم، أن ملاقيه يسر به، ولكن تلاقي رجلاً عبوساً مكفهراً، أتكون مسروراً بملاقته؟ لا، إذاً يا أخي، كن دائم البشر، كثير التبسُّم، منطلق الوجه، ولهذا من خصال الإيمان: أن تلقى أخاك بوجه طلق، واعلم علم اليقين أنك إذا اتصفت بهذه الصفة ستكون مستريحاً، قائماً وقاعداً، في بيتك، وفي السوق، ومع إخوانك كن دائم البشر، منطلق الوجه كثير التبسُّم.

واستمع إلى أعرابي تحدث النبي ﷺ عن ربه جل وعلا: أنه يضحك لمن يستحق، فقال الأعرابي: أويضحك ربنا يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: الأعرابي بطبيعته: لن نعدم من رب يضحك خيراً[1].

الله أكبر! سليقه طبيعة، الرب الذي يضحك معناه أنه سبحانه وتعالى يفرح بكل خير، ولهذا جاء في حديث صحيح «أن الله أشد فرحاً بتوبة العبد من رجل أضل ناقته وعليها طعامه وشرابه وأيس منها، واضطجع تحت الشجرة ينتظر الموت، فإذا بالناقة على رأسه، آخذ بزمامها، وقال: اللَّـٰهُمَّ أنت عبدي وأنا ربّك، يريد أن يقول: اللَّـٰهُمَّ أنت ربي وأنا عبدك، ولكنه أخطأ من شدة الفرح»[2]، والله عزَّ وجلّ بتوبة عبده أشد فرحًا من هذا بناقته. اللَّـٰهُمَّ تب علينا يا رب العالمين، اللَّـٰهُمَّ تب علينا، اللَّـٰهُمَّ تب علينا.

فعليك يا أخي أن تكون منطلق الوجه، دائم البشر، مع إخوانك مع أهلك. واعلم أن الله تعالى إذا منَّ عليك بهذا الخلق فستكون محبوباً إلى الناس، مقبول الكلمة بينهم، معفوّاً عنك فيما لو أخطأت؛ لأن الناس يزنون الأمور، والعقلاء يزنون الأمور، لو أن رجلاً أتى إليك وقدح في شخص عندك تعرف منه حسن الخلق، سوف تقول فورًا: هذا لا يمكن أن يقع منه، لأنك تعرف منه أنه حسن الخلق، ومما ينبغي لنا

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١، ١٢)، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس واللفظ لمسلم. وقد ورد هذا الحديث بمعناه عن غير واحد من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

طلبة العلم: أن نتآمر بالمعروف، ونتناهى عن المنكر، على وجه تحصل فيه الفائدة، باللطف والرفق واليسر؛ لأن الأمة الإسلامية فُضِّلت على غيرها من الأمم؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، احرص على هذا، على أن تأمر بالمعروف إذا رأيت من أخيك تقصيراً، وتنهى عن المنكر إذا رأيت من أخيك تهوُّراً، حتى تكون من هذه الأمة حقّاً، التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

ومن المعلوم لكل إنسان عبر التاريخ وقراءته أنه لا يزال المنكر موجوداً في الأمة من عهد الرسول عليه السلام إلى يومنا هذا، أليس كذلك؟ في عهد الرسول عليه السلام حصل الزنا، حصل السرقة، حصل شرب الخمر، حصل القتل، وكذلك في عهد الخلفاء من بعده، وهذا من حكمة الله عزَّ وجل، يبتلي به الناس، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [سورة التغابن: الآية ٢]، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة على دين الله، لكن ليبلو بعضنا ببعض، ويعلم من يقوم بالحق ومن لم يقم.

* **وإذا هذا كان هو الواقع**، وهو مقتضى حكمة الله عزَّ وجلّ، فإن الواجب علينا أن نصلح ما استطعنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن كيف نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟ أبالقوة والغلظة، أم بالرِّفق واللين؟ بالرفق واللين.

مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وعنده أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال اليهودي: السام عليك. السام بمعنى الموت، واليهود

يريدون أن يموت الرسول عليه السلام، وفعلاً كادوا له في غزوة الخيبر، فأهدت إليه امرأة يهودية شاةً مسمومة، قال: السام عليك يا محمد. سمعته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وحُبُّ النبـي ﷺ مَلأَ قلبها، وغيرتها عليه لا تماثلها غيرها، قالت رضي الله عنها لليهودي: عليك السام واللعنة. أعطته عن الصاع كم؟ صاعين: الموت واللعنة، عليك الموت واللعنة، ولكن الرسول ﷺ لم يظن هذاك، وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1].

يهودي يسلِّم على الرسول عليه السلام يدل بالموت، ومع ذلك يخاطب أم المؤمنين بهذه المخاطبة، ثم أرشد عليه السلام إلى حل هذه المشكلة؛ لأن المؤمن لا يرضى لنفسه الذل، فماذا يفعل إذا سلم عليه يهودي أو نصراني، وقال السام عليك؟ قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»[2]. إن كان قال: السام، فعليه السام، فإن قال: السلام، فعليه السلام، وبهذا نعرف أنه لو سلم عليك يهودي أو نصراني أو وثني عفوياً، وقال: سلام عليك، بهذا اللفظ، فلا بأس أن تقول: عليك السلام، يعني يعرف ماذا قال.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [سورة النساء: الآية ٨٦]، وإذا كان الرسول عليه السلام قال: قولوا: وعليكم، وهم قد قالوا السلام عليكم، فمعناه: أن السلامة عليكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٥٨، ٦٩٢٦)، ومسلم (٢١٦٣) من حديث أنس.

فالمهم أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ينبغي أن يكون رفيقًا باللين والحكم، ولا حرج عليه أن يترقى في ذلك شيئاً فشيئاً، بمعنى أن يصبر على التقصير، ولكن يحاول العلاج والتكميل، التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بأس به؛ لأنه لا يمكن أن تصلح الفاسد بكلمة أو كلمتين، أو في الساعة أو ساعتين، كم بقي الرسول عليه السلام في مكة يدعو الناس؟ ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد والصلاح، ومع ذلك ما قبل كل الناس دعوته حتى أذن بالهجرة.

لما أراد الله تعالى أن يحرِّم الخمر، هل حرمه فجأة، أو فيه تدرج؟ فيه التدرج؛ لأن النفوس إذا ألفت الشيء يصعب أن تنزعها منه فجأة. في الخمر أربع آيات، آية تحله، وآية تعرض بتحريمه، وآية تمنعه لوقت دون الوقت، وآية تمنعه بتاتاً، الآية التي تحله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا . . .﴾ [سورة النحل: الآية ٦٧]، الرزق الحسن: التجارة، والسكر: الشرب.

الآية التي تحرمه بالتعريض: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ . . .﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٩].

الآية الثالثة التي تحرمه لوقت دون الآخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ . . .﴾ [سورة النساء: الآية ٤٣]. إذاً لا بد أن يجتنب الإنسان الخمر وقت الصلاة حتى لا يقربها وهو سكران.

الآية الرابعة: تحريمها حتماً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٠].

تدرج الحكم في هذا، لأن الناس قد ألفوه، ويصعب عليهم جدًّا أن يتركوه مرة واحدة، لكن لمَّا نزل التحريم نزل على نفوس مستعدة لقبول التحريم، ولهذا ـ وانتبه يا أخي المسلم ـ لما حرمت الخمر وكانت في قينان، يعني الأواني للخمر، قد تهيأ الناس لشربها، لما نزلت التحريم، ماذا صنع الصحابة رضي الله عنهم وجزاهم الله الخير؟ خرجوا إلى الأسواق وأراقوها بدون أي مراجعة، خرجوا إلى الأسواق وأراقوها لأنهم يقولون: سمعنا وأطعنا، واعلم أنك إذا قلت: سمعت وأطعت، فسيجعل الله لك فرجاً من كل ضيق.

ألم تعلم أن الله تعالى لما أنزل على نبيه عليه السلام: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ... ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٤]. ماذا صنع الصحابة؟ أتوا إلى الرسول عليه السلام جثياً على الرُّكَب، يقولون: يا رسول الله، ما نستطيع ما نستطيع، كيف نتبع ما في نفوسنا؟ فقال لهم: قولوا: «سمعنا وأطعنا، ولا تقولوا: سمعنا وعصينا» هل بقي عندهم التردد أن يقولوا هذه الكلمة، لا والله، قالوا: سمعنا وأطعنا، أنزل الله بعد ذلك: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٥]، ثم سألوا الله المغفرة، حتى جاءوا يشكون إلى رسول الله ﷺ ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦]، وكان جواب الله تعالى على هذه الدعوات: «قد فعلت»[1]، لأنهم قالوا: سمعنا وأطعنا.

وبهذه المناسبة ــ يا إخوان ــ أشير إلى مسألة تؤلمني كثيراً والله، أن بعض الناس إذا سمع الأمر قال: هل هو للوجوب أو الاستحباب؟ إذا سمع النهي قال: هل هو للكراهة أو للتحريم؟ أهذه وظيفتنا ونحن عبيد لله؟ لا والله، الصحابة رضي الله عنهم إذا جاءهم أمر من عند الله أو من من عند الرسول عليه السلام لا يسألون الرسول عليه السلام: هل أمر إيجاب أو أمر استحباب، أو لنهي الكراهة أو التحريم؟ أبداً، لكن ربما يسألون: هل هو مشورة أو أمر؟ وهذا حق، لكن إذا جاء الأمر ما يمكن أن يقول: للوجوب أو الاستحباب؟ انتبه يا أخي، انتبه إلى هذه الفائدة، إنك إذا قلت: هل هو للاستحباب أو الوجوب، فيعني ذلك أنك متردد في فعله وتنفيذه، واحذر من قول الله تعالى أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٠].

إنني قلت لكم: إذا ورد أمر من الرسول عليه السلام، الصحابة لا يسألون: هل هو للوجوب أو الاستحباب، لكن يسألون: هل هو

---

(١) ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس.

للمشورة أو الأمر؟ وهذا مثل قصة بريرة رضي الله عنها، بريرة امرأة أمة، اشترتها عائشة رضي الله عنه وأعتقتها، ولما اعتقتها كانت تحت زوج يسمى مغيثاً، فخيرها النبي ﷺ، خيرها إن شاءت بقت معه، وإن شاءت فسخت النكاح، خُيرت رضي الله عنها على زوجها حين أُعتقت، صار مغيث ـ سبحان الله! يتبعها في الأسواق يبكي، يريد أن ترجع إليه، فقال النبي ﷺ: «ألا تعجبون من حب مغيث لبريرة، وبغض بريرة لمغيث؟!» ما جوابكم أنتم: تعجبون أو لا تعجبون؟ لا حول ولا قوة إلَّا بالله، نعجب! لأن العادة أن الحب متبادل، والبغض متبادل، يندر أن تجد شخصًا يحب شخصاً حبًا شديداً، وذاك يبغضه بغضاً شديداً، يندر، وجاء مغيث إلى الرسول عليه السلام يطلب الشفاعة أن ترجع زوجته إلى زوجها، فشفع الرسول عليه السلام ـ بأبي وأمي ـ وهو أعلى من الشافع والمشفوع له، ولكن هو يحب الخير عليه الصلاة والسلام، شفع في زوجها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله: إن كنت تأمرني فسمعًا وطاعة(١).

الشاهد هنا تأمرني فسمعاً وطاعة، وإن كنت تشفع فلا رغبة لي فيه، أو: فلا حاجة لي فيه، ففرقت بين الأمر وبين الشفاعة والمشورة.

---

(١) وردت قصة بريرة وعتقها وتخييرها بعد العتق في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، واللفظة المذكورة أخرجها البخاري (٥٢٨٣)، وأبو داود (٢٢٣١) من حديث ابن عباس بنحوه.

هذا الذي يسألونه الصحابة، أما أن يأمرهم الله ورسوله بشيء ثم يقولون: هل هو للوجوب أو الاستحباب، ما أعلم هذا أبداً، ولا يليق بالمؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٦]. نعم، إذا وقع الإنسان في المخالفة، فحينئذ يسأل: هل هو أمر للوجوب أو للاستحباب، إن كان للوجوب فيستلزم وجوب التوبة من المخالفة، وإن كان لغير الوجوب قد ينساه في ساعة، أرجو يا أيها الشباب، أرجو أن يكون ذلك على البال؛ إذا ثبت الأمر عن رسول الله ﷺ وجاء في القرآن، فليس من كمال العبودية أن تسأل: هل هو للوجوب أو الاستحباب؟ افعل، إن كان للوجوب فقد أبرأت ذمتك، وإن كان للاستحباب فقد علوت درجة.

فهمت متى أسأل عن الوجوب والاستحباب؟ متى؟ إذا وقعت في المخالفة، إذا تركت الأمر، أو ارتكبت النهي، حينئذٍ اسأل، إذا كان للوجوب وجبت التوبة من المخالفة، وإذا كان الاستحباب وللكراهة فالأمر واسع.

هذه من خصال طالب العلم، أن يكون متمثلاً لأمر الله ورسوله غير متردد؛ لأنه عبد، وأظن لو أن أحدكم أمر ابنه أن يفعل شيئاً، هل يليق بالابن أن يقول لأبيه: يا أبت أنت تلزم ولا ما لزمت؟ يليق أم لا؟ ما يليق لابن أن يقول هذا، ربما لو قال: أنت ملزم، ولا لا، والأب سينقرص، وربما يصفعه على رأسه، ويقول: افعل، أنا أمرتك.

فكيف بالرب عزَّ وجلّ؟ الذي نحن عبيده وهو الخالق، وإليه المرجع والمصير، وسوف يسألنا عما أمرنا به أو نهانا عنه، قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة القصص: الآية ٦٥]، هذه الشهادة عن الرسالة ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة القصص: الآية ٦٢]، فهذا السؤال عن التوحيد فتضمنت الآيات السؤال عن الشهادتين: شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله، وشهادة أن محمد رسول الله.

انتبه يا أخي، انتبه، لديك كتاب وسنة، خذها تقيم ــ والحمد لله ــ على نعمه، إنه أنزل هذا الذكر وحفظه، كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآية ٩].

واعلم يا أخي، أنك إذا أخطأت في الشيء، ثم يسَّر الله لك من بيَّن خطأك، فقد أحسن إليك، لا تظم أنه أساء، أحسن إليك، ويجب عليك إذا بين لك الخطأ أن ترجع، فترتكب الصواب، لا تحاول أن تروغ يمينًا أو يساراً من أجل أن يتم قولك، فمن فعل ذلك فلقد أراد أن تكون كلمته هو الحق، ولا نقول: هذا انهزام، والله ما هو انهزام، هذا والله شجاعة. أنت الآن هزمت النفس على الباطل، انتصرت أو ما انتصرت، هل هذا الانتصار حقيقة؟ أن ينتصر الإنسان على نفسه، وألا يحاول أن يغلب بالباطل، فإن الله يقول: ﴿ وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة غافر: الآية ٥] وربما يصرف

الإنسان ــ أعاذنا الله وإياكم ــ من الصرف عن الحق، ربما يصرف الإنسان عن الحق؛ لأنه أراد أن ينتصر لنفسه بالباطل.

وأمامي أسئلة كثيرة، وأخشى أن يكون الوقت قد أزف، فنختصر على ما قلنا وأسأل الله أن ينفعني وإياكم به، وأن يعيد أمثال هذا الاجتماع الذي أوده وأرغب فيه على الخير؛ لما في ذلك من المصلحة العامة. اللَّـٰهم صلِّ وسلِّم على رسول الله.

إلى هنا انتهى كلام الشيخ وبدأت الأسئلة:

جزى الله سماحة شيخنا خير الجزاء ونفعنا بما سمعنا عنه.

سـؤال: وردت أسئلة كثيرة تسأل عن السكن الجامعي، وأسباب إيقافه، وما هو مسعى الشيخ في إعادته ليستفيد الطلاب من ذلك؟

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله: رأيـي الخاص أن السكن لا بد للطلبة منه؛ لأن فيه مصالح كثيرة، وفيه درء المفاسد، والطلاب الآن تفرقوا، والطلاب إذا كانوا في السكن تعاونوا على البر والتقوى، وصار بعضهم يشد بعضهم ويقويه، وصار من الممكن أن يتردد إليهم أهل العلم للدعوة والتثقيف في الدين، لكن إذا كان كل طالب أو فئة من الطلاب في مكان، لم يحصل هذا، فأما مساعيّ أنا، فإني ــ والله ــ حريص على أن يعاد الإسكان، وأرى أنه من مصلحة الجامعات، ومن مصلحة المجتمع، وأنه من أسباب حفظ الأمن. وأسأل الله تعالى أن يوفق حكومتنا لما فيه الخير والصلاح، لا سيَّما للطلاَّب الذين هم واجهة الأمة، لأن طلاب العلم، سواء

كليات العلوم الشرعية، أو الاجتماعية، أو اللغوية، وغيرها من العلوم النافعة لبلادهم، واجهة في الواقع، هم الواجهة، فأنا حريص غاية الحرص على أن يعاد الإسكان، ونسأل الله أن يوفق الحكومة لما فيه الخير والصلاح، وأنتم ادعوا الله عزَّ وجلّ أن ييسر هذا الأمر.

سؤال: تعلمون ــ حفظكم الله ــ ما أصاب خريجي الكليات الشرعية في عدم تعين في مجال التدريس مما قد يسبب عدم الإقبال على هذه الكليات، نرجو أن يتم دراسة هذا الأمر مع ولاة الأمور في هذه البلاد المباركة، التي تحرص كل الحرص على العلم الشرعي وأهله؟

الجواب: هذا جدير بالاهتمام، وما ذكر أو صار فيه من البلبلة قبل أشهر لن يكون له أصل إن شاء الله، الدولة محتاجة إلى علماء الشريعة، والأمة الإسلامية عموماً محتاجة إلى علماء الشريعة، وتعلمون وأنا أعلم أن أطهر عقيدة وأنقى عقيدة ما يدرّس في جامعات المملكة، ولله الحمد، عقيدة سلفية خالصة، العالم محتاج إلى هؤلاء، ولعله يأتي اليوم الذي يكون من يتخرج من هذه الجامعات إماماً في البلاد الإسلامية أخرى؛ وذلك لأني أشعر بأن المسلمين اليوم في الأقطار الأخرى حسب ما تأتينا الرسائل، أو ما نسمع منهم، متعطشون إلى المنهج الصحيح، وإلى العقيدة السلفية، وأقول لكم من باب التحدث، لا من باب الافتخار: العام الماضي في المسجد الحرام، كنت كعادتي أتكلم على ما يقرأه الإمام في الصلاة، فكان من جملة ما تكلمت عليه: مسألة علو الرب، علو الرب عزَّ وجلّ، واستواؤه على عرشه، وبينت ما يحفظ

من الأدلة، الأدلة السمعية والعقلية والفطرية والإجماع، فقام طالب شاب كان يكتب، كلما سمع شيئاً كتبه، طالب من الصين، لكنه يجيد اللغة العربية الفصحى، ما هي عربيتنا نحن العوام؟ عربية فصيحة، فقال لي: سبحان الله! وهذه الأدلة كلها، هذه الأدلة آه والله، انفتح قلبي وانشرح صدري لها، واقتنعت بها، لكننا ندرَّس خلاف ذلك، ندرَّس أن من قال بعلو الله العلو الذاتي، أو استوائه على عرشه فهو كافر، ولكن والله ـ يقول في المسجد الحرام ـ لقد اقتنعت بما قلت، فقلت له: بارك الله فيك، اذهب بها إلى قومك وصف بها بينهم.

أليس هذا يدل على أن الشباب في البلاد الإسلامية محتاج إلى التوجيه.

الآن حتى عامة الناس، ولله الحمد، نجدهم ينظرون إلى علماء هذه البلاد نظرة إكبار وأسوة، حتى إن بعضاً يقول: يجب عليك كذا، إلَّا إذا كنت أفتيت بخلافه؛ لأني أرى أن من يفتي بخلاف الصواب، إذا فعل ما أفتى به فقد برئت ذمته، لأن الله تعالى قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧]، ولم يأمرنا الله عزَّ وجلّ بالسؤال عن أهل الذكر، إلَّا لنأخذ بفتواهم، فأقول له: إلَّا إذا كنت قد أفتيت بخلاف ذلك، فيقول: لا أرضى، أخبرني بفتواك أنت؟ ماذا يدل هذا الكلام؟ على أن علماء هذه البلاد أئمة في البلاد الأخرى.

فأقول: أنتم ـ إن شاء الله ـ ما أتيتم إلى هذه الجامعات في علوم الشريعة، إلَّا تبتغون أن تكون كلمة الله هي العليا، وإذا جعل الله على

أيديكم، فلأن يهدي الله بكم رجلاً واحداً خير لكم من حمر النعم.

لا تيأسوا، فالعاقبة للمتقين، مهما قيل، فاجتهدوا وجدوا، وادرسوا الأدلة السمعية والأدلة العقلية، لا تفوتنكم الأدلة العقلية؛ لأن من المكابرين الذين يردون الأدلَّة السمعية من لا يقنعه إلاَّ الدليل العقلي، وانظروا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ومن سبقهم من الأئمة، كيف يستدلون بالأمور العقلية على المسائل العقدية؛ لأن الأمور العقلية لا يمكن إنكارها، لا تقولوا: عندنا الأدلَّة السمعية، والله إن الأدلة السمعية كافية عن كل الشيء، لكن بحق من؟ المؤمنين، هم الذين إذا قضى الله ورسوله أمراً لم يكن لهم الخيرة في أمرهم، لكن غير المؤمن يحتاج إلى دليل عقلي، والأدلة العقلية أو الاستدلال بالأمور العقلية موجود في القرآن وموجود في السنَّة.

أليس الله تعالى يقرر البعث بما يشاهد من إحياء الأرض بعد موتها؟ أليس كذلك؟ ويقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٩]، أليس الله تعالى يقرر البعث بما حصل لابتداء الخلق، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم: الآية ٢٧]؟ أليس الله يقرر البعث بأنه قادر على أنه أعظم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٣٣]!

أليس النبي ﷺ جاء رجل في أمرٍ أشكل عليه كثيراً، وهو جدير بالإشكال، قال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، وهو

وزوجته لونهما أبيضين، كيف غلام أسود من بين أبوين أبيضين، كيف هذا؟ وأظنه لا يعرض بزنا امرأته، ولكن يريد أن يحل الإشكال، كيف هذا؟ كيف هذا وكان من حكمة الرسول ـ عليه السلام ـ أنه أحسن الناس تعليماً، قال: كيف هذا؟ «هل لك من الإبل؟» قال: نعم، قال: «ما هي ألوانها؟» قال: ألوانها حمر، قال: «هل فيها من الأورق»؟ يعني أشعب الأورق: الذي شعره بياض وسواد، يشبه الغرِق، أي الفضة، قال: فيها من الأورق، قال: نعم قال، «من أين أتى»؟ قال: يا رسول الله، لعله نزعه العرق.

سبحان الله! الجواب الصحيح ولا غير صحيح؟ الجواب صحيح، قال: «فابنك هذا لعله نزعه عرق»[1] يمكن أحد من آبائه أو أجداده أو أمهاته أو جداته كان أسود، فهذا استدلال بالأمور الواقعية حتى يقتنع الإنسان.

فأقول ـ بارك الله فيكم ـ أنتم على مستوى ـ إن شاء الله ـ أرجو الله تعالى أن يجعلكم هداة مهتدين، وصالحين مصلحين، احرصوا على الأدلة السمعية واقرأوا معها الأدلة العقلية، فهذا طريق الكتاب والسنَّة وأئمة الأمة. فإذا رأوا من الناس شيئاً محرماً تكلموا عليه، تكلموا عليه وبينوا حكمه، وحذروا منه بكلام حسب ما يعطيهم الله من البيان، وإذا رأوا تقصيراً في الواجب فذلك أيضاً، حث الناس على القيام بالواجب

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٥، ٦٨٤٧، ٧٣١٤)، ومسلم (١٥٠٠) من حديث أبي هريرة.

على حسب ما يعطيهم الله من البيان، وهذا هو فقه الواقع، ونجدهم أيضاً يتكلمون عما حدث من أنواع البيوع كالتأمين وبيع التقسيط وغير ذلك، هذا هو فقه الواقع، ولا أدري ماذا يريد السائل بكلمة الفقه الواقع؟ ولا شك أنه يجب على الإنسان أن يكون عالماً بما يحدث حوله بقدر المستطاع، لكن ليس معنى ذلك أن يصده هذا عن الفقه في الدين؛ لأن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين»، والفقه في الواقع مجرد عن الفقه في الدين، لا يحمد، إن من ساسة الكفر في الغرب والشرق لمن عندهم فقه في الواقع أكثر من فقه كثير من المسلمين، يعرف الواقع في دولته وواقع ما وراء من حوله. لا يحمد إلاّ إذا كان في ذلك خدمة للإسلام.

الفقه في الدين هو الأصل، والفقه في الواقع فرع مكمل للأصل، ولا بد منها من حسان حال الناس حتى يتكلم للإصلاح، ولا يمكن أن يتكلم للإصلاح إلاّ إذا عرف الفساد الذي يقضى عليه بالإصلاح.

ولا أستطيع أن أقول إن جميع الخطب موضوعها واحد، في الصلاة، أو في الطهارة، وما أشبه ذلك، ولنعم أن تكون في الصلاة والطهارة، لأنها الصلاة هي ركن ثاني من أركان الإسلام، وهي من أهم أركان الإسلام العملية، لكني أرى أن تكون الخطب شاملة، فمثلاً في أيام رمضان يكون البحث حول الصيام والقيام والزكاة، وفي أيام الحج حول الحج، هذا من الواقع، إذا طرأت البيوع للناس تحتاج إلى البحث والمناقشة والبيان يتكلم فيها، وهلمَّ جرّاً.

سـؤال: سماحة الشيخ، إني أحبك في الله، سؤال هو من شقين: الأول: ما حكم التصفيق للرجال في الندوات والمسابقات؟

الجواب: أحبه الله الذي أحبني فيه، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يحبون في الله ويبغضون في الله.

والتصفيق ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتخذ عبادة، كما كان يفعل المشركون عند البيت، هذا حرام لا شك فيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [سورة الأنفال: الآية ٣٥].

القسم الثاني: أن يتخذ لهواً، كالذين يصفقون لهواً وطرباً، فهذا منهيٌّ عنه، إما نهي التحريم، وإما نهي الكراهة.

القسم الثالث: أن يكون تشجيعاً، يعني جرت العادة بأنه إذا صفق للإنسان ازداد نشاطاً في ما هو فيه، فهذا لا بأس فيه، لأن الأصل فيما عدا العبادات ما هو؟ الحِلّ والإباحة، فإذا جرت العادة أنه يشجع بمثل هذا التصفيق فلا أرى فيه بأساً. وما أشد فرح الطالب إذا أجاب في فصله بالصواب، ثم صفقوا له، أو ـ أقصد الطلبة في الابتدائي ـ أما أنتم ما شاء الله ما يهمكم هذا ما أشد فرحاً وبما يطير من الماجة من الفرح، أفنمنع مثل هذا المثال للتشجيع بدون دليل؟ وأما قول النبي ﷺ: «التصفيق للنساء والتسبيح للرجال»[1]، فهذا في الصلاة، يعني إذا

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٣)، ومسلم (٤٢٢) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري (١٢٠٤)، ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد.

نابكم شيء في صلاتكم: يسبح الرجال وتصفق النساء، وإنما فرق النبي ﷺ في ذلك بين الرجال والنساء، لأنه لا ينبغي أن يظهر صوت المرأة في هذه العبادة، حتى لا يفتتن به أحد في صلاته، أرأيتم لو قالت: سبحان الله، سبحان الله، وصوتها رقيق رخيم، واستمع إليه شاب مكتمل القوة، يحصل فتنة، فإذا صفقت فالتصفيق صوت واحد، أما الرجال فيسبحون الله.

وبهذه المناسبة: لماذا اختار النبي عليه السلام أن يسبح الرجال دون أن يهللوا؟

سبحان الله: أنزه الله أن يقع منه النسيان كما نسي هذا الإمام، وهذا من حكم الشريعة وأصاله، انظر إلى المسافر: إذا علا مرتفعاً ماذا يقول؟ يكبر الله، يقول: الله أكبر، وإذا نزل يقول: سبحان الله[1]، لماذا؟ لأنه إذا ارتفع قد يكون في نفسه محبة للعلو أو التعالي في نفسه، فيخفف على نفسه، ويخفض على نفسه، ويقول: الله أكبر، وإذا نزل فالنزول سفول فيقول: سبحان الله، أي تنزيهًا له عن السفول عز وجل.

ونظير هذا أن النبي ﷺ إذا رأى ما يعجبه من أمور الدنيا ماذا يقول؟ يقول: «لبيك، إن العيش عيش الآخرة»[2]، تربية عظيمة، لأن إذا رأى الإنسان من أمور الدنيا ما يعجبه فتميل نفسه إلى ذلك، فيغفل

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٣، ٢٩٩٤) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه البيهقي (٧/ ٤٨) وعزاه الحافظ في تلخيص الحبير (٢/ ٢٤٠) له ولابن خزيمة والحاكم.

عن ذكر الله، يداوي هذا المرض بكلمة: لبيك، ثم يوطن نفسه ويقول: إن العيش عيش الآخرة، أما عيش الدنيا فوالله لا يضمن الإنسان بقاءه ولا الساعة، أليس هكذا؟ كم من إنسان خرج وهو راكب أفخم سيارة في العالم، ولا ينزل منها إلَّا ميت، وكم من إنسان نام على سرر من أفضل سرر في أفخم القصور، لا يستيقظ إلَّا ميت. أليس كذلك؟ إذاً هذا العيش هل هو العيش؟ إنه ناقص، العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، اللَّـٰهُمَّ اجعل عيشنا في الدنيا خيراً وفي الآخرة خيراً، يا رب العالمين.

الشق الثاني من السؤال: شخص من الناس في مكة قال لأخٍ له في الرياض: أريدك أن تحج هذا العام عن أخ لك في الله، وهذا الأخ في مكة، هل يصح لهذا الحاج الذي هو في الرياض أن يذهب إلى مكة مباشرة ثم في وقت الحج يخرج إلى منطقة الحل خارج مكة يحل بالحج؟

الجواب: لا، لا يصح، لأن أحكام النسك تتعلق بالفاعل الذي هو النائب، ولهذا إذا ناب شخص عن آخر في أداء النسك، من الذي يجتنب محظورات الإحرام؟ النائب أو المنوب عنه؟ النائب، إذاً أحكام الإحرام، متعلقة بالنائب، وعلى هذا؛ فإذا استناب أحد في مكة شخصًا في الرياض ليحج عنه، وجب عليه أن يُحرم من ميقات أهل الرياض وجوباً، ولا يجوز له ترك الإحرام حتى يصل إلى مكة فيحرم من مكة، والعكس بالعكس، لو أن أحداً من أهل الرياض استناب أحداً من مكة،

فمن أين يحرم الذي في مكة؟ هل نقول: اخرج إلى قرن المنازل وأحرم منه، أو أحرم من مكة؟ يحرم من مكة، أحكام النسك متعلقة بالفاعل لا بالمنوب عنه.

سـؤال: سماحة الشيخ، إني أحبك في الله، أنا طالب علم مبتدىء، فبماذا تنصحني من الكتب المفيدة والمتون العلمية؟

الجواب: أنصحك إذا كان لك شيخ معيَّن أن تأخذ بتوجيهه وإرشاده، الشيخ يعلم كيف يتحمَّل الطالب تلقِّي العلم، وأما إذا لم يكن شيخ فأشير عليك بأن تبدأ العلوم بمختصراتها، ففي النحو الآجرومية في التوحيد كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في العقيدة: الواسطية، في الحديث: في العمدة، عمدة الأحكام في الفقه، زاد المستقنع، وهكذا تبدأ في المختصرات أولاً، لأننا نعلم الإنسان الذي يريد أن يصعد إلى السطح هل يقفز إلى آخر درجة أم يبدأ من الأولى، يبدأ من الأولى شيئاً فشيئاً حتى ينضج، فلذلك أقول محذِّراً طالب العلم المبتدىء أن يراجع في المطولات، لا سيَّما التي تذكر الخلاف والمناقشة فيه، يعني طالب يذهب يراجع المغني أو شرح المهذب لا، غلط، لأنه إذا فعل هذا التبست عليه الأمور، وتشتت فكره، فليركز على شيء معين ثم إذا اتسع علمه يرجع إلى الكتب الطويلة.

سـؤال: سماحة الشيخ، إني أحبك في الله، ثم يقول: إني كثير الهموم، دائماً يأتيني الكرب والضيق، وتأتي في مخيلتي بعض الوساوس الشيطانية، وتأتني عند النوم الكوابيس، وأشعر بالأرق حتى إنه في

بعض اللَّيالي لا أنام إلى الفجر، أرجو من سماحتكم وصف العلاج الناجح بإذن الله في هذه المشكلة، وجزاك الله خيراً؟

الجواب: أسأل الله له الشفاء، اللَّـهُمَّ اشفه وعافيه وأنزل عنه الأرق والتعب والهم والغم، أما الدواء: فقد قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٢]، فعليه بالقرآن، عليه بالذكر، عليه بالدعاء المشروع في الكرب والغم، وهو: «اللَّـهُمَّ إني عبدك ابن عبدك ابن أَمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك اللَّـهُمَّ بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء همي وغمي»(١)، فإذا فعل ذلك بإخلاص وتصديق، أزال الله عنه همه وغمه. كذلك قوله: لا إلـه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ما دعا به مغموم إلاَّ أزال الله غمَّه، دعوة ذي النون عليه الصلاة والسلام، يقرأ بعض الكتب المؤلفة في الأذكار إذا كانت من الكتب المعتمدة، وأقيد هذا بهذا القيد اللازم؛ لأن بعض الكتب في الأذكار فيها الدمار، فيها الفضايح، فيها الأحاديث الضعيفة، بل فيها الأحاديث الموضوعة، فليحذر منها.

سؤال: سماحة الشيخ، بعض طلبة العلم بدأوا يتناولون العلماء ويقولون: نوضح أخطاءهم، سواء القدامى منهم أو المتأخرين، دفاعاً

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٩١)، وابن حبان (٩٧٢) من حديث ابن مسعود.

عن الدين، لأن حذيفة بن اليمان يقول فيما معناه: كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر[1]، فما هو رأي سماحتكم في ذلك؟

الجواب: أقول جزاه الله خيراً عن استيعابه لهذا الحديث، لأن هذا الحديث يجيب عن هذا السؤال؛ لأن حذيفة رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ عن الشر مخافة أن يقع فيه، وما وقع فيه هؤلاء في أعراض العلماء هو الشر في الواقع، هو الشر بنفسه، فالفرق عظيم بين سؤال حذيفة وبين الوقوع في أعراض العلماء، الوقوع في أعراض العلماء شر؛ لأنه يتضمن مفسدتين عظيمتين:

المفسدة الأولى : الغيبة، فإن العلماء كغيرهم من الناس، أشخاص محترمة، فإذا وقع فيهم فقد اغتابهم، وقد قال الله في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٢].

الأمر الثاني: وهو أشد؛ الزهد فيما لديهم من الشريعة، فتضيع الشريعة التي وهب الله هؤلاء العلماء لحمايتها، بسبب ارتياب هؤلاء، لأن من المعلوم أن العالم إذا نقص قدره في أعين الناس، فإنهم لن يقبلوا كل ما يقول، فيضيع بذلك جانب كبير من الشريعة، ونظير هذا يقع في أعراض الأمراء وولاة الأمر، فإنه يكون قد جنى جنايتين عظيمتين، الأولى: الغيبة، والثانية: أن الناس يتمردون عليهم، ولا يهتمون بأوامرهم، مع أن طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله طاعة لله

---

(١) حديث حذيفة أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

عزَّ وجل؛ لقول الله عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩]، ثم نقول لهؤلاء: أي إنسان من هذه الأمة سوى الرسول عليه السلام سلم من الخطأ؟ فهل كل عالم معصوم؟ لا، العالم يخطىء ويصيب، وإذا أخطأ ونحن نعلم أن خطأه إنما صدر عن الاجتهاد لما له من الحسنات العظيمة ونفع الأمة، فإنه يجب أن ندافع عنه، ونقول: أخطأ، وقوله الخطأ غير مقبول، لكن هذا الرجل لعلمنا بما لديه من النصح للأمة يجب الدفاع عنه.

لقد بلغني من العجب يقول لي بعض الناس: إن واحداً قال: يجب إحراق فتح الباري! ما هو فتح الباري؟ شرح صحيح البخاري الذي هو عمدة لكثير من أتوا بعد ابن حجر، لماذا؟ قالوا كأن في بعض أحاديثه يؤول الصفات، سبحان الله! هذا الذي وقع من الفوائد؟! وهذا من الجهل بلا شك.

كذلك النووي رحمه الله، الذي آثاره تدل على إخلاصه، فإن الله تعالى نفع بعلم هذا الرجل النووي، نفع الخلق نفعاً كبيراً، ما من أحدٍ في مشارق الأرض ومغاربها إلاَّ من يشاء الله إلاَّ وهو يقرأ في رياض الصالحين، من مؤلفه؟ ألا تدل هذه الآثار العظيمة على أنَّ الرجل مخلص؟ لأنَّ كل من لا يخلص لله يكون عمله بواراً لا خير فيه، فمثل هذا كيف نقول: يجب أن تحرق مؤلفاته؟ هذا من الجهل العظيم! أي أحد يكون معصوماً يا إخوان؟ ارجع إلى أقوال العلماء وفتاويهم من الصحابة إلى يومنا هذا، لا تكاد إلاَّ أن تجد لبعض العلماء أخطاءً

كثيرة، العالم الواحد ربما يخطىء نفسه هو بنفسه.

ذكر الفرضيون: عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنا لم أحررها تماماً، في مسألة تسمى في الفرائض: الحمارية، ومن يصورها لنا؟ من يصور الحمارية يا جماعة؟

المسألة: توفيت امرأة لها زوج وأم وأخوين من أم وأخوين شقيقين.

للزوج: النصف؛ لعدم وجود الفرع، وللأم الثلث، لوجود جمع من الإخوة، وللإخوة من الأم الثلث، والأشقاء يسقطون، الأشقاء يسقطون.

الدليل: قول النبي ﷺ: «ألحقوا الفرائض لأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر»[1]، كان عمر رضي الله عنه فيما روي عن الفرائض ـ وأنا لم أحررها ـ يحكم بهذا أولاً، ثم حكم بالتشريك وقال: إن الثلث بين الإخوة من الأم والإخوة الأشقاء، وقال: ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضي.

الإمام أحمد رحمه الله ـ كان يقول: إن السكران إذا طلق زوجته طلقت. ثم رجع وقال: كنت أقول بطلاق السكران، حتى تبينت، وأبطل قوله الأول، قال: طلاق السكران لا يقع.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٢، ٦٧٣٥، ٦٧٤٦)، ومسلم (١٦١٥) من حديث ابن عباس.

فأقول ــ بارك الله فيكم ــ : ما من عالم إلاَّ وهو معرض للخطأ، وما أحسن عبارة قالها ابن رجب رحمه الله في كتابه «القواعد الفقهية» قال رحمه الله: «ويأبـى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء لكثير صوابه».

لأننا لو نظرنا إلى ما أخطأ به النووي أو ابن حجر لوجدنا أنه جزءٌ يسير جداً من صوابه، فكيف نهدر هذا الصواب الكثير بخطأ بسيط؟ فهذه المسألة يجب أن ننتبه لها، وألا نقع في أعراض العلماء، لا السابقين ولا اللاحقين، إذا علمنا أنهم مخلصون لدين الله، يحبون الخير لعباد الله، أن نعتذر عما أخطأوا فيه، وأن نسأل الله لهم العافية.

[نأخذ سؤالين، على شرط أن لا يكون الاجتماع قريباً، أو نترك السؤالين ليكون الاجتماع قريباً؟ أيهما أحسن؟ سؤالين واللقاء إن شاء الله].

سـؤال: سماحة الشيخ: ما رأيك في الشريط الذي أخرجه أحد الأخوة بمسمى «أشجان»، وهل صحيح أن صاحبه قابلك قبل إصداره فسمحت له بذلك، ولكنك لم تكتب له السماح تحريرياً؟

الجواب: ليس هذا بصحيح، صاحبه لم أعرفه ولم يأت إليّ، ولكن عرض علي الشريط، فاستمعت إليه، وأكثره غامض؛ لأنه محاط بما يسمى الصدى، لم تتضح كلماته، لكن أتاني بعض الناس بورقة كتبت فيها القصيدة أو القصائد وقرأها عليّ، ولم أجد فيها بأساً، لكن كونه خرج على هذا الوضع هو الذي أوجب الإشكال، ولذلك أنا لم أحرمه

ولم أرخص به، لكن بعض إخواننا حذر منه، إذا كان يريد الإنسان ليسلي نفسه بالاستماع إلى القصائد فعليه بالقصائد النافعة، مثل تسجيل نونية ابن القيم، فإنها سجلت بأصوات المشايخ، هذه تفيدك، تفيدك علماً، وتسليك بعض الشيء.

سؤال: سماحة الشيخ: لا يخفى عليكم ـ حفظكم الله ـ الفرقة بين الشباب المسلم في هذا الزمان، من التحزّبات وغيرها، فما موقف الشاب الواعي من هذه المشكلة؟

الجواب: أرى أن يعتزل هذه الفرق كلها، وألاَّ ينحاز إلى فلان أو فلان، وأرى نصيحة لله ولأبنائي وإخواني الشباب أن يدعوا الخوض في ذلك؛ لأنه يصدهم عن ذكر الله وعن العلم وعن ما يعنيه. والأمة الإسلامية مطلوبة منها أن تكون أمة واحدة، قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩].

الحذر الحذر ـ أيها الشباب ـ من الفرقة والبغضاء والعداوة، فإن هذا ما يريده أعداؤكم منكم، هم يقولون: كفينا بدعوة غيرنا، الشباب الآن متصارعون، كل واحد منهم يضلل الآخر، وهم يتفرجون، ومع كونهم يتفرجون على هذه المذمة هم يعملون الليل النهار على أن ينفذوا ما يريدون، أسأل الله أن يقطع أملهم فيما يضر الأمة.

فعليكم ـ يا أيها الإخوة ـ عليكم بالاتحاد، عليكم بالمحبة، عليكم بنبذ الفرقة، حتى وإن اختلفتم في الرأي، فالاختلاف في الرأي مع حسن النية ليس بالاختلاف في الواقع، أليس الصحابة اختلفوا فيما هو من أهم الأشياء، حين ندبهم الرسول ﷺ إلى أن يخرجوا إلى بني قريظة وقال: «لا يصلين أحد منكم العصر إلاَّ في بني قريظة»، فأدركتهم صلاة العصر، فاختلفوا، منهم من صلى في الوقت، ومنهم من أخَّر الصلاة إلى أن وصل بعد الغروب[1]، ومع ذلك، مع هذا الاختلاف في الصلاة (صلاة العصر هي أفضل الصلوات) لم يقع في قلوبهم الفرقة ولا الاختلاف، فلنكن مثلهم.

أسأل الله أن يجمع القلوب على طاعته، وأن يجعلنا متحابين فيه في الله، متناصرين في دين الله نبتغي بذلك وجه الله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، إنه على كل شيءٍ قدير.

انتهت الأسئلة والأجوبة.

وجزى الله سماحة شيخنا خير الجزاء، ومتَّعه بالصحة والعافية، وأمدَّ عمره على الطاعة والإيمان، ونفعنا بما سمعنا، وأسأل الله أن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلَّى الله على نبيّنا محمَّد وعلى آله وسلَّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❏ ❏ ❏

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الثانية)

وأُصَلِّي وأُسَلِّم على نبيّنا محمَّد خاتم النبيِّين وإمام المتَّقين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فإننا نشكر الله سبحانه وتعالى أن عدنا إلى اللقاء بكم بعد فترة من الزمن، ونسأل الله تعالى أن يجعل ما أمدنا من العمر زيادة في طاعته عز وجل.

إننا في هذا اللقاء الشهري الأول من العام الدراسي الذي يتم كل شهر في هذا المجمع السكني نحب أن نذكر بعض الأشياء التي لا ينبغي لطالب العلم أن يكون جاهلاً بها:

الأول: العلم الشرعي: ما منزلته في الدين وما حكمه شرعاً؟

العلم الشرعي منزلته في الدين أنه يعادل الجهاد في سبيل الله، يقول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، يعني للجهاد في سبيل الله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، معنى الآية الكريمة: يعني: لولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقَّهوا ـ أي: القاعدون ـ في الدِّين، ولينذروا قومهم، أي النافرين، إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ولا شك أن هذه مرتبة عالية حيث ساوى طلب العلم الجهاد في سبيل الله، ولقد ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أنه قال: «إن ذروة سَنَامِ الإسلام الجهاد في سبيل الله»(١) وعلى هذا فيكون طلب العلم الشرعي من ذروة سنام هذا الدين.

وأما حكم طلب العلم الشرعي فإنه فرض كفاية، فيجب على الأمة الإسلامية أن تحفظ دينها بطلب العلم الشرعي نشراً وتأليفاً وتعليماً؛ حتى لا تضيع الشريعة، وقد يكون فرض عين، وذلك إذا ما توقف عليه أداء الواجب، ولهذا نقول: من عنده مال فواجب عليه أن يتعلم من أحكام الزكاة ما يستطيع أن يعرف الواجب عليه ومحله، ومن كان يريد أن يتجر فواجب عليه أن يعرف البيوع المنهي عنها ويعرف أحكام البيع.

الخلاصة: مرتبة العلم الشرعي من الدين أنه يعادل الجهاد في سبيل الله.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل.

أما ثوابه عند الله عز وجل فاستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١]، فالعالم مرفوع الذكر في الدنيا ومرفوع الدرجات في الآخرة، وهذا أمر لا يحتاج إلى إقامة برهان؛ لأن الله تعالى ذَكَرَهُ في كتابه؛ ولأن الواقع يدل عليه: تجد الرجل الذي ليس له قيمة في مجتمعه يتعلم العلم، ثم يكون إماماً في قومه يُقتدى به ويكرم ويعزز، هذا في الدنيا.

أما في الآخرة فإن «العلماء ورثة الأنبياء» كما صح عن النبي ﷺ[1]، لا يرث الأنبياء سوى العلماء؛ ولهذا يجب على العالم أن يكون وارثاً للنبي ﷺ حق الإرث، وذلك في الأمور التالية:

الأول: أن يتعبد لله تعالى بما علم؛ فيكون أول فاعل لما يأمر به وأول تارك لما ينهى عنه.

ثانياً: أن يتخلَّق بالأخلاق الفاضلة التي تخلَّق بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي عبّر الله عنها بالنسبة للرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [سورة القلم: الآية ٤].

ثالثاً: أن يكون حسن المعاملة، معاملة الخلق، يعامل الناس

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء.

بالنصح والإرشاد والصدق والمحبة والألفة، كما كان النبي ﷺ يفعل مع أصحابه، ولا يخفى عليكم أن النبي ﷺ جذبه أعرابي حتى أثّر رداؤه في عاتقه، يطلب منه مالاً، فالتفت إليه النبي ﷺ فضحك ولم يوبخه، بل أمر له بعطاء[1] مع أنه جذبه جذباً بسببه أثر رداؤه في عاتقه، لكنه ﷺ كان حليماً.

ولا يخفى أيضاً على كثير منّا قصّة الأعرابي الذي بال في جانب المسجد، فبماذا عامله النبي ﷺ؟ عامله بلطف، والصحابة زجروه ونهوه، فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً[2].

فيجب على طالب العلم أن يكون حليماً صبوراً، وأن يكون حسن الخلق، يعاون إخوانه، ويعاملهم بالنصح والإرشاد والتوجيه، ولا تحقروا من المعروف شيئاً، لا يقل أحدكم: أنا لو تكلمت ما يؤخذ كلامي، هذا من الشيطان، لا بد أن تؤثر الكلمة الطيبة الصادرة عن إخلاص، لا بد أن تؤثر إما فوراً، وإما تراخياً.

فهذا موسى عليه السلام لما اجتمع السحرة كلهم وأتوا بكل ما أوتوا من سحر، قال لهم موسى كلمة واحدة أثرت فيهم تأثيراً بالغاً، والكلمة التي قالها: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [سورة طه: الآية ٦١] أثرت هذه الكلمة تأثيراً

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٠) من حديث أبي هريرة.

مباشراً فورياً، قال تعالى: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة طه: الآية ٦٢] من أين علمت أن التأثير كان فورياً؟ من قوله: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ [سورة طه: الآية ٦٢] لأنَّ الفاء تدل على الفورية والسببية.

فلا تحقرن من المعروف شيئاً؛ لأنه لا بد أن تؤثر الكلمة الطيبة النابعة عن إخلاص في المخاطب.

ومما يجب على طلاب العلم لا سيما طلاب العلم المنظم والذي يبدأ من أوَّل السَّنة الدِّراسية وينتهي بنهايتها، أن يحرصوا على العلم من أوَّل السَّنة، وأن يجتهدوا في تحصيله؛ لأنهم إن فعلوا ذلك، استفادوا فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: أن العلم يرسخ في نفوسهم، وربما يكون هذا الاجتهاد سبباً لرغبتهم في العلم واجتهادهم فيه.

الفائدة الثانية: أنهم في آخر السنة يكونون قد استراحوا وأخذوا من العلم بنصيب، فيسهل عليهم أن يدركوا ما أخذوه في هذا العام، أما ذلك الكسلان الذي لا يهتم بدروسه من أول السنة، فإنه سوف تتراكم عليه الدروس ولا يكون إدراكه لها إدراكاً راسخاً وستضيع عليه.

ومما يجب على طالب العلم: أن يوقر أستاذه ومعلمه ويحترمه الاحترام اللائق به، ويكون مؤدباً عند استماع درسه، ومؤدباً عند مناقشة أستاذه، ومؤدباً عند استماعه إلى المدرس؛ لأن توقير الأستاذ ينشط الأستاذ ويجعله يعمل بإخلاص ومتابعة، وليس من الأدب أن تناقش

أستاذك ـ سواء أمام الطلاب أو على انفراد ـ على أنه نِدٌّ لك كأنما تخاطب زميلاً من زملائك، خاطبه كأنما تخاطب إياك؛ لأنه هو الذي يغذيك غذاءً روحياً تنتفع به في حاضرك ومستقبلك.

ومما ينبغي لطالب العلم بالنسبة لزملائه: ألا يحسدهم فيما أنعم الله عليهم من حفظ أو فهم أو علم، وألا يحسدهم فيما ينفعهم به من مساعدة ومعاونة إما في كراسة أو بحث أو غير ذلك؛ لأن بعض الطلبة يملي عليه الشيطان فيقول له: إنك إذا ساعدت زميلك صار خيراً منك، وهذا غلط، بل نقول كما قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1]، ولا يلزم إذا كان الزميل نابغاً أو مدركاً لعلوم لم يدركها إلاَّ بك، لا يلزم أن يسبقك، فأنت تنفعه ولا تضر نفسك إطلاقاً.

ثم إنه ينبغي لطالب العلم أيضاً عند إسناد البحث إليه أن يكون له حرية الفكر؛ ذلك لأن بعض الطلاب إذا قدم بحثه تجده مجرد نقول ينقلها من هنا وهناك ولا تستشم منه رائحة الفكر المستقل، وهذا لا شك أنه نقص، بل إن بعض البحوث تجد الطالب فيها يسوق كلاماً نقله من غيره ويبتره ولا يكمله؛ مما يدل على أنه ينقل ما لا يعرف معناه، مجرد أن رأى في الفهرس هذا الموضوع ظن أنه يخدمه فنقله وبتر منه ما قد يكون هو المقصود.

---

(١) هو جزء من الحديث الذي تقدم ص١٤ بلفظ: «من سلك طريق يلتمس فيه علماً...» الحديث.

وهذا لا شك أنه نقص في البحث، وإن كان الباحث سيكون من وراء بحثه أستاذ يراجع البحث ويقوِّمه، لكن أريد الباحث أن يكون لديه فكر مستقل ولكن ما معنى الاستقلال؟

من هنا يحصل الاختلاف الكثير بين الشباب، بعض الناس يظن أن الاستقلال أن يشذ الإنسان عن غيره، وأن يأخذ بقاعدة خالفْ تُذكر، وهذا غلط.

الاستقلال معناه: أن الإنسان يوازن بين الآراء ثم ينظر ما دل عليه الكتاب والسنة، فيأخذ به، حتى وإن خالف ما عليه كثير من الناس، ما دام الكتاب والسنة هو إمامه، فإنه على صواب، سواء وافق ما عليه أكثر الناس أم لم يوافق.

أما أن يأتي بفكر شاذ لا يوافقه عليه أحد من المعاصرين، ولم يسبقه إليه أحد من السابقين، فهذا ليس استقلالاً، هذا يسمى عند العلماء: شذوذاً.

وتعلمون أن الشذوذ حتى فيما ينسب إلى الرسول ﷺ من أحاديث يردّ به الحديث، فكيف بالأقاويل؟

ثم إنه حدث بين الشباب في بلادنا وفي غيرها التفرُّق والاختلاف في الآراء والأفكار، والتعصب إما للأقوال وإما لقائليها، فنزعت البركة من أعمالهم، وصاروا ـ بدلاً من أن يكونوا أمة واحدة ـ شتى متناحرين، حتى إن صديقك بالأمس يكون عدوك اليوم من أجل التعصُّب.

ولهذا يجب علينا أن ندرك هذه الهوة السحيقة، وأن يجتهد الإنسان فيما ينفعه ويدع ما لا خير فيه، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1].

وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾ [سورة الفرقان: الآية ٧٢]، يعني: لا يضيعون أوقاتهم فيه، بل يجتهدون في حفظ الأوقات فيما ينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم. نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق لما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا وفي أهلينا ومجتمعنا، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وإني أطلب منكم أن تكون أسئلتكم صريحة، فكل ما في نفوسكم يجب أن تلقوه؛ لأن بقاء الإشكال في نفس الإنسان دون حل سوف يولد قلقاً فكرياً ونفسياً، ولكن إذا أتى الإنسان بالصراحة، وذكر ما يشكل عليه ثم إن يسر الله تعالى أن يحل هنا فهذا هو المطلوب، وإن لم يتيسر ففي مكان آخر.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظكم الله: ما هو قولكم فيمن يقول: نحن نحتاج إلى دعاة ولا نحتاج إلى علماء، وهل يمكن أن يكون الداعي داعياً بدون علم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦١٣٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة.

الجواب: الواقع أن الأمة الإسلامية تحتاج إلى دعاة، وتحتاج إلى علماء يغوصون في بحور العلم ويستخرجون كنوزه وجواهره، وإلى دعاة تغرس في الناس حب الخير والاتجاه إليه، ولكن الحاجة ماسَّة إلى دعاة حكماء يعرفون كيف يضعون الكلمة وكيف يمسكونها؛ لأن من الدعاة من تحمله الغيرة على إطلاق كلمات قد يكون من الحكمة ألا تذكر، إما مطلقاً أو في المجالس العامة.

أما الفقهاء فلا شك أنهم هم الذين يغوصون على درر معاني الكتاب والسنة من أجل أن يهدوا بها الأمة، فلكل مجال عمله، والأمة محتاجة إلى هؤلاء وهؤلاء، أما احتياج الداعي للعلم فلا شك أنه محتاج إليه فالعلم في حقه ضروري، وكيف يدعو إلى ما لا يعلم؟ أليس الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨]، أي: على علم من الشرع الذي يدعو إليه، وعلم بحال المدعوين، وعلم بما يناسب الحال والوقت والمكان، فلا بد للداعي من هذا العلم.

المهم أن الأمة الإسلامية محتاجة إلى علماء وإلى دعاة، وإذا منّ الله على العبد أن يكون داعية وفقيهاً عالماً؛ فهذا من نعم الله عز وجل عليه.

سؤال: فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ما منزلة العلم الذي يخدم العلم الشرعي من الدين، مثل الاجتماعيات واللغة وغيرها؟

الجواب: العلوم المساعدة للعلوم الشرعية منها ما يكون ضرورياً بطالب العلم الشرعي، فمثلاً من علم الاجتماع: أن يعلم الإنسان أحوال الناس حتى يخاطبهم بما تقتضيه حالهم، ولهذا لا يمكن أن نخاطب العامي مخاطبة طالب العلم، ولا أن نخاطب طالب العلم المبتدىء مخاطبة العالم المنتهي، ولا أن نخاطب الجاهل الذي يلتمس الحق ليعمل به مخاطبة المعاند الذي يعرف الحق ولكنه لا يريده، فلا بد من معرفة أحوال الناس وتنزيلهم منازلهم.

ثم هنا شيء مهم أحث عليه جميع الطلاب في جميع الكليات، ألا وهو معرفة سيرة النبي ﷺ فإن معرفة سيرته تزيد الإيمان بالله عزَّ وجلّ وبه ﷺ، وتزيد الإنسان قوة ونشاطاً، وتزيد الإنسان من أسوة حسنة برسول الله ﷺ، وكذلك أيضاً العلم بتاريخ الخلفاء الراشدين والصحابة حتى يكون الإنسان على بصيرة من أحوال سلفه، لأنَّ الاتباع العام المطلق حاصل عند كل إنسان، لكن الاتباع في دقائق الأمور لا يمكن إلاَّ إذا كان لدى الإنسان علم بحياة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والسلف الصالح.

سؤال: نرجو من سماحة الوالد أن يوجه كلمة لبعض الشباب من طلبة العلم ممن ابتلي بالتكلم في بعض الدعاة والعلماء، واستحلال غيبتهم، وتلقط زلاتهم وعثراتهم؟

الجواب: أقول: إن غيبة المسلم من كبائر الذنوب، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾

[سورة الحجرات: الآية ١٢]، فضرب الله هذا المثل القبيح لمن يغتاب أخاه المسلم، أرأيتم لو قدم لكم جنازة رجل مسلم وقيل لكم: كلوا من لحم هذا، أتأكلونه؟ لا تأكلونه، فالذي يغتاب أخاه كالذي يأكل من لحم الميت، ووجه الشبه ظاهر فالذي تغتابه ليس حاضراً ليدافع عن نفسه، وكذلك الميت لو جعل الإنسان يقطعه لحمة لحمة ليأكلها لا يدافع عن نفسه.

وقد قال بعض علماء المفسرين: إن هذا المثل ضربه الله تعالى لما يكون يوم القيامة: يقدم الرجل الذي اغتيب إلى الرجل الذي اغتابه لِيُكْرَهَ على أكل لحمه ميتاً، كما أن المصور يكلف أن ينفخ الروح فيما صوره وهذا مستحيل.

هذا في الغيبة العامة التي لعوام الناس، أما غيبة العلماء والدعاة إلى الله عز وجل فهي أشد وأشد وأعظم وأعظم؛ لأن غيبة العلماء لا تضر العلماء بأشخاصهم، بل قد تكون خيراً لهم؛ لأنهم يكسبون حسنات أولئك الذين يغتابونهم وسوف يأخذونها يوم القيامة حين لا يمكن هؤلاء الذين اغتابوا العلماء أن يدافعوا عن أعمالهم التي اكتسبوها في الدنيا، لكن غيبة العلماء انتقاص للشريعة؛ لأنه إذا ساءت سمعة العالم لم يتقبل الناس ما يقوله، وحينئذ تكون غيبة العالم سبباً لردّ ما عنده من علم الشريعة.

وكذلك أيضاً الدعاة الذين يدعون إلى الخير، يدعون إلى الله وإلى الجنة وإلى استقامة العباد، إذا اغتابهم أحد فإن ذلك يحط من

قدرهم، وحينئذ لا يتجه الناس إلى مواعظهم، ولا إلى دعوتهم، وهذا خطر عظيم جداً، لذلك يجب علينا أن نطهر ألسنتنا عن غيبة علمائنا ودعاتنا وأمرائنا، وأن نسأل الله للجميع الهداية، وهداية الدعاة والعلماء من أسباب هداية العامة.

سؤال: فضيلة الشيخ: بعض الإخوة هدانا الله وإياهم ثيابهم تحت الكعب وبعضهم فوق نصف الساق وكلاهما مخطئين في نظري، دلونا على الصواب؟

الجواب: الصواب أن دين الله تعالى بين الغالين فيه والجافين عنه، فالذين ينزلون ثيابهم أسفل من الكعبين قد ارتكبوا كبيرة من كبائر الذنوب؛ لقول النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين ففي النار»[1] وهذا وعيد، والمعصية إذا رتب عليها وعيد صارت من كبائر الذنوب.

أما الذين يرفعون ثيابهم إلى ما فوق نصف الساق فقد استدلوا بحديث فيه نظر أن النبي ﷺ ضرب بيده من تحت الركبة بأربع أصابع وقال: «هذه أزرة المؤمن»[2] أو كما قال، والحديث الحسن: «أزرة المؤمن إلى نصف الساق»[3] ثم لا يعني ذلك أن من لم يفعل فليس بمؤمن، أبداً؛ لأننا نعلم أن أقوى هذه الأمة إيماناً بعد نبيها هو أبو بكر،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠١٧).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

وثوب أبـي بكر ليس إلى نصف الساق؛ بدليل أن النبـي ﷺ لما حدث بهذا الحديث: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» قال: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي عليّ إلاَّ أن أتعاهده[1]، فهذا يدل على أن إزار أبـي بكر رضي الله عنه أسفل من نصف الساق؛ لأنه لو كان إلى نصف الساق وضرب إلى الأرض فماذا يحدث؟ تبدو عورته ــ إذا كان الإزار إلى نصف الساق ونزل واسترخى إلى أسفل فإن عورته سوف تبدو ــ وهذا يدل على أن الأمر واسع، وأن إنزال الثياب إلى ما تحت نصف الساق لا ينافي الإيمان ولا كمال الإيمان، فالذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان أن يسلك الإنسان الوسط.

والعجب أن الناس الآن ــ نسأل الله لهم الهداية ــ إذا رأوا من شمر ثوبه إلى نصف الساق لا يقبلون منه موعظة ولا نصيحة، بل ينفرون منه ويكرهونه؛ لأنه خالف ما عليه الناس، كما أنهم أيضاً ينكرون أشد الإنكار على من أنزله أسفل من الكعبين.

سـؤال: فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، هذا سؤال قد أشكل على كثير من الناس وهو: هل الأخت من الأم يكون الإنسان محرماً لها في السفر أم لا؟ أرجو الإجابة على هذا السؤال علماً بأنه بإذن الله سوف يرسل إليهم هذا الشريط حتى يحل النزاع.

الجواب: هذا ليس محل إشكال، فالأخ من الأم محرم لأخته من الأم، لأنَّ كل من يحرم على الإنسان نكاحه تحريماً مؤبداً بنسب أو سبب مباح

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث عبد الله بن عمر.

فإنه مَحْرم، قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٣] فهؤلاء سبع محرمات بالنسب، وقال تعالى: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٣]، وقال النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

وذكر الله في الآية صنفين: الأمهات والأخوات وتم بالحديث بقية المحرمات، وهن البنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وهؤلاء سبع محرمات بسبب وهو الرضاع، وقال تعالى في بقية المحرمات: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٣]، وقال: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٢] وهؤلاء أربع محرمات بسبب وهو المصاهرة.

فكل إنسان يحرم عليه أن يتزوج امرأة تحريماً مؤبداً بنسب وهو القرابة، أو سبب مباح وهو الرضاع والمصاهرة، فإنه محرم لها، وعلى هذا يكون الأخ من الأم مَحْرَماً لأخته من الأم، سواء كانت الصلة بينهما نسباً أو رضاعاً وهذا لا إشكال فيه ولا خلاف.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظكم الله: بماذا تنصح الشباب الملتزمين الذين شاعت بينهم الخلافات والشحناء والبغضاء، واتهام بعضهم لبعض، حتى نسوا وقوفهم بين يدي الله عز وجل؟

الجواب: أنصحهم بما سبق في كلمتي: أن هذا ليس من شأن المسلمين، بل إن الله تعالى قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩]، ونحن لا ننكر أن يكون خلاف بين الأمة، الخلاف بين الأمة الإسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، لكننا ننكر أن يولد هذا الخلاف الذي يسوغ الاجتهاد فيه عداوة وبغضاء، حتى إنه قد يكون أخوك من أمك وأبيك عدواً لك بهذا السبب، وقد بينت في أول الكلام أن هذا سبب لضياع الوقت، ونزع البركة من العمر ومن العلم ومن العمل، وأن الإنسان ينبغي له أن يشتغل بما يهمه وينفعه، وفي الحديث عن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(١)].

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: بعض الشباب هداهم الله يجادلون في القدر ويقول: إن الله قد قدر لي الخير والشر، فماذا أعمل؟ وإذا قلت له: يقول الرسول ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[(٢)] فيقول: أريد دليلاً أوضح من ذلك، فما توجيهكم لذلك حفظكم الله؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) من حديث أبـي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبـي طالب.

الجواب: الظاهر أنه لا أوضح من هذا الدليل؛ لما قال الرسول ﷺ: «ما منكم من أحد إلاَّ وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار» قالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب الأول؟ قال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[1].

وإني أسأل هذا السائل: ما الذي جاء بك إلى هذه الجامعة؟ أليس الله؟ سيقول: بلى، هل جئت إليها مكرهاً أم مختاراً؟ سيقول: مختاراً، إذا كنت قد جئت إليها مختاراً وأنت تعرف أنك جئت إليها بقدر الله، فلماذا لا تأتي إلى المسجد مختاراً، وتقول: جئت بقدر الله؟ الواقع أنه لا فرق.

كذلك لو قيل لك: هذا البلد طريقه آمن لا خوف ولا قلق ولا صعوبة فيه، وهو آمن معبد يوجد فيه كل ما يحتاجه الإنسان وبلد آخر طريقه مخوف وصعب، والإنسان لا يأمن فيه على نفسه، فأي الطريقين تسلك، الأول أم الثاني؟ الأول لا إشكال في ذلك.

هكذا جاءت الرسل وهم صادقون، فبينت لأممهم طريقين: طريق الخير، وأمرتهم بسلوكه، وطريق الشر وحذرتهم منه، فلماذا لا تسلك طريق الخير كما كنت تسلكه في مصالح دنياك؟ الواقع أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله عز وجل إطلاقاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: رجل أتى زوجته في نهار رمضان وقد توفي رحمه الله ولا يُدرى: هل كفَّىٰ أم لا؟ فهل على ابنه شيء علماً بأنه أخبر ابنه بذلك؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

الجواب: ليس على ابنه شيء ما دام الميت لم يوص بشيء فالأصل أنه أدى ما عليه.

ونظير ذلك لو مات الميت وعنده مال، وشككنا أنه قد أدى زكاته أم لا، هل يلزمنا أن نؤدي زكاته؟ لا، لا نؤدي زكاته؛ لأن الأصل أن المخاطب قد قام بما يجب عليه.

سـؤال: فضيلة الشيخ: رجل عنده معاصي داخلية، هل يظهرها أم أنه يكتمها؟ وهو يدعي أنه ملتزم، فما رأيك يا فضيلة الشيخ جزاك الله خيراً؟

الجواب: رأيي أن يسترها؛ فإن الله تعالى يحب الستر، ولكن يجب عليه أن يتوب إلى الله عز وجل منها، وباب التوبة مفتوح، ولمَّا تَقَدَّم ماعز بن مالك رضي الله عنه وأقرَّ على نفسه بالزنا وأصر على ذلك، حتى أمر النبي ﷺ برجمه فلما أذلقته الحجارة وأحس بالألم هرب فلحقه الصحابة فأدركوه، فقال النبي ﷺ: «هلا تركتموه يتوب فيتوب الله عليه»[1].

(١) حديث ماعز أخرجه البخاري (٥٢٧٠) وراجع أطرافه هناك، ومسلم (١٦٩١)، والترمذي (١٤٢٨) من حديث جابر. واللفظ للترمذي.

فالستر بالإنسان أولى، لكن عليه أن يبادر بالتوبة؛ لأنه لا يدري متى يفاجئه الموت فيموت على أسوأ حال، وقد جاء عن النبي ﷺ: «كل أمتي معافى إلاَّ المجاهرين»، قالوا: من هم؟ فأخبر أنهم الذين يفعلون المعصية ثم يصبحون يتحدثون بها[1].

سؤال: فضيلة الشيخ: سمعت عن بعض المشايخ أنه يقول: صلاة الخسوف لا تجوز وقت النهي. فما رأيكم في هذا؟

الجواب: نعم، قال بعض العلماء: إن صلاة الخسوف لا تجوز في وقت النهي، واستدلوا بقوله ﷺ: «لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغيب الشمس»[2]، وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «ثلاث ساعات نهانا رسول الله ﷺ أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب»[3]، فقالوا: لا تجوز صلاة النافلة في وقت النهي سواء كان لها سبب أم لم يكن لها سبب، لكن هذا القول ضعيف.

والقول الراجح أن النافلة إذا كانَ لها سبب جازت في وقت النهي، ويدل لذلك أن النبي ﷺ صلى ذات يوم في منى صلاة الصبح فلما انصرف إذا برجلين قد اعتزلا لم يصليا في القوم فسألهما، قالا: يا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه مسلم (٨٣١).

رسول الله صلينا في رحالنا؟ قال: «إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة»[1].

ووجه الدلالة أن الرسول ﷺ أمرهما أن يصلِّيا النافلة بعد أن صلَّيا صلاة الفجر.

ثم إن صلاة الخسوف ليست بنافلة على وجه الإطلاق؛ لأن الإنسان إذا تدبر النص الوارد فيها تبين له أنها فرض، وأنها على الأقل فرض كفاية؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام خرج إليها فزعاً ودعا الناس إليها واجتمعت الأمة، وأمر أمته إذا رأوا ذلك أن يفزعوا إلى الصلاة وإلى ذكر الله ودعائه واستغفاره، وأمرهم بالصدقة والعتق والتكبير.

وكل هذه القرائن تدل على أنها ليست كالنوافل العادية بل هي مهمة جداً، لذلك نقول: إذا كسفت الشمس بعد العصر؛ وجب أن نصلي فرض كفاية، وإذا كسف القمر بعد الفجر كذلك نصلي.

إلَّا في حال واحدة، وهي: لو أن نور الشمس وضح في الأفق واتضح النهار جداً، بحيث لو كان القمر غير كاسف لم يتبين ضياؤه؛ فحينئذ لا نصلي صلاة الكسوف؛ لأن سلطان القمر قد زال، ووضح النهار، ولم يكن في إضاءته فائدة، ففي هذه الحال نقول: لا تصلي صلاة الكسوف.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٩)، والنسائي (٨٥٨) من حديث يزيد بن الأسود العامري.

أما ما وقع في ليلة الجمعة الماضية ١٥/ ٥/ ١٤١٧هـ من كسوف القمر، فلا شك أنه يصلي للكسوف، ولكن هل يُبدأ بصلاة الفريضة أو بصلاة الكسوف؟

الجواب: إن كَسَفَ القمرُ وعُلم به قبل طلوع الفجر يبدأ بصلاة الكسوف؛ لأن صلاة الفجر لا يمكن إقامتها قبل الفجر، وإن كسف القمر أو لم يعلم به إلاَّ بعد طلوع الفجر، فإنه يبدأ بصلاة الفريضة؛ لأن الفريضة أهم وأحب إلى الله عز وجل؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه»[1].

ولأنه إذا صلى الفجر صار الناس أحراراً، من له شغل ذهب إلى شغله، ومن ليس له شغل بقي حتى يُصلي صلاة الكسوف.

سؤال: فضيلة الشيخ: يعاب على بعض طلبة العلم قلة السلام فهل من كلمة لهؤلاء؟

الجواب: هذا الذي قاله السائل حقيقة ويعاب على كثير من طلبة العلم أنهم لا يسلمون، مع أن السلام من أفضل الأعمال، حتى قال النبي ﷺ فيه: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

ولذلك إذا لَقِيَكَ أخوك وسلم انشرح صدرك وأحببته، وصدق رسول الله ﷺ أننا لو فعلنا ذلك لحلّ بيننا الود والمحبة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة. وقد تقدم ص ٢٩.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

ولكن مع الأسف الشديد أنك تمر بإنسان، أو يمر بك إنسان ولا يحدث السلام بينكما، وهذا غلط، المؤمنون يسلم بعضهم على بعض، حتى جعل الرسول من حق المسلم على أخيه أنه: «إذا لقيته فسلِّم عليه».

ثم إنَّ السلام المقصود هو السلام الشرعي، لا أن يقول الإنسان: أهلاً ومرحباً، أو صباح الخير، لا بد أن يقول: السلام عليكم ويرد المسلَّم عليه فيقول: وعليكم السلام، حتى لو ملأ الدنيا كلها أهلاً ومرحباً؛ لا تنفع ولا تعادل (السلام عليكم) بل يقول: عليكم السلام أهلاً ومرحباً، ولذلك جاء في حديث المعراج أن الرسول ﷺ إذا مر بالأنبياء فسلم فردَّ عليه السلام قال: مرحباً بالابن الصالح أو الأخ الصالح[1].

سؤال: فضيلة الشيخ: ذكرتم أنه لا يجوز إسقاط الجنين إذا بلغ أربعة أشهر حتى لو كان سبباً في موت أمه، ولكن لم تذكر أثابك الله إن كان الجنين ميتاً وقد بلغ أربعة أشهر؟

الجواب: أنا إن لم أذكر هذا فهو مفهوم من كلامي؛ لأننا قلنا: إنه إذا أسقط أدى ذلك إلى موته، فيكون نحن الذين قتلناه، أما لو بقي في بطن أمه وماتت أمه بسببه فمن الذي قتلها؟ قتلها الله عز وجل، نحن لم نتسبب بموتها فالذي أنشأ الحمل في بطنها هو الله، والذي جعل هذا

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧، ٣٣٩٣، ٣٤٣٠، ٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة.

الحمل سبباً في وفاتها هو الله، ولذلك لا يحل بأي حال من الأحوال إسقاط الجنين على وجه يموت به مهما كان.

سـؤال: فضيلة الشيخ: عندنا إمام يصلي الفجر والعشاء وهو ينظر إلى المصحف علماً بأنه يفوته بعض السنن، مثل النظر إلى موضع السجود وكثرة الحركة، علماً بأنه قد يحفظ جُزْءَين أو أكثر؟

الجواب: القراءة من المصحف لمن لا يحفظ لا بأس بها، وقد جاء هذا صريحاً عن عائشة رضي الله عنها، وبعض الأئمة لا يحفظ السور الطوال خصوصاً السجدة، وهل أتى على الإنسان ويريد أن يقرأها في فجر الجمعة، فمن كان محتاجاً للقراءة من المصحف فلا حرج عليه، ومن لم يكن محتاجاً فلا يقرأ؛ لأنه كما قال أخونا السائل: يُفوّت بذلك سنناً ويؤدي إلى حركة بلا حاجة، فإذا حمل المصحف يفوته سنن منها: عدم النظر إلى موضع السجود.

ومنها: عدم وضع اليمين على الشمال على الصدر.

ومنها: أن الإنسان ربما يغفل في حال قراءته من المصحف أنه في صلاة، أما ما يحصل من الأعمال التي لا داعي لها فهو حركة عينيه في سطور المصحف، وحركة يديه في تقليبه، ولكن إذا دعت الحاجة فلا بأس.

سـؤال: فضيلة الشيخ: بما أن هذا اللقاء لقاء للطلاب وبما أن الصراحة مطلوبة فيه، فإن مشكلة كثير من الطلاب والتي يرثى لها هي مشكلة المادة فإن كثيراً من الطلاب يعانون من الأحوال المادية، وكثيراً منهم

يواجه مشقة لكي يطلب العلم، نظراً لأحواله، بل بعضهم ترك الدراسة وذهب إلى بلده نظراً لأحواله المادية. فما رأيك؟

الجواب: رأيـي : هل إذا ترك الدراسة يأتيه المال؟

الإنسان الغني وإن لم يحصل له مكافأة سيجد ما ينفقه على نفسه، والإنسان الفقير هو فقير سواء درس أم لم يدرس، لذلك عليه أن يصبر وأن يقتصد، وألَّا يحاول أن يسوِّي نفسه بمن هو أغنى منه، ومشكلتنا الآن في هذا السؤال أن كثيراً من الشباب يهون عليه أن يستدين وأن يأخذ بالتقسيط من أجل أن يساوي من هو أغنى منه، وهذا غلط.

الواجب على الإنسان أَلَّا يسرف، والإسراف يختلف بحسب الناس، قد تكون هذه السيارة إسرافاً بالنسبة لشخص، وتكون بالنسبة لآخر اقتصاداً، فكون الإنسان يريد أن يسوي نفسه بمن هو أغنى منه مع قلة ذات اليد غلط يجب الحذر منه.

كذلك انهماك الشباب مع الأسف الشديد بالتقسيط هو أيضاً من الأغلاط العظيمة.

بعض الشباب يقول: أشتري سيارة بسبعين ألف مقسطة ولا أشتري سيارة بعشرين ألف حالة، أيهما أولى؟ الإنسان الفقير أولى أن يشتري بالعشرين ألف، لكن مع الأسف لما فتح باب التقسيط من الشركات صارت تتلاعب باقتصاديات الشباب وتغريهم بهذا التقسيط الذي يكون الإنسان في سكرة وفرح بالسيارة أو بالبيت أو بالكسوة، ولا يدري إلاَّ وقد فاجأه المطالبون بدينه، حينها لا يجد شيئاً.

سؤال: فضيلة الشيخ: استطاع أهل الفلك أن يعرفوا وقت الكسوف وهذا يضعف وقع الخسوف عند الناس؛ لأنهم يعرفون الخسوف قبل أن يقع، ويجادل بعض الناس ويقول: ما فائدة الصلاة إذا كان هذا الأمر ظاهرة كونية عادية؟

الجواب: أما معرفة علماء الفلك بوقت الكسوف فهذا من زمن قديم.

حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد توفي في القرن الثامن ذكر هذا.

قال: إنه مما يدرك بالحساب، لكن المؤمن يؤمن بأنه يدرك بالحساب وبأن الله سبحانه وتعالى يخوف به العباد، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده»[1] ونحن مأمورون بالشرع، أمرنا رسول الله ﷺ أن نفزع إلى الصلاة وإلى الذكر، وأخبرنا أن الله يخوف العباد بذلك، فعلينا أن نقوم بدفع ما حذرنا منه الرسول عليه الصلاة والسلام، أما كون السبب أمراً طبيعياً فهذا إلى الله عز وجل، ولسنا مكلفين به.

سؤال: فضيلة الشيخ: أنا شاب حريص على طلب العلم وحضور الدروس العلمية إلاَّ أنني ضعيف الفهم في كثير من المسائل، حتى إن بعض العوام يسألونني عن مسائل قد تكون بسيطة فلا أعرف دليلها حتى أرشدهم إلى ذلك، فما نصيحتكم لي؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤١)، ومسلم (٩١١) من حديث أبي مسعود. وأخرجه البخاري (١٠٤٠، ١٠٤٨) من حديث أبي بكرة.

الجواب: نصيحتي لك أن تستمر في طلب العلم وسوف يفتح الله عليك، قال النبي ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة»[1]، فأنت لا تحطم نفسك، والذي لا تفهمه اليوم تفهمه غداً، ويُذكر أن بعض أئمة النحو صار يطلب علم النحو ولكن لا يفهم، وفي يوم من الأيام رأى نملة تحاول أن تصعد جداراً ومعها طعام لها، كلما صعدت قليلاً سقطت، حتى كان ذلك منها مراراً وفي النهاية قويت على الصعود.

فقال: هذا شأن النملة في إيصال طعامها، حاولت وكابدت حتى نجحت، فلماذا لا أفعل؟ ففعل فصار إماماً من أئمة النحو.

فأنت أيها الأخ استعن بالله واسأل الله أن يرزقك الفهم.

قل: اللهم يا معلم إبراهيم علمني ويا مفهم سليمان فهمني. وانتظر الفرج من الله عز وجل.

سؤال: سماحة الشيخ: هناك امرأة توفيت قبل أسبوعين، ولم تصم من رمضان إلاَّ أربعة أيام، ومرضها فشل كلوي، فماذا يفعل زوجها وأولادها، هل يطعمون عنها؟ وكيف ذلك؟

الجواب: نعم يطعمون عنها، وذلك لأن الفشل الكلوي لا يرجى زواله غالباً، فإذا كانت قد تركت بقية رمضان عجزاً عنه فإن الواجب أن تطعم عن كل يوم مسكيناً، فعلى أهلها إن كان لها تركة أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً، وإن لم يكن لها تركة وتبرعوا بالإطعام عنها فحسن.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

سـؤال: يقول: هم فقراء فهل يجوز لزوجها أن يشتري كيساً من الرز ومعه شيء من اللحم ويجعل ذلك كفارة ويعطيه لأولادها؛ لأنهم في حاجة ماسَّة؟

الجواب: نعم لا بأس أن يشتري زوجها من ماله ما يطعم به عنها، وإذا كان لها أولاد من غيره وأعطاهم هذه الكفارة فليس في ذلك بأس، لكن بشرط أن يكون عددهم بعدد الأيام التي عليها.

سـؤال: فضيلة الشيخ: إذا قال لي رجل: اذهب فاشترِ لي شاة ثم ذهبت فاشتريتها مثلاً بـ ٢٥٠ ريال، وحسبتها عليه بـ ٣٠٠ ريال، فماذا تقول في ذلك؟

الجواب: أقول في هذا أنه لا يجوز؛ لأن هذا خيانة وأنت اشتريتها على أنك وكيل قائم مقام الموكل، فإن كان الأمر واقعاً فعليك أن تبادر الآن وتذهب إلى صاحبك الذي وكلك وتعطيه ما أخذته منه بغير حق.

سـؤال: فضيلة الشيخ: ما رأيك في إنسان يصلي وثوبه مسبل، فهل تصح صلاته في ذلك؟

الجواب: الذي أرى أن صلاته صحيحة، لكنه آثم بإسبال الثوب، ويرى بعض العلماء أن صلاته غير صحيحة؛ لأن من شرط صحة الصلاة ستر العورة بثوب مباح، والثوب الذي فيه الإسبال غير مباح، ولكن الراجح أنه آثم مع صحة الصلاة، كما لو صلى في ثوب مغصوب فصلاته صحيحة مع الإثم، وكما لو صلى في مكان مغصوب فصلاته صحيحة مع الإثم.

سـؤال: فضيلة الشيخ : ما حكم زواج المسيار؟

الجواب: أنا أقول ابحث عن زواج تركن إلى الزوجة وتركن إليك، وتعتبرها زوجة تستمتع بها بما أحل الله، وتكون أم أولادك، أما زواج المسيار فهو من حيث الصورة ليس فيه شيء؛ لأنه يتم بعقد وشهود ومهر، غاية ما هناك أن المرأة تسقط عن الزوج السكنى والنفقة.

لكن فيه محاذير: يقال: أنه إذا كان الرجل الذي يريد زواج المسيار، له زوجة فإنه لا يبين هذا العقد، ويوصي الناس بكتمانه، ويقول: لا تخبروا أحداً بذلك، والتواصي بكتمان النكاح عند كثير من العلماء.

وإذا قدرنا أنَّ ذلك لم يحدث وقال: لا يهمني أن أعلن أنِّي تزوَّجت المرأة الفلانية على هذا الوجه، فإنه يبقى أن يكون فتح باب لكثير من المشاكل، فإذا تزوج امرأة زواج مسيار في مكة وأخرى في المدينة، وثالثة في الرياض، ورابعة في القصيم، وكل واحدة أتت بولد في سنة واحدة، كم يكون عنده من ولد؟ أربعة أولاد وهو قد لا يعلم عنهم هذا أوَّلاً.

وثانياً: إذا ابتلي الإنسان بذلك فسوف يكون حريصاً على النكاح، فإذا أراد خامسة ماذا يفعل؟ لا بد أن يطلق واحدة؟ ومعها أولاد، فيضيع الأولاد، ولا يكون مربِّياً لهم.

لذلك كلما تدبره الإنسان يجد أنه سيولّد مشاكل اجتماعية لا نهاية لها، وكنت أرى أنه لا بأس به وأفتيت به، ولكني توقفت الآن حذراً من نتائجه الاجتماعية التي لا يعلم مداها إلَّا الله.

سؤال: فضيلة الشيخ: ما رأيكم في الجماعات الإسلامية في العالم، هل هي ظاهرة جيدة أم ظاهرة مرضية؟

الجواب: هي ليست ظاهرة جديدة، فوجود الجماعات الإسلامية من زمن، فقد وُجد الرافضة الذين هم الشيعة، والخوارج وهم ضدهم، والمعتزلة، والجهمية وشعب كثيرة، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن هذه الأمة سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[(١)]، وفي لفظ: «وهي الجماعة»[(٢)].

وبلادنا هذه لم تكن تعرف هذه الفرق، ولكن نشأت فيها أخيراً.. نشأت هذه الفرق، وأحدثت فيها العنف والشدة، وكراهة بعض الناس، وهي وصمة عار على الشباب؛ لأنها في الحقيقة مزَّقت الآمال فيهم وقد كُنَّا نتفاءل تفاؤلاً بعيداً في نهضتهم، واتجاههم إلى الكتاب والسنة، لذلك نسأل الله أن يردّ الشباب إلى الفهم والاجتماع رداً جميلاً، إنه على كل شيء قدير.

سؤال: ما حكم تحويل العملة لعملة أخرى مثل تحويل العملة القطرية إلى سعودية ويكون فيها زيادة، ما حكم هذه الزيادة؟ هل يدخل فيها الربا؟ وجزاكم الله خيراً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو. والحديث مخرج من طرق في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٠٧٠)، وابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس بن مالك.

الجواب: الذي يظهر لي أن الريال القطري لا يساوي الريال السعودي، وإذا دفع الإنسان ريالات قطرية وأعطي أكثر منها ريالات سعودية أو العكس؛ فلا بأس، يعني مع اختلاف النقدين لا إشكال في جوازه، لكن يبقى النظر فيما لو أخذ تسع ريالات عملة بعشر ريالات ورق أيجوز هذا أم لا؟ هذا محل إشكال بين علماء العصر؛ والراجح أنه لا بأس به وذلك لعموم قول النبي ﷺ: «إذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد».

سؤال: ما الراجح في حكم صلاة الجماعة؟

الجواب: الراجح أنها واجبة على الأعيان، وأن من صلى وحده مع قدرته على الجماعة فهو آثم لكن صلاته صحيحة، وخالف في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقال: من صلى وحده مع قدرته على الجماعة فصلاته باطلة، لكن حديث ابن عمر(١) وأبي هريرة(٢) رضي الله عنهم يدلان على أن صلاة المنفرد فيها فضل وإذا كان فيها فضل فهي صحيحة، إذ الفضل ثمرة الصحة، فالقول الراجح أن من صلى وحده بلا عذر صلاته صحيحة لكنه آثم.



(١) أخرجه البخاري (٦٤٥، ٦٤٨)، ومسلم (٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩).

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الثالثة)

في محاضرة ألقاها سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله على طلاب المستويات المتقدمة في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم، وبحضور عمداء الكليات ونخبة من أساتذتها، وتحت إشراف عمادة القبول وشؤون الطلاب، وقد أدار اللقاء عميد القبول وشؤون الطلاب الدكتور/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل.
قال سماحته:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـا بـعـد: فإنني أشكر الله عز وجل أن يسر هذا اللقاء بشبابنا الذين هم على وشك الانتهاء من الدراسة الجامعية في هذا اليوم الثالث

من شهر محرم عام سبعة عشر وأربعمائة وألف، أشكره تبارك وتعالى أن يسر هذا اللقاء لما في اللقاء بالشباب من الخير الكثير، ذلك أن الملتقي بهم يستفيد منهم ويستفيدون منه.

أما استفادته منهم فإنه يعرف بذلك مشاكل الشباب وما يدور في نفوسهم من التساؤلات الدينية والاجتماعية، بل والسياسية أيضاً؛ لأنه لا يمكن دواء العلَّة حتى تعرف، ولهذا يقال: الحكم على الشيء فرع عن تصوره. ومن لم يشخص الداء؛ لم يستطع الدواء.

ولذلك أنا أحب من كل شاب يكون في نفسه تساؤل يمكنني الإجابة عليه أن يجابهني به، ولكن ليس على سبيل الجهر والتعميم، سواء في مجلس أو في مسجد أو في مسير في الطريق، بل يكون سراً بيني وبينه لفائدتين:

الفائدة الأولى: أنه قد يكون هذا الشيء المشكل في نفس الإنسان أمراً لا يحب أن يطلع عليه أحد.

الفائدة الثانية: لئلا ينتشر الشك والتساؤل الذي في نفسه إلى غيره؛ لأن الإنسان ربما يكون في قلبه شيء دفين إذا اطلع عليه غيره انتشر.

وأنا شخصيّاً أرحب بكل سؤال يمكنني الإجابة عليه، وليكن السؤال صريحاً وأعد بإذن الله ومشيئته أن أصبر وأتحمل وأسعى بكل جهدي إلى الإقناع أو الاقتناع بما يحصل من هذا السؤال، حتى تنجلي الغمة وتزول الشبهة؛ لئلا يبقى الشباب في اضطراب فكري لا يدرون

أي الطريقين يسلكون، وهذا هو الذي ينبغي لأهل العلم وللشباب أن يتفقوا عليه، أن يكونوا صرحاء، ولكن كما قلت: هناك شيء لا ينبغي أن يكشف أمام الناس وشيء تكون مصلحته عامة يمكن أن يكشف أمام الناس.

إنَّ هذا اللقاء الذي يسَّره الله عز وجل في هذا اليوم ولا سيَّما مع أبناء لنا وشباب هم مقبلون على التخرج من المستويات المتقدِّمة في الجامعة له أهميته؛ وذلك لأن هؤلاء المتخرجين سوف يكونون قياديين للأمة كل بحسب ما ييسره الله له، إما في التدريس وإما في دراسات أعلى وإما في وظائف مختلفة، فهم لا بد أن يكون لهم أثر وتأثير على الأمة، ولهذا أحمد الله سبحانه وتعالى على أن يسر هذا اللقاء، وإني أقول: إنه لقاء صريح مفتوح لا بد أن تزول فيه الشبهات.

إنكم الآن مقبلون على قيادة، يجب عليكم قبل كل شيء الإخلاص لله عز وجل فيما تتولونه من أعمال، سواء في التدريس أو في القضاء، أو في الدراسات التي هي أعلى من مستوى الجامعة، أو غير ذلك؛ لأن الإخلاص له أثر بالغ وتأثير في معونة الله للعبد وفي تأثير كلامه في الناس.

وأضرب لكم مثلاً فيما جرى من نبي الله ــ عز وجل ــ موسى عليه الصلاة والسلام حين جمع له السحرة الجهابذة الحذاق في السحر، جمعوا له في مشهد عظيم في يوم الزينة يوم العيد، وألقوا من السحر ما سحروا به أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم، حتى إن

موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو مَن هو في مقام الرسالة، هو أحد أولي العزم من الرسل، أوجس في نفسه خيفة كما قال الله عز وجل عنه، فما هو إلاَّ أن قال كلمته التي أثرت فيهم أثر القنابل في الديار، مسحت كل ما في قلوبهم، قال لهم: ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة طه: الآية ٦١] كلمة واحدة، الذي حصل بعد هذه الكلمة فوراً: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة طه: الآية ٦٢] والفاء كما تعلمون، وبالأخص طلاب كلية العلوم العربية، الفاء تدل على أيش؟ تدل على التعقيب وعلى السببية، فتنازعوا: أي فبسبب هذه الكلمة وفور انتهائه منها، تنازعوا أمرهم بينهم، هم بأنفسهم تنازعوا واختلفوا، وتنازع القوم واختلافهم سبب للفشل، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦] تنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النجوى، صاروا يتناجون فيما بينهم، وفي النهاية ألقي السحرة سجداً، قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة طه: الآية ٧٠].

وكلمة: ألقي: تدل على أنه لشدة التأثير فيهم كأنما ألقوا غير مختارين، أي: يعني كأنما سجدوا كرهاً، لشدة ما أثر فيهم ما حصل من موسى عليه السلام من الكلمة المؤثرة ومن العصا التي ألقاها، فإذ هي تلقف ما يأفكون.

هذه الحبال والعصي التقمتها الحية على كثرتها وعظمها.

ومعنى تلقف: تبلع بلعاً عظيماً.

ولا شك أن هذا من آيات الله، وإلاَّ فأين تذهب هذه الحبال والعصي؟ لكن كأنها ـ والله أعلم ـ تطير من جسمها طيراناً، بدل من أن تخرج الخروج المعتاد، ويتفرَّغ جسدها لاستقبال الأشياء الأخرى.

على كل حال أهم شيء هو أن الإنسان يخلص لله عز وجل في عمله.

ثانياً: عليكم أن تحرصوا على اتباع الرسول ﷺ في عباداتكم العقدية والعملية، تتبعوا الرسول ﷺ في العقيدة، لا تحيدوا عما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة الكرام، وذلك بأن تثبتوا لله كل ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وتؤمنوا بأنها حق على حقيقتها وبدون تكييف ولا تمثيل، فلا تحاولوا أن تكيفوا الصفات؛ لأن هذا شيء مستحيل، كما قال الله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا** ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة طه: الآية ١١٠].

ولا تحاولوا أن تمثلوا؛ لأنكم منهيون عن ذلك كما قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ** ﴾ [سورة النحل: الآية ٧٤] ومماثلة الخالق للمخلوق من أكبر المحال، كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ** ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١].

وربما يكون لبعضكم ممَّن له ثقافة واسعة واطِّلاع واسع له عقبات فيما يقرؤه من كتب المتقدمين والمتأخرين التي يجد فيها خلاف ما كان

يعتقده في هذا الباب، والواجب على الإنسان في هذا أن يصبر وألا تزيغ به الأهواء، وأن يكون على ما كان عليه السلف الصالح.

ثالثاً: عليكم أن تخالقوا الناس بخلق حسن، فإن الإنسان إذا خالق الناس بخلق حسن ـ وأسأل الله أن ييسر لي ولكم ذلك ـ فإنه يملك قلوبهم، ويكون مقبولاً لديهم، ولهذا جاء في الحديث: «إنكم لن تسعوا الناس بأرزاقكم لكن ليسعهم منكم حسن الخلق وبسط الوجه»[1].

لا تقابلوا الناس بوجه عابس، بل بوجه منفتح ومتقبل، ثم اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾، ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٩٩] يعني: خذ ما سهل وحصل من الناس ولا تطلب منهم الكمال؛ لأن أي إنسان يحاول أن يعامله الناس بالكمال فإنه مخطىء، إذ أن هذا لا يمكن، فلا بدَّ أن تسمع ما يسوءك من كلمة نابية أو غيرها، لكن عليك أن تصبر وتحتسب.

أليس النبي ﷺ أشرف الخلق عند الله، يسمع الكلمات النابية، ويواجه الأفعال المنكرة؟ ومع ذلك فهو صابر بما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وبما يرشده إليه في القرآن، قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٣٥].

---

(١) أخرجه ابن أبـي شيبة في مصنفه (٥/ ٢١٢)، وأبو يعلى (٦٥٥٠) من حديث أبـي هريرة. وعزاه الحافظ في الفتح (١١/ ٤٢٨) إلى البزار وحسن إسناده.

فأنتم بارك الله فيكم خذوا العفو من معاملات الناس، ولا تحاولوا أن يعاملكم الناس بما ترون أنه من حقكم، بل اصبروا واحتسبوا ولا بد للأمر أن ينجلي؛ لأن دوام الحال من المحال، فخالقوا الناس بخلق حسن.

رابعاً: أروا من أنفسكم للناس ما تُحمدون عليه من الأقوال والأفعال، سواء كان ذلك في الهيئة أو في اللباس أو في المراكب أو في المسير على الطريق، أروا الناس ما تُحمدون عليه؛ لأن الناس إذا رأوا ما تُحمدون عليه في السلوك والمنهج، سوف يرضون عنكم مباشرة، ويرضون عن الجامعة التي تربيتم عليها، وفي أحضانها.

لكن لو كان الأمر بالعكس، نعوذ بالله من ذلك، فسيقول الناس: هؤلاء خريجو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيهم كذا وفيهم كذا، فيكون هذا قدحاً في الشخص نفسه وقدحاً في الجامعة نفسها، والجامعة كما تعلمون جامعة إسلامية ولله الحمد، وكل إنسان يكون على المنهج الصحيح والدين القويم والإسلام فستجد له أعداء من الداخل ومن الخارج ولا بد؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣١] لا بد لكل نبي من عدو من المجرمين، ليس لشخص النبي ولكن لدعوته التي قام عليها.

إذاً أتباع الأنبياء سوف يكون لهم أعداء من المجرمين، سوف يكون لهم من يقدح فيهم حتى ينفر الناس منهم وحتى يُملهم الطريق التي كانوا عليها من أجل أن ينحرفوا كما أراد هذا القادح.

فكل نبـي له عدو من المجرمين ولكن قال الله عز وجل: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣١]؛ لأن أعداء الأنبياء: إما أن تكون عداوتهم مبنية على الشبهات والضلالات، فيقابل هؤلاء بقول الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣١]، وإما أن يكون أعداء النبـي مسلطين على النبي وأتباعه بالسلاح فيقابل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ [سورة الفرقان: الآية ٣١].

على كل حال يجب أن تروا الناس من أنفسكم الأخلاق الطيبة والأعمال المرضية والمنهج السليم.

كذلك أيضاً أوصيكم بأن يكون تصرفكم الدعوي والمنهجي على الحكمة والنظر في العواقب؛ لأن العبرة بكمال الغاية لا بالابتداء، قد يكون عند الإنسان نشاط واندفاع في أمر من الأمور التي يرى أن تحقيقها فيه مصلحة دون أن ينظر إلى العواقب والنتائج، فتجده يأخذ بمبادىء الأمور وظواهرها دون أن ينظر في النتائج، ولكن العاقل هو الذي لا يمكن أن يرفع رجله ليخطو خطوة حتى يعرف أين تقع ويعرف النتيجة والغاية.

وسأضرب لكم مثلاً بعمل أحكم الخلق حكماً وحكمة، الرسول ﷺ في صلح الحديبية[1] خرج من المدينة إلى مكة يريد العمرة ومعه ألف وأربعمائة نفر، ومعه الهدي الذي ينتفع به أهل مكة ويزول به

---

(١) حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري بطوله في صحيحه (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

من فاقتهم ما يزول، وهو كغيره من الناس يريد الحرم، يريد العمرة، يريد ما لا يمنع منه أحد، ومع ذلك صدته قريش عن مراده وغايته، قالوا: لا يمكن أن تدخل مكة معتمراً، فيقول الناس: أخذت قريش غصباً.

وجرى بينهم ما جرى من المراسلات، وكان آخر الأمر أن جرى العهد والميثاق على شروط تبدو ثقيلة، ويسميها من يسميها من الناس الآن: انهزامية، واستسلاماً، ولكن كانت هي الحكمة؛ لأن العبرة بالغاية، فمن جملة الشروط التي تمَّ عليها العهد والميثاق:

أولاً: أن الرسول لا يتم عمرته، فيرجع، ولا شكَّ أنَّ هذا ثقيل على النفوس، ولهذا لما أمر النبي ﷺ الصحابة أن يحلوا ويحلقوا؛ صعب عليهم ذلك وتأخروا حتى دخل النبي ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها وأخبرها بما جرى، فقالت: يا رسول الله: اخرج وادع الحلاق واحلق رأسك، ففعل، فلما رأى الصحابة وفِعْلَ النَّبيِّ كاد بعضهم يقتل بعضاً، ليحلق بعضهم بعضاً[1].

ثانياً: ومن الشروط القاسية التي قد يظنها بعض الناس اليوم استسلاماً: أنَّ من جاء منهم مسلماً إلى المسلمين ردوه على الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى قريش لا يردونه.

هل الشرط هنا فيه موازنة أم لا؟ ليس فيه موازنة ــ الموازنة أن

---

(١) حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري بطوله في صحيحه (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

نقول: من جاء منكم إلينا فلا نرده، ومن جاء منا إليكم فلا تردونه، أو: من جاء يرد من الطرفين.

إمَّا أن يقال: من جاء من المسلمين إلى الكفار فإنه لا يرد، ومن جاء من الكفار مسلماً فإنه يرد، فهذا ليس فيه موازنة، ولهذا عمل عمر بن الخطاب ما عمل من أجل إلغاء هذا الشرط، ولكن النبي ﷺ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»[1] فماذا كانت النتيجة؟

وكانت النتيجة أن من جاء من قريش مسلماً ثم رد إليهم، جعل الله له مخرجاً وفرجاً، ومن ذهب من المسلمين إلى قريش فقد ارتد عن دينه وله ما اختار.

والقضية يطول شرحها، لكن أنا أريد أن الإنسان لا يعتبر الأمور ببداياتها ولكن بنهايتها، علينا أن ننظر ما النتيجة للعمل الذي نراه مفيداً ونراه من مقتضى ديننا، فإذا نظرنا إلى أن النتيجة وعلمنا أنها ستكون حسنة حينئذ نقدم ولكن بحكمة ورفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

وإذا رأينا أن النتيجة ستكون خلاف ما نريد فالواجب الانكفاف. فإذا قال قائل: النتيجة أمر غيبي غير معلوم؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا . . .﴾ [سورة لقمان: الآية ٣٤] قلنا: هذا حق،

---

(١) حديث صلح الحديبية أخرجه البخاري بطوله في صحيحه (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

النتيجة غير معلومة، لكن ألا يكون لنا اعتبار بما وقع لغيرنا؟

الجواب: بلى؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة يوسف: الآية ١١١].

فلنا عبرة فيما يجري من حولنا ممن أخذوا بالبدايات ولم ينظروا إلى النتائج، حيث كان الأمر عكسياً تماماً، بل زاد الأمر على ما كان عليه من قبل.

فالإنسان العاقل هو الذي يكون بصيراً في الأمور، ويتأمل.

فإذا قال قائل: إذا دار الأمر بين أن يقدم أو يحجم بمعنى أنه تردد، فما هو الخير والأفضل؟ قلنا: الخير والأفضل أن يمسك؛ لأن في الإمساك سلامة، والأمر في الإقدام مجهول.

ولهذا ذكروا عن الإمام أحمد أنه كان لا يعدل بالسلامة شيئاً، ويدل لهذا المنهج الصحيح قول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١].

فالمقالة إما أن يعلم أن فيها شراً فمن المعلوم أن أحداً لا يقدم على ذلك، أو يعلم أن فيها خيراً، فالخير مطلوب، أو لا يدري أفيها خير أم شر، فما هو الواجب ومقتضى الإيمان؟ أن تصمت إن كانت قولاً، أو تمسك إن كانت فعلاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة.

فإذا سار الإنسان في منهجه وعمله على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإن العاقبة ستكون حميدة إن شاء الله.

أسأل الله تعالى أن يجعل مستقبل حياتنا وحياتكم خيراً من ماضيها، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(الأسـئـلـة)

سـؤال: سماحة الشيخ حفظك الله: يتكلم كثير من الشباب ويشغلون كثيراً من أوقاتهم بالحديث عن بعض الجماعات والاتجاهات كالسلفية والتبليغ فما هو القول الفصل في ذلك؟

الجواب: القول الفصل ليس من عندي؛ بل من عند الله عز وجل فهو الذي يفصل بين عباده، لكن أرى أن التحزُّب والانضمام إلى أيّ حزب كان، بمعنى أن يبني الإنسان ولاءه وبراءته على هذا الحزب، فمن كان من هذا الحزب فهو وليه ومن كان من ذاك الحزب فهو بريء منه، أرى أن هذا غلط عظيم وأنه منافٍ للمنهج الذي كان عليه النبـي وأصحابه والمتلقى من القرآن نفسه، يقول الله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٣].

فالواجب علينا نحن الأمة الإسلامية أن نكون أمة واحدة نقيم الدين ولا نتفرق فيه، وقال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ

دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣].

فلا أرى إطلاقاً أن يكون في الأمة الإسلامية أحزاباً بأن يقال: هذا تبليغي، وهذا سلفي، وهذا إخواني، وهذا إصلاحي، وما أشبه ذلك.

أرى أن يكونوا أمة واحدة تحت راية النبي ﷺ وخلفائه الراشدين وصحابته المهديين.

فإذا قال قائل: هذا أمر متعذر، لا بد من اختلاف في الرأي وذلك لأن المواهب تختلف، فيختلف الناس في العلم، فقد يدرك شخص من العلم ما لم يدركه الآخر، ويختلفون أيضاً في الفهم، فقد يفهم الإنسان النص القرآني أو النبوي على وجه يخالف فهم الآخر، هذا إذا تجردت القلوب من الهوى، فإذا كان لا بد من ذلك فلا بد من التحزب.

والجواب: أننا نسلم أنه لا بد من اختلاف الرأي كما حصل هذا في عهد النبي ﷺ ومن الصحابة أنفسهم.

ولعله لا يخفى عليكم أن النبي ﷺ حين رجع من غزوة الأحزاب وانهزم الأحزاب، أتاه جبريل وأمره أن يخرج إلى يهود بني قريظة الذين

نقضوا العهد، فندب النبي ﷺ أصحابه إلى الخروج وقال لهم: «لا يصلين أحد العصر إلاَّ في بني قريظة»(١).

ففهم بعضهم النص على غير ما فهمه الآخر، فصلى بعضهم في الوقت قبل الوصول إلى بني قريظة، وآخرون أخروا إلى أن وصلوا إلى بني قريظة، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فلم يعنف لا هؤلاء ولا هؤلاء؛ لأن كلاً منهم مجتهد.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر»(٢).

ولكني أسأل: هل هذا الاختلاف أَثَّر في اختلاف قلوبهم؟

الجواب: لا.

مع أن الخلاف ليس في أمر هين، في فريضة من فرائض الله عز وجل، صلاة العصر، ومع ذلك فالقلوب مفعمة بالحب والائتلاف ولم تختلف.

إذاً نقول: لا بأس أن تختلف الآراء في شيء من الأشياء لكن يجب ألا تختلف القلوب، يجب أن تكون القلوب واحدة.

أرأيتم لو أن رجلين اشتركا في طعام وأكلا لحم إبل، أحدهما يرى أنه ناقض للوضوء، والآخر يرى أنه ليس بناقض، وصلى أحدهما بالثاني ما تقولون في هذا؟ أتصح الجماعة أم لا؟

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص.

الجواب: تصح الجماعة، مع أن الذي أكل ولم يتوضأ يرى صاحبه أنه صلى بدون طهارة، لكن بناءً على أن هذا هو الذي ظهر له من الدليل.

أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كانت خلافته اثنتي عشرة سنة وكان في ذلك العهد إمام الحج ـ لأنَّ الخليفة هو الذي يقود الحجيج ـ فصلَّى في أوَّل خلافته ستّ سنوات أو ثماني سنوات، صلَّى في منى قصراً كما فعل النبـي ﷺ وأبو بكر وعمر، وبعد ذلك صار يصلي إتماماً يعني: أربعاً، فأنكر ذلك الصحابة، ومن أشد ما علمت منهم إنكاراً عبد الله بن مسعود.

حتى إنه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، حين أتم عثمان، ومع ذلك كانوا يصلون خلفه أربعاً.

فقيل لابن مسعود: كيف تنكر على عثمان أربعاً وتصلي خلفه أربعاً؟

قال: إن الخلاف شر[١].

فالآن يا إخواني: الخلاف هنا في هذه المسألة شديد، ولهذا جعله عبد الله بن مسعود من المصائب؛ لأنه مخالف لهدي النبـي ﷺ وأبـي بكر وعمر، لكن مع ذلك وافقوا إمامهم؛ لئلا يقع الخلاف؛ لأنَّ الخلاف شر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٤، ١٦٥٧)، ومسلم (٦٩٥)، وأبو داود (١٩٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

خلاصة الجواب: أنِّي لا أرى هذا التحزُّب سواء قيل عنه إنه تبليغي أو إخواني أو إصلاحي، أرى أننا حزب واحد تحت راية واحدة، وأن الاختلاف في الآراء إن كان عن هوى فضرره على صاحبه، وإن كان عن اجتهاد وهو مما يسوغ فيه الاجتهاد فإنه مقبول متحمل.

سـؤال: سماحة الشيخ: ظهر في الآونة الأخيرة التساهل في أمر خطير وهو التكفير، فما نصيحتكم للشباب في ذلك؟

الجواب: من المعلوم أن الحكم بالتكفير يحتاج إلى شيئين مهمين:

الأول: دلالة النص على أن هذا كفر، وكفر مخرج من الملة؛ لأن في النصوص ما يطلق عليه كفر وليس بكفر مخرج عن الملة، فلا بد أن تعلم أن النص دل على أن هذا العمل كفر، أو هذا الترك كفر كفراً مخرجاً عن الملة.

الثاني: تطبيق هذا النص على من صدر منه الفعل الذي دل النص على أنه كفر؛ لأنه ليس كل من فعل المكفر يكون كافراً، كما دلت على ذلك النصوص من القرآن والسنَّة.

أما الكتاب: فقال الله عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٦].

فإذا أكره الإنسان على الكفر قولاً كان أو فعلاً ففعل ما أكره عليه؛ فقد دل الكتاب العزيز على أنه لا يكفر، مع أن الفعل كفر.

مثـال ذلـك:

إنسان أكره على أن يسجد لصنم فسجد، فالسجود للصنم كفر لا إشكال فيه، لكنه مكره وقلبه مطمئن بالإيمان، يؤمن بأن هذا الصنم لا يستحق أن يسجد له وأن السجود له كفر، فلا شيء عليه.

وإنسان أكره على أن يقول كلمة الكفر فيقول: إن الله ثالث ثلاثة، أيكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؟ الجواب: لا يكفر.

وأما السنَّة: فقد تحدث النبـي ﷺ عن فرح الله تعالى بتوبة العبد، وأخبر «أن الله أشد فرحاً بتوبة العبد من رجل أضل ناقته وعليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذا هو بناقته قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللّٰهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[1]. وهل يكفر بذلك؟

الجواب: لا.

كذلك الرجل الذي كان مسرفاً على نفسه، وخاف من عقوبة الله فقال لأهله: «إذا أنا مت فأحرقوني واسحقوني وذرّوني في اليم، فوالله لئن قدر علي ربـي ليعذِّبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل ثم سأله، وأخبره أنه فعل ذلك خوفاً من الله، ظن أن

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك. واللفظ لمسلم أما رواية البخاري فمختصرة.

الله لا يقدر عليه، فغفر الله له»[1]، مع أن الشك في قدرة الله كفر؛ لأنه لم يرد أن يصف الله بالعجز، ولكن خوفاً من الله عز وجل، فظن أن هذا الفرار من الله يمكنه أن ينجو به من عقابه.

إذاً يا إخواني لا بد من أمرين هامين في التكفير:

الأمر الأول: دلالة النصوص على أن هذا كفر، وكفر مخرج عن الملة.

الثاني: انطباق هذا الحكم على الشخص المعين؛ لأنه قد تكون هناك موانع تمنع من التكفير، وإن كان القول أو الفعل كفراً، والموانع معروفة من الشريعة والحمد لله، فإذا لم يتم الشرطان فمن كفر أخاه صار هو الكافر؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله وليس كذلك؛ فإنه يعود إليه يكون هو الكافر وهو عدو الله[2].

فإذا قال إنسان: كيف يكون هو كافر، وهو إنما كفر هذا الرجل غيرة لله عز وجل؟

قلنا: إنه كفر حيث اتخذ نفسه مشرعاً مع الله، وحكم على هذا بالكفر، والله تعالى لم يكفره فجعل نفسه نداً لله عز وجل في التكفير، هذه من جهة.

ومن جهة أخرى قد يطبع على قلبه ـ والعياذ بالله ـ وتكون نهايته أن يكفر بالله كفراً صريحاً واضحاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨١، ٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة.

فالمسألة خطيرة جداً، فليس لنا أن نكفر من لم يكفره الله ورسوله.

كما أنه ليس لنا أن نحرم شيئاً لم يحرمه الله ورسوله، ولا أن نبيح شيئاً لم يبحه الله ورسوله ولا نوجب شيئاً لم يوجبه الله ورسوله.

ثم إن الأمر يكون أشد خطراً إذا نسب التكفير إلى ولاة الأمور، وولاة الأمور هم العلماء والأمراء؛ لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩] وأولو الأمر كما قال علماء التفسير هم: العلماء والأمراء؛ لأن العلماء يتولون أمور المسلمين في بيان الشريعة والدعوة إليها.

والأمراء يتولون أمور المسلمين في تنفيذ الشريعة وإلزام الناس بها، فإذا وقع التكفير لهؤلاء فليس جناية عليهم لأشخاصهم؛ لأنَّه لا يضرّهم بأشخاصهم؛ لأنهم يعرفون أنفسهم ولا يهمهم القول، وقد قيل أشد من هذا لمن هو أفضل بكثير من هؤلاء، قيل للأنبياء ما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [سورة الذاريات: الآية ٥٢].

فتكفير ولاة الأمور يتضمن مفسدتين عظيمتين: مفسدة شرعية، ومفسدة اجتماعية.

أما المفسدة الشرعية: فهي أن العلماء الذين أطلق عليهم الكفر لن ينتفع الناس بعلمهم، فعلى الأقل يحصل التشكيك أو الشك في أمورهم، وحينئذ يكون هذا الرجل الذي كفر العلماء يكون هادماً

للشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة الإسلامية تتلقى ممن؟ أجيبوا؟ من العلماء؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر من ميراثهم.

أما تكفير الأمراء فإنه يتضمن مفسدة اجتماعية عظيمة وهي الفوضى والحروب الأهلية التي لا يعلم مدى نهايتها إلاَّ الله عز وجل، ولذلك يجب الحذر من مثل هذا، ويجب على من سمع أحداً يطلق هذا القول أن ينصحه ويخوفه بالله عز وجل.

ويقول له: إذا كنت ترى أن شيئاً من الأفعال كفر من عالم من العلماء، فالواجب عليك أن تتصل به وأن تناقشه في الموضوع حتى يتبين لك الأمر.

سـؤال: سماحة الشيخ: نجد أحياناً قسوة في القلب، فما هو علاجها، وكيف يتدبر المسلم كتاب الله، ويكون له وقع في نفسه؟

الجواب: الله أكبر! والله إنَّ هذا السؤال مهم جدّاً، إنَّ قسوة القلوب سببها الإعراض عن دين الله عز وجل؛ يقول الله تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً** ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٣]، ويقول الله تعالى: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٩]. فالذنوب لها أثر عظيم على القلب، وعلى المنهج وعلى السير فيه، وكلما أذنب الإنسان ذنباً صار في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب واستقام صقلت هذه النكتة السوداء، وإلاَّ تراكمت الذنوب وران على القلب ما كسب الإنسان، وحينئذ يطبع على قلبه ــ والعياذ

بالله ــ فعليك بكثرة ذكر الله عز وجل وقراءة القرآن بتدبر وتمهل واعتبار، يقول ابن عبد القوي ــ رحمه الله ــ في منظومة الآداب المشهورة:

وحافظ على درس القرآن فإنه .. يلين قلباً قاسياً مثل جلمد

وأيضاً من أسباب لين القلب: النظر إلى الفقراء، وإلى الصغار، وإلى الأيتام، فإن الرحمة بهم سبب لرحمة الله عز وجل؛ لقول النبي ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١) وجرب تجد، ضع نفسك موضع الطفل وخالقه بالخلق المناسب له واعطف عليه؛ تجد لذلك أثراً بالغاً على قلبك، ولربما تقرأ عدة صفحات من كتاب وعظ لا يؤثر في قلبك مثلما يؤثر هذا التنزل للطفل والملاطفة له، ولهذا لما رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل طفلاً أظنه الحسن أو الحسين قال: أتقبلون أولادكم؟ إن لي عشرة من الولد ما قبلتهم، قال له النبي ﷺ: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»(٢).

ومن أسباب لين القلب أيضاً: القراءة في سيرة النبي ﷺ منذ بعث إلى أن توفي، فإنها تؤثر على القلب تأثيراً بالغاً.

وكذلك القراءة في سيرة بعض الخلفاء الذين عرفوا بالزهد والورع والعدل كالخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز، رحمهم الله، وأمثالهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة.

سؤال: سماحة شيخنا: ما حكم ممارسة بعض الألعاب الرياضية التي فيها فائدة لجسم الإنسان مثل ألعاب الدفاع عن النفس، إذا كانت لا تتعارض مع طلب العلم؟ وهل تقدح بمروءة طالب العلم؟

الجواب: بلغني ـ وأنا لم أشاهد ـ أن الكراتيه التي فيها الدفاع عن النفس خطيرة؛ لأن هذا اللاعب قد يضرب خصمه ضربة تقضي عليه، فإذا كان كذلك فهي خطيرة لا ينبغي للإنسان أن يفعلها، أما إذا كان الخطر مأموناً فلا بأس أن يفعل الإنسان ما يمكن أن يدفع به عن نفسه، بشرط ألا يلهيه عن شيء واجب أو عن شيء أهم.

ثم قال الشيخ: ما فيه إلاَّ الكراتيه؟ فأجاب المقدم؟ إلاَّ فيه كثير، فقال الشيخ: اذكرها، فقال: مثل رياضة الجري؟

فقال الشيخ: نعم، رياضة الجري يعني: المسابقة على الأقدام هذا أيضاً لا بأس به، وقد سابق النبي ﷺ زوجته عائشة رضي الله عنها[1].

وكذلك المصارعة لا بأس بها، فقد قيل: إن ركانة بن يزيد طلب من النبي ﷺ أن يصارعه، وكان ركانة من أشد الناس قوَّة، حتى قيل: إنه يقف على جلد البقرة فينازعه الناس ويتقطع الجلد قبل أن تزول قدماه، المهم أنه طلب من النبي ﷺ أن يصارعه فصارعه النبي ﷺ فصرعه فأسلم، هكذا جاء في بعض كتب

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٩٨)، وأبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩) من حديث عائشة.

التاريخ[1]، والله أعلم.

لكن على كل حال المصارعة ليس فيها شيء، والمسابقة على الأقدام ليس فيها شيء، وكرة القدم ليس فيها شيء؛ لأنها تعين الجسم على الحركة.

وكذلك التدرب على مهاجمة الآخرين، أو الدفاع عن النفس، لكن بشرط أن يكون اللباس ساتراً وألا تشغل عن واجب.

والسباحة أيضاً لا بأس بها وهي مما يندب إليه، وكذلك ركوب الخيل.

وأمَّا الدرَّاجات الناريَّة ففيها خطر حيث يُخشى أن تنقلب وتحترق، لكن الدرَّاجات الأُخرى التي ليس فيها خطر كبير فأمرها يختلف.

وهل تسقط المروءة من جرَّاء ممارسة هذه الرياضات؟

الجواب: هذا يختلف باختلاف الناس، لو جاءنا إمام مسجد كبير محترم بين الناس ووجدناه يمشي بالسيكل على الطريق؛ لكان هذا غير مقبول منه ولكان مسقطاً لمروءته.

---

(١) ورواه الحاكم في مستدركه (٣/ ٥١١ رقم ٥٩٠٣) وترجم ابن حبان لركانة بن عبد يزيد هذا في الثقات (٣/ ١٣٠) فقال: «ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، ويقال: إنه صارع النبي ﷺ وفي إسناد خبره نظر».

سـؤال: فضيلة الشيخ: نلاحظ في هذه الأيام أن هناك من العلمانيين والصحفيين وغيرهم قد شنوا حرباً على هذا الدين وعلى شباب هذه الصحوة المباركة على وجه الخصوص، وما هذا إلاَّ بسبب تصرفات غير مرضية ممن ينتسبون لهذه الصحوة وهم يحملون أفكاراً دخيلة لا يشكل أصحابها نسبة ولو قليلة من هذه الصحوة، فما رأيكم في استغلال هذا الحدث من بعض ضعاف النفوس وتعميمه على شباب الصحوة والنيل منهم؟

الجواب: رأيـي أن هذا خطأ لكنه متوقع من أهل الشر؛ لأن أهل الشر ينتهزون أي فرصة يجدوا من خلالها خطأ من بعض المنتسبين للصحوة، وهذه سنة الله لا بد أن يكون للطرف المتطرف ما يقابله من الطرف الآخر، ولو سلك الاعتدال لسلمنا من هذه الأشياء، لكن تصرف بعض الذين ينتسبون للصحوة هو الذي أوجب لهؤلاء الفساق أن يتحركوا وأن ينتهزوا الفرصة، وقد بلغني أن وزير الداخلية ــ وفقه الله ــ حين تكلم عن موضوع حادثة تفجير العليا استثنى وقال: (إن هذا الذي حصل ليس عاماً لكل الشباب) وهذا طيب، لكن أهل الجور والفسق لا يقولون بالعدل بل يعممون، وربما تكلموا بما هو أعظم من ذلك كما يعلمه من تتبع الصحف، بمعنى أنهم لا يسلطون كلامهم على انحراف بعض الشباب، بل يريدون التغيير الجذري في أمور مهمة في مجتمعنا وديننا.

وهذا أمر يجب التحرز منه، ويجب على من جعل الله لهم كلمة أن يحولوا بين هؤلاء وبين تحقيق مآربهم، فنسأل الله تعالى أن يقي هذه

البلاد الشر والفتنة وأن يعصمنا جميعاً من الزلل.

سؤال: سماحة الشيخ الوالد ـ حفظه الله ورعاه ـ : ما حكم الاستعانة بمن لا يصلي في العمل؟ وهل يحكم عليه بالكفر بتركه الصلاة؟

الجواب: أما الحكم على من لا يصلي بالكفر فهذا حق؛ لدلالة القرآن والسنَّة وكلام الصحابة، والنظر الصحيح على ذلك، والمراد بمن لا يصلي: من لا يصلي أبداً لا مع الجماعة ولا في بيته.

أما من يصلي ويخلي فهذا ليس بكافر، لكنه فاسق بلا شك.

وأما الاستعانة به فينظر في الأمر؛ لأنه ربما تكون الاستعانة به جائزة كما لو أن إنساناً غرق في ماء وليس حوله إلاَّ هذا الرجل الذي لا يصلي؛ فلا بأس بالاستعانة به، وقد تكون الأمور التي يستعان به عليها أموراً شرعية لا ينبغي أن يتولى قيادتها فيمنع من ذلك، على كل حال لا يمكن إطلاق القول بأنه لا يستعان به ولا بأنه يستعان به.

سؤال: سماحة الشيخ: ما نصيحتكم ـ حفظكم الله ـ لمن ينصح الشباب أو بعضهم بقراءة بعض الكتب التي فيها أخطاء في العقيدة والمنهج، ولا يبين لهم ذلك بل ينصحهم بقراءتها فقط؟

الجواب: أولاً: الكتب التي فيها انحراف في العقيدة، أو في المنهج لا تجوز قراءتها إلاَّ من إنسان مطلع يعرف الصواب من الخطأ.

أما طالب علم، ابتدأ العلم في أول مرحلة لا يميز بين الصواب والخطأ فإنه لا يجوز له أن يقرأ هذه الكتب؛ لئلا يضل، أما الرجل

العالم المطلع يريد أن يقرأ هذه الكتب ليتبين له الخطأ من الصواب فيبين الخطأ؛ فهذا لا بد منه إذ لا يمكن معرفة الخطأ بقراءته والاطِّلاع عليه.

وأما من لا يعرف فلا بل يتجنَّب ذلك.

ولهذا قال النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه» أي: يبتعد عنه، ثم ذكر أن الرجل يأتي إليه أي إلى الدجال وهو يحسب أنه مؤمن مطمئن قلبه بالإيمان ولكن لا يزال يبعث به من الشبهات حتى يتبع الدجال[1].

وفي هذا الحديث إشارة إلى سد الذرائع وأن الإنسان لا يأمن الفتنة مهما كان.

والواجب على طلبة العلم الذين وهبهم الله تعالى علماً أن يبينوا للناس الخطأ في أي كتاب كان ومن أي إنسان كان.

لكن إذا كان القائل بالخطأ يمكن مفاهمته ورجوعه عن الخطأ بنفسه فهو أولى بلا شك؛ لأن رجوع الإنسان عن الخطأ بنفسه يستفاد منه فائدتان عظيمتان:

الفائدة الأولى: إنقاذ هذا الرجل من الخطأ.

والفائدة الثانية: ألا يظهر أهل العلم بمظهر المفرقين الذين يضلل

(١) أخرجه أحمد (١٩٤٦٦)، وأبو داود (٤٣١٩) من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات.

بعضهم بعضاً ويخطىء بعضهم بعضاً؛ لأنه كلما اجتمع العلماء وائتلفوا على ما يقولون فهو خير بلا شك.

سؤال: سماحة الشيخ ـ حفظه الله ـ: شخص أصابه مس من السحر وتأثر بذلك حتى كره الطاعات وفعل بعض المنهيات عياذاً بالله، وهو قبل هذا على درجة عالية من الاستقامة، هل يجوز له الذهاب إلى ساحر ليفك عنه سحره، وهذا من باب أن الضرورات تبيح المحرمات؟

الجواب: أسأل الله تعالى أن ينجي أخانا من هذا البلاء وأن يعافيه، والسحر أنواع وآثاره متنوعة، ولا غرابة أن يقع مثل ما سمعتم في السؤال، وهو أن يكون الإنسان في استقامة تامة، فيسلط عليه أحد من بني آدم يعمل له السحر، فتستولي الشياطين على هذا المسحور فتصده عن ذكر الله وعن الصلاة، ولكن على هذا المسحور أن يستعمل قبل كل شيء القراءات النافعة سواء قرأ هو بنفسه على نفسه، أو بواسطة من يوثق بدينهم وأمانتهم.

* **فإن لم يُجْدِ ذلك شيئاً** فقد اختلف العلماء رحمهم الله في الذهاب إلى السحرة لفك السحر إذا كان ذلك ضرورة.

فالمشهور في مذهب الإمام أحمد رحمه الله كما في الروض المربع وغيره: أنه يجوز حل السحر بالسحر للضرورة.

وممَّن قال ذلك من المتقدِّمين: سعيد بن المسيب حين سئل عن رجل به طب أي: سحر، فهل ينشر عنه، يعني بالسحر أو لا.

قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه[1].

ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد.

لكن مع ذلك لا أقول بهذا على وجه الإطلاق؛ لأنه لا بد من دراسة القضية المعينة دراسة تامة حتى يحكم لكل قضية بحكم خاص، فلا تأخذوا عني أني مبيح لهذا الشيء، بل لا بد من نظر لكل قضية بعينها وحينئذ يتبين للإنسان هل يفتي بالجواز أو لا يفتي.

سؤال: سماحة الشيخ ـ وفَّقه الله ـ: ما رأيكم في هيئة التحقيق والادعاء العام؟ وهل تنصحون الطلاب بالالتحاق بها؟

الجواب: قد قيل لي: إن هيئة التحقيق والرقابة معناها أنها تحقق فيما يحدث من مخالفات بدلاً عن كون الذي يتولى هذا أناس غير مؤهلين علمياً أو دينياً؛ فإن كان الأمر كذلك فالدخول فيها حسن مطلوب؛ لأن كون هذه الأمور يتولى التحقيق فيها أناس من طلبة العلم خير من كونه يتولاها أناس ليس عندهم علم، أو أناس لهم هوى معروف، ونسأل الله تعالى أن يوفق ولاة أمورنا لما فيه الخير والصلاح.

---

(١) علقه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: هل يستخرج السحر قبل الحديث (٥٧٦٥).

سـؤال: سماحة الشيخ ــ حفظه الله ــ : أخبرني أحد الإخوة أن ترك أداء تحية المسجد في وقت النهي من الورع وترك الشبهات؛ لأن العلماء متفقون على عدم تأثيم من لم يؤد تحية المسجد، لكنهم مختلفون في تأثيم من أداها في وقت النهي، فماذا ترون ــ حفظكم الله ــ في ذلك؟

أولاً: لا بد أن نعرف ما هو الورع، هل الورع اجتناب الشيء، أو الورع اتباع ما دل عليه الكتاب والسنَّة.

الجـوابـ: **بالثاني**، فلا شكّ أنَّ الورع ليس أن تتجنَّب الشيء، بل الورع أن يكـون عـمـلك مـطابـقاً للكتاب والسنَّة. وإذا كان كذلك، فإذا دلَّ القرآن أو السنَّة على عمل ما وكان ذلك هو الراجح عندك؛ فالورع أن تقوم به.

وقد دلَّت السنَّة فيما يظهر لنا على أن كل تطوع له سبب من الصلوات فإنه يجوز وقت النهي، فإذا دخلت المسجد بعد صلاة العصر فلا تجلس حتى تصلي ركعتين، وهذا الذي ذكرناه إحدى الروايتين عن الإمام أحمد.

وهو مذهب الشافعي، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخنا عبد الرحمن بن سعدي، وأظنه اختيار الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو إن شاء الله هو الحق.

فالورع إذن أن تصلي، لئلا تقع فيما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأما قول السائل أن العلماء أجمعوا على عدم تأثيم من لم يصل تحية المسجد فليس كذلك.

بل العلماء مختلفون في وجوب تحية المسجد.

والقول بأن تحية المسجد واجبة قول قوي جداً قد يعجز الإنسان عن دفع أدلته، فمن أدلَّة هذا القول: «أنَّ النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة فدخل رجل فجلس، فقال له: «أصلَّيت»؟ قال: لا، قال: «قم فصل ركعتين وتجوَّز فيهما»[1] قالوا: استماع الخطبة واجب، والتشاغل بتحية المسجد عنه يوجب ألا يستمع الإنسان إليها ولا يمكن أن يتشاغل الإنسان بسنة عن واجب، إذن فتحية المسجد واجبة.

ولا شك أن هذا القول ــ أعني القول بالوجوب ــ له وجه قوي.

ولولا أن هناك أدلة وليست بتلك القوة في دفع هذا لقلنا: إنها واجبة.

وعلى كل حال فقول السائل: إن العلماء اتفقوا على عدم التأثيم بترك تحية المسجد ليس بصحيح، والعلماء مختلفون فيه، ومن قال بالوجوب قال: إن الإنسان إذا لم يصل تحية المسجد فهو آثم.

سؤال: سماحة الشيخ: بعضهم يزعم أنكم تجيزون التصوير الفوتوغرافي فيرتبون الحكم حتى على الصورة، فما قولكم ــ حفظكم الله ــ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٠، ٩٣١، ١١٧٠)، ومسلم (٨٧٥) من حديث جابر بن عبد الله.

الجواب: نعم نحن نقول: إن التصوير الفوتوغرافي ليس تصويراً في الواقع؛ وذلك لأن الذي يصور أي: يلتقط الصورة ليس له أي عمل في الصورة، فهو لم يصور العين ولا الأنف ولا الفم ولا الوجه لم يعمل أي عمل.

ولهذا يمكن أن يأتي أعمى يسلط الضوء على الشخص الذي أمامه ويهمز المفتاح ويصور وهو أعمى، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهئون بخلق الله»[1] وهذا ما ضاهى بخلق الله، إنما انطبقت الصورة المقابلة لهذه الآلة وهي ليست من فعل الإنسان.

لكن هناك فرق بين التصوير وبين اتخاذ الصور، نقول: التصوير شيء وهو من فعل المصور، واتخاذ الصور من فعل الآخر، ولذلك قال في «زاد المستقنع»: «يحرم التصوير واستعماله» فجعل التصوير شيئاً والاستعمال شيئاً آخر.

نقول: هذا الذي طلب أن يصور لأي شيء طلب ذلك؟ إذا كان لغرض شرعي أو أمر لا بد منه؛ جاز ذلك، وإذا كان لغرض غير شرعي في أمر له منه بد؛ فلا يجوز لأن اقتناء الصور محرم إلَّا للضرورة.

جزى الله سماحة شيخنا خير الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناته ونفعنا بعلمه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الرابعة)

الحمد لله رب العالمين، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على نبيّنا محمَّد خاتم النبيِّين وإمام المتَّقين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فيسرّني أن ألتقي بطلاَّب السكن المعروف بوحدة ابن القيم في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم في هذه الليلة، ليلة الاثنين الخامس والعشرين شهر جمادى الأولى عام سبعة عشر وأربعمائة وألف، يسرني ذلك؛ لأنَّ اجتماع الشباب بمن يكبرهم سنّاً له فائدة كبيرة عظيمة؛ لأن من كبرك في سنة واحدة فقد زاد عليك تجارب كثيرة فيما مرَّ عليه من مشاكل الحياة.

إنكم الآن في هذا المكان على مستويات مختلفة منها العالي ومنها ما دونه، ولكن مهما بلغ الإنسان من العلم فإنه محتاج إلى العلم؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف: الآية ٧٦] ولهذا أحثكم على الحرص العام على تلقي العلم،

وأن تعلموا علم اليقين أن من لا يبذل جميع جهده لنيل العلم فإنه سيفوته العلم كله.

ولهذا قيل: إن العلم أبخل ما يكون! لأنك إن أعطيته كلك؛ أدركت بعضه، وإن أعطيته بعضك فاتك كله.

ولهذا أحثكم أيها الشباب على الحرص التام على العلم، ومن المعلوم أن العلم بشريعة الله من أفضل العبادات، حتى إن الله سبحانه جعله عديلاً للجهاد في سبيل الله، واقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، معنى الآية الكريمة: أنه لا يمكن المؤمنون أن ينفروا كافة إلى الجهاد؛ لأنهم لو نفروا إلى الجهاد؛ تعطلت الشعائر الأخرى وتعطل الإسلام، ولكن الله تعالى أرشد إلى أن ينقسم الناس إلى قسمين:

قسم ينفر للجهاد في سبيل الله.

وقسم آخر يقعد ليتفقه في الدِّين وينذر قومه إذا رجعوا إليهم.

وجه المعادلة بين العلم والجهاد في هذه الآية: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ ... طَآئِفَةٌ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، يعني: وقعد طائفة ليتفقَّهوا في الدِّين.

أيهما أحوج إلى الآخر؟ هل الجهاد محتاج للعلم أو العلم محتاج للجهاد؟

الجواب: الجهاد محتاج إلى العلم، ولهذا قال كثير من العلماء: إن الاشتغال في العلم أفضل من الاشتغال بالجهاد في سبيل الله.

لكن التحقيق أن يقال: قد يكون الجهاد في سبيل الله لبعض الناس أفضل، والعلم لبعض الناس أفضل.

فإذا وجدنا رجلاً قوي الحفظ قوي الفهم نشيطاً في طلب العلم ولكنه في الجهاد ضعيف جبان.

ووجدنا آخر قوي البدن شجاعاً مقداماً لكنه في الحفظ والفهم دون ذلك.

فالأول نقول: العلم في حقه أفضل.

والثاني نقول: الجهاد في حقه أفضل ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٣٢].

ولكن هل المراد بالعلم: أن الإنسان يقرأ ويعرف بأن يحفظ ألف حديث أو تقرأ القرآن كله فقط، أو أن يفقه في دين الله؟

الجواب: المراد: أن يتفقَّه، وليس قولي هذا يعني أننا لا نتفقه في التفسير والحديث، لا، قصدي بذلك أن الإنسان إذا عرف العلم ولم يعمل به فهو في الحقيقة ليس فقيهاً، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كيف بكم إذا كثر قراؤكم وقلَّ فقهاؤكم)[(١)]؟

---

(١) أخرجه ابن حزم في الإحكام (٦/ ٣١٥).

وليس المراد بالفقه ما هو معروف عند العلماء وهو العلم بالأحكام العملية.

ولكن الفقه هو: الفقه في الدين عقيدة وعملاً، ولذلك يسمى علم التوحيد: الفقه الأكبر؛ لأن علم التوحيد فقه بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وأحكامه، فهو في الحقيقة الفقه الأكبر.

إذاً لا بدَّ لطالب العلم من العمل بالعلم، فإن لم يفعل صار العلم وبالاً عليه وحجة عليه، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «القرآن حجة لك أو عليك»(١).

واعلم أنك إذا عملت بالعلم؛ كسبت العبادة والزيادة في علمك؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة محمد: الآية ١٧].

ثم إنَّ العلم يرفع الله به أناساً ويضع آخرين، فمن طلب العلم لله امتثالاً لأمره ونصيحةً لعباده؛ رفعه الله، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١].

ولهذا أيُّها الإخوة أحثكم على العمل بالعلم حتى يكون نوراً لكم وزاداً تهتدون به.

وأوصيكم بالإضافة إلى ذلك بالحرص على العلم من أول السنة حتى ترسخ العلوم في قلوبكم، وتسهل عليكم المراجعة عند آخر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

السنة؛ لأن بعض الناس يغلب عليه الكسل في أول السنة ويهمل، فإذا جاء آخر السنة عجز أن يهضم الدروس، وصار العلم في ذهنه كأنه خيال، ولا يدرك إدراكاً تامّاً.

ولكنه إذا اجتهد من أول السنة صار يتلقى العلوم شيئاً فشيئاً فترسخ في ذهنه ويهضمها هضماً تاماً، ويستريح إذا جاء وقت الاختبار.

أوصيكم كذلك بأن يظهر أثر العلم عليكم، وتعرفون أن مظهر طالب العلم: الوقار والتأني وحسن الخلق مع زملائه وغيرهم.

فتجد طالب العلم الذي انتفع بعلمه يدرِّس الناس من حاله ما ينتفعون به أكثر من انتفاعهم بمقاله، أي أنهم يقتدون بأفعاله وأخلاقه أكثر مما يأخذونه عنه من الأقوال؛ لأن العمل والخلق لطالب العلم هو الصورة الحقيقية لطالب العلم.

أما مجرد أن يكسب علوماً كثيرة ولكنها لا تظهر عليه، ولا يعرف هل هو طالب علم أم رجل شارع؟ فهذا لم يستفد من علمه شيئاً.

وأوصيكم كذلك بالمحبة والألفة فيما بينكم، فأنتم الآن تنهلون العلم من مصدر واحد، وتجتمعون على العلم في مكان واحد، وتتلقون العلم من مدرس واحد.

وحينئذٍ لا وجه للتنافر أو التباغض أو التعصب لقبيلة أو غيرها.

يجب أن تكونوا كالإخوة نسباً، وأنتم والحمد لله إخوة ديناً، والأخوة في الدين يجب أن تطغى وتعلو على الأخوة في النسب.

ولو شئت لقلت لكم: ائتوا لي بمثال يدل على أنَّ صلة الإنسان بغيره من أقوى الصلات نسباً، لكن لما كان مخالفاً له في الدين لم يكن منه.

الجواب: نعم هناك مثال عظيم: وهو أنَّ الله تعالى وعد نوحاً أن ينجيه وأهله، وكان أحد أبنائه كافراً، وابنه هذا الكافر بضعة منه؛ لأنه مخلوق من مائه، ومع ذلك قال الله له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [سورة هود: الآية ٤٦].

كذلك أيضاً الولد لا يرث من أبيه، والأب لا يرث منه ابنه؛ إذا اختلفا في الدين، فدل ذلك على أن الرابطة الإيمانية الدينية أقوى من رابطة النسب.

فالذي أحثّكم عليه بارك الله فيكم أن تكونوا إخوة في دين الله عز وجل، لا عداوة بينكم ولا بغضاء.

وأوصيكم أيضاً بمساعدة بعضكم بعضاً إذا طلب منك أخوك أن تساعده في درس من الدروس، سواء كان في علم اللغة العربية، أو في علم التاريخ، أو في علم الاجتماع، أو في علم الشريعة، أن تساعده؛ لأنك إذا ساعدته ساعدك الله؛ لقول النبي ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(١).

ولقوله ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث عبد الله بن عمر.

لا تقل: أخشى إن ساعدته أن يغلبني ويتقدَّم عليّ؛ لأنك أنت إن ساعدته فقد ساعدته بمجهود بشري، وإذا ساعدته ساعدك الله بمدد إلهي، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

وأيهما أعظم: المجهود البشري أو المدد الإلهي؟ الثاني لا شك، فإذا ساعدت أخاك ساعدك الله، وصار لك الفضل عليه بلا منَّة.

وأوصيكم أيضاً باجتناب الخيانة في الدروس ولا سيما في أوقات الامتحان، فإن الخيانة من صفات المنافقين، وقد نهى الله عنها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨﴾ [سورة الأنفال: الآيتان ٢٧، ٢٨].

وإذا علمت من أحد أنه يمارس هذه الفعلة القبيحة فعليك أن تنصحه، فإن كفَّ عنها فهذا هو المطلوب، وإلاَّ أخبرت عنه، وهذا من النصيحة له قبل كل شيء بدليل أن الرسول ﷺ قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قالوا: يا رسول الله: هذا المظلوم، فكيف ننصر الظالم؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»[1].

وأوصيكم كذلك باحترام الأساتذة؛ لأن الأستاذ له ـ إذا كان أستاذاً حقيقياً ناصحاً ـ له على الطلاب فضلان:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) من حديث أنس.

الفصل الأول: التعليم.

والفصل الثاني: التوجيه والتربية، فالمعلم حقيقة ينشر العلم بين الطلاب ويحب أن ينشر توجيهه وإرشاده، وإذا قام بذلك صار مستحقاً للإكرام والاحترام.

واعـلـم أنك إذا احترمت الأستاذ كما ينبغي فسوف تستفيد من هذا الأستاذ، أما إذا شعر أنك تهينه فإنك سوف تفقده وتفقد نصحه لك.

وأوصيكم كذلك بألا تضيعوا أوقاتكم بما لا نفع فيه، فكثير من الطلاَّب إذا انتهى الدرس ذهب يميناً وشمالاً، يتمشَّى، أو يتنزَّه، فيضيع الوقت بغير فائدة، وقد قال النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1].

فإذا كان القول أمرنا أن نقول الخير أو نسكت، فكيف بالفعل؟

فاحفظ وقتك واعلم أن الوقت لا يرد. يقول الشاعر:

(أمـس الـذي مـرَّ عـلـى قـربـه   يعجز أهل الأرض عن رده)[2].

فلا يمكن أن يرد الوقت، فاغتنمه في العلم.

ولكنني لا أقول يجب عليك أن تبقى دائماً جاداً، لا؛ لأن النفوس تملّ ولكن بقدر المستطاع.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبـي هريرة.

(٢) هذا بيت شعر.

واعلم أنك إذا استرحت قليلاً أو عملت عملاً يخفف عنك عبء الحِمْل بقصد الاستعانة على الطلب في المستقبل فهذا خير، لكنه ليس خيراً في ذاته بل هو خير بنتيجته.

وأوصيكم كذلك ألا تضيعوا أوقاتكم في السب والشتم لا لسائر الناس ولا لولاة الأمر من العلماء أو الأمراء.

نحن نقول: كل يخطىء: ولا شك، وليس أحد معصوماً إلاَّ من عصمه الله عز وجل، ولكن هل نتخذ من أخطاء غيرنا أخطاء لنا؟

لا، إذا أخطأ غيرنا سألنا الله له أن يوفقه للصواب، وهذا منتهى قدرتنا إذا كنا لا نقدر أن نصل إليه لنبين له أنه على خطأ.

ولهذا أقول: دائماً نسمع عن فلان أنه قال كذا، قولاً نرى أنه خطأ وليس بصواب، فهل نقبل هذا بمجرد السماع ونبني معتقدنا في هذا الرجل الذي سمعنا عنه ما قيل؟

الجواب: سمعت عن شخص عالم أو غير عالم، أمير أو غير أمير، شيئاً تنكره، إما لأنه منكر بحد ذاته، وإما أنه منكر أن يقع من هذا الشخص، فهل تأخذ بما سمعت هكذا من أول وهلة؟

الجواب: لا، إذاً ما الذي يجب عليك أن تفعله؟

الجواب: يجب أولاً: أن تتثبَّت من صحة النقل عنه قبل كل شيء؛ لأنه ربما ينقل عن شخص ما لم يقله وما لم يفعله، فلا بد أن تتثبت أولاً من النقل.

وأعطيكم قاعدة يذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في رده على الرافضة في منهاج السنة: إذا ذكر المقال للرافضي قال في رده: أولاً: (أطالبك بصحة النقل) وهذا صحيح؛ لأنه إذا لم يصح النقل استرحت، أي: كُفيتَ، فإذا سمعت عن شخص ما يستنكر أن يقع منه فتثبت أولاً في النقل.

فإذا ثبت الأمر لديك بأن كان الناقل ثقة وليس له هوى؛ فعليك مرحلة أخرى: وهي أن تتثبت: هل هذه المقالة، أو هذا الفعل، هل هو منكر؟ فما دام أنَّ هذا الرجل أهلاً للمعروف عندك، ولا يمكن أن يفعل المنكر، فلا بدَّ أن تتثبت: هل هذا منكر؟ لأن الشيء في أول وهلة قد يظن الظان أنه منكر، ثم بعد التأمل يتبيَّن له أنه ليس بمنكر، فكثيراً ما نسمع عن فلان أو فلان ما يقشعر منه الجلد وتنفر منه النفس، ثم إذا هدأنا وجدنا أنه ليس بمنكر.

فلا بدَّ إذاً أن تتأمل: هل هو منكر أم غير منكر؟ هاتان مرحلتان، هما: التثبت أولاً.

ثم التدبر والتفكر: هل هو منكر أو غير منكر؟

المرحلة الثالثة: إذا تأكدت أنه منكر فعليك أن تتصل بمن نُقِل عنه هذا الخبر، وتقول له: يا فلان بلغني عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ لأنَّ كثيراً من الإخوة الغيورين إذا تأكد من القول أنه منكر فإنه يأتي إلى من نُسب إليه القول أو الفعل، فيقول له: سمعنا عنك كذا وكذا، كيف تقول كذا؟ كيف تفعل كذا؟

نعوذ بالله! هل هذا من الاحترام؟

الجواب: لا، لا سيَّما إذا كان الذي تخاطبه أكبر منك، فالواجب أن تأتي إليه وتقول: بلغني عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح.

فأنت تعرف أنه صحيح لكن تقول له: هل هذا صحيح.

وقد يقول: نعم قلته، فتقول له: أحسن الله إليك ما وجهة هذا القول؟ أو ما وجهة هذا الفعل؟ قبل أن تحكم أنه منكر؛ لأنه ربما يكون له دليل قد خفي عليك، أو له حال تقتضي أن يفعل هذا الفعل وأنت لا تدري.

فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه قد رَوى عن النبي ﷺ كيف يجلس الإنسان في صلاته، فرآه بعض ولده جالساً متربعاً خلاف ما روى عن الرسول، فقال له: (يا أبتِ كيف تجلس متربعاً؟ قال له: إن رجلاي لا تقلاني) فمن الآن صار له عذر في مخالفة السنَّة أم لا؟

الجواب: صار له عذر؛ لأنه ربما صار لهذا الرجل الذي نسب إليه القول المنكر أو الفعل المستنكر له عذر أدى إلى أن يقول هذا المقال، أو يفعل هذا الفعل.

ولكن لتكن هذه المناقشة بأدب ولباقة، وحينئذٍ إما أن يتبين لك أنه على صواب فتسلِّم، أو لا يتبين أنه على صواب فتكون بذلك أقمت الحجة على هذا الرجل، وبرئت ذمتك.

ولو أننا سرنا في أمورنا على هذا المنوال؛ لكان الأمر طيباً

والنتائج محمودة، ولكن كثيرٌ من الناس يفرح أن يسمع بشيء ينتقده على فلان أو فلان، ويطير به في الآفاق نشراً، وهذه مشكلة يجب الحذر منها أو البعد عنها.

ولعلَّ فيما ذكرناه مما يجب على طالب العلم الفائدة والكفاية إن شاء الله، من أجل أن يسعفنا الوقت في الإجابة على الأسئلة.

وإني أقول لكم: يجب أن تكون أسئلتكم صريحة؛ لأن ما ليس بصريح لا يحل مشكلة، الصراحة هي التي تحصل فيها الفائدة، أرأيتم لو أنَّ أحداً فيه ورم وجاء الطبيب يلينه بيده ويقول: ليس عليك بأس، ويطيب إن شاء الله، وتركه، وجاء طبيب آخر فشقه وأخرج المادة الخبيثة منه، أيهما أحسن عملاً؟ الثاني أو الأول؟ لا شكَّ أنه الثاني، فالإنسان ينبغي ألا يُبقي في قلبه شيئاً مما يشكل عليه من أمور شرعية أو اجتماعية، لا سيما إذا لم يكن في المكان من يخشى شره، فنحن الآن في سكن الجامعة، ليس فينا أحد أجنبي، فلا بدَّ أن تكون الأسئلة صريحة وإن كانت عليّ أنا، فلا يهم، إن كنتُ على حق دافعت عن نفسي، وإن كنتُ على باطل رجعت إلى الحق إن شاء الله. هذا ما أريده منكم ونرجو من الله تعالى أن يجعل فيما يحصل هذه الليلة خيراً كثيراً.

سؤال: سماحة الشيخ. ما نصيحتكم لبعض الشباب الذين يوجهون الشباب إلى قراءة كتب المتأخرين ويتركون كتب المتقدِّمين ويصفونها بأنها صمَّاء لا تفيد شيئاً، لا سيما وأنها لا تصلح لهذا الزمان الذي

كثرت فيه المعاصي ويحتاج إلى الرقائق وغيرها أكثر من كتب العقيدة والفقه، حفظكم الله؟

الجواب: أنا أخبركم عن نفسي: وجدت الخير كل الخير في كلام من سلف، تجد العلماء السابقين يتكلم أحدهم بنحو سطرين أو ثلاثة تحصل منها على خير كثير، بينما المتأخرون تقرأ الصفحة والصفحتين لا تحصل على شيء، فهو كالإسفنج لا يثبت أمام الحقائق، لذلك أنصحكم أولاً: بتدبُّر كلام الله عز وجل، فهو والله كل الخير ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة النساء: الآية ١٧٤]، وهو ــ أي تدبر القرآن والعمل به ــ الذي من أجله أنزل الله القرآن ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص: الآية ٢٩].

ثانياً: ما صح عن النبي ﷺ من السنة القولية والفعلية والتقريرية، لا سيما سيرة الرسول ﷺ وتاريخ حياته فإنها تحيي القلب وتزيد في الإيمان، فاحرصوا عليها؛ لأنكم مأمورون باتباع النبي ﷺ، ولا يمكن أن تتبعوه حتى تعرفوا سنَّته.

ثالثاً: كتب السلف الصالح، من الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين.

أما كتب المتأخِّرين فغالبها كلام طويل لا تستفيد منها إلاَّ فائدة قليلة، وإن كانت لا تخلو من معالجة الأمور المستجدة وما يحصل في العصر الحاضر، مع العلم أنَّ ما يحصل في العصر الحاضر إذا وفق الله

الإنسان إلى فهم قوي؛ أمكنه أن يأخذ معالجته وبيان ما يتعلَّق به من الكتاب والسنَّة وأقوال السَّلف الصَّالح.

ويذكر عن أحد العلماء الأزهريِّين أنه كان في أوروبا وكان في مطعم وعنده نصارى فقام أحد النصارى وقال له: إن القرآن تبيان لكل شيء، فأين بيان كيف تصنع هذه الأطعمة كالسمبوسة واللحم المفروم وما أشبه ذلك فيه؟ أين هو؟ أسألكم أنتم أيها الطلاَّب الآن أين هو، هل في القرآن تعليم هذه الأشياء؟

الجواب: لا.

قال له الرجل الأزهري: هذا موجود في القرآن.

قال النصراني: غير موجود.

فدعا الأزهري صاحب المطعم وقال له: كيف تصنع هذه الأشياء؟ قال: أصنعها بكذا وكذا، ووصف له الطريقة، قال: هكذا جاء في القرآن؟ قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧].

فهذه قاعدة نمشي عليها، فكل شيء لا نعلمه نسأل عن أهل العلم فيه.

فإذا أشكل عليّ مثلاً مسألة نحوية فهل أذهب إلى محدث يعلِّمني إيَّاها؟

الجواب: لا، بل أذهب إلى صاحب النحو.

وإذا أشكل عليَّ مسألة حديثية فأذهب لصاحب الحديث.

وهذا موجود في القرآن أعني التوجيه لسؤال أهل العلم.

وأنا جئت بهذا المثال للإشارة إلى أن القرآن تبياناً لكل شيء وأن كتب المتأخرين لا شك أن فيها فائدة، لكن لا ينبغي أن نعكف عليها وننسى كتب السلف الصالح.

سؤال: سماحة الشيخ: أطال الله في عمرك على طاعته، إذا عطس الإنسان وهو يدرِّس أو يحاضر محاضرة عامة، هل يشرع له أن يحمد الله؟

الجواب: لا شكَّ أن الإنسان إذا عطس فالمشروع في حقه أن يحمد الله ولو كان يدرس أو يحاضر.

لكن أنا أسألكم: إذا عطس في الصلاة: هل يحمد الله أم لا؟

الجواب على ذلك يؤخذ من قصة معاوية بن الحكم رضي الله عنه حين دخل مع الرسول ﷺ ليصلِّي فعطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، فقال له معاوية: يرحمك الله، فرماه الناس بأبصارهم ينكرون عليه أن تكلم وهو يصلِّي، فقال ـ أي معاوية ـ: واثكل أُمَّاه فجعلوا يضربون على أفخاذهم يسكتونه، فسكت.

فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة دعاه، قال معاوية: فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً أحسن تعليماً منه ﷺ، والله ما قهرني ولا نهرني، وإنما قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما

هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[1] أو كما قال، ولم يأمره بإعادة الصلاة؛ لأنه كان جاهلاً لا يدري أن هذا حرام، وكل شيء محرم إذا فعله الإنسان عن جهل فإنه لا يضره شيئاً، أما الرجل الذي حمد الله فلم يقل له النبي ﷺ شيئاً.

سؤال: سماحة الشيخ أثابك الله وجعل الجنة مثوانا ومثواك: لقد صارت في هذا الزمان فتنة عظيمة وخيمة وخاصة في هذه الأيام، ألا وهي فتنة التفرقة بين صفوف الشباب خاصة بين العلماء، فهناك أناس ينتمون إلى الشيخ الفلاني وآخرون إلى شيخ آخر، كل منهم ينهش لحم الآخر، والبعض منهم وللأسف يأخذ من كلام شيخه مع أن هذا الكلام يدخل في الأعراض وتأويل النيات، فما رأي سماحتكم في ذلك؟

الجواب: رأيي في ذلك أن هذا من الفتن، وأن العاقل يجب عليه الإعراض عنه؛ لأن هذا لا يُحق حقاً ولا يبطل باطلاً، وإنما يزيد التفرقة والكراهية.

والرجل يجب عليه أن يكون قصده الحق، وإذا كان قصده الحق أينما كان فإنه لا يبالي أقال فيه فلان أو فلان؛ وأنتم تعلمون أن الله عز وجل أحق الحق الصادر من المشركين وهم مشركون، ولأنَّ ما قالوه كان حقاً وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨].

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

فعللوا بعلتين: الأولى: أنهم وجدوا عليها آباءهم.

والثانية: أن الله أمرهم بها.

فقال الله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨]، وسكت عن العلة الأولى؛ لأنها صحيحة، وجدوا عليها أباءهم.

ومن علماء اليهود رجل أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا محمد إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع وذكر تمام الحديث، فضحك النبي ﷺ تصديقاً لقوله وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [سورة الزمر: الآية ٦٧][1].

فهنا قبل النبي ﷺ الحق ممن؟ من يهودي.

فأنت لا تنظر إلى الحق باعتبار قائله، ولكن انظر إلى الحق باعتبار ذاته.

فالحق يجب أن يقبل من أي إنسان، والباطل يجب أن يرد من أي إنسان.

وإذا رأينا اختلاف العلماء في آرائهم أو في مناهجهم فما كان خطأً سألنا الله عز وجل أن يوفق من تلبس به إلى الصواب، وإن كان صواباً لم نبخل به على الآخرين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

فأرى أنه من واجب الشباب ترك التعرض لهذه الأمور وأن يضرب كل إنسان طريقه، فينظر ما ينفعه فيأخذ به، وما يضره فيجتنبه.

ولذلك الآن تجدون الفشل الكثير في أعمالكم وأحوالكم؛ لأنكم انشغلتم بهذه الأمور عن أمور أهم إن صح التعبير بقول (أهم)؛ لأن الأمور المشار إليها ليس لها أهمية إطلاقاً، والعاقل يعرض عنها.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: يعتمد بعد الطلاب على المذكرات والمختصرات كمصدر أساس للتحصيل، مع إهمال المصادر الأساسية للمقررات، ولا يخفى على سماحتكم ما لهذه الظاهرة من مردود سلبي على تحصيل الطالب، فما توجيه سماحتكم لأبنائكم الطلاب حول هذه الظاهرة وما مدى ربطهم بالمراجع الأساسية؟

الجواب: أولاً: أوجه إلى إخواني الأساتذة النصيحة وهي ألا يعتمدوا على المذكرات؛ لأن الإنسان بشر قد يختصر ما يجب البسط فيه وقد يبسط ما يجب الاختصار فيه.

ثم إن تعويد التلاميذ على المذكرات يزهدهم في الرجوع إلى الأصول التي ألَّفها العلماء ومشى عليها طلبة العلم.

أما بالنسبة للطلبة فالحقيقة أن الطلبة إذا اتجه الأصل الذي هو الأستاذ إلى عدم الالتفات للمذكرات، فالطلبة سيتبعونه، لكن إذا هو ألف مذكرة وقال للطلبة: خذوا منها، فالطالب طالب، يريد الأسهل.

فنصيحتي أولاً للأساتذة، وثانياً: للطلبة.

لكن المسؤولية الكبرى العظمى إنما تقع على الأساتذة، فالكتاب المقرر يجب أن يبقى مقرراً، وإذا كان الأستاذ يريد زيادة مسألة فيمكن أن تكتب على الهامش أو تكتب في دفتر خارجي، ويشار إلى الصفحات التي في الكتاب وهذه الحواشي على هذه الصفحة.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما رأيك فيمن ينقل من كلام من لا يحبه ما يوافق هواه، ويترك باقي الكلام حتى يُثبت صدق قوله في هذا الشخص، وهل هذه خيانة علمية؟

الجواب: أرى أن هذا من الجور والظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨]. وكون الإنسان إذا كره شخصاً ينقل عنه ما يوجب تنفير الناس منه وكراهتهم له، ويعرض عن حسناته، لا شكَّ أن هذا خطأ، والواجب إذا ذكرت السيئات أن تذكر الحسنات.

بل إن طريقة القرآن أفضل من هذا، فإذا ذكر الله تفضيل شخص على آخر، أو قوم على آخرين ذكر المحاسن المشتركة، اقرأ قول الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ ﴾ [سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨، ٧٩]، لكن لما ذكر قوله: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧٩]، فربما يظن الظان أن في ذلك انتقاصاً لداود، فقال سبحانه: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧٩].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [سورة الحديد: الآية ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [سورة النساء: الآية ٩٥].

فالواجب إذا أراد الإنسان أن يقوّم شخصاً: أن يذكر حسناته وسيئاته، وهذا إذا دعت الحاجة والضرورة إليه، وإلاَّ فسب الأموات منهي عنه، قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»[1].

أما إذا أراد الإنسان أن يرد على شخص مقولة أخطأ فيها، فهنا لا وجه لذكر الحسنات؛ لأنه لو ذكر الحسنات في ميزان الرد لهبط ميزان الرد عند الآخرين، ولصار الرد ضعيفاً، لكن لو أنه يذكر القول الباطل أو الخطأ مثلاً بدون أن يذكر قائله، مثل أن يقول: قال بعض الناس كذا وكذا وقوله هذا خطأ؛ لكان هذا أسلم.

سـؤال: سماحة الشيخ: هذا مصلى لسكن الجامعة، ومعلوم أن المصلى لا تحية له، ونجد من طلبة العلم إذا دخل صلى ركعتين، ما وجه عملهم هذا. وهل على المصلِّي تحية أم لا؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣، ٦٥١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الجواب: أنا أقول: إذا دخل الإنسان في مكان الصلاة فلا حرج أن يصلي فالصلاة كلها خير ما دام في غير وقت النهي.

أما لو دخل في وقت النهي كما لو جاء قبل المغرب أي: قبل غروب الشمس، فلا أرى أن يصلي في هذا المصلى؛ لأن هذا ليس بمسجد، والدليل على أنه ليس بمسجد: أن هذا المبنى إذا فرغ من الطلبة هل يبقى مسجداً أم لا؟

الجواب: لا، إذاً فليس له حكم المسجد، لكن من جاء في غير وقت النهي وصلى ركعتين أو صلى أربع ركعات بتسليمتين فلا حرج، فلا ينهى الإنسان عن ذلك.

سؤال: سماحة الشيخ كثيراً ما نواجه العمال في كثير من الأماكن، ولا ندري: هل هم مسلمون أم غير ذلك؟ ونكون في تردد من إلقاء السلام عليهم، أفيدونا مأجورين.

الجواب: أرى أنه يُنظر ما هو الأكثر من العمال في هذا البلد، أهم الكفار أم المسلمون؟ أم ما هو أكثر في القطاع الخاص هل هم المسلمون أو الكفار؟ فيؤخذ بالأكثر.

ولهذا نظائر في كلام العلماء، منها: أن العلماء قالوا: لو وجدت ذبيحة مذبوحة في مكان فيه من تحل ذبيحتهم ومن لا تحل؛ فيعتبر الأكثر.

مثل أن يكون الإنسان في حي فيه مسلمون وفيه بوذيون وثنيون،

ووجد في الشارع ذبيحة مذبوحة هل يقول: إنها حلال بناءً على أن الذابح مسلم، أم يقول: إنها حرام؛ لأن فيهم من لا تحل ذبيحتهم.

الجواب: قال العلماء: ينظر للأكثر، فإذا كان الأكثر في هذا الحي من تحل ذبيحتهم فهي حلال، وإذا كان الأكثر من لا تحل ذبيحتهم فهي حرام، وإذا تساووا في نظر الإنسان فالورع، والاختيار ألَّا يأكل منها.

سـؤال: سماحة الشيخ: تكثر في هذا الزمان الشائعات، فما نصيحتكم لمن يتولون كبرها؟

الجواب: لا شكَّ أن الذين يشيعون الشر لهم نصيب من الإشاعة أولاً، ونصيب من إثم من تأثر بهذه الإشاعة، والواجب على المرء: ألَّا يأخذ من جانب واحد، انظروا إلى قصة داود عليه الصلاة والسلام لمَّا جاءه الخصم وهو في محرابه، وتسوَّروا المحراب ودخلوا عليه، وأدلى أحدهم بحجته، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة ص: الآية ٢٣]، ماذا قال داود؟ ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [سورة ص: الآية ٢٤]، لم يسأل الخصم بل قال: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [سورة ص: الآية ٢٤]؛ لأن داود كان منزوياً في محرابه يريد أن يتعبد، فكأنه عليه الصلاة والسلام رأى أن يُخَلِّص هؤلاء بسرعة وينصرفوا، فقال الله عز وجل في الآخر: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا

جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [سورة ص: الآيات ٢٤ ـ ٢٦].

فدل ذلك على أن الواجب على الإنسان ألا ينظر إلى الأشياء من جانب واحد بل ينظر إلى الأشياء من كل جانب فنحن مثلاً نسمع شائعات ترد من قوم مجاهيل لا ندري من هم بل ترد من قوم نعلم أن قولهم غير مقبول وأنهم فسقة للجوئهم إلى بلاد الكفر والتجائهم إليها ونشر ما يسيء إلى المسلمين ويفرق بينهم والإنسان يفسق بأقل من هذا التصرف، وقد قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [سورة الحجرات: الآية ٦]، فعلى الإنسان ألا يرفع بهذه الشائعات رأساً وألا يرى في هجرها والتحذير منها بأساً؛ لأنها شائعات غالبها مبني على الكذب وما كان له أصل فغالبها مبالغ فيه، والإنسان العاقل يعرف كيف يتصرف.

سـؤال: أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم بين أبنائكم، لنا طلب بسيط يا سماحة الشيخ وهو: ما هو سبب قلة زيارتكم للجنوب وأهلها، بل عدم ذلك؟ ومع ذلك فإن الإخوان هناك مشتاقون لرؤيتكم، ودائماً يطالبوننا بأن نقدم لكم الدعوة للحضور، وها نحن نفعل ذلك على استحياء منكم أملاً في الوعد منكم بالوفاء (طلبة الجنوب بالفرع)؟

الجواب: على كل حال أشكرهم على هذه الدعوة وأقول لهم: إننا زرنا الجنوب قبل أربع سنوات، أبها والباحة، وتجولنا هناك، والحمد لله رأينا ما يسرنا من أحوال الشباب ولكن من نظر إلى وضعي أنا شخصياً

عذرني، فقد تغيَّر الوضع، حيث كان الإنسان في الأول ليس عنده من الطلبة إلاَّ أعداداً يسيرة تبلغ العشرين أو الثلاثين مثلاً، فيكون عنده فراغ كبير يستطيع أن يذهب يميناً وشمالاً، لكن الآن كثر الطلاب والحمد لله، وليس من الحكمة أن يدع الإنسان هؤلاء الطلاب ويذهب يلقي كلاماً في طلاب آخرين، هذا من وجه.

من وجه آخر أشغالنا كثيرة، ارتباط مع الطلاب، وأناس يسألون عبر الهاتف من الداخل، وترد علينا أسئلة كثيرة من الخارج، لا بدَّ أن نقرأها، وننظر إلى ما يطلبه المسلمون: هل هي مشاكل حقيقية تحتاج إلى رد.

أو هل هي مسائل جزئية أي واحد من العلماء هناك يرد عليها؟ فربما يعتذر عنها.

أو هل هي حاجات أخرىٰ، المهم أنني أنا مشغول جدّاً جدّاً، فأرجو من إخواني في الجنوب المعذرة، ولعلَّ يوماً من الدهر أن ييسر الله عز وجل إذا انعقد مجلس هيئة كبار العلماء في الطائف أن نذهب إليهم، ولكن هذا ليس بوعد، فلا تأخذوه عليّ، والله المستعان.

سؤال: سماحة الشيخ: هل المني نجس أم طاهر؟ وما حكم الصلاة في الثياب التي وقع عليها المني؟ وما حكم قتل الهرة المؤذية التي تأكل الحمام الذي في البيت مثلاً؟

الجواب: أما الفقرة الأولى من السؤال فأرجح أقوال العلماء وعليه الجمهور أن مني الرجل طاهر، وكذلك رطوبة فرج المرأة، لكن

بشرط: إذا كان عن احتلام أن يكون قد استنجى قبل النوم، أو استجمر استجماراً شرعياً، فإذا حصل ذلك فقد ثبت عن النبي ﷺ أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تغسل رطبه وتفرك يابسه[1]، وهذا دليل على أنه ليس بنجس؛ لأن النجس لا يكتفى فيه بفرك اليابس.

وما أحسن كلاماً ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه (بدائع الفوائد) ـ وهو كتاب جيِّد ـ : أنَّ ابن عقيل رحمه الله ـ وهو من علماء الحنابلة وفقهائهم ـ كان يجادل شخصاً آخر، فابن عقيل يرى أن المني طاهر، وذاك يرى أن المني نجس، فدخل عليهما رجل فقال: ما هذه المجادلة وما هذا النزاع؟ قال: (كنت أجادله لأقول له: إن أصلك طاهر، وهو يجادلني ليقول: إن أصله نجس) فكانت هذه في الواقع حجة لاذعة.

أما الفقرة الثانية في السؤال فهي قتل الهرة إذا أكلت الحمام. فقتلها لدفع أذاها جائز لا شك فيه.

ولكن المشكلة: هل تعلم أنها بعينها هي التي أكلت؟ فإذا علمت أنها هي التي أكلت الحمام أو الدجاج فلا بأس من قتلها، وكذلك لو كانت تؤذيك بالقذر أو بالأصوات فلا حرج عليك أن تقتلها.

سؤال: سماحة الشيخ: أشاهد العلماء والمشايخ لا يلبسون العقال فهل فيه شيء؟ وجزاكم الله خيراً.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨) من حديث عائشة.

الجواب: أنا أشاهد من يلبس العقال من إخواننا الطلبة ولو كان فيه شيء لأمرتهم بخلعه، هل يكفي هذا الجواب؟

العقال ليس به بأس حتى إن بعضهم قال: هو العمامة؛ لأنه مكور على الرأس، ولهذا كنت أعهد أن كثيراً من الناس يلبسون عقالاً أبيض جعلاً له بمنزلة العمامة، لكن تعرفون أن العادات لها أحكام، فما دام طلاب العلم لا يلبسون هذا فالإنسان لا ينبغي أن يكون شهرة؛ لأنه لو لبسه طالب علم محترم بين الناس لكان شهرة بينهم، فيقال: (فلان عليه عقال) استنكاراً.

سؤال: سماحة الشيخ عفا الله عنك: يلاحظ على طلاب الإسكان تفريطهم في أعظم شيء يقوي الصلة بينهم ألا وهو السلام فهل من نصيحة لهم؟

الجواب: والله هذه مشكلة، والعجيب أن إفشاء السلام مفقود بين كثير من الطلبة، وهذا حرمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1] وهذا مع الأسف مفقود بين كثير من الطلاب.

والذي أرى واجباً علي أن أوجه النصيحة لأبنائي الطلبة بإفشاء السلام، فأنت إذا سلمت حصلت على عشر حسنات، ليست عشرة دراهم؛ لأنَّ الدراهم تبلى وتزول ومآلها إلى المرحاض، ولكنك سوف

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

تحصل على عشر حسنات تجدها في يوم لا تملك درهماً ولا ديناراً، فإذا مررت مثلاً بعشرة متفرِّقين، وسلمت على كل واحد تحصل على مائة حسنة، وفي اعتقادي أن كثيراً من الناس لو قيل له: كل مرة تسلم فلك درهم؛ لسلَّم، بل ربما يروح ويرجع ليحصل على ريال آخر، فنصيحتي لإخواني الطلاب خاصةً أن يفشوا السلام بينهم.

سـؤال: سماحة الشيخ: لقد سمعنا ممن حضر لكم عدة محاضرات أنكم تقولون: ـ جزاكم الله خيراً ـ إن من كان أهلهم خارج منطقة القصيم جاز لهم قصر الصلاة مدة وجودهم هنا، هذا ما سمعته ممن كان سبقنا في الدراسة ونحن مستجدون، أفيدونا عن صحة القول؟

الجواب: هذا القول صحيح، نحن نرى أن السفر لا ينقطع إلاَّ بواحد من أمرين: إما الاستيطان، وإما الإقامة المطلقة.

أما الاستيطان فهو أن يتخذ الإنسان هذا البلد وطناً كرجل قروي جاء إلى المدينة واتخذها وطناً، فهذا انقطع سفره ولا شك.

وأما الإقامة المطلقة: فهي أن يأتي إلى البلد لطلب العلم وينوي الإقامة المطلقة، يعني ليس في نيته أن يبقى سنة أو سنتين، بل هو باقٍ بقاءً مطلقاً.

أما من كان سفره مقيداً بزمن أو بعمل فإنه مسافر، وأنا أقول لكم الآن: من قيَّد سفره بعمل لا يدري أينقضي اليوم أو غداً أو بعد غد أو بعد شهر، فإنه مسافر، حتى على ما قاله الفقهاء رحمهم الله: أنه إذا أقام لقضاء حاجة ينتظر متى تنتهي فإنه مسافر ويقصر أبداً.

وأقول: وكذلك من قيد سفره بزمن، إذْ لا فرق، فهذا الرجل الذي قيد سفره بزمن كالطالب يقول: لو أني أعطيت الشهادة اليوم لرجعت إلى بلدي، فأنا لست بمقيم.

إلاَّ أنَّ هناك شيئاً واحداً يجب الاهتمام به، وهو أنه يجب على من كان في البلد إذا سمع النداء أن يجيب، وإذا أجاب فسوف يصلي أربعاً تبعاً للإمام لكن لو فرض أنه في محل بعيد، أو فاتته الصلاة، فله القصر.

فإن قال قائل: ويلزم على قولكم هذا أن يمسح على جواربه وخفيه ثلاثة أيام، فهل تقولون بذلك؟ نقول: نعم أحكام السفر واحدة.

فإذا قال: ويلزم على قولكم هذا أن يفطر في رمضان؟ نقول: نعم جائز، لكن نرى أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا سافر في رمضان اختار الصوم كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر في رمضان في شدة الحر حتى إن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وأكثرنا ظلاً صاحب الكساء، وما منا صائم إلاَّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة)[١].

فالصيام ليس كالصلاة؛ لأنَّ الصلاة يطلب من المسافر أن يقصر في الرباعية، والصيام لا يطلب منه أن يفطر، بل يطلب منه أن يصوم أولاً، فإذا صار عليه نوع من المشقة قلنا: الفطر له أفضل.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٠)، ومسلم (١١١٩) من حديث أنس.

ومع ذلك أيضاً نقول: إذا كان يريد أن يبقى سنوات كالذين يذهبون إلى أوروبا وأمريكا نقول: لا تؤخر صوم رمضان إلى رمضان التالي؛ لأنك لو أخرته لكثرت عليك الشهور وعجزت عن القيام بقضائها في المستقبل.

سؤال: فضيلة الشيخ: أنا عندما أقوم إلى صلاة الصبح أو صلاة العصر بعد النوم، أوقظ زملائي الذين معي في الغرفة فلا يقومون، وأكرر عليهم الإيقاظ ولكنهم يسخرون مني فلا يصلون الفجر إلى الساعة السادسة، والعصر لا يصلونها إلاَّ قبيل المغرب، أرجو أن تفيدونا وجزاكم الله خيراً.

الجواب: لا شك أن هؤلاء أخطأوا خطأً عظيماً، وذلك لأنهم طلبة علم، فالواجب عليهم أن يكونوا أول من يقوم بالواجب، ولا يحل للإنسان أن يدع صلاة الجماعة مع قدرته عليها، ولا أن يؤخر الصلاة عن وقتها بلا عذر.

بل إن الذي يؤخر الصلاة عن وقتها بلا عذر لو صلاها ألف مرة لا يقبلها الله منه، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]، ومن أَخَّر الصلاة عن وقتها بغير عذر فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله، فيكون عمله مردوداً.

سؤال: فضيلة الشيخ: أرجو من سماحتكم توضيح النصيحة لولي الأمر كما جاءت في حديث تميم الداري وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة.

الجواب: النصيحة لولي الأمر سواء كان ولي أمر في تنفيذ الشريعة أو ولي أمر في تبيين الشريعة؛ لأن ولاة الأمور قسمان:

القسم الأول: ولي أمر في تنفيذ الشريعة، وهؤلاء هم الأمراء.

القسم الثاني: ولي أمر في تبيين الشريعة، وهؤلاء هم العلماء، كما قال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩].

قالوا: هم العلماء والأمراء، فالواجب على الإنسان إذا رأى منهم أمراً منكراً أن يتصل بهم إذا أمكنه أن يتصل، ويبين لهم ما يجهلون؛ لأنه مسؤول عن ذلك، وإذا لم يمكن اتصاله بهم مباشرةً فهناك قنوات يمكن أن تُوصل إلى ولاة الأُمور نصيحته، ومن النصيحة أيضاً ألا يشيع أخطاءهم ويسكت عن محاسنهم؛ لأن هذا كما قلنا قبل قليل من الظلم والجور أن ينشر الإنسان مساوىء الشخص ويكتم محاسنه.

ومن النصيحة لولاة الأمور الذين يقودون الناس إمَّا بالإمرة وإمَّا بالعلم، أن يدعو الله لهم بالتوفيق للصواب؛ لأنهم إن اهتدوا هدى الله على يديهم الخلق، ولذلك يروى عن الفضيل بن عياض رحمه الله والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنهما قالا: (لو نعلم أن لنا دعوة مستجابة لصرفناها للسلطان)؛ لأن بصلاحه صلاح الأمة.

فأنت إذا رأيت انحرافاً من علماء أو من أمراء، ولم يحصل لك أن تتصل بهم بنصيحة أو ترسلها عن طريق من يوصلها لهم فعليك بالدعاء، ادع الله لهم أن يهديهم ويصلحهم ويصلح لهم البطانة.

واعلم أن الله بحكمته جعل لكل ولي أمر بطانتين: بطانة خير، وبطانة شر، فأيهما غلب اتجه ولي الأمر إليها، فولي الأمر محتاج إلى الدعاء أن يصلحه الله ويصلح بطانته.

والواجب على المسلم أن يقول العدل، وأن ينظر إلى المحاسن والمساوىء، وإذا اقتضت المصلحة ألا تبين المساوىء وأن تُبيَّن المحاسن فله أن يفعل، الخير كل الخير في ذلك.

ونحن ولله الحمد في هذه البلاد عندنا من الخير الكثير ما لا يوجد عند غيرنا، حتى جيراننا الذين ليس بيننا وبينهم إلَّا الحدود، فنجد أن هذه البلاد ولله الحمد تكون بينها وبينهم فوارق كثيرة.

البلاد الإسلامية هل فيها شرك؟ نعم فيها شرك، تُعبد القبور من دون الله عز وجل، فيها بدع كثيرة، فيها ضرائب كثيرة على الناس فيها ظلم، هذا يعرفه من تأمل. وهذه البلاد لا نقول: إنها خالية من كل ظلم، وفيها ظلم، فيها خطأ، لكن والحمد لله أخفّ، ولو لم يكن فيها إلَّا تحقيق التوحيد والعمل الظاهر بالشريعة، فالمحاكم موجودة، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجودة، وإن كان فيها شيء من الضعف، لكن هي خير من عدمها.

سؤال: سماحة الشيخ: إنسان صاحب سيارة أجرة وقدر الله عليه وأصيب في حادث ومات معه كافر، هل يلزم هذا الشخص الصيام؟

الجواب: نعم، يلزمه الصيام؛ لأن الكافر الذي في هذه البلاد إما معاهد أو مستأمن، وكلاهما معصوم، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام

قال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة».

ثم المعاهد لا يلزم أن تكون معاهدته من ولي الأمر على أنه كفيلهم يعتبر مؤمناً لهم ودمهم حرام، وعلى هذا فيجب عليه الدية، وهي معروفة عند القضاة.

وكذلك الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

لكن يجب أن ننظر أولاً قبل هذا: ما هو الحادث وسببه، فقد يكون الحادث قضاء وقدر ليس من الإنسان فيه تفريط، كرجل يمشي المشية المعتادة وأراد الله عز وجل أن ينفجر الكفر وتنقلب السيارة فمات الذي معه، فليس عليه ضمان، وليس عليه كفارة.

سؤال: سماحة الشيخ: قلتم حفظكم الله: إن من النصيحة أن توصل نصيحة ولي الأمر عن طريق القنوات، فهل من النصيحة الكلام على المنابر على مشهد من العامة؟ حفظكم الله ورعاكم.

الجواب: ليس هذا من النصيحة، هذا في الواقع من الغش لولاة الأمور وللرعية أيضاً، أما كونه غشاً لولاة الأمور فظاهر؛ لأنه نشر لمعايبهم، وأما كونه غشاً للرعية فإن الرعية سوف تحمل في قلوبها الكراهية لولي الأمر والبغضاء وتنسى المحاسن التي كان ولي الأمر قائماً بها.

وهذا خطر عظيم جدّاً، وما أفسد أمن الأمة إلَّا مثل هذه الإشاعات التي تشاع عن ولاة الأمور حتى تتأزم وتصل إلى حد القتل واستباحة الدماء.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم لعب الورقة في غير أوقات الصلاة وفي أوقات الصلاة؟

الجواب: كل ما صد عن ذكر الله فهو حرام حتى البيع والشراء الحلال؛ إذا صدك عن الواجب فهو حرام، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٩].

أما الورقة التي لا تصد عن صلاة ولا عن شيء واجب؛ فعلماؤنا يرون أنها حرام.

شيخنا عبد الرَّحمن السَّعدي رحمه الله يرى أنها حرام ويشدد فيها.

وأظنه صدر من اللجنة الدائمة للإفتاء ما يقتضي التحريم أيضاً، لكن هذه ما لست متأكد منها، فأنا متأكد أن شيخنا رحمه الله رأى أنها حرام، وأنتم أيها الطلبة في غنى عن إضاعة الوقت، فإذا كان عندكم فراغ ومللتم من الجد من الممكن أن تخرجوا تتسابقوا، فالمسابقة على الأقدام خير ولها أصل في الشرع، وكذلك الرماية لها أصل في الشرع، وهناك ألعاب تهون على الإنسان سبيل الجد من كل شيء لا إشكال فيها ولا حرمة.

سـؤال: سماحة الشيخ: يقول بعض العلماء. إن ناقل الكفر ليس بكافر، فما رأي سماحتكم في هذا؟ وهل يحمل على إطلاقه؟ وما رأي سماحتكم فيمن ينقل الطرائف خاصة إذا كانت مكذوبة ليضحك القوم،

هل نقول له: إنه ناقل للكذب أو ليس كذلك؟

الجواب: لا شك أن حاكي الكفر ليس بكافر، إنسان مثلاً يحكي عن شخص يقول كذا وكذا، وهو كفر، هذا ليس بكافر، ولا يستطيع أحد أن يقول: إنه كافر.

وأما من كذب ليضحك به القوم فقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ويل لمن حدث وكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له»[1].

سؤال: سماحة الشيخ: رجل يعمل في مكتب الأوقاف وهو مكلف بمراقبة المساجد ويستلم المرتب على مسمى إمام مسجد، مع العلم أن مكتب الأوقاف قد سمح له بذلك، فما حكم أخذ هذا المرتب من قبل المكتب؟

الجواب: هذا شيء يرجع إلى إدارة الأوقاف، فلولا أن هذا جائز عندهم، أي: أن يأخذ الإنسان وظيفة أو مسمى وظيفة ويعمل عملاً آخر، فلا أظنهم يتجرَّؤون عليه.



(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) من حديث معاوية بن حيدة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الخامسة)

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله. صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فإنه يسرّني في هذا اليوم الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الآخرة عام سبعة عشر وأربعمائة وألف أن ألتقي بأول دفعة تلتحق بهذه الجامعة المباركة ألا وهي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فرع القصيم.

فأقول أولاً: أهنئكم أن يسّر الله لكم الالتحاق بهذه الجامعة المباركة التي نتائجها وثمراتها تدل على أنها مما أُسّس على التقوى، فإنها منذ أُنْشِئَتْ بذرتها في المعاهد العلمية وإلى يومنا هذا وهي ولله الحمد في تطور وإنتاج لا أعلم له نظيراً في الجامعات هنا، وهذا لا شك مما يدل على بركاتها وكثرة خيراتها.

وإن الإنسان ليفخر أن يسر الله له الالتحاق بها وذلك لما فيها من العلوم الشرعية الأصولية والفروعية كالتفسير والحديث والتوحيد والعقيدة والفقه، وما يساعد ذلك من العلوم العربية والاجتماعية وغيرها مما هو معلوم في أقسام كلياتها، ولا شك أن هذا موضع فخر، وأنت لو تأملت انتشار طلابها المتخرجين منها في كثير من مصالح الدولة؛ لعرفت قدر هذه الجامعة، ولم تقتصر هذه الجامعة في ثمراتها على البلاد السعودية بل لها فروع في مشارق الأرض ومغاربها ولله الحمد، نسأل الله أن ينزل فيها البركة، وأكرر تهنئتي لكم بتيسير الله تعالى لكم الالتحاق فيها.

ثانياً: أحثكم على أمر هام وأسأل الله أن يعينكم عليه، وهو أنكم أتيتم إلى هذه الجامعة من أجل نيل العلوم الشرعية وما يساندها، والعلوم الشرعية تعلمها فرض كفاية، يجب على المسلمين أن يكون منهم طائفة تتعلَّم دين الله، وشريعته من كتابه وسنة رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؛ لأن حفظ الدين فرض كفاية، وقد يكون من علوم الدين ما هو فرض عين وليس هذا موضع ذكره، لكني أبشركم معاشر الطلبة، أنكم بطلبكم العلم قائمون بفرض كفاية فاحتسبوا الأجر على الله أن يثيبكم ثواب القائمين بالفرض، وهذه غنيمة، ألم تعلموا أن المتفقهين في دين الله يوازون تماماً المجاهدين في سبيل الله؟

فالمتفقه في دين الله وهو يتصفح كتبه ويحضر إلى مجالس العلم هو كالذي يتفقد قوسه ورمحه مجاهداً في سبيل الله.

والذي يعرض بصره وفكره وقلبه لإدراك المسائل العلمية كالذي يعرض رقبته لأعداء الإسلام ليقاتلهم أعداء الإسلام حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولست أقول ذلك مجازفة أو محاباة لكم، ولكني أقول ذلك مستنداً إلى كتاب الله عز وجل، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

فتأمل أخي الطالب قول ربك عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، واعلم أن الله إذا قال في كتابه: (ما كان ليكون كذا) فهو ممتنع إما عقلاً وإما شرعاً، وهذا من الممتنع شرعاً.

ومن الممتنع عادة أيضاً أن ينفر المؤمنون كلهم للجهاد في سبيل الله؛ لأنهم لو نفروا جميعاً للجهاد في سبيل الله؛ لتعطلت شعائر الدين وشرائعه الأخرى، ولكن الدين كالجسد؛ لكل عضو منه عمل خاص، حتى يقوم الدين من كل جانب.

أيها الإخوة: تأملوا معي هذه الآية: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

يعني: لا يمكن أن ينفروا للجهاد في سبيل الله عموماً ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] ولولا هنا بمعنى: هلا ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]

اللام في قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] ليست تعليلاً للفرقة النافرة ولكنها تعليل للفرقة الباقية ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] أي: القاعدون الذين لم ينفروا للجهاد ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] فأنتم الآن ومن في ميدان القتال سواء.

ولهذا يجب أن تكون النية خالصة لله عندكم، كما يجب أن تكون خالصة لله في المجاهدين في سبيل الله.

واعلموا أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم سئل عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه، أيّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(١).

فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن القتال أنواع: رجل يقاتل شجاعة أي: لأنه شجاع يحب القتال بطبعه.

ورجل آخر يقاتل حمية وعصبية على قومه أو على هدف غير إسلامي.

والثالث: رجل يقاتل رياء من أجل أن يقول الناس: هذا الرجل مجاهد في سبيل الله.

أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري.

إذاً أنتم أيها الإخوة الآن في حكم المجاهدين في سبيل الله، يجب أن تخلصوا النية لله.

واسمعوا إلى الحديث الذي روي عن النبي ﷺ وهو قوله: «من طلب علماً مما يُبتغى به وجه الله لا يريد إلاَّ أن ينال عرضاً من الدنيا لم يرح رائحة الجنة»[1]. وهذا الحديث نص في أنه يجب على طالب العلم أن تكون نيته لله عز وجل، لا لأجل أن ينال عرضاً من الدنيا، لا مالاً ولا جاهاً ولا رياسة ولا تقديراً ولا فخراً، إنما يريد أن يتعلم لينشر شريعة الله في عباد الله.

لذلك أكرر حثكم أيها الشباب على أن تكون نيتكم نية خالصة لله.

وإني أسألكم: من يحمي شريعتكم إذا لم تحموها؟

الجواب: لا أحد، إذا لم يحم المسلمون شريعة الله فمن الذي يحميها؟ ومن يدافع عن شريعة الله إذا نالها الأعداء فكرياً أو عسكرياً؟

لا يدافع عنها إلاَّ أهل العلم الذين يبذلون جهدهم في نشر شريعة الله، وربما يشاركون فعلاً في الجهاد في ميادين القتال. إذاً أَخْلصوا النيَّة لله.

فاجعلوا نيتكم لله عز وجل، لا تأتوا لهذه الجامعة من أجل أن تنالوا رتبة أو تنالوا مرتبة، إنما من أجل أن تحفظوا شريعة الله، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢) من حديث أبي هريرة.

يتأكد في الذين يدخلون الكليات الدينية المحضة، وقلت: (المحضة)؛ لأن الكليات الأخرى هي في الحقيقة دينية مع النيَّة، بمعنى أن الدارس في كلية اللغة العربية يجب أن ينوي حفظ الشريعة من حيث تقويم اللسان ومن حيث تمام المعنى؛ لأنه لا يمكن فهم المعنى فهماً جيداً إلاَّ بمعرفة اللغة العربية، ولهذا نجد العلماء الذين لا يجيدون اللغة العربية نجدهم وإن كانوا أذكياء يقل فهمهم كثيراً عن العلماء الذين يعرفون اللغة العربية، فطالب اللغة العربية يمكن أن يكون طَلَبُه شريعة، وذلك بأن ينوي بذلك حفظ اللسان العربـي الذي به يفهم الكتاب والسنة.

كذلك أيضاً قسم التاريخ وقسم الاجتماع هي أيضاً دينية بالنية الصحيحة.

فقارىء التاريخ لا بد أن يقرأ سيرة الرسول ﷺ التي هي أهم التاريخ ثم بقراءة سير الصحابة والخلفاء الراشدين، ولا شك أن قراءتها من الدين، وذلك أنَّ دراسة حياة النبـي ﷺ تزيد الإيمان، وتزيد الإنسان شجاعة، وتزيده أسوة برسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

فالحمد لله، هذه الجامعة جميع معلوماتها إما دينية محضة وإما مساعدة لها، إذاً عليكم بإخلاص النية.

ثانياً: عليكم ــ بارك الله فيكم ــ أن تعملوا بما علمتم؛ لأن هذا ثمرة العلم، لا، فما فائدة العلم لا يعمل به الإنسان، لا فائدة فيه، بل هو مضرة على الإنسان، والله إن الجاهل خير من العالم الذي لا يعمل بعلمه.

فالعالم الذي لا يعمل قد قامت عليه الحجة وانقطعت منه المعذرة، لكن الجاهل ربما يتعلم ويعمل، أما رجل عالم ولكنه لا يعمل؛ فإن علمه وبال عليه، ولهذا قال النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «القرآن حجة لك أو عليك»[1].

والقرآن علم فهل حامل القرآن يكون القرآن حجة له.

إن النبي ﷺ قسم ذلك إلى قسمين قال: «حجة لك أو عليك» فيكون حجة لك إذا عملت به، ويكون حجة عليك إذا لم تعمل به، إذاً أحثكم على العمل بما علمتم حتى يكون علمكم حجة لكم، وذريعة إلى وصول دار النعيم المقيم، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

إذاً لا بدَّ من العمل، ولنضرب لهذا مثلاً: إذا علم الإنسان أن الصلاة مفروضة عليه وأنه يجب أن يقيمها مع الجماعة في المساجد، فهل يليق به أن يهمل هذه الفريضة وألاَّ يصلِّي إلاَّ متى تيسَّر له؟ متى استيقظ من نومه صلَّى؟ متى استراح من عمله صلَّى؟ هل يليق به وهو يعلم أن الصلاة مع الجماعة واجبة أن يتهاون؟ لا، لا يليق به إطلاقاً وإلاَّ لصار الجاهل خيراً منه.

إذا علم أن بر الوالدين واجب وأن عقوقهما من كبائر الذنوب هل يليق به أن يدع برهما؟ هل يليق به أن يعقهما.

إذا علم أن صلة الرحم واجبة، وأنها سبب لصلة الله للعبد، لأنَّ الله تعهَّد للرحم أن يصل من وصلها وأن يقطع من قطعها، فهل يليق به

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

أن يقطع الرحم؟ وألا يعلم أخبار أقاربه إلاَّ من الناس؟ إنه لا يليق أبداً.

إذا علم أن الصدق واجب وأنه سبب لدخول الجنة وأنَّ الصادق أو فاعله يلتحق بالصديقين، هل يدع الصدق؟ أبداً لا يدعه، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقاً»(١).

وإذا علم أن النصيحة هي الدين، وأن نبينا ﷺ كرر ذلك ثلاثاً: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم»(٢).

فإذا علم أن هذا هو الدين، فهل يتوانى في النصيحة ويتركها؟ أبداً، لا يمكن.

ونحن إذا تأملنا واقعنا وجدناه واقعاً مؤلماً؛ فكثير منا يعرف أن الصلاة واجبة، وأنها مع الجماعة واجبة، وأن بر الوالدين واجب، وأن صلة الرحم واجبة، وأن النصيحة واجبة، لكن ما أكثر التفريط، فلماذا نفرط؟ أليس ربنا عز وجل يقول في الكتاب العزيز وهو أصدق القائلين وأوفى المعاهدين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٢٦)، والنسائي (٤١٩٩) من حديث أبي هريرة.

من الواعد بهذا؟ الواعد بهذا هو الله عز وجل، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٢].

الواعد بذلك هو الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١١١].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٧].

الحياة الطيبة يا إخوان ليست كثرة المال، ولا صحة البدن، ولا كثرة الأولاد، ولا كثرة الزوجات، ولا حسن القصور، ولا حسن المراتب.

الحياة الطيبة: نعيم القلب، ولا أحد أنعم قلباً ممن اتصف بهذين الوصفين: الإيمان والعمل الصالح.

واسأل من سبقك، اسأل السلف الصالح، يقول بعضهم: (والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف) الملوك وأبناء الملوك لا يتنعمون كتنعم المؤمن الذي يعمل صالحاً أبداً، ولا يمكن أن يتنعموا نعيمه، إلاَّ أن يتصفوا بالإيمان والعمل الصالح.

واسمع لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن

إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له»[1]، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام.

إذاً يا أخي طبق ذلك على قلبك، وعلى لسانك، وعلى جوارحك.

وهنا نقطة أخيرة أحب أن أنبّه عليها: وهي أنكم الآن جئتم من بلاد شتى ومن قبائل شتى، فهل تعتقدون الآن أنكم إخوة في هذا الميدان وقبله أخوة في الإيمان؟

الجواب: نعم، هذا ما أعتقده فيكم، أنكم في بيت واحد، وأنتم حقيقة في بيت واحد بالنسبة لهذه الدار، دار العلم، وأنتم أيضاً في محيط أعم وأوسع ألا وهو محيط الإيمان، المؤمن أخو المؤمن.

إذاً لا يجوز إطلاقاً أن يفخر أحد على أحد، أو أن يستكبر أحد على أخيه، أو أن يضمر له حقداً أو بغضاً أو كراهة، حتى لو وقع في قلبك أنك تكره فلاناً أو فلاناً؛ لِما بلغك عنهم من أمور تُنقل قد تكون صحيحة وقد تكون كذباً، يجب أن تمحو عن نفسك هذا الذي في قلبك إما بالاتصال به وترى ما عنده، أو بغير ذلك.

المهم أنه يجب أن تكون قلوب بعضنا تجاه البعض بيضاء نقية، لا عداوة ولا بغضاء ولا كبرياء ولا افتخار، فكلنا مؤمنون، وكلنا في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب.

دار واحدة، نتلقى العلم من أستاذ واحد، وفي مكان واحد، وفي زمن واحد، والتخرج وقته واحد، والبدء زمنه واحد، فإذاً لا فخر.

كذلك أيضاً هناك نقطة مهمة ألا وهي السَّلام فيما بينكم، بل وفيما بينكم وبين عامَّة المسلمين: هل أفشيتموه؟

الجواب: لا، فأكثركم لا يعرف السَّلام، بل إن بعضكم إذا سلم عليه أحد استنكر، سبحان الله! كأننا لسنا في مجتمع إسلامي، ألم يقل النبـي عليه الصلاة والسلام وقوله حق: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟» وهذا استفهام أجاب عنه النبـي عليه الصلاة والسلام فقال: «أفشوا السلام بينكم»[١] أي: انشروه، انشروا السلام.

ثم إني أقول لكم: إذا قلت لأخيك: السلام عليكم كم يحصل لك؟ عشر حسنات، مع المودة والمحبة والألفة وانشراح الصدر وبشاشة الوجه.

ما ظنكم لو قيل لأحدكم: إذا سلمت على أخيك أعطيناك درهماً واحداً؟ أتسلمون؟

الجواب: نعم تسلمون وربما تترددون لكي تسلموا مرة ثانية من أجل درهم واحد، أين مآله؟ إن مآله المرحاض، فأعلى متاع يستمتع به الإنسان الأكل والشرب، وأين مآل الأكل والشرب؟ المرحاض.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبـي هريرة.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: (ينبغي للعاقل أن يجعل المال بمنزلة الحمار الذي يركبه أو بمنزلة الخلاء الذي يقضي فيه حاجته) هكذا موقف الذين يعرفون ويعلمون.

إذاً: إذا كنت لو أُعْطِيتَ درهماً واحداً عند السلام فإنك سوف تسلم وتفشي السلام؛ فاعلم أنك سوف تأخذ بالسلام عشر حسنات متى تستوفيها؟

الجواب: أنا أقول: ربما يقول بعض الناس: أستوفيها في الآخرة، وهذا حق؛ لأن الجزاء في الآخرة، لكن ثق بأنك سوف تستوفيها أيضاً في الدنيا؛ لأن كل حسنة يفعلها الإنسان تزيد في إيمانه؛ لأن من معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإذا كل حسنة تفعلها لله عز وجل فإنها سوف تزيد في إيمانك وحينئذ تكسب ثواب الآخرة وثواب الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [سورة الشورى: الآية ٢٠].

إذاً أوصيكم بإفشاء السلام بينكم حتى تستجلبوا المودة والمحبة والأخوة وطلاقة الوجه وسرور القلب، مع الثواب الجزيل عند الله عز وجل، أما أن يتلاقى الناس الآن ومع الأسف الشديد في وسط الجامعة فلا تجدهم يسلم بعضهم على بعض.

وربما يقول بعضهم: الناس كثير، لو أبدأ السلام على كل من لاقيت، فألاقي مثلاً في الممر مائة رجل، فأسلم مائة مرة؟

نقول: اتَّق الله ما استطعت، كما أننا نقول مثلاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، ولكن لو أننا مشينا في السوق وجدنا هذا قد أسبل ثوبه، وهذا يدخن، وهذا حالق لحيته، وما أشبه ذلك، هل يجب أن نقف عند كل واحد ننصحه؟

هذا صعب وفيه مشقة، ولكن نتَّقي الله ما استطعنا.

وأنا أقول: إن إفشاء السلام قليل بين طلاب الجامعة أو غير طلاب الجامعة، حتى طلاب المساجد الآن يقل منهم من يفشي السلام، وكل هذا إما من الجهل وإما من التفريط.

فعلينا أيها الإخوة أن نتخلَّق بأخلاق الإسلام طلباً لثواب الله عز وجل، وإصلاحاً لمجتمعنا.

وأعود فأكرر تهنئتي لإخواني الذين ابتدأوا دراستهم في هذه الدار الكبيرة النافعة، ألا وهي جامعة الإمام محمد بن سعود، وأسأل الله تعالى أن يجزي من كان سبباً في بذر نواتها خيراً وأن يوفق حكومتنا لما فيه الخير والصلاح والسداد والفلاح، إنه على كل شيء قدير، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وقبل أن نشرع في الأسئلة أود أن أقول: لكم الحرية في توجيه أي سؤال يتعلق بمشكلاتكم، فما يمكن أن نجيب عنه نجيب عنه، والذي لا يمكن أن نجيب عليه: إما أن نرجئه إلى وقت آخر، أو لعل من المناسب أن يكون جوابه بيني وبين السائل.

المهم لا يبقى في قلوبكم شيء، إن الاستحياء في طلب العلم مزلة في الواقع، وإن عدم الصراحة سَتُبْقي الأمور مشكلة، فلا بدَّ إذاً أن نكون صريحين في كل شيء، حتى يزول ما في نفوسنا.

أرأيتم لو أن مريضاً عرض على الطبيب جرحاً وكان بإمكان الطبيب أن يَلُمَّ بعضه على بعض ويمسحه، ثم يقول للمريض: ليس فيك شيء، أهو خير، أم طبيب آخر يشق الجرح ويخرج ما فيه من مادة خبيثة، ثم بعد ذلك يلم بعضه على بعض.

أيهما أولى: الثاني أم الأول؟ الثاني لا شك، فأنا أقول: عليكم بالصراحة، فإنه لا يزول الإشكال إلَّا إذا كان الإنسان صريحاً، وكما قلت لكم قبل قليل: السؤال الذي لا يمكن أن يجاب عنه الآن يمكن أن يجاب عنه في وقت آخر، أو يكون الجواب بيني وبين السائل، والحمد لله الصحابة يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عن أشياء ربما يستحي من ذكرها الرجال، والنساء يسألن عمَّا يستحي منه الرجال.

سؤال: سماحة الشيخ: ما هي الكتب للمبتدىء في العقيدة؟ وما هي الأسباب التي تعين على إحسان النية. جزاكم الله خيراً؟

الجواب: أحسن كتب العقائد فيما اطلعت عليه هي العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنها ذخر في العقيدة، وخلاصتها مشتملة على الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، وكذلك هي

أيضاً مشتملة على المنهج الصحيح السليم منهج السلف؛ لأن الإنسان له نية وعمل، فلا بد أن تكون نيته سليمة، ولا بد أن يكون منهجه سليماً أيضاً على منهج السلف الصالح، وهذه العقيدة المباركة متضمنة لهذا كله ولله الحمد، فأوصي إخواني الطلبة أن يحفظوها عن ظهر قلب، وأن يتأملوا معانيها؛ حتى يعرفوا بركة هذه العقيدة الصغيرة حجماً، الكبيرة معنى.

أما بالنسبة للأسباب المعينة على حسن النية؛ فالطريق إلى ذلك أن يعلم الإنسان أنه إنما يطلب العلم من أجل أن يرفع الجهل عن نفسه وعن أمته، ومن أجل أن يحفظ شريعة الله، ومن أجل أن يحمي شريعة الله من أعدائها، ومن أجل أن يصلح الخلق بهذه الشريعة وأن يعلم بأن أي غرض دنيوي فإنه غرض سافل بالنسبة لهذه المعاني الجليلة.

والغرض الدنيوي الذي يريده الإنسان كعلو الراتب أو المرتبة يحصل لأي إنسان حتى الذي يدرس في مجال آخر، لكن الأجر والثواب والرفعة في الدنيا والآخرة إنما يحصل لمن كان يطلب علم الشريعة بالنية الخالصة.

فإذا تأمل الإنسان وفكر في أنه لا ينبغي أن يذهب سعيه سدى؛ فحينئذ يخلص النية، وأيضاً لا بد أن يستعين بالله وألاّ يتكل على نفسه، وأن يسأل الله دائماً المعونة، ولهذا قال الله تعالى في سورة الفاتحة التي نقرأها كل يوم أكثر من مرة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [سورة الفاتحة: الآية ٥] فلا بدَّ من معونة الله عز وجل.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الشفاعة؟

الجواب: الشفاعة: إن كان السائل يريد شفاعة النبـي عليه الصلاة والسلام فإنها ثابتة، فالشفاعة ثابتة لرسول الله ﷺ يوم القيامة، وأيضاً نحن إذا صلينا على الجنازة فهي شفاعة، قال النبـي ﷺ: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلاَّ شفعهم الله فيه»(١).

أما إذا كان يريد أن يتخذ واسطة ليصل إلى حق ثابت له، فلا حرج عليه، والإثم على من قصر في حقه، أما إذا كان الإنسان يتخذ واسطة لينال ما لا يستحقه، أو ليتقدم على من هو أحق منه؛ فهذه حرام.

ولذلك لو أن رجلاً له حق يأتي إلى من عنده ذلك الحق، فيقول: أعطني حقي، فيقولون: سلِّم فلوس أمرك يمشي، هل يجوز أن يُعطي هذا المسؤول فلوساً لِيُمَشِّي معاملته؟

الجواب: من القاعدة التي ذكرنا الآن: يجوز أن يعطيه، والإثم على من أخذ؛ لأنه إنما بذل هذه من أجل الوصول إلى حقه.

لكن ما أحسن أن يتحيل هذا الرجل على هذا الخائن الذي طلب منه المال حتى يوقعه عند المسؤولين بما يجعلهم يعاقبونه عقوبة تكون نكالاً لما بين يديه وما خلفه.

ولو أننا لم نقل بمثل هذا لكان الناس يَضِيعُون، لكن مع ذلك أنا

---

(١) أخرجه مسلم (٩٤٨) من حديث عبد الله بن عباس.

أقول: يجب أولاً أن تصبر، ولكن إذا نفد الصبر ولم يكن لك طريق إلاَّ ما ذكرت، فقد قال الشاعر:

إذا لم يكن إلاَّ الأسنة مركبٌ فما حيلة المضطر إلاَّ ركوبها

وقد نصَّ على ذلك أهل العلم: على أن من بذل شيئاً ليتوصل إلى حقه الثابت له؛ فلا حرج عليه والإثم على من منعه حقه، إذاً الواسطة إذا كانت من أجل أن يتوصل الإنسان إلى حقه الثابت له جائزة، أما إذا كان يريد أن يتوصل إلى شيء لا يستحقه، أو هناك من هو أحق به منه فإنه لا يجوز.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظك الله: إني أحبك في الله وأدعو لك بظهر الغيب بالرفعة والأجر والثواب، نحن نعلم أن المسؤولين في فرع الجامعة يبذلون قصارى جهدهم من أجل تهيئة الجو المناسب، ولكن بعض الطلاب يقدحون فيهم ويسبونهم فما رأيكم في هؤلاء؟ وما عملنا الواجب تجاه هؤلاء الجبناء؟

الجواب: أقول للأخ: أحبه الله الذي أحبني فيه، وجزاه الله خيراً عن دعائه لي، وليبشر بأنه إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، فإن الله وكّل ملائكة تقول: آمين ولك مثله.

وأما الذين يسبُّون المسؤولين في الفرع ويقدحون فيهم نظراً لتأخر الدراسة، أو نظراً لتأخر المكافأة أو ما أشبه ذلك، فإني أخبرهم أن فعلهم هذا ليس من الأدب في شيء، والواجب أن يكون الفرع كله عمداؤه وأساتذته وطلاَّبه والمشرفون عليه، أن يكون بيتاً واحداً لا يلوم

أحد أحداً ولا يقدح أحد بأحدٍ، بل يلتمس له العذر؛ لأن الجامعة جامعتكم.

ألم تعلموا أن مثل هذا الكلام إذا انتشر بين الناس فهل القدح الآن يعود على فلان أو فلان أو يعود على الجامعة؟

أجيبوا: يعود على الجامعة، فيقال: الجامعة جامعة الإمام محمد بن سعود فيها كذا، وفيها كذا.

ثم إن هؤلاء الذين يتكلمون هل ذهبوا ورأوا الجامعات الأخرى وأنها أكمل من هذه الجامعة؟

يجب على الإنسان أن يكون أولاً: مؤمناً بالله، حافظاً لحدود الله، محترماً لأعراض عباد الله.

وثانياً: أن يكون عنده عقل يعقل به الأشياء ويميزها به.

أتظنُّون أن الجامعات كلها ليس أمامها إلاَّ ورود مفروشة؟ أبداً كل من لاقيت يشكو دهره، ليت شعري! هذه الدنيا لمن؟ من الذي سلم من الأمور المنكرة؟

ولهذا يجب يا إخوان أن نعرف أنَّ الدنيا وصفت بأنها دنيا لماذا؟ هل لأنها قريبة من الآخرة أم لدناءتها ودنوها؟

الجواب: هذا وهذا، فهي وصفت بأنها دنيا؛ لأنها سابقة على الآخرة وقريبة منها فما بينها وبين الآخرة إلاَّ زهوق الروح، ووصفت بأنها دنيا؛ لأنها دنيئة وكل ما فيها قصور، والله ما سرَّت إنساناً يوماً إلاَّ

أحزنته أياماً، حتى الإنسان التاجر الذي يربح كل يوم ما يربح، تجده منكد العيش ليس مسروراً دائماً.

فإذا كان كذلك فاعرفوا الدنيا، واعرفوا الأمور، وقيسوا بعضها ببعض، ولا تظنوا أنها ستكون مفروشة لكم وروداً أبداً.

ولكن من سمع أحداً يقول ما ذكر، فعليه أن ينصحه بمقتضى الدين، وبمقتضى أن هذه الدار دار الجميع يجب أن نحافظ عليها وأن نحامي عنها، وأن نكف الألسنة عنها أيضاً.

سؤال: سماحة الشيخ: إن بعض الأساتذة يعقِّدون الشرح في بعض المواد ولا يحددون مذكرات أو ملخصاً فأرجو أن ترشدهم جزاك الله خيراً؟

الجواب: الذين يستمعون إليّ الآن أكثرهم طلاب، وليس معهم أساتذة أرشدهم، لكن هذا واجب على العمداء والمشرفين، وأظنه قد صدر من مجلس الكلية منع المذكرات، وأنه يجب أن تكون الدراسة على كتاب معلوم مقرر؛ لأن المذكرات في الواقع تختلف اختلافاً عظيماً في أساليبها، وفي وضوحها، وفي تعقيدها، وأمّا لكن إذا كان الكتاب واحداً للجميع صار الأمر أشد انضباطاً.

سؤال: سماحة الشيخ يحفظه الله: نحن من مدينة الزلفي نتردد إلى الجامعة فهل يصح لنا أن نقصر الصلاة؟

الجواب: الظاهر من السؤال أنهم يترددون كل يوم، وإذا كان كذلك فلا

أرى أن يقصروا الصلاة؛ لأن هذا لا يسمى سفراً.

وتعلمون أن أهل العلم رحمهم الله اختلفوا: هل يقدر السفر بالمسافة، أم يقدر بالعرف؟

وقد أنكر صاحب المغني رحمه الله التحديد بالمسافة وقال: هذا تحكم وليس عليه دليل، والتحديد يحتاج إلى توقيف من الشرع، ولم يقل الله ولا رسوله إن السفر يحدد بـ ٨٣ كيلو أو مائة كيلو أو مائتين، بل ما سماه الناس عرفاً: سفراً؛ فهو سفر.

وهذا الذي قاله رحمه الله هو الذي قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكثير من العلماء، أنَّ السفر لا يحدَّد بمسافة، ومن المعلوم أن الذي يتردد يدرس في صباح اليوم ثم يرجع إلى أهله، وأنه لا يسمَّى مسافراً عند الناس، فأرى ألا يقصروا الصلاة، ولا يجمعوها، بل يصلون الصلاة في وقتها أربعاً.

أما من كان لا يذهب إلى أهله إلاَّ في آخر الأسبوع فالذي أرى أنه مسافر.

ولكن مع ذلك يجب أن تعلموا أنه يجب على المسافر إذا سمع النداء أن يجيب؛ لأن عموم قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلاَّ من عذر»[1] يشمل هؤلاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وابن ماجه (٧٩٣) من حديث ابن عباس. وعلقه الترمذي عقب الحديث (٢١٧) عن غير واحد من أصحاب النبـي ﷺ موقوفاً عليهم.

فيجب عليهم أن يصلوا مع الجماعة، ومن المعلوم أنهم إذا صلوا مع الجماعة فسوف يتمون حتى لو لم يدرك الإنسان من صلاة الجماعة إلاَّ التشهد، فإنه يجب عليه أن يتم؛ لعموم قول النبـي ﷺ: «ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» وفي لفظ: «فاقضوا»[1].

سـؤال: سماحة الشيخ: هل طالب العلم يقتصر على دروس الجامعة في تحصيله للعلم، أم يسند ذلك بعلوم خارجية؟ وما هو السبيل للتوفيق بينهما؟

الجواب: العلم لا يقتصر طلبه على الحضور إلى الجامعة ودراسة موادها، بل إن من أبرك العلم تحصيلاً وتأثيراً في النفس وفي العمل والمنهج هو ما يحصل في المساجد.

فما أبرك علم المساجد! لأنَّ المساجد فيها خير وبركة.

ولذلك أنا أقول لكم عن نفسي: إنَّ العلم الحقيقي الذي أدركته هو العلم الذي قرأته على المشايخ، وإن كنت استفدت من الجامعة في فنون أخرى، لكن العلم الراسخ المبارك هو ما يدركه الإنسان عند المشايخ، حتى إن مظهر الطالب عند المشايخ غير مظهر الطالب الذي يقتصر على دروس الجامعة غالباً، وإن كان يوجد من هؤلاء وهؤلاء ما يختلف عن القاعدة العامة.

---

(١) الرواية الأولى أخرجها البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٣) من حديث أبـي قتادة.
والرواية الثانية أخرجها النسائي (٨٦١) من حديث أبـي هريرة.

لذلك أنا أحث الطلاب على ألا يقتصروا على مواد الجامعة إذا كان لديهم وقت وقدره، أما إذا كان لا يمكن الجمع؛ لكثرة الدروس في الجامعة ولكون الإنسان يجب أن ترسخ علوم الجامعة في ذهنه؛ فإنه يحرص على علوم الجامعة، ولا سيَّما في أول الدراسة؛ لأن بعض الطلاب تجده يهمل في أول العام فإذا جاء آخر العام اجتهد اجتهاداً بالغاً، والعلم الذي يحصل على هذا الوجه يذهب وينتهي بمجرَّد انتهاء الاختبارات.

سؤال: سماحة الشيخ: نشكركم على هذه النصائح الغالية الأبوية وما هذا إلاَّ لحسن رعايتكم أثابكم الله، أرجو الإشارة إلى بعض الآداب التي ينبغي التحلِّي بها من قِبَل الطالب مع شيخه فإننا نلحظ بعض الأُمور التي لا تليق من بعض الأُخوة.

الجواب: لا شك أن هذا سؤال مهم؛ لأن بعض الطلاب يسيء الأدب مع المدرس، لا سيما إذا كان بعض المدرسين مظهره غير مظهر طالب العلم، في شكله، وفي لباسه، وفي أشياء أخرى، فبعض الطلبة نظراً لما يحمل قلبه على هذا الأستاذ تجده يسيء الأدب معه في مقام التعليم، وهذا غلط.

يجب على الطالب إذا كان يريد التحصيل أن يشعر بأن معلمه أعلى منه، وبأن ما يلقيه إليه من معلومات هي معلومات صحيحة.

ولكني لا أقول: إن كل أستاذ يقول الصواب، فمن الأساتذة من يخفى عليه الصواب، ومن الأساتذة من يتهاون ولا يبالي.

لكن إذا أخطأ الأستاذ ــ وكل إنسان معرض للخطأ ــ فهل من اللائق أن يقوم أحد الطلاب فيقول: يا أستاذ هذا خطأ؟ لا ، لا نفعل ذلك أبداً، فإذا أخطأ فإن من الأدب أن الأستاذ إذا خرج من الفصل يتبعه التلميذ ويقول: يا أستاذ، قلت: كذا وكذا، ونحن نعلم كذا وكذا، خلاف ما قاله الأستاذ، ثم يناقشه، فإما أن يكون الصواب مع الأستاذ أو مع الطالب.

وفي هذه الحال يجب على الأستاذ إذا تبين له الخطأ أن يعلن خطأه أمام الطلاب في اليوم التالي، وألا تأخذه العزة بالإثم، وألا يقول: أنا أستاذ أخشى إن أعلنت خطأي أن تنزل قدري وتقل قيمتي عند الطلاَّب، فهذا غلط وغير صحيح.

والله إن الإنسان إذا اعترف بخطئه أمام الناس صار محل التقدير في أعينهم، وعرفوا أنه يريد الحق، ولا يريد أن يرفع نفسه إلَّا بحق، وهذا هو الأدب.

وأنا لست أقول هنا: إنَّ الطالب ينبغي أن يكون إمعة، كل ما قال أستاذه فهو حق، لا ، فإذا كان الأستاذ يقول شيئاً غير حق؛ فلا بد أن ينبَّه لكن بأدب ولباقة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما هو واجبنا تجاه ديننا وعقيدتنا وولاة أمورنا من الأمراء والعلماء؟

الجواب: هذا السؤال إجابته طويلة، والوقت أزف على الانتهاء، وعلى كل حال: صنف في هذا عدة رسائل خصوصاً في الوقت الحاضر، لما

كثر القيل والقال في العلماء والأمراء، صنفت في ذلك رسائل منها للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومنها للشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ومنها لأخينا عبد السلام بن عبد الكريم آل برجس، وهناك أشياء كثيرة في هذا الباب.

لكني أقول: إن نيل أعراض العلماء والأمراء هو في الحقيقة جناية عظيمة، ليست جناية على العالم نفسه ولا على الأمير نفسه.

إنه جناية على ما يحمله العالم من الشرع؛ لأن الإنسان إذا غمط حقه وامتهن عرضه لم يقبل الناس منه شيئاً، ورأوا أن كلامه هوى، وأنه ليس على هدى، وحينئذ تتعطل الشريعة التي يحملها هذا العالم بسبب هذا القدح.

فيكون هذا الذي قدح بالعالم قد جنى جناية شخصية على العالم، وجنى جناية شرعية على شريعة الله التي يحملها هذا العالم، فمتان جنايتان عظيمتان.

والأمراء أيضاً إذا قُدح فيهم فهو قدح في أشخاصهم وقدح أيضاً في المجتمع كله؛ لأن الأمراء إذا حصل فيهم القدح هانت هيبتهم عند الناس، وصار لا قيمة لأوامرهم ولا مُنَفِّذ لها، وحينئذ يختل الأمن، ويختل النظام، وتكون الأمة فوضى، وتعلمون أنه لا بد أن يكون للأمة إمام مطاع في طاعة الله، وأي إنسان ـ كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ـ يموت وهو لا يعتقد بيعة في عنقه لإمام فإنه يموت ميتة جاهلية.

وهل أحد منا يحب أن يموت ميتة جاهلية؟

الجواب: لا، إذاً لا بد أن نعتقد إمامة أئمتنا وإمرة من أمّروه علينا، ولا بد أن نطيعهم في غير معصية الله؛ لأن أوامر الأمراء وأوامر الإمام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يأمروا بما أمر الله به ورسوله، فحينئذ يجب علينا الطاعة من وجهين:

الوجه الأول: أنه أمر الله ورسوله.

والثاني: أنه أمر ولاة أمورنا الذين أُمرنا بطاعتهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩].

القسم الثاني: أن يأمروا بمعصية الله فيقولوا مثلاً: لا تصلوا الجماعة، أغلقوا المساجد، أو يأمروا الناس بحلق اللحى، فهل نطيعهم؟

الجواب: لا والله لا نطيعهم، ونقول: لا سمع ولا طاعة.

ولكن هل ننابذهم أمام الناس ونقول: لا سمع ولا طاعة، أو نبقى على ما أوجب الله علينا نعمر المساجد ونعفي اللحى وما أشبه ذلك؟ أيهما أولى؟ الثاني أولى، لكن يجب علينا أن نبين للناس أن هذا غلط، وأنهم إذا أمروا بمعصية الله فلا سمع لهم ولا طاعة فيما أمروا به من معصية الله.

القسم الثالث: أن يأمروا بما لم يرد الشرع بالأمر به، ولم يرد الشرع بالنهي عنه، فطاعتهم في ذلك واجبة، وهي واجبة بأمر الله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩] فطاعة ولي الأمر في غير المعصية يثاب عليها المرء؛ لأنه يمتثل بها أمر الله عز وجل، وكل عمل يمتثل به الإنسان أمر ربه فإنه مثاب عليه؛ لأنه حسنة من الحسنات، وحقيقة أن الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى بسط أكثر.



بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة السادسة)

الحمد لله رب العالمين وأصلِّي وأسلِّم على نبيّنا محمد خاتم النبيِّين وإمام المتَّقين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فإنه يسرّني أن ألتقي بطلاَّب فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم في هذا العام للمرة الثانية، وأعتذر عن تأجيل الموعد في هذا اللقاء، حيث كان مقرراً في يوم الثلاثاء من الأسبوع الماضي، ثم تأخر إلى هذا اليوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب عام سبعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة، وأرجو الله تعالى أن يكون في هذا التأخير خيراً لي ولإخواني وأبنائي.

وإنَّني أرجو أن يكون اللقاء في كل عام مع الأساتذة في أول العام الدراسي الفصلي حتى يكون التوجيه للطلاب من أول بدء الدراسة.

ولا شك أن الأساتذة مسؤولون عن الطلاب؛ لأنهم رعاتهم، وكل إنسان راعٍ ومسؤول عن رعيَّته، الطلاَّب محتاجون للأساتذة

والمشايخ في التوجيه؛ لأن المشايخ جربوا من الأمور ما لم يجربه التلاميذ، وعندهم من العلوم ما ليس عند التلاميذ.

إذاً فالتلميذ محتاج إلى الأستاذ من الناحية العلمية والناحية العملية التجريبية، لهذا كان لزاماً عليه أن يحرص غاية الحرص على انتقاء الأساتذة الذين عرفوا بالعلم وعرفوا بالأمانة والدين، وعرفوا بالمنهج السليم والتوجه الصحيح، حتى يتلقى من علمهم أولاً، ثم من منهجهم ثانياً.

وإنني لفي سرور؛ أن يكون التقائي هذا اليوم بالمستوى الأول من طلاب كلية الشريعة، وأصول الدِّين وطلاَّب كلية العلوم العربية والاجتماعية، لأوجِّه للجميع كلمة مختصرة؛ وذلك لضيق الوقت.

وإنَّ أهم شيء لطالب العلم أن يعرف أن طلبه للعلم من أفضل الأعمال المقربة إلى الله، حتى إن الله سبحانه وتعالى جعله عديلاً للجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

وكافة يعني: جميعاً.

ولا يخفى علينا جميعاً أنَّ في قوله: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] شيئاً محذوفاً تقديره: وقعد طائفة وأن الضمير في قوله: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] يعود على القاعدين؛ لأن النافرين مشغولون بالجهاد.

قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُواْ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] أي: القاعدون ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

فجعل القعود للتفقُّه في الدين بمنزلة الجهاد في سبيل الله.

بل إن بعض العلماء قال: إن القعود للتفقه في الدين هو الأصل، وذلك لأن المجاهد محتاج إلى العلم، وطلب العلم لا يحتاج إلى الجهاد إلاَّ جهاد النفس.

لذلك يجب أن يشعر الطالب أنه في مقعد الدراسة، وفي كتابة الكراسة، في جهاد، وأنه قائم بفرض كفاية إن لم يكن فرض عين، وحينئذ يحتسب الأجر على الله، فالإنسان إذا قام بفريضة فإنما قام بها يحتسب الأجر على الله، فعليك يا أخي أن تحتسب الأجر على الله، وتتيقَّن بأنَّ الله سيأجرك على كل عمل تقوم به في طلب العلم، هذه واحدة.

يحرص طالب العلم على أن ينوي رفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن أمته بالشريعة الإسلامية، وحفظها من عبث العابثين.

وكل هذا مسؤول عنه طالب العلم.

وليس هذا خاصاً بمن يطلبون العلم الشرعي، بل حتى من يطلبون علم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية مسؤولون عن ذلك؛ لأن علم اللغة العربية به حفظ كلام الله عز وجل، وحفظ كلام رسوله ﷺ، وبه

الاستعانة على فهم الكتاب والسنَّة.

ولهذا نجد بعض العبارات في القرآن والسنة لا يمكن معرفة معناها إلاَّ إذا كان عند الإِنسان شيء من معرفة علم العربية.

أما في معاني الكلمات فهذا أمر معروف، فكثير من الكلمات في القرآن والسنَّة يحتاج الإنسان فيها إلى مراجعة علم اللغة.

وأما في التركيب والفاعل والمفعول وما أشبه ذلك، فهو أيضاً يحتاج إلى علم اللغة العربية.

أرأيتم قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] ففي هذه الآية قراءتان لكلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦].

الأولى: النصب (أرجلَكم).

والثانية: الجر (أرجلِكم) والمعنى يختلف؛ لأنك إذا قرأت (وأرجُلَكم إلى الكعبين) صارت معطوفة على قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فتكون الرجلان مغسولتين.

وإذا قرأت (وأرجلِكم) بالكسرة صارت معطوفة على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فتكون الرجلان ممسوحتين.

فهل الإنسان مخير بناء على القراءتين أن يغسل رجله وأن يمسحها، أم أنه ملزم بأن يغسلها مرة ويمسحها مرة، أم ماذا؟

إذا كنت لا تعرف اللغة العربية قد يشكل عليك الأمر، لكن إذا كنت تعرف اللغة العربية مع شيء من العلوم الشرعية أمكنك أن تخرِّج الآية في القراءتين على معنى صحيح.

ولست أريد هنا أن أخوض فيما قدمه علماء العربية في هذا، لكنني أعطيكم توجيهاً سهلاً لهاتين القراءتين: فالرِّجل إمَّا أن تكون مستورة بالجوارب والخفَّين فما فرضها؟ المسح.

وإمَّا أن تكون مكشوفة ففرضها الغسل.

وحينئذٍ نُنْزِلُ قراءةَ الجرِّ على الرِّجل في حال سترها بالجوارب، ونُنْزِلُ قراءةَ النصب على حال انكشاف الرِّجل.

فتكون قراءة الآية مشيرة إلى أن للرجلين حالين: كشف وتغطية، ففي حال الكشف غسل، وفي حال التغطية مسح.

هذا من آثار علم النحو، ولولا هذا لكان الإنسان يقرأ: (وأرجلِكم) (وأرجلَكم) ولا يدري ما الفرق، والأمثلة على ذلك كثيرة.

والعلوم الاجتماعية أيضاً مهمة، وأنا أرى أن على رأس هذه العلوم: معرفة أحوال النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم كلها، وهذا يعني أن نركز جهودنا على قراءة السيرة النبوية منذ ولد النبـي ﷺ إلى أن توفي، يعني أنه يشمل ما قبل النبوة كما يدخل فيه ما بعد النبوَّة.

قراءة السِّيرة تزيد الإنسان إيماناً وتزيد الإنسان محبَّة للرسول ﷺ.

وتقوِّم الإنسان في منهجه وأخلاقه.

فكل من قرأ سيرة الرسول ﷺ بإخلاص مريداً أتباعه؛ اهتدى في كثير من الأمور، وعلى رأسها حسن الخلق الذي قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام: «البر حُسن الخلق»(١)، أي: حسن الخلق مع الله عز وجل، وحسن الخلق مع عباد الله.

فحسن الخلق مع الله أن تتلقى أوامره بالسمع والطاعة وانشراح الصدر وطمأنينة القلب، إقرأ قول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ [سورة النساء: الآية ٦٥] حرجاً: يعني ضيقاً ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ٦٥].

فلا بدَّ من هذه الأمور الثلاثة: تحكيم الرسول عليه الصلاة والسلام، وانشراح الصدر بحكمه، والانقياد التام والتسليم التام.

فهذا حسن الخلق مع الله، أن تتقبل أوامره بانشراح صدر وطمأنينة قلب وإذعان، وأن تتقبل أخباره بالتصديق، وألا يكون في قلبك شك، وألا تحاول أن تعرف ما لا يمكن معرفته.

وإنني بهذه المناسبة أود أن أنبّه إلى أنَّ كثيراً من أمور الغيب يحار العقل عن إدراكها، فضلاً عن تصورها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان.

ألم تعلموا أن الإنسان في قبره يأتيه ملكان فيقعدانه ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه؟ وهذا ثابت عن الرسول عليه الصلاة والسلام[1]، هل لنا أن نقول: كيف يقعد الإنسان في قبره واللَّبِنْ على ظهره مثلاً أو على جنبه؟ نقول:

الجواب: لا، إنما علينا أن نصدق، فنحن نؤمن بالله ورسوله وأن ما أخبر به الله ورسوله حق، أما أن نسأل عما وراء ذلك من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها فهذا خطأ.

ولقد قال الإمام مالك رحمه الله لمن سأله عن قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه: الآية ٥] قائلاً: يا أبا عبد الرحمن كيف استوى؟

فأطرق مالك برأسه حتى جعل يتصبب عرقاً، لشدة هذا السؤال على نفسه رحمه الله، وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

والشاهد الذي أردت من جواب مالك هو قوله: (السؤال عنه بدعة) فأمور الغيب أيها الشباب لا تحاولوا إدراكها أبداً، لأنها وراء العقول، فعلى الإنسان أن يؤمن ويسلم ولا يتردد.

ولذلك قصة المعراج، الكثير منا علم أن الرسول ﷺ أمّ الأنبياء

---

(١) ورد ذلك في حديث البراء بن عازب الذي أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

في الأرض، أي: صلى بهم، ثم صعد إلى السماء فوجد من وجد منهم في السموات[1].

فهل لنا أن نقول: كيف يصلي بهم وهم في قبورهم؟ أو: كيف يصلي بهم في الأرض وفي نفس الليلة يكونون في السماء؟ أم علينا أن نسلم ويكون خُلُقنا حسناً مع أخبار الله بحيث نصدّق بها دون تردد؟

الجواب: يجب علينا أن نسلم بذلك ونصدق بدون تردُّد.

فكل أمور الغيب المتعلقة بالله عز وجل أو المتعلقة باليوم الآخر أو المتعلقة بالأنبياء يجب الكف عنها، وإلاَّ والله لو أنك حاولت بحثها لوقعت في مهاوٍ لا يمكن أن تتخلص منها.

وكذلك ربُّنا عز وجل فوق العرش، مستوٍ على عرشه، ينزل للسماء الدنيا في الثلث الأخير كل ليلة، هل لنا أن نسأل: كيف ينزل وهو سبحانه محيط بكل شيء؟

هل لنا أن نسأل: كيف ينزل في ثلث الليلة هنا في الجزيرة العربية وهو في أمريكا في النهار؟

الجواب: لا، أبداً، علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ، ومتى كان ثلث الليل فالنزول الإلَهي حاصل، ومتى كان طلوع الفجر فالنزول الإلَهي منته.

---

(١) قصة الإسراء والمعراج ثابتة في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من ذلك ما أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك.

ليس لنا أكثر من هذا؛ لأن هذه أمور غيبية لا يمكن إدراكها أبداً، ولا تكلف نفسك، حتى لا تقع في بدعة، والزم طريق السلف، فلا تسأل عن هذه الأمور إن كنت تريد السلامة، وإلاَّ وقعت في مهاوٍ لا تستطيع الخلاص منها، هذه نصيحتي لكم، والمسألة هذه عقيدة، ليست هينة، وأمثال ذلك كثير، فعليك بحسن الخلق مع الله عز وجل.

وحُسن الخلق مع الرسول ﷺ: أن تتلقى أوامره بالقبول والسمع والطاعة، وأخباره بالتصديق وعدم الشك والتردد.

لكن يجب أن نعلم أن هناك فرقاً بين ما أخبر الله في كتابه وبين ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام، وما أضيف إلى الرسول؛ لأن ما أضيف إلى الرسول منقول عن طريق التواتر أو الآحاد.

وبعض الأخبار المنقولة عن الرسول عليه الصلاة والسلام منها متواتر ومنها آحاد، والآحاد منها الصحيح والحسن والضعيف.

لكن متى ثبت النقل عن الرسول عليه الصلاة والسلام في الأمور الحكمية العملية أو في الأمور الغيبية العلمية؛ وجب علينا قبوله.

وعليه فالناظر في السنة لا بد أن يبحث أولاً عن ثبوتها عن الرسول ﷺ، ثم بعد ذلك يعمل بما يجب عليه من قبول وإذعان بصدر منشرح، فهذا حسن الخلق مع الله ورسوله.

وحسن الخلق مع الناس: بيّنه الرسول عليه الصلاة والسلام بعبارة موجزة واضحة فقال عليه الصلاة والسلام: «من أحب أن يزحزح

عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»[1].

الشاهد من هذا الحديث قوله: «وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» أي: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، وهذا هو حسن الخلق؛ ونحن في هذه الروضة من رياض العلم، بين أساتذة وبين زملاء من الطلاب، وبين محافظين على النظام، وبين مسؤولين عن هذه الروضة، يجب علينا أن نُحَسِّن الخلق بعضنا مع بعض؛ حتى نحوز البرّ الذي عبر عنه الرسول ﷺ في قوله: «البر حُسن الخلق»[2].

فعلينا أن نحترم الأساتذة؛ لأنهم معلِّمون مربُّون، وعلينا أن يحترم بعضنا بعضاً، فلا شتم ولا سب ولا كراهية؛ بل مودة ومحبة ومنطق حسن لَيِّن، فهذا هو الذي يجب علينا ونحن طلاب علم.

وعلى الأساتذة أيضاً أن يرفقوا بالتلاميذ؛ لأنهم كأبنائهم، وأن يوجهوهم إلى الخير بكل ما يستطيعون، وأن يستعملوا معهم الرفق والحزم؛ لأن التمسك بالحزم بدون رفق شدة، وبالرفق بدون حزم ضعف، فلا بد أن يكون الأستاذ جامعاً بين الحزم وبين الرفق، ويستعمل كل وصف في مكانه اللائق، فقد يكون الأليق الرفق وقد يكون الأليق الحزم والعزيمة.

وهذا يختلف باختلاف الطلاب، فمن الطلاب مثلاً من هو طالب

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان.

علم حقيقي تجده متخلقاً بالأخلاق الفاضلة، سالكاً مسلك السلف الصالح، مستقيماً، ومن الطلاب من ليس كذلك.

ومن الطلاب من هو حريص على دروسه يعتني بها ويبحث ويسأل ويكتب ويحرر، ومن الطلاب من ليس كذلك.

فهل نعامل هذين الصنفين معاملة واحدة؟

فإذا عامل الأستاذ طالباً بشدة، وآخر برفق، مع ظهور الفارق بينهما؛ يجب ألا نتهم الأستاذ.

لكن في هذه الحالة إذا عامل الأستاذ أحد الطلاب بالحزم وأحدهم بالرفق، يجب عليه أن يُبَيِّن السبب لئلاَّ يُتَّهم، وإذا اتُّهم بسوء المعاملة والجور وعدم العدل؛ فإن ذلك خطير بالنسبة لتقبل الطلاب منه ومحبتهم له.

ولا حرج على الإنسان أن يبين ما يدفع به اللوم عن نفسه حتى يكون محسناً إلى نفسه ومحسناً إلى غيره.

وأخيراً اعلموا أنكم في هذا المكان أبناء علم، وأنه لا فرق بين شخص وآخر، لا في الثراء والجاه ولا في القبيلة ولا في الجهة.

فأنتم هنا تحت مظلة واحدة، فلا يجوز إطلاقاً أن يفخر أحد على أحد، ولا أن يحقر أحد أحداً فإن النبي ﷺ حذر من ذلك فقال: «لا يفخر أحدٌ على أحد»[1] وقال: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار، وأخرجه أبو داود (٤٨٩٥) مختصراً.

أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1].

أسأل الله لنا ولكم علماً نافعاً وعملاً صالحاً ورزقاً طيباً صالحاً.

والآن إلى الأسئلة، وأرجو رجاءً مؤكداً أن تكون الأسئلة صريحة؛ لأنه لا يمكن أن يزول ما في قلب الإنسان حتى يكون سؤاله صريحاً، وأمَّا ما يُستحى منه فقد لا يكون من المناسب أن يعرض هنا، ولعل من المناسب إذا كان عند أحدكم سؤالاً من هذا النوع أن يتصل بمن يريد أن يسأله شخصيّاً فيسأله عنه فيما بينهما.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما هي الكتب التي تنصح بها للمبتدئين في الفقه والحديث والأصول والمصطلح واللغة العربية والأدب والتاريخ؟

الجواب: أولاً: المبتدىء لا شك أن له أستاذاً، فليأخذ بما يرشده به أستاذه، لكني أرى بالنسبة للفقه أن يبدأ بـ (زاد المستقنع) فيحفظه؛ لأن هذا الكتاب من أجمع الكتب الفقهية، حتى إن شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله كان يشير علينا به مع أنه نفسه حفظ دليل الطالب، ويقول لنا: إن زاد المستقنع أحسن منه وأكثر مسائل.

وبالنسبة للحديث: فإن كان عند الإنسان قوة ونشاط فـ (بلوغ المرام)، وإن كان دون ذلك فـ (عمدة الأحكام).

وأما الأصول فلا أدري هل يقصد بالأصول: أصول الدين، أم يقصد أصول الفقه؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

فأما أصول الدين كتوحيد العبادة وما يتعلق بها: (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وفي العقيدة: (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنها عقيدة مختصرة لكنها شاملة مباركة، ومن خير ما قرأت في علم العقائد.

أما إذا كان يريد أصول الفقه: فعند الطلاب كتاب مقرر في أصول الفقه، ولا أستطيع أن أثني على كتاب معين؛ لأنه مع الأسف الشديد قد دخل في أصول الفقه شيء كثير من كلام المتكلمين وأفسد هذه الأصول، تجدون ذلك في بحوث العام والخاص والناسخ والمنسوخ والقياس والعلل وما أشبه ذلك.

أما المصطلح فمن خير ما كتب: (نخبة الفكر) لابن حجر رحمه الله، وهو كتاب مختصر لكنه كما قال رحمه الله (نخبة) يعني: غالب ما يحتاج إليه الإنسان في المصطلح موجود في هذا الكتاب، وهو عبارة عن ورقتين أو خمس صفحات.

أما اللغة العربية فمن أجل الاختصار وعدم التشتت أنصح بحفظ (ألفية ابن مالك)؛ لأنها خلاصة علم النحو، وهي جامعة لما يحتاجه الإنسان بل أكثر من ذلك.

أما الأدب فلا أعلم كتاباً معيناً؛ لأن دراستنا في الأدب العربي قليلة جداً، أما في التاريخ فهناك كتابان: الأول: (زاد المعاد) لابن القيم، وهو يجمع بين التاريخ والفقه.

والثاني: كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، أما ما عدا ذلك

كالطب والحساب والهندسة والجغرافيا فلست من أصحاب هؤلاء.

سؤال: سماحة الشيخ: كيف نوفق بين طلب العلم والجامعة؟

الجواب: الجامعة بيت علم وفيها خير كثير، وطلب العلم لا يعارض الحضور إلى دروس الجامعة؛ لأن وراء الإنسان وقتاً طويلاً، كآخر النهار، وأول الليل، والإجازات، والخميس، والجمعة، فالإنسان الحريص يستطيع أن يجمع بين هذا وهذا.

وأما من أراد أن يأتيه العلم وهو على فراشه؛ فهذا كالذي أراد أن تبقى الجمرة في وسط الماء، فالعلم لا بد أن تحرص عليه.

وقد قال بعضهم: إذا أعطيت العلم كلك أدركت بعضه، وإن أعطيته بعضك فاتك كله، فالعلم يحتاج إلى حرص ودراية وتعب، ووالله إن ثمراته لعظيمة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١].

سؤال: سماحة الشيخ: إنَّ على طالب العلم حقوقاً تجاه وُلاة أمره من علماء وأمراء، فما الحقوق التي ينبغي على طالب العلم التحلِّي بها تجاههم؟

الجواب: إن النبي ﷺ بيَّن ذلك فقال: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة» ثلاث مرات، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٢٦)، والنسائي (٤١٩٩) من حديث أبي هريرة.

فبدأ بأئمة المسلمين، وأئمة المسلمين يشمل كل من اتخذه المسلمون إماماً وقدوةً.

فيشمل الإمامة الكبرى والصغرى.

ويشمل إمامة الإمرة، وإمامة التوجيه والعلم.

وعلى ذلك فسلطان البلاد الذي له الكلمة العليا فيها، يُعتبر وليّاً.

والعلماء يعتبرون ولاة، ولهذا قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩] إنها شاملة للعلماء والأمراء.

وعلى هذا هل يكون إمام المسجد من أئمة المسلمين أم لا؟

الجواب: نعم من أئمة المسلمين، وكذلك عميد الكلية يُعتبر من أئمة المسلمين؛ لأن الإمام كل من اتخذه الناس قدوة يأتمون به فيشمل الإمامة الكبرى وما دونها، وهذا يشبه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته»[(١)].

وعامة المسلمين هم الذين ليس لك ولاية عليهم، وليس لهم ولاية عليك.

لذلك فإنَّ علينا تجاه ولاة أمورنا من الأمراء السمع والطاعة، إلاَّ إذا أمروا بمعصية الله فلا سمع لهم ولا طاعة فيما أمروا به.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر.

وعلينا السمع والطاعة فيما أمروا به إذا لم يكن معصية، وإن كانوا هم يعصون الله؛ لأن معصيتهم عليهم وطاعتنا إياهم علينا، فعليهم ما حملوا وعلينا ما حمّلنا.

ولا يمكن أن نقول إنَّ جميع أوامر ولاة الأمور على الطاعة دائماً.

ولو أنّا قلنا إنَّ هذا واجب؛ لفات هذا المقصود منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّ خلفاء المسلمين فيهم من يعصي الله، وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن نسمع ونطيع حتى قال: «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» فعليك السمع والطاعة.

وعلينا أيضاً أن نكف عن مساوئهم وألَّا نشيعها ونذيعها؛ لأنَّ إشاعتها وإذاعتها لا يفيد شيئاً، وإنما يَحْمِل القلوب على بغضهم وكراهتهم، ويحمل الألسنة على سبّهم وشتمهم، وليس معنى قولنا: أن نكف عن مساوئهم، ألا ننصحهم؛ بل الواجب أن ننصحهم وأن نبيِّن لهم ما وقعوا فيه من مخالفة، إمّا عن طريق مباشر إذا أمكننا ذلك، أو عن طريق قنوات توصل النصيحة إليهم.

أما العلماء فعلينا كذلك أن نجلهم وأن نحترمهم، وإذا أخطأوا فعلينا أيضاً أن نبيِّن خطأهم، لكن لا أن ننشر خطأهم بين الناس دون أن نناصحهم، فإذا بلغك عن عالم من العلماء أنه قال كلمة أنكرتها؛ فعليك أن تتخذ الإجراءات الآتية:

الأول: أن تتحقق من ثبوتها؛ لأننا نسمع عن كثير من العلماء أشياء لم يقولوا بها، فالواجب أن تتثبت أولاً.

ثانياً: إذا ثبت ذلك عندك؛ فالواجب أن تتأمل: هل ما نسب إليه خطأ؟ لأن الشيء قد يُظن خطأً في بادىء الأمر، وعند التأمل قد يكون صواباً.

ثالثاً: إذا ثبت عندك بعد التأمل أنه خطأ؛ فالواجب أن تتصل بذلك العالم وتقول: نقل عنك كذا وكذا، ولا أدري ما وجهه، لكن تقوله بتأدب وكأنك مسترشد لا معترض؛ لأنَّ النفوس قد يعتريها العزة بالإثم، فقد ينفر العالم إذا جاءه طالب علم صغير يناقشه ويجعل نفسه ندّاً له، أو يصوغ الكلام كأنه يعترض عليه، فربما لا يقبل.

لكن تأتيه باحترام فتقول: يا شيخ أحسن الله إليك، سمعت عنك كذا وكذا، وأجهل ما وجه ذلك، أفدني أفادك الله.

فإذا قال: قلت ذلك لكذا وكذا، تناقشه بهدوء، والواجب عليه أن يرجع للحق، والواجب عليك أن تقتنع إذا كان الحق معه.

هذا هو النصح حقيقة، أما أن يكون همّنا هو أن ننشر مساوىء ولاة أمورنا من الأمراء والعلماء، وألا نذكر عنهم حسنة واحدة، وأن نغض الطرف عن حسناتهم التي تغمر سيئاتهم، هذا ليس من العدل ولا من المصلحة للأمة.

سؤال: سماحة الشيخ: أنا دائم التفكير بأمور الغيب حتى إنها تصل إلى الشرك بالله عز وجل، فما هو العمل تجاه هذا الفعل؟

الجواب: العمل تجاه هذا الفعل أجمله الرسول ﷺ حينما شكى إليه الصحابة ما يجدون في نفوسهم من الأمور الحرجة التي قالوا عنها:

إنهم يحبون أن يحترقوا، أو أن يخرّوا من السماء ولا يتكلموا بها، في كلمتين حيث قال: «فليستعذ بالله ولينتهِ»[1].

كلمتان إحداهما: فيما لا يمكنك.

والثانية: فيما يمكنك.

ما هي الكلمة التي فيما لا يمكنك؟ الاستعاذة بالله.

والأخرى التي فيما يمكنك: هي الانتهاء، والإعراض، يعني: أعرض عن هذا ولا يهمك، واتجه إلى عملك، وتلهّى عنه.

وإذا سلكت هذين الطريقين فإنك تسلم من شر ما تجده في نفسك، وهذا شيء مجرب، كم من أناس ولا سيما الشباب الملتزم يعانون من هذا، فإذا بلغهم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام وعملوا به حَصَّلوا خيراً كثيراً.

وأنا أقول لكم: إنَّ الإنسان إذا أعرض عن الشيء ولم يلتفت إليه؛ لم يحس به.

وأضرب لكم مثلاً محسوساً: الحمّالون الذين يُحَمِّلون البضائع على السيارات وينزلونها أحياناً يقع عليهم شيء مما يحملون فيدمي أرجلهم، فما داموا يحمِّلون وهم لاهون عن هذا لا يحسون به، فربما يسيل الدم ولا يحسون، فإذا انتهى العمل أحسوا بالألم، مع أن الألم موجود من قبل، لكن لما كانوا لاهين عنه لم يحسوا به.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) من حديث أبي هريرة.

هكذا أيضاً وساوس القلب إذ لهوت عنها ولم تعبأ بها مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ عافاك الله منها.

شيء آخر أيضاً يبتلى به الحريصون على تكميل العبادة، فدائماً ما يشكو بعض الناس من أنه يحس أنه خرج منه بول، ويقول: أحس ببرودة على رأس الذكر، فأذهب وأفتش، حتى إن بعضهم يقول: إنه يعصر ذكره، وهذا غلط عظيم، لكن ما هو الواجب نحو هذا؟

الواجب ما أرشد إليه أئمة المسلمين، حيث سُئل الإمام أحمد عن هذه المسألة، فقال: تَلَهَّ عنه، يعني: تغافل عنه، ولا تفتش أبداً، الْهُ عنه.

فمثلاً أنت ذاهب إلى المسجد فأحسست ببرودة، فعليك أن تغافل عنها ولا تذهب تفتش، وكل إنسان يعرف أنه إذا ذهب يفتش على محل الخارج ولا سيَّما إذا عصره لا بدَّ أن يخرج شيء.

لذلك فإنَّ الطريقة المثلى إلى التخلص من هذه الوساوس هو الإعراض عنها مع الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

سـؤال: من رأى طلاباً يغشون هل يسعه السكوت عن ذلك؟ وما الواجب عليه تجاههم؟

الجواب: الواجب على من رأى طلاباً يغشون أن يبلغ عنهم؛ لأن هذا من النصيحة لهم أولاً، وللجهة التي يتبعونها ثانياً، فنحن لا نريد أن يخرج من هذه الجامعة طالب بغير نتيجة حقيقية، فالواجب نصحاً لهذا الطالب أن يبلغ عنه وألا يمكنه من الغش.

قد يقول قائل: أخشى أن يؤذونني.

فنقول له: هذا في سبيل الله، وهم إذا آذوك فقد أخطأوا خطأً كبيراً؛ لأن الرسول ﷺ جعل منع الظالم من ظلمه نصراً له، فقال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فقال: يا رسول الله هذا المظلوم، فكيف الظالم؟ قال: «تمنعه من ظلمه»(١) والغش لا شك أنه ظلم.

ولكن قيل لي ــ والله أعلم ــ إن بعض الطلبة إذا انتهوا من الإجابة خرجوا وتجمعوا على الباب، ثم صاروا يتكلَّمون بالإجابات بصوت عالٍ من أجل أن يسمع زملاؤهم، وهذا أيضاً حرام لا يجوز؛ لأنه خيانة للأمانة، ولا يجوز أن يفعلوه.

بقي أن نسأل هؤلاء الذين سمعوا: هل يجوز أن يكتبوا ما سمعوا؟ هل نقول: هذا رزق ساقه الله إليهم بدون تعب؟ أو نقول: يجب ألا يعملوا به، وأن يصموا آذانهم، وأن يمسكوا بأقلامهم؟

الجواب: ربما نقول: إن هذا رزق، لكن يجب عليهم إذا سمعوا أن يقولوا: يا إخوان ابتعدوا، حتى يبتعدوا، أو ينبهوا المراقب ويبعدهم.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الحقد والحسد، وهل هو أنواع؟ نرجو إيضاح ذلك؟

الجواب: الحقد والحسد خلقان ذميمان، والحسد من صفات اليهود كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) من حديث أنس.

بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: الآية ٥٤].

ثم إن الحسد لا يفيد في منع فضل الله عز وجل، بل لا يزيد صاحبه إلاَّ حرارة في قلبه، وندماً وحسرة على كل ما يعطي الله تعالى غيره من فضله.

فأشد الناس حسرة: الحاسد، والغالب أن الحاسد ولا سيما إذا اعتدى على المحسود، أنه لا يوفق، ولهذا من العبارات الهامة ما قيل: إنَّ الحاسد محسود.

لكن كيف يعتدي الحاسد على المحسود؟

يعتدي عليه بأن يذكر مثالبه ويستر مناقبه، وإذا ذكر عنده صاحب المال مثلاً الذي أعطاه الله المال، وصار ينفقه في سبيل الله، قال: والله هذا رجل كريم ينفق في طاعة الله، لكن معاملته فيها ما فيها، مع العلم أنَّ معاملته ليس فيها شيء ولكن ذلك؛ حتى يثني الناس عليه.

وإذا أثنى على عالم قال: والله هذا عالم طيب يحب الخير وينشر العلم، لكنه والله قال قولاً عجيباً يستغرب منه، فهذا أيضاً نوع من الحسد.

فنصيحتي لإخواني أن يكفوا عن الحسد، وإذا حسدوا فلا يبغوا، وليعلموا أن الفضل فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد أرشد الله تعالى من رأى نعمة على غيره إلى ما هو خير، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٢] فيا أخي اسأل الذي أعطاه أن يعطيك مثله.

ولقد سمعنا في وقت الطلب أن رجلاً كان يطوف بالكعبة ويقول: اللهم إني أسألك نحواً كنحو ابن هشام وفقهاً كفقه شيخ الإسلام، فأنت اسأل الله عز وجل من فضله، والذي أعطى غيرك سيعطيك.

أما الحقد ـ والعياذ بالله ـ والبغضاء والكراهة فيجب على المسلم أن يبرىء قلبه منها بالنسبة لإخوانه المسلمين، وليعف وليصفح وليجعل نبراسه قول الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٩٩].

فهذه ثلاث أوامر: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٩٩] يعني: اعف عن الناس، أو: خذ العفو أي ما عفا من أخلاقهم وسهل منها وتيسَّر، ولا تكلفهم أن يعاملوك بما تريد، من أراد أن يعامله الناس بما يريد فقد أضل السبيل؛ لأنَّ هذا لا يمكن.

الأمر الثاني: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٩٩] أي: إذا رأيت أحداً مقصراً فمره بما يجب عليه.

الأمر الثالث: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٩٩] أي: لا بدَّ أن تجد جاهلاً يجهل ويتكلَّم عليك، فأعرض عنه وكن من عباد الله الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

سؤال: سماحة الشيخ: شركة كبيرة اندمج معها شركات صغيرة وأصبحت الكبيرة واجهة لها وغطاء، فهل لا بد من حصر مال كل شركة مستقلة من أجل الزكاة؟ أم يكفي أن نعرف الحساب الختامي للمال كله؟

الجواب: الظاهر أنه إذا كانت الشركة الكبيرة تخرج الزكاة عن كل ما تحت يدها من مالها الخاص، والمال المشترك بين الشركات الصغيرة، وكانت الثقة مأمونة هنا يكفي، ويكون أداء الشركة الكبيرة للزكاة عن طريق الوكالة إما بالنطق بأن توكل الشركات هذه الشركة الكبيرة بأداء الزكاة، وإما بالعرف بين الناس.

والمعلوم عندي أنا أن الحكومة تأخذ الزكوات مما دوّن عندها وتتولى ذلك، فإذا أخذت الحكومة الزكاة كاملة فما وصلها فإنه تبرأ به الذمة، وإذا أخذت أقل من الواقع، فالواجب على الإنسان أن يؤدي البقية.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الصلاة خلف مرتكب المعصية مثل إسبال الثوب وحلق اللحية؟ وإذا صليت خلفه فهل صلاتي صحيحة؟ وإذا كانت لا فماذا أفعل؟

الجواب: الصلاة خلف أصحاب المعاصي صحيحة، معاصيهم على أنفسهم وصلاتك لك، سواء كان ذلك بإسبال الثوب أو بحلق اللحية أو بشرب الدخان أو بغير ذلك من المعاصي؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون خلف الحجاج بن يوسف الثقفي مع أن فسقه معلوم لا يخفى، ولكن عند ابتداء الصلاة احرص على أن يكون الإمام غير

فاسق، أما إذا جئت وهو قد تقدم في الصلاة فصل وراءه وصلاتك صحيحة.

ولكن بعض الأئمة يسرع إسراعاً لا يتمكن معه المصلي من أداء الأركان، فمثل هذا إذا أحسست به فلا تصل معه حتى لو دخلت معه وركع ورفع وعرفت أنك لن تدرك الأركان معه؛ وجب عليك أن تنوي الانفراد عنه وتصلي صلاة تطمئن فيها.

سـؤال: سماحة الشيخ: بعض المدرسين يحسبوننا علماء، فيقولون عبارات صعبة الفهم، وهم لا يعلمون أننا في العام الماضي في المرحلة الثانوية، أريد التوجيه في هذا؟

الجواب: الأستاذ في الحقيقة يجب أن يكون عالماً ربانيّاً، وهو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، ويجب أن يلاحظ حال الطلاب الذين أمامه فالطلاب الصغار لهم حال، والطلاب الكبار لهم حال.

والواجب على المدرسين في المستوى الأول أن يراعوا حال الطلبة، وأن يأتوا بالعبارات التي يفهمونها؛ لأن المقصود فهم الطالب، هذا الذي أراه. ولكن قد يقول: أنا أستاذ، فكيف أُعَلِّم أنَّ الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب، وما أشبه ذلك؟ فنقول: نعم عَلِّم هذا؛ لأنَّ العبرة بمن تخاطب لا بما في نفسك.

فنصيحتي للأساتذة أن يراعوا حال الطلبة وأن يعلموهم على قدر ما يفهمون.

سؤال: سماحة الشيخ: كيف يكون طلبنا للعلم نحن طلاب كلية العلوم العربية والاجتماعية شرعيّاً؟

الجواب: أومأنا إلى الجواب عن هذا السؤال، فيما تقدَّم وطلاب العلوم العربية يستعينون على فهمها بفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة؛ لأنَّ كل ذلك باللغة العربية، وبهذا يكون طلبهم للعلوم العربية طلباً شرعيّاً، فهو من باب (الوسائل التي لها أحكام المقاصد).

والعلوم الاجتماعية أيضاً تشمل عدة أنواع من العلوم الشرعية، كلها إذا قصد بها الإنسان خيراً صارت شرعية.

وإني أسأل: رجل متزوج ينفق على زوجته، إن منعها طالبته الطلاق، وإن أنفق عليها سكت، هل يكون إنفاقه عليها قربة وطاعة؟

الجواب: نعم لكن إذا ابتغى به وجه الله، قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «واعلم أنك لا تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاَّ أجرت عليها حتى ما تجعله في فِي امرأتك»[1].

قوله: (في فِي امرأتك): فالثاني ليست توكيداً للأولى.

وفي قصة لابنة أبي الأسود الدؤلي أو لغيرها حيث كان معها قربة تحملها فصاحت تقول: يا أبت غلبني فوها، يا أبت أدرك فاها، يا أبت ما لي طاقة بفيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦) وراجع أطرافه هناك، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص.

على كل حال أنا قصدي بهذا الحديث أن كل شيء تبتغي به وجه الله فأنت مأجور عليه، حتى ما تجعله في فم امرأتك، الذي إذا لم تفعله فربما تطلب الطلاق والفراق.



بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة السابعة)

فيسرّنا في هذه الليلة، ليلة الاثنين الثالث عشر من شهر ذي القعدة أن نلتقي بأبنائنا طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو اللقاء المسمى (اللقاء الشهري)، الموقوت أوّلاً، سيكون موضوع هذا اللقاء (الحج)، فنتكلَّم عن حكم الحج، ومتى فرض؟ وشروط وجوبه، ثم صفته، ثم ما يترتب على الإحرام، من أحكام.

حكم الحج

أما وجوب الحج فإنه لا يخفى علينا جميعاً، أنه أحد أركان الإسلام، وفرضه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، ولهذا قال أهل العلم: من كان قد عاش في بلاد الإسلام، وأنكر وجوب الحج فهو كافر؛ لأنه أنكر شيئاً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام، وإن تركه تهاوناً مع الإقرار بأنه فرض فقد ذهب بعض العلماء إلى كفره، واستدل بظاهر قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩٧].

وبالأثر المروي عن عمر رضي الله عنه: (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فمن وجدوه ذا سعة ولم يحج فليأخذوا منهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين)[1].

لكن جمهور العلماء على أن من تركه كسلاً وتهاوناً، فإنه لا يكفر.

ولكن هل يُقضى عنه إذا مات؟

فجمهور العلماء على أنه يقضى عنه إذا مات؟

لكن ابن القيم رحمه الله، أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية البارزين، إلى أنه لا يُقضى عنه، ما دام تركه تهاوناً بلا عذر؛ لأن ذلك لا ينفعه، إذ أنه أصر على تركه، وما قوله ببعيد من الصواب رحمه الله.

متى فرض الحج؟

وأما متى فرض؟

فالصحيح أنه فرض بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩٧]، وهذه الآية نزلت عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، والنبي ﷺ لم يحج تلك السنة؛ إمّا لأنَّ فيها حجاجاً من المشركين فلا يجوز أن يجتمع معه في حجه مشرك.

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٧) ـ وانظر: نصب الراية (٤/ ٤١١).

أو لأنه كان مشغولاً بالوفود الذين يفدون إلى المدينة لتعلُّم دينهم؛ لأنَّ مصلحة استقبالهم وتعليمهم تفوت إذا حج.

أو لبيان أنَّ إمامة المسلمين في غيابه تكون لأبي بكر رضي الله عنه كما كان إمامهم في الصلاة حين مرض النبي ﷺ[1].

أو لأنَّ الحج ليس واجباً على الفور كما قيل به وهو ضعيف.

ويحتمل أن فرضه كان في أوَّل السَّنة العاشرة؛ لأن حجه ﷺ كان في آخرها، وعلى هذا الاحتمال تزول الاحتمالات الواردة على كونه فرض سنة تسع.

شروط وجوب الحج

وأما شروط وجوبه فهي الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران: الآية ٩٧]، والكلام على هذه الشروط مبسوط في كتب الفقه[2].

صفة الحج

وأما صفة الحج: فالأنساك ثلاثة، الإفراد والقِران والتمتع:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤) وهو في (١٩٨) وانظر أطرافه هناك، ومسلم (٤١٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) وقد بسط القول فيها سماحة شيخنا حفظه الله في كتاب «الشرح الممتع على زاد المستقنع» المجلَّد السابع، فليراجع.

فأما الإفراد فإن يُحرِم بالحج مفرِداً، من الميقات، ولا يحل إلاَّ يوم العيد.

وأما القِران فأن يحرم بالعمرة والحج جميعاً من الميقات، أو يحرم بالعمرة أولاً ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها، ولا يحل إلاَّ يوم العيد، وفعل القارن والمفرد سواء، لا يختلفان في شيء إلاَّ أن القارن يحصل له نسكان في سفر واحد، وعليه هدي كهدي المتمتع.

وأما التمتع فهو أن يحرم بالعمرة من الميقات في أشهر الحج، ويفرغ منها، ويحل إحلالاً تاماً، ثم يحرم بالحج في عامه.

وهذه الأنساك الثلاثة أفضلها أن يكون متمتعاً؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أمر أصحابه بذلك(١).

ولأنه يحصل له نسكان تامان.

ولأنه يهدي هدياً يتقرب به إلى الله.

ولأنه يحصل له متعة بما أحل الله له مما يحرم عليه حال الإحرام من إحلاله من العمرة إلى إحرامه بالحج، ولا شك أن هذا تيسير، والدين مبني على اليسر والسهولة والحمد لله.

وينبغي عند الإحرام أن يغتسل كما يغتسل للجنابة، ثم يتطيب

---

(١) ورد ذلك في حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، وهو في صحيح مسلم (١٢١٨).

بأطيب ما يجد في رأسه ولحيته، ثم يلبس الرجل إزاراً ورداءً أبيضين، غير مطيبين، أما المرأة فتلبس ما شاءت من الثياب؛ لأنه ليس لإحرامها ثياب خاصة.

ثم يلبي المتمتع يقول: لبَّيك عمرة، ولا حاجة أن يقول: متمتعاً بها إلى الحج؛ لأن النية كافية.

والمفرد: يقول لبيك حجّاً.

والقارن: يقول لبيك عمرة وحجّاً.

ثم لا يزال يلبِّي بتلبية النبي ﷺ: (لبَّيك اللّهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)[1]، يرفع الرجل صوته بذلك، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يصرخون بذلك صُراخاً، ويستمر بالتلبية الدوام.

فإن كان متمتعاً قطع التلبية إذا شرع في الطواف.

وإن كان قارناً أو مفرداً استمر في التلبية إلى أن يرمي جمرة العقبة يوم العيد.

فإذا وصل البيت طاف بالبيت ويسمى هذا الطواف: طواف القدوم، فإن كان من متمتع فهو ركن العمرة.

وإن كان من قارن أو مفرد، فهو سنة، فيطوف سبعة أشواط.

وللرجل في هذا الطواف سنتان:

---

(١) جزء من حديث جابر السابق.

الأولى: الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى.

والثانية: الاضطباع: وذلك بأن يجعل وسط ردائه تحت إبطه الأيمن، وطرفيه على كتفه الأيسر.

فإذا أتم سبعة أشواط، صلَّى ركعتين خلف مقام إبراهيم، يقرأ في الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [سورة الكافرون: الآية ١]، بعد الفاتحة، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١]، ثم يرجع إلى الركن، أي إلى الحجر الأسود فيستلمه، إن تيسر، وإلاَّ مضى إلى المسعى.

فإذا دنا من الصفا قرأ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٨]، ثم يصعد على الصفا ويستقبل القبلة، ويرفع يديه يدعو الله عز وجل ويكبِّر ويهلل، يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلاَّ الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

ثم يدعو ثم يعيد الذكر مرة ثانية، ثم يدعو، ثم يعيد الذكر مرة ثالثة، ثم ينزل متجهاً إلى المروة، يمشي مشياً عاديّاً، حتى يصل إلى العَلم الأول(١)، فيسعى سعياً شديداً، أي يركض وهذا خاص بالرجل ــ أما المرأة فتمشي مشياً عادياً في كل السعي ــ إلى أن يصل إلى العلم

---

(١) أي: العمود الأخضر.

الآخر، فيترك الركض ويمشي مشياً عاديّاً كحاله قبل وصول العلم الأول.

ثم يرقى المروة ويعمل كما عمل في الصفا.

فإذا أتم سبعة أشواط، من الصفا إلى المروة شوط، والعودة شوط آخر، ــ وحينئذٍ يكون ــ ابتداؤه بالصفا وانتهاؤه بالمروة، قصَّر رأسه إن كان متمتعاً وحل التحلل كله.

وإلَّا لم يقصر وبقي على إحرامه إن كان مفرداً أو قارناً.

وفي اليوم الثامن يحرم المتمتع من جديد بالحج ويفعل عند إحرامه كما فعل عند إحرامه في العُمرة.

أما القارن والمفرد فإنهما ما زالا على إحرامهما، ثم يخرج الحجيج من مكة إلى منى ليصلوا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصراً بلا جمع.

فإذا طلعت الشمس (من اليوم التاسع)، سار الحجاج إلى عرفة، فإن تيسر لهم النزول في نمرة إلى زوال الشمس، فهذا أفضل، وإن لم يتيسر فالأمر واسع، يذهبون إلى عرفة للوقوف بها يصلون بها الظهر والعصر جمعاً وقصراً، والجمع هنا جمع تقديم، ثم يتفرَّغون، لدعاء الله عز وجل وذكره، والتقرب إليه بقراءة القرآن، وغير ذلك مما يوجب حضور القلب وخشوعه، إلى أن تغرب الشمس.

ثم ينصرفون من عرفة إلى مزدلفة ليصلوا بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً في العشاء.

ثم يبيتون إلى أن يصلوا الفجر، وبعد ذلك يتفرغون للدعاء حتى يسفروا جداً، أي إسفاراً بالغاً فيدفعون من مزدلفة إلى منى وهم يُلبون حتى يصلوا جمرة العقبة.

وأول ما يبدؤون به في منى رمي جمرة العقبة، يرمونها بسبع حصيات متعاقبات، يقولون مع كل حصاة: الله أكبر.

ثم بعد ذلك ينحرون الهدي، وهو واجب على القارن والمتمتع، وسنة في حق المفرد.

ثم يحصل بذلك التحلُّل من الإحرام، وهو التحلُّل الأول، ويكون من جميع المحظورات، إلاَّ من النساء.

وبعد ذلك الطواف بالبيت، ويسمَّى هذا الطواف: طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج، ثم السعي بين الصفا والمروة. وهو ركن أيضاً، وبهذا يحصل التحلُّل الثاني، فيحل كل شيء حُرِّم على الإنسان بإحرامه حتى النساء. وبهذا نعرف أن الحجاج بعد الدفع من مزدلفة والوصول إلى منى يفعلون خمسة أنساك، مرتبة:

الأول: رمي جمرة العقبة.

الثاني: النحر.

الثالث: الحلق أو التقصير والحلق أفضل.

والرابع: الطواف بالبيت.

والخامس: السعي بين الصفا والمروة. وترتيبها على هذا النحو أفضل، فإن قدم بعضها على بعض فلا حرج؛ لأن النبي ﷺ كان يُسأل

في ذلك اليوم عن التقديم والتأخير، فما سُئل عن شيء قدم ولا أخر إلاَّ قال: «افعل ولا حرج»[1].

ثم يرجع الحجاج[2] ليبيتوا بمنى ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر.

ثم من شاء تعجل، ومن شاء تأخر إلى اليوم الثالث عشر.

وفي هذه الأيام الثلاثة يرمون الجمرات بعد زوال الشمس، فيبدأون بالأولى وهي أبعد الجمرات عن مكة يرمونها بسبع حصيات، ثم يقفون قليلاً مستقبلي القبلة، رافعي أيديهم يدعون الله عز وجل دعاء طويلاً كما جاء في الحديث عن النبـي ﷺ[3].

ثم الوسطى، ويقفون بعدها أيضاً للدعاء. ثم جمرة العقبة ولا يقفون بعدها، يفعلون هذا في كل يوم من أيام التشريق، ثم يكون قد انتهى الحج.

وإذا أراد الإنسان الخروج إلى أهله فلا بدَّ أن يطوف طواف الوداع؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: (أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلاَّ أنه خفف عن الحائض)[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) قال في القاموس ص ٢٣٤: (وهو حاج وحاجج جمعه حجاج وحجيج وحُجٌّ).
وانظر: مختار الصحاح ص ١٦٢.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥١) من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (١٣٢٨).

وهنا ترد أسئلة على هذه الصفة:

السؤال الأول: لو لم يَبت الحاج في منى قبل يوم عرفة فهل يأثم؟

الجواب: لا، لا يأثم، ودليل ذلك أن عروة بن مضرس رضي الله عنه وافى النبي ﷺ في صلاة الفجر في مزدلفة، وأخبره أنه ما ترك جبلاً إلاَّ وقف عنده، فقال له النبي ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تمَّ حجه وقضى تفثه»[1]، ولم يذكر المبيت بمنى، ولو كان واجباً لبينه الرسول عليه الصلاة والسلام.

السؤال الثاني: لو أنه خرج من مكة إلى عرفة مباشرة فهل يجوز هذا؟

الجواب: نعم يجوز؛ لما ذكرنا من حديث عروة بن مضرس رضي الله عنه.

السؤال الثالث: لو خرج من عرفة قبل أن تغرب الشمس فهل يجوز؟

الجواب: لا يجوز؛ وذلك لأن النبي ﷺ أخَّر الدفع من عرفة إلى غروب الشمس، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم»[2].

وبقي إشكال في حديث عروة بن مضرس وهو أن النبي ﷺ قال له: «من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٥٠) وغيره من حديث عروة بن مضرس.

(٢) أما تأخيره ﷺ الدفع من عرفة إلى غروب الشمس فهو ثابت من حديث جابر الذي تقدم ص ٢٢٨. وقوله: «خذوا عني مناسككم». فأخرجه مسلم في صحيحه من طريق آخر عن جابر (١٢٩٧).

بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تمَّ حجه وقضى تفثه»[1].

فإن من العلماء من قال: هذا يدل على أن من وقف بعرفة ودفع منها قبل الغروب فلا شيء عليه؛ لقوله ﷺ: «فقد تمَّ حجّه».

ولكن عند التأمل لا دليل فيه على ما قالوا؛ لأننا لو أخذنا بظاهره لقلنا: إنه تم الحج، وليس عليه طواف ولا سعي بعد ذلك، ومن المعلوم أنه لا بدَّ أن يطوف بالإجماع.

فيكون المراد بقوله: «فقد تمَّ حجّه» باعتبار المسألة التي أشكلت على عروة، وهي الوقوف بعرفة، هل قضاه أو لم يقضه؟

ثم يقال أيضاً: لو دفع قبل الغروب لكان مشابهاً لأهل الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يدفعون قبل غروب الشمس، ومن المعلوم أن التشبه بالكفار ولا سيما في العبادات التي نسخها الشارع حرام.

ثم نقول: لو كان الدفع قبل الغروب جائزاً لكان النبي ﷺ أول وأولى من يفعله؛ لأن الدفع في النهار أهون على الناس من الدفع في الليل، فلمَّا أخَّر النبي عليه الصلاة والسلام الدفع إلى الليل علم أنه ليس سائغاً أن يدفع الإنسان قبل غروب الشمس.

السؤال الرابع: لو دفع من مزدلفة قبل أن يُصلي الفجر فهل هو جائز؟

الجواب: رخص النبي ﷺ للضعفة وللنساء بالدفع قبل الفجر[2]، ولكن ليس هذا مقيداً بمنتصف الليل، بل هو مقيد بآخر الليل، وكانت أسماء

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٥٠) وغيره من حديث عروة بن مضرس.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣١٤٩) من حديث ابن عباس.

بنت أبـي بكر رضي الله عنهما تنتظر غروب القمر فإذا غرب دفعت من مزدلفة إلى منى قبل الفجر[1].

السؤال الخامس: إذا وصل ـ من يجوز له الدفع من مزدلفة قبل الفجر ـ إلى منى قبل الفجر، فهل يرمي أو ينتظر حتى تطلع الشمس؟

الجواب: بل يرمي متى وصل وإن لم تطلع الشمس؛ لأن الفائدة من الرخصة أن يرمي قبل زحمة الناس.

وإلاَّ فما الفائدة أن نقول: اذهب إلى منى قبل الفجر، وانتظر حتى تطلع الشمس؛ لأنه إذا انتظر حتى طلوع الشمس فمن الجائز أن الناس يلحقون به ويحصل الزحام الذي رخص بالدفع قبل الفجر من أجله، ثم إن الصحابة رضي الله عنهم الذين تقدموا كانوا يرمون مع الفجر، أو قرب الفجر.

فالصحيح أنه يرمي إذا وصل إلى منى ولو قبل الفجر.

وأما حديث ابن عباس أن النبـي ﷺ بعثه في الضعفة من أهله وجعل يضرب أفخاذهم ويقول: «أبَيَّ لا ترموا حتى تطلع الشمس»[2] فإن فيه ضعفاً كما بينه أهل العلم.

السؤال السادس: ما أنساك يوم العيد؟

الجواب: أنساكُ يوم العيد بعد الدفع من مزدلفة **خمسة**: الرمي، ثم

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٦٤)، والترمذي (٨٩٣).

النحر، ثم الحلق أو التقصير، ثم الطواف، ثم السعي. فلو قدم بعضها على بعض فلا حرج.

يعني: لو ذهب من مزدلفة رأساً إلى مكة وطاف وسعى فلا حرج، ولو وصل إلى منى ورمى ثم نزل إلى مكة وطاف وسعى قبل أن ينحر ويحلق فلا حرج، ولو وصل إلى مكة ووجد المطاف مزدحماً والمسعى خفيفاً فسعى قبل الطواف فلا حرج.

السؤال السابع: لو أخر طواف الإفاضة حتى نزل من منى أيجوز؟

الجواب: نعم يجوز؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٧]، وأشهر الحج ثلاثة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، فله أن يؤخر طواف الإفاضة إلى آخر يوم من ذي الحجة.

وإذا كان هناك عذر كما لو نفست المرأة قبل أن تطوف طواف الإفاضة ولم تطهر إلاَّ في محرم: فلا بأس أن تطوف ولو بعد انقضاء شهر ذي الحجة؛ لأنها أخرت الطواف عن أشهر الحج لعذر.

السؤال الثامن: لو أن الإنسان نزل ضحى اليوم الثاني عشر إلى مكة قبل أن يرمي الجمرات، ثم طاف للوداع، ثم رجع ورمى بعد الزوال وسافر، أيجزىء عنه طواف الوداع؟

الجواب: لا يجزىء؛ لقول النبي ﷺ: «لا يَنْفِرَنَّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت»[1] وهذا لم يكن آخر عهده بالبيت، بل كان آخر عهده بالرمي، فلا يجزؤه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧) من حديث ابن عباس.

السؤال التاسع: لو أخر طواف الإفاضة إلى وقت سفره فطاف عند الخروج بنية طواف الإفاضة فهل يجزئه عن طواف الوداع؟

الجواب: نعم يجزئه وهذه المسألة لها ثلاث صور:

الصورة الأولى: أن ينوي طواف الإفاضة فقط ويغيب عن ذهنه طواف الوداع، فيجزئه طواف الإفاضة عن طواف الوداع.

ونظير ذلك لو دخل المسجد وصلى الفريضة دون أن تطرأ على ذهنه تحية المسجد أجزأته الفريضة عنها.

الصورة الثانية: نوى طواف الوداع فقط، ونسي طواف الإفاضة فلم ينوه، لم يجزئه طواف الوداع عن طواف الإفاضة؛ لأن طواف الإفاضة ركن، وطواف الوداع واجب، ولا يجزىء الواجب عن الركن.

الصورة الثالثة: نواهما جميعاً، أي نوى بهذا الطواف طواف الإفاضة وطواف الوداع، فيجزئه عنهما؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»(١).

السؤال العاشر: هدي التمتع والقِران متى يذبح؟ وأين يذبح؟

الجواب: يذبح في يوم العيد، إلى آخر يوم من أيام التشريق وهي ثلاثة وأيام بعد العيد، ويذبح في منى، أو في مكة، أو في مزدلفة، يذبح في أي جهة من جهات الحرم، لكن لا يذبح خارج الحرم.

وعلى هذا فمن ذبح هدي التمتع أو القِران في عرفة؛ فإنه

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

لا يجزئه؛ لأن هذا الدم يتعلق بالنسك، وإذا كان يتعلق بالنسك فلا بدَّ أن يكون في نفس الحرم، أي داخل حدود الحرم، قال النبي ﷺ: «نحرت هنا، ومنى كلها منحر»[1] وهنا خصَّ منى فقط بأنها كلها منحر، لكن جاء في الحديث «فجاج مكة طريق ومنحر»[2] يعني: جميع سبل مكة طريق ومنحر، أي: مكان للنحر.

ما يترتَّب على الإحرام من أحكام

وأما ما يترتب على الإحرام من أحكام:

فمنها: اجتناب محظورات الإحرام التي بينها الله عز وجل في القرآن، وبينتها السنة أيضاً.

الأول: الجماع في الفرج؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٧]، والرفث: هو الجماع، فيحرم على من أحرم بحج أو عمرة أن يجامع.

ومقدمات الجماع كالجماع في التحريم وإن كانت دونه في التغليظ وما يترتب عليها.

فالمباشرة بشهوة حرام على المحرم، والنظر لشهوة حرام على المحرم.

بل إن عقد النكاح حرام على المحرم؛ لأنه وسيلة إلى الجماع ومقدماته.

---

(١) جزء من حديث جابر الطويل. أخرجه مسلم (١٢١٨) وقد تقدم ص ٢٢٨.

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٣٧) من حديث جابر بن عبد الله.

فصار الجماع ومقدماته كلها حرام على المحرم، وفي الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «لا يَنكِح المحرِم، ولا يُنكِح ولا يخطب»(١).

الثاني: من محظورات الإحرام: حلق الرأس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٩٦].

الثالث: ما أجاب به النبي ﷺ، حين سئل: ما يلبس المحرم، فقال: «لا يلبس القميص، ولا السراويلات، ولا البرانس ولا العمائم ولا الخفاف»(٢)، هذه خمسة أشياء لا يلبسها الرجل المحرم وما كان بمعناها فهو مثلها؛ لأن الشريعة لا تفرق بين متماثلين.

الرابع من محظورات الإحرام: قتل الصيد؛ لقوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٥].

والصيد: كما قال العلماء رحمهم الله: إنه كل حيوان حلال بري متوحش أصلاً، فالحيوان الحرام ليس من الصيد، فلو قتل الإنسان وهو محرم ذئباً فلا شيء عليه، والبري ضده البحري، فصيد البحر كله حلال للمحرم كغيره؛ لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان بن عفان.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٤٢) وانظر أطرافه في رقم (١٣٤)، ومسلم (١١٧٧) من حديث ابن عمر.

والمتوحش ضده الأهلي الذي لا ينفر من الآدمي مثل الدجاج، فهذا حلال للمحرم وغيره.

الفدية المترتبة على هذه المحظورات

وتجب الفدية في ارتكاب أحد هذه المحظورات.

أما الصيد ففديته جزاءٌ مثلُ ما قتل من النعم.

والجماع قبل التحلل الأول في الحج يترتَّب عليه فساد الحج ووجوب إتمامه ووجوب قضائه من العام التالي، وفدية وهي بدنة تذبح وتوزع على الفقراء.

وأما حلق الرأس ففديته صيام أو صدقة أو نسك، وقد بين النبي ﷺ أن الصيام ثلاثة أيام، وأن الصدقة: إطعام ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، وأن الفدية ذبح شاة، تذبح وتوزع على الفقراء، وبقية المحظورات فديتها كفدية حلق الرأس على ما قاله الفقهاء.

النسيان والجهل والإكراه في فعل هذه المحظورات

وهذه المحظورات إذا فعلها جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه، لا إثم ولا فدية.

فلو أن الإنسان رمى صيداً، وهو محرم لكن لا يعلم أنه حرام عليه: فلا شيء عليه، لا إثم ولا فدية.

ولو أنه تطيَّب وهو محرم ـ والطيب من محظورات الإحرام ـ، ولكنه لا يدري أن الطيب حرام فلا شيء عليه، ولو تطيب ناسياً فلا إثم عليه، ولكن إذا ذكر يجب عليه أن يغسل الطيب.

ولو نسي سراويله بعد الإحرام ولم يذكر إلَّا بعد أن انتهى من نسكه فلا شيء عليه؛ لأنه ناسٍ.

قاعدة عامة في جميع المحظورات

وهذه القاعدة عامة في جميع المحظورات في الحج وغيره من العبادات، إذا فعلها الإنسان ناسياً أو جاهلاً، أو مكرهاً فلا شيء عليه؛ لقول الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]، فقال الله: قد فعلت[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٦].

وهي: فهذه القاعدة لم تؤخذ من كتاب فلان أو فلان، ولكن من كتاب رب العالمين أن جميع المحظورات، يعني: جميع المحرمات، إذا فعلها الإنسان ناسياً أو جاهلاً، أو مكرهاً، فليس عليه شيء، لا إثم ولا فدية، ولا كفارة.

لكن لو فعل المُحْرِمُ شيئاً من هذه المحظورات وهو يعلم أنه حرام، ولا يعلم أن عليه فدية: أيسقط عنه الإثم والفدية؟

الجواب: لا؛ لأنه انتهك المحظور عالماً بأنه محظور فلا عذر

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس.

له، ولهذا أوجب النبي ﷺ الكفارة على المجامع في نهار رمضان مع أنه كان جاهلاً بوجوب الكفارة[1].

الأسئلة التي عُرضت على الشيخ ليجيب عنها

سؤال: سماحة الشيخ حفظكم الله: لقد رميت في اليوم الثاني عشر قبل الزوال، في مكة؛ لأنني رميت على وقت الزوال في الرياض، أرجو منكم الحكم وإذا كان عليّ هدي، فهل يجوز أن أؤخّره حتى أجد المال؟

الجواب: إذا كنت فعلت هذا، مستفتياً أحد العلماء فلا شيء عليك؛ لأن بعض العلماء يقول بجواز الرمي قبل الزوال في اليوم الثاني عشر، لمن أراد التعجل.

وأما إذا كنت فعلت ذلك من عند نفسك تهاوناً فالمشهور عند العلماء رحمهم الله أن عليك الفدية، فدية تذبحها في مكة، وإن كان ليس عندك مال، فما عليك إلاّ أن تستغفر الله، وليس عليك صوم ولا إطعام.

سؤال: سماحة الشيخ: مسألة سَوق الهدي غير مفهومة جيِّداً، فهل هو أن يأخذ الذبيحة معه في سيارته أم كيف؟ وهل استصحاب قيمة الهدي معك يُعدّ سوقاً للهدي؛ لأنك ستشتري بطاقة الهدي هنالك في مكة من الشركة المختصة؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة.

الجواب: سَوق الهدي معناه: أن الإنسان يستتبع الهدي معه، وفي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ليس هناك سيارات حتى يُحمل الهدي في السيارة، فالحاج يسوقه معه، وفي عهدنا هذا لو كان عند الإنسان سيارة، وكان لها حوض وجعل الهدي في الحوض معه فقد ساق الهدي، لكن بدل أن نقول: ساقه، نقول: حمل الهدي، وأما من حمل الدراهم معه فليس ذلك سوقاً للهدي.

سؤال: سماحة الشيخ: يوجد أخوان يريدان الحج عن أبيهما المتوفى وهو مسقط فرضه في حياته، وهما كذلك، ويريدان إيقاعه في عام واحد؛ لأنهما أخوان ذكر وأنثى، والأنثى يتعذر حجّها بدون محرم، فهل يجوز ذلك؟

الجواب: يجوز أن يحج الابنان أو الابن والبنت، أو البنتان، عن أبيهما في عام واحد.

ولكن أقول: إنَّ الأَوْلى لنا أن نسترشد بما أرشد إليه النبي ﷺ بالنسبة للوالدين إذا ماتا، فإن النبي ﷺ أرشدنا إلى الدعاء لهما، فقال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[(١)]، فالذي ينبغي علينا أن نتبع هدي الرسول عليه الصلاة والسلام، ونحج لأنفسنا وندعو لآبائنا وأمهاتنا في الطواف والسعي، وفي عرفة، وفي مزدلفة، وفي ما بين الجمرتين الأولى والوسطى، وفي أيام التشريق، وفي مواطن الإجابة وفي غير

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة.

الحج أيضاً، هذا ما أنصح به إخواني.

ولست أقول: إنَّ الحج للوالدين غير جائز، هو جائز، لكن هل الأفضل أن نفعل ما هو جائز، أو أن نفعل ما أرشد إليه النبـي ﷺ.

سـؤال: فضيلة الشيخ: ما رأيك في كثير من الشبان القادرين على الحج لكنهم يعتذرون عن الحج بأعذار كالخوف من الزحام، وكالانشغال بالدراسة أو بأن في العمر بقية؟ أرجو نصح هؤلاء الإخوة؟

الجواب: ذكرت ثلاث علل:

العلة الأولى: قولك: إنَّ في العمر بقيَّة، فمن قال في عمر الإنسان بقية؟ نقول له: هل يعلم أحد أنه سيعيش بعد الساعة الحاضرة؟، ربما يخرج يتمشى ويحصل عليه حادث يموت بسببه، وربما يموت بغتة، إذاً هذه العلة باطلة.

العلة الثانية: الزحام فهل إذا ترك الحج هذه السنة خوفاً من الزحام لا يكون زحامة في السنة القادمة؟

الجواب: لا ندري، لكن بناءً على العادة المطردة: سيكون زحام وقد يكون أكثر.

العلة الثالثة: الدراسة، وهذه علة غير صحيحة؛ لأنه يمكن أن يحج في أربعة أيام أو خمسة، وهذه الأربعة الأيام ربما يقضيها في خروجه للبر مع زملائه.

فالواجب عليه أن يبادر إلى الحج ولا يتأخر.

سـؤال: سماحة الشيخ: في حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم، قال: (فكفانا الطواف الأول بين الصفا والمروة)[1]، ألا يدل على أنه يجزىء سعي واحد؟

الجواب: بهذا استدل شيخ الإسلام رحمه الله ومن قال بقوله: على أنَّ المتمتع يكفيه سعي واحد، وهو ما سعاه بعد طواف القدوم، كالقارن والمفرد.

لكن هناك تفصيل في حديث عائشة[2] وابن عباس[3] رضي الله عنهما الذي رواه البخاري وهو: أن على المتمتع سعيين وعلى المفرد والقارن سعياً واحداً.

وعلى هذا فيحمل حديث جابر على أن المراد في قوله: (كفانا)، يعني: القارنين والمفردين، جمعاً بين الأدلَّة، هذا من جهة الأثر.

أمّا من جهة النظر: فالمتمتع أفرد العمرة بنسك منفصل تماماً عن الحج فلا يجزىء سعيها عن سعي الحج، إذاً فلا بدَّ للمتمتع من سعيين كما أنه لا بدَّ له من طوافين.

أما القارن والمفرد فإذا سعيا مع طواف القدوم كفاهما عن السعي مع طواف الإفاضة.

---

(١) جزء من حديثه الطويل في صفة حجة النبي ﷺ تقدم ص ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٥٦)، ومسلم (١٢١١).

(٣) أخرجه البخاري (١٥٧٢).

سـؤال: ما هو ضابط الاستطاعة لا سيَّما لمثل حال الطلبة؟

الجواب: الاستطاعة إما بالبدن وإما بالمال، أما بالبدن: فأن يكون الإنسان صحيحاً يثبت على الراحلة: ويقوى على الطواف والسعي إما محمولاً وإما على قدميه، والاستطاعة بالمال: أن يكون عنده مال زائد عن كفايته وكفاية من يعول، وعن قضاء ديونه.

سـؤال: فضيلة الشيخ لقد حججت حجة الفريضة ولكني كنت قليل العلم بمناسك الحج، فهل أحج هذه السنة عن نفسي مرة أخرى أم أحج عن أبـي علماً بأنه أوصى بأن يحج عنه كل واحد من أولاده؟

الجواب: هذا الرجل ألزم أولاده بما لا يلزمهم، ولو أوصى بأن يدعو له لكان خيراً له؛ لأن النبـي ﷺ سأله رجل: هل بقي علي شيء من برِّ أبوي بعد موتهما؟ قال: «نعم» وذكر الدعاء والاستغفار وإكرام صديق الوالدين وصلة الرحم التي لا صلة له فيها إلاَّ بهما[1]، ولم يذكر أن يحج عنه أو أن يصوم عنه، لكن الأب كغيره من الناس، يحبون أن تعمل لهم العبادة بعد الموت، ولكن الدعاء أفضل، فأقول: ابدأ بنفسك، وصية أبيك لك سنة، وأنت الآن في شك من فريضتك الأولى فابدأ بنفسك أولاً، ثم إنْ مدَّ الله لك في العمر نَفِّذْ وصية أبيك في العام القادم.

سـؤال: فضيلة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو من الله

(١) أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أسيد الساعدي.

ثم من فضيلتكم الإجابة على سؤالي التالي. حججت في العام الماضي، وفي أثناء السعي حضرت صلاة الجمعة قبل أن أكمل السعي وبعد انتهاء الصلاة لم أكمل السعي حالاً بل مكثت وقتاً قصيراً وأنا داخل البيت الحرام ثم أكملت السعي بعد ذلك هل هذا السعي مجزىء؟

الجواب: السعي هنا مجزىء إن شاء الله؛ لأن في ظني أنك إنما تأخرت من أجل التعب، ولا بأس إذا تعب الإنسان من السعي أن يجلس قليلاً حتى يستعيد قوته ثم يكمل. بقي أن يقال: هل يسنّ لمن قام ليستفتي أن يقدم السلام؟ والجواب: أنَّ هذا ليس من السنَّة فيما نعلم؛ لأن السلام إنما يُلقى عند الملاقاة، أو عند القدوم إلى المكان، وأما إنسان في المكان قام ليسأل فلا أعلم أن إلقاءه السلام من السنة؛ لأن المعروف أن الذين يسألون النبي ﷺ في أمكنتهم لا يلقون السلام.

سؤال: فضيلة الشيخ يوجد هناك شخص يقول: أنا إنسان مقصِّر في بعض الأمور بل هناك عنده بعض الكبائر وهو معروف عند الناس بالالتزام والتديُّن، ويقول إنه في ظاهره أنه ملتزم ولكنه عند نفسه مقصر، وعنده بعض الكبائر، فيقول: هل يجوز له أن يظهر للناس بأنه غير ملتزم بإسبال ثوبه، أو حلق لحيته؟ لأنه يخاف على نفسه النفاق، أفيدونا جزاكم الله خيراً.

الجواب: لا يجوز له أن يعمل هذا، يعني لا يجوز أن يعصي الله حتى لا يظن الناس أنه ملتزم، وهذا ليس من التوبة، الشيء المفيد، الذي يفيد مثل هذا، أن يقلع عن المعاصي، وأن يخشى الله بالغيب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [سورة الملك: الآية ١٢]، ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٤] فنصيحتي لهذا أن يتقي الله تعالى في نفسه، وأن يخشى الله بالغيب وأن يقلل من المعاصي ما استطاع، وأن يكثر من الاستغفار والتوبة والندم، وألا ييأس من روح الله عز وجل؛ فإن الله يقول: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [سورة الزمر: الآية ٥٣]، أما إظهار المعاصي بأن يتحدث إلى الناس بما يفعل في السر، أو أن يظهر معاصٍ أخرى كإسبال الثوب وحلق اللحية، فهذه ظلمات بعضها فوق بعض.

ثم اعلم أن الإنسان إذا جاهر بالمعصية ليس ضرره على نفسه فقط، بل على نفسه وعلى المجتمع؛ لأن الناس يقتدي بعضهم ببعض، ويستهونون الأمر إذا رأوا الآخرين يفعلونه، ولهذا نسمع أن الأولين لا يمكن أن يحلق أحدهم لحيته وقد لا يكون تعبداً لله، لكن لأن الناس كانوا لا يحلقون لحاهم، فبدأ الناس ـ لما انفتحوا على البلاد الأخرى ـ يتهاونون في هذا الشيء، فهان عليهم حلقها، وجرب نفسك: إذا كان لك صديق يعفي لحيته، ويرفع ثوبه عن الكعبين، فإنك سوف تفعل مثله، وإذا كان لك صديق يحلق اللحية ويجر ثوبه فإنك سوف تفعل، فالمجاهر بالمعصية في الواقع ليس ضرره على نفسه فحسب، بل ضرره على نفسه وعلى مجتمعه، نسأل الله لأخينا هذا الهداية، وأن يمن علينا وعليه بخشية الله في السر والعلانية.

سؤال: فضيلة الشيخ: يوجد عند أحد الناس محل تجاري لبيع المواد الغذائية، يقول صاحبه: إنه يشتري البضاعة كل شهر بثمن مؤجل وكثير من الناس يشترون منه أيضاً بثمن مؤجل، فإذا كان في نهاية الشهر جمع المال من الناس الذين يشترون منه، وأعطاها للتجار الذين اشترى منهم البضاعة، فكيف يخرج الزكاة، إذا كان يشتري البضاعة بدين ويبيع بدين، فإذا أخذ من هذا أعطاه هذا، فهل يخرج الزكاة من عين العروض، أم يخرجها من راتبه علماً أنه له راتباً وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: أقول لهذا الأخ: إذا حان وقت الزكاة، فليخرج مما عنده، عن المال الموجود المعد للتجارة، وعن الديون التي في ذمم الناس الأغنياء الموفين، ولا يلتفت لما عليه من الدين، فمثلاً إذا كان الشخص عنده بضاعة تساوي عشرة آلاف، وفي ذمم الناس له عشرة آلاف وعليه عشرة آلاف، فإنه يزكي عشرين ألفاً عشرة عن المال الحاضر وعشرة عن الدين، لكن هذا إذا كان الدين على أغنياء وهم أهل وفاء، أما إذا كان على فقراء، أو على مماطلين لا يمكن مرافعتهم للقاضي، فإن هذا كالمعدوم لا زكاة فيه، ولو بقي عشرة سنين، إلَّا إذا قبضه، فعليه زكاة سنة واحدة فقط، أما إخراج الزكاة من العروض، إذا لم يكن عند الإنسان دراهم نقداً فقد اختلف أهل العلم في ذلك، منهم من يقول لا بأس أن يخرج من كل صنف ربع عشره، مثلاً عنده أواني، وعنده أطعمة، وعنده ثياب، يخرج من الثياب ربع العشر، ومن الأطعمة ربع العشر، ومن الأواني ربع العشر، فيرخص في ذلك نظراً للحاجة، لكن

بشرط أن يخرج شيئاً يمكن الفقير أن ينتفع به، أما أن يخرج شيئاً لا يمكن أن ينتفع به فهذا لا يجوز.

سؤال: فضيلة الشيخ، بعض الناس يشتري البرسيم في وقت بيعه رخيصاً ويخزنه في مخازنه حتى يأتي وقت غلائه، فيخرجه ويبيعه، ما حكم هذا العمل؟

الجواب: إذا كان يوجد من يعرض البرسيم في وقت غلائه فلا بأس، أما إذا كان لا يوجد إلاَّ هذا الرجل الذي يشتري البرسيم ويحتكره على الناس فهذا لا يجوز، وقد ذكر أهل العلم أن المحتكر يلزم ببيع الشيء كما يبيعه الناس.

سؤال: هل يجوز جمع صلاة الجمعة مع صلاة العصر؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب: أظن أن السائل يريد جمع العصر مع الجمعة وهذا لا يجوز، فلو فرضنا أن مريضاً صلَّى مع الناس صلاة الجمعة وهو مريض يحل له الجمع، فإنه لا يجوز أن يجمع العصر مع الجمعة، وكذلك لو مرَّ المسافر على بلد تقام فيه الجمعة ودخل معهم وصلَّى الجمعة وهو يريد أن يستمر في سفره، فإنه لا يجوز أن يجمع العصر إلى الجمعة؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، ولأن الجمعة من غير جنس العصر، بل هي صلاة مستقلة منفردة لا نظير لها في الصلوات الخمس فلا يمكن أن يجمع إليها غيرها، ومن جمع لزمه أن يقضي؛ لأنه لم يبرء ذمته حتى الآن.

سؤال: يقول: من الأمور المشكلة التي كثر فيها الكلام بين المحلل وبين المحرم وهيَ الجمعية التي يجتمع فيها مجموعة من الأشخاص يؤخذ من كل رجل ألف ثم تعطى لأحدهم حتى يمر الدَّوْرَ عليهم جميعاً، نرجو بياناً شافياً والله يحفظكم ويرعاكم؟

الجواب: هذه ليس فيها بأس؛ لأنها لا تشتمل على شيء محرم؛ بل هي من الخير والإحسان، فإذا كانوا مثلاً عشرة موظفين وصاروا يأخذون من كل واحد ألف ريال للأول، ثم الشهر الثاني للثاني، وفي الشهر الثالث للثالث إلى آخره، فهذا لا بأس به، ولا وجه للقول بمنعها بحجة أنها قرض جرّ نفعاً؛ لأنها ما جرت نفعاً: أين النفع؟ أنا أقرضت ولم يرجع إليَّ إلاَّ مالي فقط، أما كوني انتفعت بما أقرضوني، فهذا كل الناس ينتفعون بالقرض، ما من إنسان يقترض شيئاً إلاَّ لينتفع به، فهذه لا بأس بها ولا إشكال فيها عندنا.

سؤال: هل عذاب القبر واقع على روح الميت، أم على روحه وجسده، وهل ضمة القبر تكون للمؤمن والكافر، أم للكافر فقط؟

الجواب: أقرب الأقوال في هذا: أنَّ العذاب يكون في الأصل على الروح وقد تتصل بالبدن، ولهذا ذكروا حكايات كثيرة في أن بعض المعذبين يُطَّلَع عليهم في قبورهم، وقد امتحشوا، أي: صاروا فحماً، والعياذ بالله، فالأصل أن العذاب على الروح، وقد تتصل بالبدن، وأما ضمة القبر فقد ورد فيها حديث، أن النبي ﷺ قال: «لو نجي أحد من ضمة

القبر لنجى منها هذا»[1] يعني سعداً. والله أعلم: هل صح هذا الحديث أم لا؟ وقد ورد في عذاب القبر أنَّ الكافر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك.

❑ ❑ ❑

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١١٤)، وابن حبان (٣١١٢) من حديث عائشة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الثامنة)

لقاء فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، بطلاب فرع جامعة الإمام بالقصيم.. تمت إقامة هذا اللقاء بقاعة المحاضرات الكبرى بعمادة القبول وشؤون الطلاب بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم. وأدار اللقاء وكيل العمادة لشؤون الطلاب الدكتور عبد العزيز بن محمد الحجيلان.

يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين حفظه الله تعالى:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يسرني في هذا اليوم ـ وهو يوم الأحد الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام سبعة عشر وأربعمائة وألف ـ أن ألتقي بأبنائنا، طلاب المستوى الأول من الكليتين الشرعية واللغوية.

أيها الإخوة:

لو سألكم سائل: لماذا أتيتم إلى هذا المكان؟ غادرتم بلادكم،

وفارقتم أهلكم، وأصحابكم وخلانكم، لماذا قمتم بهذا؟ فما الجواب؟

الجواب: من أجل العلم، وهذا هو الذي ينبغي أن يكون، مَنْ قصد الأماكن البعيدة، وفارق الأهل والأوطان والأصحاب والخِلان ــ وفراق هؤلاء عزيز على النفس ــ ينبغي أن يكون غرضه أسمى مما فارق، وهو العلم، العلم بالشريعة، والعلم بما يساند الشريعة من اللغة العربية؛ لأن الشريعة مبنية على شيئين هما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهما باللغة العربية، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ــ ١٩٥].

لهذا يجب علينا أن نخلص النية لله عند طلب العلم، سواء في اللغة العربية والعلوم الاجتماعية أو في الشريعة، في أصول الدين وفروعه، يجب أن نخلص النية لله حتى يكون عملنا مفيداً لنا مقرباً لنا إلى الله تعالى، وحتى يبارك لنا في العلم؛ لأن العلم مع النية الصالحة يبارك الله فيه للعالم ولمن يتصل به، أما ما بُنِيَ على شفا جرفٍ هار، على نية باطلة وهي نية الدنيا، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الشورى: الآية ٢٠].

أيها الشباب:

احرصوا بارك الله فيكم على إخلاص النية في طلب العلم، وأن لا يكون قصدكم بهذا أن تُحصِّلوا مالاً؛ لأن المال يحصله من لم يكن

طالب علم، وربما يحصل غير الطالب أكثر مما يحصل الطالب، لكن اجعلوا همتكم ونيتكم هي العلم بشريعة الله عز وجل، وما يساند هذا العلم.

ثانياً: لماذا تعلَّمتم؟ يعني الآن انتقلنا من المرتبة الأولى إلى مرتبة ثانية، لماذا تعلمتم؟

والجواب: لرفع الجهل عنكم وعن غيركم. وهذا طيب، ولكن هناك مرتبة ثالثة وهي ثمرة العلم، فما ثمرة العلم؟ ثمرة العلم: العمل به والدعوة إليه، لهذا يجب على طالب العلم من العمل بالعلم أكثر مما يجب على غيره؛ لأن الجاهل ليس إماماً، فلا يقتدى به لا بفعله ولا بمقاله، لكن طالب العلم يقتدى به، إذن فعلى طالب العلم أن يعمل بعلمه؛ لأن طالب العلم حمل سلاحه، إما أن يكون عليه وإما أن يكون له، كما قال النبي ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»[(١)]، وليس هناك قسم ثالث بحيث يكون القرآن لا لك ولا عليك، هو إما لك وإما عليك، فمتى يكون لك؟

الجواب: يكون لك إذا عملتَ به، وكنتَ أسوة صالحة في دلالة الخلق إلى الخير، ويكون عليك إذا أنت أهملته وولَّيتَ عنه وأعرضتَ عنه، إذن يجب علينا أن نعمل بالعلم، وأن نكون أسوة صالحة، وأن نكون أئمة لشعوبنا الإسلامية في أي مكان؛ لأن الإنسان إذا عمل بما علم؛ صار إماماً وورَّثه الله تعالى عِلْمَ ما لم يكن عالماً به من قبل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

انتبه لهذه النقطة: «إذا عملت بما علمت صِرتَ إماماً، واقتدى بك الناس وصرتَ أُسوة، ثم يزيدك الله تعالى علماً، ويورثك علم شيء لم تكن تعلمه من قبل، واقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [سورة محمد: الآية ١٧] يعني علماً، ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة محمد: الآية ١٧] يعني عملاً. عليك بالعمل بالعلم: إذا كنت علمت أن الله أوجب عليك كذا فبادر إليه، علمت أن الله حرم عليك كذا فابتعد عنه، وإلاَّ فقد فقدت ثمرة العلم، فقدته تماماً؛ إذ إن ثمرة العلم والمقصود به هو العمل.

بعد هذه المرحلة هناك مرحلة رابعة مسؤول عنها أنت، وهي نشر العلم، أن تنشر علمك بكل وسيلة، في المقال، في الكتابة، في التصوير ـ يعني تصوير المسائل ـ في أي شيء. يجب عليك أن تنشر العلم؛ لأن الله تعالى ذكر في كتابه أنه أخذ على أهل العلم أن يبيِّنوه للناس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٧] أخذ الميثاق، فإن قال طالب العلم: أين الميثاق بيني وبين ربي؟ وأظنكم تعرفون معنى الميثاق، لا بدَّ أن يكون هناك متعاهدان، كل واحد منهما أخذ الميثاق على صاحبه، أليس كذلك؟ الميثاق لا بد أن يكون بين طرفين، فإذا قال طالب العلم: أين الميثاق بيني وبين ربي؟

قلنا له: إن إعطاء الله إياك العلم هو الميثاق، ما أعطاك العلم إلاَّ لتنشره، وأحمد الله عز وجل أن رزقك العلم، وجعلك وارث الأنبياء،

فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢٤]، فعليك أن تنشر العلم.

لكن كيف تنشر العلم؟ نشر العلم له طرق، من أيسرها وأسهلها وأقلها كلفة: أنك إذا جلست مجلساً ولو عند العامّة، فألق مسألة من المسائل العلمية، وقل: ما تقولون في كذا وكذا؟ ثم ينفتح الباب للمناقشة والأسئلة.

أنا لا أقول: ثقِّل على الناس بحيث لا تجلس مجلساً إلاَّ وأنت تحمل الكتاب وتقرأ على الناس، هذا قد يشق عليهم، قد يستثقلون ما تقول، لكن افتح لهم الباب، بدل من أن تتكلم في كلامٍ لغو لا فائدة فيه أو بكلام محرم، افتح الباب للمسائل العلمية، يمكن أن تقول: ما معنى قوله ـ تبارك وتعالى ـ كذا وكذا؟ ثم إذا أجابوا وإلاَّ بيِّن أنت.

يمكن أن تقول: هل يمكن أن يكون للإنسان أب من الرضاعة وليس له أم من الرضاعة؟ هذه المسألة مسألة فقهية شرعية، لكنها تفتح الذهن، سيستغرب الذي ألقي عليه السؤال كيف يكون له أب من الرضاعة وليس له أم؟ وهل اللبن إلاَّ لبن الأم؟ كيف يكون هذا؟ نقول: نعم ممكن أن يكون رجل له زوجتان، أرضعت إحدى الزوجتين هذا الطفل ثلاث رضعات والثانية أرضعته مرتين، فيكون مجموع الرضعات خمساً من لبن رجل واحد، يعني من لبن زوجتَي رجل واحد، فيكون له أب وليس له أم.

المهم أنَّ طالب العلم يمكن أن يطرح المسائل العلمية في مجلس

العوام، وثق أنك إذا فتحت المجال سوف تتوارد عليك الأسئلة، ولكن إياك أن تجيب بما لا تعلم، لا يغرنك أن الناس اتجهوا إليك وجعلوا يسألونك فتجيب بما لا تعلم! هذه مسألة خطيرة؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٣].

لا تقل على الله ما لا تعلم، إذا سُئلت عن مسألة وأنت لا تعرفها، قل له: انتظر، أنا أسأل عنها وأخبرك، أو أراجعها في الكتب وأخبرك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦].

كم ذكرنا من مرتبة لطالب العلم؟

ذكرنا أربعاً، الأولى: مرتبة الإخلاص، الثانية: الحرص على العلم، الثالثة: العمل به، الرابعة: نشره.

المرتبة الخامسة: الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ فالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ هي سبيل الرسل، وسبيل مُتَّبعي الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨] فادع إلى الله، وثق بأنك ما دعوت أحداً وانتفع بدعوتك إلاَّ جعل الله لك من عمله نصيباً، والدال على الخير كفاعل الخير.

والدعوة إلى الله ليست هي نشر العلم، فنشر العلم شيء،

والدعوة شيء آخر، أن تدعو الناس إلى الاهتداء، تدعوهم إلى بر الوالدين، إلى صلة الأرحام، إلى الصدق، إلى طلاقه الوجه، إلى غير ذلك مما يقرب إلى الله، وكذلك تحذرهم من الشر وتبين لهم عواقب المعاصي والسيئات.

واعلم أن الدعوة إلى الله تكون بالقول وتكون بالفعل، ومن أهم ما يكون في الدعوة إلى الله بالفعل: أن يكون الإنسان إماماً، قدوة صالحة، وهذه أعيدها؛ لأنها مهمة، فإن الناس ينظرون إلى طالب العلم نظرة محاسَبٍ مرموق، ولذلك تجدهم يقولون: انظروا طلبة الجامعة، انظروا طلبة فلان، يفعلون كذا، يقولون كذا! وينقدونكم نقداً شديداً فيما إذا فرطتم، وإذا كان الناس ينظر بعضهم إلى بعض بعينين، فإنهم ينظرون إلى طالب العلم وإلى العالم بآلاف العيون، يعني أنه يحسب على طالب العلم وعلى العالم كل دقيقة وجليلة، ولذلك يجب أن تدعو الناس بالقول وبالفعل، أن تكون أسوة في الأعمال الصالحة واجتناب الأعمال المحرمة.

المرتبة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف: كل ما أمر الله به فهو معروف، وكل ما نهى الله عنه فهو منكر، وليس المنكر ما ينكره الناس والمعروف ما يعرفه الناس؛ لأن هذا لا حدود له، ففي المجتمعات من يعرفون المنكر وينكرون المعروف، هذه هي المرتبة السادسة: أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولكن يجب عليك وجوباً أن تسلك ما هو أقرب إلى حصول المقصود.

ولا شك أيها الشباب، أن الرفق في الأمر والنهي ومرافقة الناس أقرب إلى حصول المقصود من العنف؛ إذ إن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[2]، فإياكم والعنف، والناس يستجيبون للإنسان الليِّن، الرقيق، السهل، ما لا يستجيبون للعنيف، لهذا لا بد من استعمال الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم لا بد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يترتب عليه ما هو أشر وأفسد، فمثلاً لو نهينا شخصاً عن منكر، وعلمنا أنه إذا ترك هذا المنكر ارتكب منكراً أعظم، فمن الواجب أن نسكت عن المنكر الأول حتى تتغير الحال، نسكت! نعم نسكت، نسكت عن المنكر درءاً، فلو فرضنا أن رجلاً يشرب الدخان، وشرب الدخان حرام، ليس فيه إشكال عندنا، لكن لو نهيناه لذهب يشرب ما هو أعظم منه فحينئذٍ نسكت، ندعه حتى تتغير الحال.

ولذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٨] سب آلهة المشركين واجب، لكن إذا كان يلزم من سبنا آلهتهم أن يسبوا الله؛ فالواجب عدم السبّ، يحرم سب آلهتهم؛ لأنه يترتب على سب آلهتهم منكر أعظم من السكوت، وهو أن يسبوا الله ــ تعالى ــ عَدْواً بغير علم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة أيضاً.

وبمن نبدأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أنبدأ بأباعد الناس دون أقاربنا وحاشيتنا؟! لا، نبدأ أولاً بأهلنا؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [سورة التحريم: الآية ٦]، ولقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [سورة الشعراء: الآية ٢١٤] فنبدأ أولاً بإصلاح أهلنا، أقاربنا، جيراننا، وتعلمون أن المجتمع أفراد، مكون من فرد وفرد، فإذا بدأنا بالأقرب نسباً والأقرب جواراً وصلحوا، بدأ الصلاح يسري، فعلينا أن نلاحظ هذه المسألة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللين والإقناع.

واعلم أن كون المأمور أو المنهي يفعل ما أمر به، ويترك ما نُهي عنه، عن اقتناع، خير من أن يَدعَ المنكر أو يدع المعروف بسيف السلطان، يعني من لا يترك المنكر إلاَّ خوفاً من السلطان أو لا يفعل المعروف إلاَّ خوفاً من السلطان؛ لا يصل الإيمان إلى قلبه، لكن حاول أن تقنع الناس حتى يأتوا الشيء عن انقياد، وحتى تصفو قلوبهم، وحتى يخشوا الله عز وجل في السر والعلانية.

هذه نبذ ذكرتها وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإيّاكم لما فيه الخير والصلاح، وأحثكم أخيراً على التآلف بينكم، وعدم التنافر، وعدم الكراهية، وعدم البغضاء، أنتم أمة واحدة، دينكم واحد، وربكم واحد، ورسولكم واحد، وهدفكم إن شاء الله تعالى واحد، فلتكونوا على قلب واحد، إيّاكم والتنابز بالألقاب، إيّاكم والتفاخر بالأحساب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٠]، «المؤمن للمؤمن

كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1]، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[2].

أسأل الله لي ولكم العلم النافع والعمل الصالح. انتهى كلام فضيلة الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى.

جزى الله فضيلة شيخنا ـ حفظه الله ـ خيراً على هذه التوجيهات السديدة، وهذه الدرر الثمينة، والتي نسأل الله عز وجل أن تكون محلاً للعمل والتوفيق فيها، وإن وجود الشيخ بيننا اليوم لهو داع إلى الفرح الكبير الذي لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه؛ لأن مثل هذه المجالس، ومثل هؤلاء المشايخ، هم الذين ينيرون الطريق لطالب العلم، خاصة من هم من أمثالكم، ممن هم في بداية المرحلة المهمة في الحياة وهي المرحلة الجامعية، وإن الإنسان لا يمكن أن يستقيم له طلب العلم والتحصيل إلاَّ بالجلوس إلى العلماء من أمثال شيخنا، للاستفادة منهم والأخذ عنهم والاستنارة بآرائهم والسير على منهجهم، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وننتقل إلى الأسئلة:

سؤال: سائل يقول: فضيلة الشيخ حفظك الله ورعاك: كيف نخلص النية مع أن الوظيفة نصب أعيننا؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

الجواب: هذا ليس فيه صعوبة، إخلاص النية مع مراعاة الوظيفة ليس بصعب، مثلاً نحن نطلب العلم للشهادة، لا لأنَّ الشهادة هي الأصل المقصود ولكنها هي الوسيلة، تعلمون أنكم في عصر إنما يقدَّر الناس بحسب شهاداتهم، أليس كذلك؟ يقال: هذا الدكتور، ويتبوأ مكاناً عالياً في التوجيه، في الإدارة، لكنه ليس عنده من العلم ـ الذي يحمل دكتوراه ـ إلاَّ النزر القليل، ويأتي رجل فوقه في العلم والأخلاق لكن ليس معه شهادة فتجده في مخلفات قومه، لماذا؟ لأنه ليس له شهادة!

فأنت إذا نويت طلب العلم لنيل الشهادة التي تتبوأ بها مكاناً قيادياً في مجتمعك فهذه نية لا تنافي الإخلاص ويمكن القيام بها، أليس النبـي عليه الصلاة والسلام كان يشجعهم ـ أعني الصحابة ـ بالأمور المالية على الجهاد في سبيل الله، يقول مثلاً: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»[(١)]؟ الغنيمة أليست تقسم على المجاهدين؟ لا بد أن يكون هناك شيء من الميل إلى هذه الغنيمة، لكن أنا أقول: اجعل نيتك في نيل الشهادة من أجل أن تتبوأ مكاناً قيادياً تتقرب به إلى الله وتنفع به عباد الله.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما هي الكتب التي تنصح بقراءتها وحفظها، وما هي الكتب التي تنصح بعدم قراءتها واستيعابها؟

الجواب: هذا لا يقال إلاَّ لإنسان قرأ جميع كتب الدنيا، وعرف ما يقرأ وما لا يقرأ، وهذا ليس باستطاعتي، لكنني أقول أهم كتاب يحفظه

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٢، ٤٣٢٢)، ومسلم (١٧٥١) من حديث أبـي قتادة.

الإنسان ويتدبره ويعرف معناه هو كتاب الله ـ عز وجل ـ عليك بكتاب الله، حفظاً وفهماً وعملاً وخلقاً، إن النبي ﷺ كان خلقه القرآن، والقرآن نزل إلى الناس ليتدبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص: الآية ٢٩]، وكان الصحابة لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

عليك بكتاب الله، ثم بسنة رسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم الصحيحة، ومعلوم أنه أضيف إلى السنة ما ليس بصحيح، لكن قيض الله ـ والحمد لله ـ علماء بينوا الصحيح منها من غير الصحيح، فمن الممكن مثلاً أن تحفظ عمدة الأحكام، أو بلوغ المرام، ليكون معك نصيب من السنَّة النبويَّة. ثم كتب العقائد كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب التوحيد ككتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهَلُمَّ جَرّا، والطالب لا بد أن يكون بين يديه عالم يقرأ عليه فيوجهه إلى ما يرى أنه أفضل.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: هل يجوز أن يدعو الإنسان الناس وهو ليس عنده من العلم إلاَّ القليل؟

الجواب: إن الله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨]، فلا بد أن يكون عند الإنسان بصيرة بما يدعو إليه، وليس بلازم أن يكون بحراً في العلم،

نفرض أنه صار عنده علم في مسألة الصلاة فجعل يدعو الناس إلى إتقان الصلاة وإحسانها وأدائها على حسب ما جاء في السنة، لا بأس أن يدعو إلى الله تعالى بهذا العلم، أما أن نقول: كن عالماً بحراً وإلاَّ فلا تدعو الناس! فهذا خطأ؛ قال النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «بلغوا عني ولو آية».

سـؤال: فضيلة الشيخ: نحن نذهب يومياً من البيت إلى الجامعة، وأعلم أن المسافة تُعَدُّ سفراً، فهل يحق لنا جمع صلاة الظهر مع العصر عند الرجوع من الجامعة؟

الجواب: مسافة القصر فيها خلاف بين العلماء، منهم من يحدد ذلك بالمسافة، ومنهم من يحدد ذلك بالعرف، فمن حددها بالمسافة فالأمر فيها واضح، إذا كان بينك وبين الجامعة المسافة المعروفة فاقصر، مثلاً بينك وبين الجامعة تسعون كيلومتراً فأنت مسافر، تقصر الصلاة، وتجمع بعضها إلى بعض مما يجمع.

وأما من حددها بالعرف، فمن المعلوم أن الإنسان الذي يتردد على الجامعة من بيته ولو كان بينه وبينها تسعون كيلومتراً لا يعد مسافراً؛ لأنه لم يرتحل ولم يبتعد.

وبناءً على ذلك أقول: إن الاحتياط أن لا تجمع ولا تقصر ما دمت تتردد من بيتك إلى الجامعة، أما لو كنت تأتي إلى الجامعة كل أسبوع فأنت مسافر، فبذهابك من الجامعة إلى بيتك لك أن تجمع ولك أن تقصر، أما بالبلد فمن المعلوم أن الواجب على الإنسان أن يؤدي

الصلاة مع الجماعة وحينئذٍ لا يمكن أن يقصر.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما حكم تحضير بعض الطلاب عن زملائهم وهم ليسوا حاضرين في قاعة الدراسة؟

الجواب: لا يجوز هذا فهو في الحقيقة كذب، وضرر على المحضَّر عنه؛ إذ أن المحضر عنه سوف يعتمد على أخيه ويتكاسل ويتهاون بالحضور فيفوته خير كثير، فهاتان مفسدتان، الكذب والتهاون في الحضور، وهنا أيضاً مفسدة ثالثة وهي كون هذا الطالب يأخذ المكافأة بناءً على تحضير صاحبه له، وهي حرام عليه؛ لأنه لم يقم بالعمل الذي جعلت المكافأة عليه فيكون أكلاً للمال بالباطل، ثم إنه يؤسَف أشد الأسف أن يكون من أخلاق طالب العلم هذا العمل: الكذب، والمؤمن لا يكون كذاباً، الكذب من خصال من! من خصال من! من خصال المنافقين، فهل ترضى أن تتَّصف بصفة المنافقين!

سؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله، أنا طالب في أصول الدين وقد أعدت الترم في ست مواد، فما هي الطريقة الجيِّدة لنيل العلم والحصول عليه في هذا الترم الحالي؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

الجواب: الاجتهاد ليس ههنا إلاَّ الاجتهاد، وأن تكرس جهودك على الدروس المقررة عليك، إن بعض الناس يكون عنده همة عالية في طلب العلم فيهمل الدروس النظامية ويأتي بدروس أخرى يحرص ويجيد فيها فتفوته هذه الدروس النظامة، فأنا أقول: ما دمت الآن طالباً في جامعة فاحرص على دروسك فيها، والمسألة أربع سنوات ثم تنتقل إلى

الدراسة الواسعة، فالدواء المفيد الناجح هو الحرص والمثابرة وأن لا ييأس الإنسان، فالإنسان قد يتأثر ويتأخر، وفي النهاية يجتاز هذه المرحلة.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما رأيك بمن يقول: لا أدخل الجامعة لأني لا أستطيع أن أخلص؟

الجواب: أقول: هذا غلط، وسوء ظن بنفسك، وكما قلت لكم قبل قليل: يمكن أن يكون الطلب في الجامعة إخلاصاً إذا قصد أنه يريد أن ينال الشهادة ليتبوأ مكاناً قيادياً من الأمة.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: رجل أسهم في بنك ربوي قبل سنوات وهو لا يعلم، وبعد مدة أخذ منه المكاسب وهو لا يعلم، وبعد مدة علم أنه ربا، فماذا يعمل في الأسهم التي معه، وماذا يعمل إذا باع الأسهم؟

الجواب: يقول الله سبحانه وتعالى في الربا: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧٥]، فهذه الأموال الربوية التي اكتسبها قبل أن تأتيه موعظة من الله هي حلال له، يتوب إلى الله وتبقى عنده، لكن بقية الأسهم الباقية كيف يتصرف؟ الأسهم الباقية إذا أمكن أن يتخلص منها بأن يبيعها على إدارة البنك فهذا لا بأس به ويتخلص، وإذا أمكن أن لا يبيعها تبقى ثم لا يأخذ الربا، تبقى عند البنك ولا يأخذ الربا عنها، أما بيعها لغير البنك فإنه إن باعها سوف يبيعها على شخص يتعامل بالربا فيكون معيناً لغيره على الإثم والعدوان.

سـؤال: من قسم اللغة الانجليزية يقول: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما حكم تعلم اللغة الإنجليزية من أجل المنفعة الدنيوية فقط؟

الجواب: لا بأس به، لا بأس أن يتعلم الإنسان اللغة الإنجليزية من أجل فائدة دنيوية؛ لأنها ليست من الأمور الشرعية التي لا يجوز للإنسان أن يريد بها غير وجه الله، ثم إني أقول لمن تعلم اللغة الإنجليزية: ربما يكون فيها فائدة دينية أيضاً، يعني لا تستوحش من تعلمها، ربما يكون فيها فائدة دينية خصوصاً في وقتنا الحاضر، الآن يأتي أناس ليدخلوا في الإسلام لا تستطيع أن تتفاهم معهم إذا كنت لم تعرف اللغة التي تجمع بينك وبينهم، فلا بدَّ للداعي إلى الله أن يتعلم اللغة، لغة القوم الذين تريد دعوتهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٤] أي: بلغة قومه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٤].

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: في البيت عندنا دشوش كثيرة والأغاني منتشرة في جميع أنحاء البيت، وأنا شاب ملتزم ولم أستطع الإصلاح، فكيف أحافظ على التزامي حفظك الله؟

الجواب: أسأل الله أن يثبته وأن يهدي أهله. المحافظة على الالتزام: أن لا تجلس إلى مشاهدة هذه الدشوش إذا كانت تعرض أشياء محرمة، والغالب عليها أنها لا تعرض إلاَّ أشياء محرمة، فلا تجلس، تقوم إلى غرفتك، تراجع دروسك، تخرج إلى مكتبة، تخرج إلى أصحابك

الصالحين وما أشبه ذلك، فإذا أيسر الله عليك وأمكن أن تنفرد في بيت فهو حسن طيب.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما حكم من حج وعليه دين؟

الجواب: حجه صحيح، يعني ليس من شرط صحة الحج أن تكون الذمة بريئة، لكننا نقول: تصرُّفه غلط؛ لأن قضاء الدين أهم من الحج، بل إن الحج لا يكون فرضاً على الإنسان المعسر حتى يقضي دينه، إلاَّ إذا كان الدين مؤجَّلاً بأقساط وهو يعلم أنه إذا حل القسط فسوف يؤديه فحينئذٍ يحج ولا حرج عليه.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: أطلب من فضيلتكم إيضاح ما يجب أن يكون عليه طالب العلم تجاه مشايخه وأقرانه من طلاب العلم، وهل مخالفة الرأي توجب العداوة والبغضاء لمن يخالفني الرأي؟

الجواب: أما معاملته لمشايخه وأساتذته فإنه يعاملهم بالاحترام والتوقير وعدم رفع اللسان عليهم، والمناقشة الهادئة؛ لأن لهم حقاً عليه.

وأما معاملته لأصحابه فهي معاملة الصاحب لصاحبه من الألفة والمودة والمحبة، وأن يدرأ بالتي هي أحسن، وأن يعفو ويصفح.

والمخالفة في الرأي لا يجوز أبداً أن تكون سبباً في العداوة والبغضاء؛ لأن الخلاف في الرأي موجود من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، ولم توجب العداوة والبغضاء في قلوب من يحب الخير، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يختلفون في أشياء كثيرة ولكنهم لا يتعادون

أبداً؛ لأن الخلاف في الرأي ينقسم إلى قسمين: الأول: ما يكون للاجتهاد فيه مجال، فهذا يجب أن تعتقد أن صاحبك مصيب فيما فعل ولو خالفك، وأنك مصيب فيما فعلت ولو خالفته؛ لأن صاحبك فعل ما يقتضيه الدليل عنده، وأنت فعلت ما يقتضيه الدليل عندك، ولا حرج، كل منكم مأجور، من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، فكلاهما مصيب للأجر في اجتهاده، وإنكار المصيب للحق منهما واحداً.

وأما المسائل التي لا إشكال فيها ولا مجال للاجتهاد فيها ـ كمخالفة السلف مثلاً ـ فهذا لا شك أنه ينكر عليه، ومع هذا لا تكرهه كراهة مطلَقة ولكن تكرهه على ما خالف فيه السلف، وتحبه على ما وافق الحق، بعض الناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ إذا أخطأ الإنسان في مسألة من المسائل التي للاجتهاد فيها مجال كرهه وأبغضه وصار يحذر منه، ويدعوا الناس إلى مقاطعته! وهذا غلط، ولكن إن كان حيّاً فبإمكانك أن تتصل به وتناقشه، وإن كان ميتاً فاسأل الله له العفو ما دام قد عُرف بسلامه المقصد.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما حكم تصوير ذوات الأرواح بأشرطة الفيديو؟

الجواب: إذا كان فيه مصلحة أو حاجة فلا بأس، وإذا كان مجرد لهوٍ فإنه مضيعة للوقت ومضيعة للمال، وسبب لكون الإنسان يعكف على هذه الصور حتى يطالعها، هذا إذا كانت الصور بريئة، أما الصور في الأعراس أو شبهها فلا شك أنه يجب منعها وأنها حرام؛ لأن فيها فتنة،

ولا أحد يرضى أن تعرض بنته أو أخته أو أمه أو خالته على كل من هب ودب.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما حكم اقتناء جهاز مستقبل القنوات الفضائية بغرض الاستفادة منه في الثقافة العامة والأخبار والابتكارات العلمية، علماً بأنني لا أتابع الأغاني والمسلسلات وغيرها من البرامج المحرمة؟

الجواب: هل هذا يتحقق؟ لأن أكثر الذين يقتنون هذه المستقبِلات إنما يكتسبون الإثم دون مصلحة، بدليل تأثير هذا على طبائع الناس وأخلاقهم.

والمسألة العلمية التي ينتفع بها الإنسان قد تجره إلى الهاوية، ربما لا يصبر، ربما يرى مشهداً من المشاهد وهو يريد الفائدة العلمية وينساب معه، وإذا انساب معه فإن ذلك مثل السحر لا يمكن أن ينفك الإنسان عنه إلاَّ أن يشاء الله، لهذا أقول للأخ: لا تستعمله وابعد عنه، والمسائل العلمية التي فيه ستجدها إن شاء الله في الكتب، ثم إن الشيء المباح إذا كان ذريعة إلى محرم كان محرماً.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: الطالب الذي يحضر من مدينة بعيدة كيف يصلي علماً أن المسجد قريب، وهل يقصر أو يصلي في المسجد؟

الجواب: الواجب عليه أن يصلي في المسجد؛ لقول النبي ﷺ: «هل

تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: «فأجب»[1]، والواجب عليه أن يصلي الجمعة؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: الآية ٩] وهو مؤمن، فيدخل في الخطاب، لكن إذا فاتته الصلاة فلا بأس أن يقصر ما دام لم يتخذ هذا البلد موطناً له، فهو مسافر حتى وإن حدد الزمن؛ لأنه ليس عن النبي ﷺ حديث يدل على تحديد الإقامة التي ينقطع بها حكم السفر.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: هل يختلف الأجر والثواب من الله بين أنواع العلم من حيث كونها شرعية أو غيرها من العلوم التطبيقية؟

الجواب: نعم لا شكَّ في ذلك، يختلف اختلافاً عظيماً، طالب علم الشريعة وارث للأنبياء سواء كانت الشريعة تُسمى: أصول الدين، أو: كلية الشريعة، وطالب ما دون ذلك إذا كانت مساعدة للعلوم الشرعية فهو يؤجر عليها لكن يؤجر أجر الوسائل، أما الذي يطلب العلم الشرعي فهو يؤجر أجر المقاصد، ومن المعلوم أن العلوم غير الدينية أيضاً تنقسم إلى ضار ونافع، فمثلاً الإنسان الذي يدرس علوم الطب يفيد الأمة ويشفي الله على يده من شاء، هذا خير ممن يتعلم علوم الذرة ليصنع منها السلاح الذي يُقاتِل به المسلمين أو يُقاتِل به الناس، اللَّـهُمَّ إلَّا أن يمن الله على المسلمين بعلماء يصنعون هذا السلاح ويقاتلون به الكفار.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: بعض طلاب العلم يتعلمون العلم على أحد المشايخ ثم يتمسك بهذا الشيخ ولا يعترف إلاَّ بأخذ العلم عنه، ولا يأخذ إلاَّ بقوله، ويدع ما سواه حتى لو كان من كبار العلماء! فما رأيك فيمن يعمل ذلك؟

الجواب: أرى أن هـذا هـو الأولى بطالب العلم الصغير الذي بدأ العلم، أن يلتزم قول من يـرى أنـه عالم يدله على الطريق؛ لأنه إذا صار يأخذ من كل عالم يضيع عليه الـوقت ويتشتت ذهنه وينسى كثيراً مما علم، فإذا ترعرع وصار عنده حصيلة فحينئذٍ يتفرغ للجلوس عند هذا وهذا، والمطالعة في هـذا الكتاب وهذا الكتاب، أما الصغير فلا ينبغي له أبداً أن يشتت ذهنه فليبق عـلى عـالـم معين يثق بـه في علمـه وأمانته ودينه ويستمر معه.

فضيلة الشيخ: لكن فحوى السؤال السابق: أنه لا يعترف بقول أحد سواه حتى لو كان من كبار العلماء!

ــ أما كونه لا يعترف بقول أحد سواه ولو كان صواباً فهذا غلط، فالواجب عليه إذا علم الصواب أن يتبعه، سواء وافق قول شيخه الذي لازمه أم لا، ولكن يجب عليه إذا علم بأن هذا العالم قال قولاً يخالف قول شيخه ويرى أنه هو الصواب، يجب عليه أن يعرضه على شيخه حتى يناقشه فيه؛ لأنه قد يخفى على العالم الكبير أشياء لا تخفى على الصغير، وإن كان العالم الكبير عنده من العلم ما ليس عند الصغير، وعنده من الحجج والبينات ما ليس عند الصغير.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: إنا في قريةٍ ما، حيث أصابنا مطر ليس بقليل فامتلأت الشوارع، ثم انتهى المطر قبل صلاة المغرب بقليل، ثم جمعنا صلاة المغرب مع صلاة العشاء، ثم كثر القيل والقال، فما حكم هذا حفظك الله؟

الجواب: إذا كان هذا المطر أبقى أثراً في الأرض وَحَلاً أو نقعاً من الماء مما يشق على الناس فالجمع جائز؛ وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (جمع النبي ﷺ في المدينة من غير خوف ولا مطر، قالوا: ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أمته)[1]، فمتى كان في عدم الجمع مشقة وحرج فالجمع مستحب اتباعاً للسنة، أما إذا لم يكن هناك حرج ولا مشقة مثل أن تكون الأرض مسفلتة ولا فيها نقع من الماء ووقف المطر فلا جمع؛ لأن الأصل وجوب فعل الصلاة في وقتها.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: أنا إنسان أصلي وأصوم وأقوم بجميع الفروض على أتم وجه ـ ولله الحمد ـ ولكن هناك علّة لا أستطيع التخلص منها وهي التلفاز، وخاصة المباريات التي حاولت التخلص منها ولم أستطع، فالبعض أشار عليَّ أن متابعة المباريات حرام، فأرجو من فضيلتكم توضيح هذا الأمر حتى نكون على بصيرة؟

الجواب: أسأل الله أن يثبت أخانا على دينه ومن سمع ومن قال، أقول: إن مشاهدة المباريات خطأ وغلط؛ لأنها تضييع للوقت، ولأنها تذهب

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٥).

المال، ولأنها توجب أن يتعلق القلب برجل تميز على مُلاعبيه ولو كان من أفسق عباد الله، وهذا ضرر عظيم، ثم إن غالب الذين يشاهَدون في هذه المباريات لا يلبسون اللباس الساتر، تجد نصف الفخذ قد أبدوه، فلهذا يكون فيه المشاهدة لعورات هؤلاء الشباب، وربما يفتتن الإنسان به، فنصيحتي لكل شاب ــ ولكل كبير أيضاً ــ أن يدعوا مشاهدة هذه المباريات، فإنها مضيعة وقت، ولهذا تجد المفتونين بها ربما يؤذَّن للصلاة وهم منهمكون فيها؛ لأنها قد أخذت بلبهم، فنقول للأخ: ما دام الله قد منَّ عليك بالاستقامة والالتزام: كَمِّل هذا بترك مراقبة هؤلاء ومشاهدتهم، أما إذا شاهد الإنسان في التلفاز الأخبار أو الصلاة أو الخطبة أو أشياء مفيدة فلا بأس.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما حكم الحبوب المنبهة والدخان؟

الجواب: الذي نعلم أن الدخان ضار، ضار في البدن وضار في الدين وضار في المال، وعلى هذا يكون حراماً.

وأما الحبوب المنبهة: فلا أستطيع أن أحكم عليها؛ لأني لا أدري ما عاقبتها، فإن كانت عاقبتها سيئة فإنها تُمنع؛ لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1]، وكما سمعنا أن غالب الذين يستعملون هذه الحبوب يكون الواحد منهم في النهاية مسلوب التفكير، لا يفكر جيداً ولا يركز على ما يفكر فيه.

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦٢)، وابن ماجه (٢٣٤١) من حديث ابن عباس.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما حكم نسيان تكبيرة الركوع والرفع منه؟

الجواب: من الأقوال ما هو ركن، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو سنة، فالأركان مثل: تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والتشهد الأخير، هذه أركان لا بد من فعلها، وأما التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام، وقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، وقول: رب اغفر لي، وقول: سبحان ربي الأعلى في السجود، وسبحان ربي العظيم في الركوع، والتشهد الأول، فهذه واجبات، والواجبات إذا تعمد الإنسان تركها بطلت صلاته، وإذا تركها نسياناً سجد للسهو قبل السلام وتمت صلاته. وعلى هذا إذا نسي تكبيرة الركوع فصلاته صحيحة، ويسجد للسهو قبل السلام.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظه الله: ما هي الأمور المساعدة على إخلاص النية وتجديدها؟

الجواب: المساعِد على هذا هو: أنَّ يعلم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى خلقه في هذه الدنيا لعبادته لا ليأكل ويشرب ويتمتع، ولكن للعبادة، فإذا شعر الإنسان بهذا الشعور فلا بد أن يجعل عمله كله عبادة وذلك بإخلاصه لله تعالى. الموفق تكون عاداته عبادات، والغافل تكون عباداته عادات، أرأيت الإنسان ليس عنده ماء ويريد أن يصلي، شراء الماء ليتوضأ أو يصلي يكون عبادة، والإنسان مثلاً ينفق على أهله يريد بذلك وجه الله، يكون الإنفاق عبادة؛ قال النبي ﷺ لسعد بن

أبـي وقاص رضي الله عنه: «واعلم أنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاَّ أجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك»[1]. فكون الإنسان يستحضر أنه خلق للعبادة وأنه ينبغي أن يجعل جميع أقواله وأفعاله رجاء وجه الله، هذا مما يعينه على الإخلاص.

سـؤال: فضيلة الشيخ: كيف تُجْمَع صلاة الجمعة مع صلاة العصر للمسافر؟

الجواب: لا يصح أن تجمع صلاة العصر إلى صلاة الجمعة، ومن جمع صلاة العصر إلى الجمعة فعليه الإعادة؛ لأن الأصل وجوب كل صلاة في وقتها، ولا يجوز الجمع إلاَّ بما وردت به السنة، والسنة لم ترد بجمع العصر إلى الجمعة، إنما وردت بجمع العصر إلى الظهر؛ لأنهما صلاتان من جنس واحد، أما الجمعة فهي صلاة مستقلة لا نظير لها في بقية الصلوات، ولهذا هي ركعتان، يُجهر فيهما بالقراءة، ولها عدد معيَّن وقبلهما خطبة، ولهما أحكام كثيرة، والفرق بينها وبين الظهر أكثر من ثلاثين وجهاً، فلا يمكن أن تقاس على الظهر وإذا مررت ببلد وصليت فيه الجمعة فصلِّ الجمعة، وإذا دخل وقت العصر فصلِّ العصر.

سـؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما نصحيتك لمن ابتُلي بشرب المعسَّل أي الجراك ــ الشيشة تسمى المعسل ــ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦) وراجع أطرافه هناك، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبـي وقاص.

الجواب: الذي أفهمه أنا على ما سمعته من الناس بأنها شقيقة الدخان، وأنها تضر كما يضر الدخان تماماً، وعلى هذا فتكون محرمة كما أن الدخان محرم.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: ما الحكم إذا أفطر الإنسان في رمضان عمداً؟ فأتى رمضان السنة الثانية ولم يقض ما عليه من الأيام، فماذا يجب عليه؟

الجواب: يجب عليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى مما صنع وأن يقضي ما فاته أي ما أفطر فيه، أما من لم يصم أصلاً عمداً فهذا لا قضاء عليه، بمعنى أنه لا يقبل منه القضاء؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]. وهذا الذي أخَّر صوم رمضان عن رمضان إلى أيام أُخر، قد عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله فيكون مردوداً، بخلاف من شرع في الصوم ثم أفسده فإنه يقضي.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: بمناسبة قرب الحج، متى يكون الحج على طالب العلم واجباً؟

الجواب: الحج واجب إذا تمت شروط خمسة: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، فإذا تمت هذه الشروط الخمسة وجب الحج على طالب العلم وغير طالب العلم، وبهذه المناسبة أحثُّكم على أن يكون معكم في الحج عالم يقتدى به؛ حتى تؤدوا الحج على بصيرة؛ لأن

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة.

الحج فيه أحكام كثيرة تجهل كثيراً من الناس ويحصل فيها أخطاء، وتجد بعض الناس لا يسألون عنها إلاَّ بعد مدة، ربما يقول: حججت قبل خمس سنوات أو قبل عشر سنوات، وفعلت كذا وكذا! وهذا كله من الجهل وعدم اصطحاب العلماء، فنصيحتي لمن أراد أن يحج أن يكون في صحبة طالب علم، والحملات التي نشأت الآن ــ والحمد لله ــ صار فيها خير كثير ففيها راحة للحجاج، وفيها أيضاً أنهم يصطحبون أحد العلماء ينتفعون به، ولذلك نرى أن هذه الحملات يجب أن يكون لها أمير؛ لأن النبي ﷺ أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمّروا أحدهم(١)، وأن يكون معهم طالب علم يوجههم ويبين لهم حتى يؤدوا الحج على بصيرة.

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله: زواج المسيار كثر الكلام عنه هذه الأيام وخاصة بالنسبة لرأيك فيه، فبعضهم قال: إنك لم تجزه، وبعضهم قال: إنك أجزته، فنرجوا التوضيح لنكون على بينة في هذا؟

الجواب: البينة في هذا بالنسبة لرأيي أنني لا أراه، لا أرى ذلك؛ لأنه سيترتب عليه مفاسد كثيرة، وإن كان فيه مصلحة لكن مفاسده أكثر، غداً سيتعلَّق به أولاد ونفقات، وإذا كان الإنسان تزوج مثلاً مسيار ثم بقي عند هذه المرأة ما شاء الله، ثم ذهب إلى بلد آخر وتزوج مسيار، وربما يأتي اليوم الذي يذهب فيه الناس إلى البلاد الأخرى من أجل المسيار، ما ندري كل شيء اليوم محتمل، لذلك امتنعنا عن الفتوى بجوازه،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

والذي أمامنا الآن شباب أسأل الله أن يُيسر لهم زواج استقرار.

نيابة عنكم أيها الإخوة نشكر فضيلة شيخنا سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على هذه التوجيهات السديدة وهذه الفوائد القيمة، خاصة لمن هم من أمثالكم، ونسأل الله عزَّ وجلّ أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونسأل الله عزَّ وجلّ أن يثيبه على هذه الكلمات وأن يجمعنا به مرات ومرات في مجالس خير وبركة، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(المحاضرة التاسعة)

لقاء

الشيخ : محمد بن صالح العثيمين

(رحمه الله)

بطلاب سكن جامعة الإمام محمد

ابن سعود الإسلامية في الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحقّ، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأُمة وجاهد في الله حقَّ جهاده، وترك أمته على محجة بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، علَّم أمته كل شيء تحتاجه في معاشها ومعادها. قال أبو ذرّ رضي الله عنه: (لقد توفِّي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السَّماء إلاَّ ذكر لنا منه علماً)[1].

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: (لقد علَّمكم رسولكم كل شيءٍ حتى الخراءة! ـ يعني علَّمكم كل شيء حتى آداب قضاء الحاجة ـ ، قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي بيمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم)[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢).

هكذا فعل النبـي ﷺ، علَّم أمته كل شيء تحتاج إليه في معاشها ومعادها، علَّمهم ذلك بالقول وبالفعل وبالإشارة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه يسرّني في هذه الليلة، ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٤١٧هـ، أن ألتقي بإخوة لنا في الإسلام، وأبناءٍ لنا في العلم في سكن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هذا اللقاء ليس لإلقاء محاضرة؛ لأنه قد تمَّ شيء من ذلك في أول هذا اليوم، ولكنه لقاء محبّة، لقاء صراحة، أنا أريد من كل طالب أن يصرح بما في نفسه من أسئلة دينية أو تعبدية أو عقدية أو اجتماعية فيما يمكننا الإجابة عليه؛ لأن الصراحة هي التي تزول بها الشبه وهي التي ينشرح بها الصدر، ويطمئن إليها القلب لا سيَّما إذا أمن الإنسان التبعة، وذلك مأمون بإذن الله.

أما ما أريد أن أتكلم فيه هنا قبل إلقاء الأسئلة والإجابة عليها، فهو:

أني أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلّ، تقوى الله التي مدارها على اتخاذ وقاية من عذابه، وذلك بامتثال الأمر واجتناب النهي، هذا أقوَم ما قيل وأعمُّ ما قيل في التقوى: (أنّها اتخاذ وقاية من عذاب الله بامتثال أمره واجتناب نهيه)، فهي مأخوذة من الوقاية، ولا وقاية من عذاب الله إلاَّ بامتثال الأمر واجتناب النهي، وهذا أعمُّ ما قيل في التقوى وأسلم ما قيل في التقوى.

وعلى هذا، فمن قال: إنه متقٍ لله، وهو مضيّع للواجبات، فليس بصادق.

من قال: إنه متقٍ لله، وهو يقترف السيئات؛ فليس بصادق.

أوصيكم بتقوى الله فيما بينكم من المعاملة الطيبة بإفشاء السلام وبشاشة الوجه وانشراح الصدر؛ حتى تتآلفوا وتتحابُّوا، ولهذا أقسم النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وهو الصادق البار: أنه لن يدخل الجنة أحد حتى تحصل المحبة والألفة، فقال عليه الصلاة والسلام: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ــ أي: حتى يحب بعضكم بعضاً ــ ، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1]، ومعنى: «أفشوا السلام»، أي: أعلنوه وأظهروه، ليسلم بعضكم على بعض عند اللقاء وعند الدخول عليه.

والسلام إنما يكون سلاماً إذا جاء باللفظ الشرعي (السلام عليك) إن كان واحداً، و (السلام عليكم) إن كان جماعة، أما قول: (أهلاً وسهلاً) (مرحباً) (صباح الخير) فهذا ليس هو السلام الشرعي.

واعلم أنك إذا سلَّمت فإن ذلك سبب للمحبة والمودَّة، وهو أيضاً كسب للأجر، فمن سلَّم على أخيه فله عشر حسنات، إذا قلت لأخيك: السلام عليك، حصل لك عشر حسنات، ومتى تجد هذه العشر؟، تجدها في يوم تكون أحوج ما تكون إليه يوم القيامة، حينما تكون أشد حاجة لحسنة واحدة.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

إنني أظن لو قيل لعامَّة الناس: من سلَّم فله درهم، أتظنُّون أن يتأخَّر أحد عن السلام؟ أنا أظن أن كل إنسان قيل له: إذا سلَّمت فلك بكل تسليمة درهم؛ أنه سيحرص على السلام، وربما يحرص على التردد من أجل أن يسلِّم فيجد الدراهم!

لكن هذا له عشر حسنات مدَّخرة عند الله يجدها في أشد الحاجة إليها، وإن من المؤسف أننا نشاهد التلاميذ يتلاقون أرسالاً وأفراداً لا تسمع سلاماً ولا بالهمس، لماذا؟ ألسنا كلنا مؤمنين؟ ألسنا كلنا في مدرسة واحدة؟ ألسنا كلنا جئنا إلى هذا لتحصيل العلم الذي نتيجته العمل وثمرته التطبيق.

أي فائدة لعلم لا ينفع؟ إن العلم الذي لا ينفع فالجهل خير منه، وأنتم تعلمون أن إفشاء السلام من السنّة، وأنه سبب للمودّة، والمودّة سبب للإيمان، والإيمان سبب لدخول الجنة.

فهل هذا أيها الإخوة أيها الأبناء موجود بينكم ــ أعني إفشاء السلام ــ؟

الجواب: . . . الجواب: إن طبَّقنا قول القائل: جواب ما يُكره السكوت؛ فالمعنى أنكم لا تفشون السلام، يعني أنكم سكتم الآن، أقول: ــ بارك الله فيكم ــ احرصوا على هذا.

ثم إني أوصيكم بألاَّ يقع بينكم حزبية جاهلية، ولا التفاخر بالأحساب والأنساب والبلاد، أنتم بنو آدم، أنتم مؤمنون، لا فضل

لعربـي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا فضل لقرية على أخرى إلا بالتقوى، وإذا كان المكان واحداً والهدف واحداً والينبوع واحداً، بل والدين واحد؛ فالواجب أن نمحوا عنّا التفاخر، وأنا من قبيلة وأنت من قبيلة، وأنا من البلد الفلاني وأنت من البلد الفلاني! هذه يجب أن تقطعوها بينكم وأن لا تلقوا لها بالاً حتى تكونوا قلباً واحداً وأملاً واحداً وكأنكم جسماً واحداً.

ثانياً: تعلمون ـ بارك الله فيكم ـ أن هذا السكن الذي أنتم ساكنوه أنه يُعتبر بيتاً واحداً، وإن بعضكم على بعض عينٌ بالنسبة لطاعة الله عزَّ جلّ، بمعنى أنكم إذا رأيتم أحداً قد فرَّط في واجب أو أصرَّ على محرم؛ نصحتموه أوَّلاً وخوَّفتموه بالله عزَّ وجلّ وبينتم له ثمرة العلم، وأن ثمرة العلم هي العمل، وأنت تعلم أن هذا محرم، أو أن الصلاة مع الجماعة واجبة، فلماذا تتخلَّف؟

انصحوه مرة بعد أخرى، فإن استقام، فالخير لكم وله، وإن لم يستقم فالخير لكم، وعليكم أن ترفعوه إلى المسؤولين حتى يهذَّب ويُصْلَحَ ويؤدَّب، والتعزير على ترك الواجب أو على فعل المحرم أمر وارد شرعاً، بل إن التعزير عند كثير من العلماء واجب كما هي عبارة الفقهاء: التعزير والتأديب وهو واجب في كل معصية لا حد فيها ولا كفّارة؟ أبلغوا عنه، لا لقصد الانتقام منه أو إيذائه أو الإضرار به، ولكن لقصد إصلاح حاله؛ لأن من لا يزعُّه الإيمان، فليمنعه السلطان، والله تبارك وتعالى جعل الحدود مانعة من المعاصي؛ لأن الإنسان إن

كان فيه وازع إيماني ترك المعصية للوازع الإيماني، وإن كان ضعيفاً فإنه يقوَّم بالرادع السلطاني.

لذلك أقول لكم: إن من الواجب عليكم أنكم إذا رأيتم أحداً في هذا الإسكان مقصِّراً في واجب أو منتهِكاً لمحرم أن تعاملوه بالنصيحة أولاً، فإن استقام فهذا المطلوب وإن لم يستقم نكلِّم المسؤولين.

ولا يجوز أن نتخلف عن هذا؛ لأننا أمة واحدة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان ١٠٤، ١٠٥].

ثالثاً: أنتم في سكن واحد، والإنسان لا يخلو من مصيبة تحدث له، إما في بدنه وإما في ماله وإما في أهله، أليس كذلك؟ هذا هو الأصل، فإذا قُدِّر على أحدكم مصيبة فواسُوه وساعدوه بقدر المستطاع، ولو بالإيناس والكلام الطيب وإزالة أثر المصيبة في حقه؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وإياكم إياكم أن تتخذوا من المصائب التي تصيب إخوانكم وسيلة للتشهير به والشماتة به؛ فإنَّ مَن عيَّرَ أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله، ولا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك، واسُوا أخاكم المصاب، وساعدوه وأعينوه.

ومن ذلك: أن تحذِّروه من الغش؛ لأن الغش مصيبة، وهو ظلم،

حتى إن الرسول ﷺ تبرَّأ من الغاش[1]، حذَّروه من ذلك، قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «اُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» قالوا: يا رسول الله هذا المظلوم ـ يعني لازم علينا أن ننصره، وندفع عنه الظلم ـ فكيف نصر الظالم؟ قال: «تمنعه من الظلم فذلك نصره»[2].

وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام، إذا منعته من الظلم فهذا نصر؛ لأنك نصرت نفسه المطمئنّة على نفسه الأمّارة بالسوء، فإن الإنسان له نفسان: نفس مطمئنة تأمره بالخير، وتنهاه عن الشر، ونفس أمّارة بالسوء عكس ذلك.

فأقول: إذا رأيتم من يغش سواء كان في واجب أُعْطِيَهُ أو بامتحان؛ انصحوه وبيِّنوا أنه سوف يندم إذا فتح الله عليه إن عاجلاً أو آجلاً، ولقد كان بعض الناس يسألنا حين كان يغش ثم منَّ الله عليه بالاستقامة والالتزام، بعد أن تخرَّج وأخذ الوظيفة المرتَّبة على هذه الشهادة المزوَّرة، ماذا يصنع؟ فتجده يبقى قلقاً: هل يترك الوظيفة أو يعيد الامتحان أو ماذا يصنع؟ لكن هذا لا يتفطَّن له إلاَّ إذا منَّ الله عليه بالاستقامة، وزالت عنه غمرة السَفَه، فإياكم والغش والتمكين من الغش، انصحوا إخوانكم فإن ذلك خير لكم.

رابعاً: تعلمون أن الناس يخوضون في أشياء كثيرة، سواء كانت في عامة الناس، أو في العلماء، أو في الأمراء، أو في الدعاة، أو في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) من حديث أنس.

المؤلفين، أو في أشياء كثيرة، هذا الكلام الذي يخوض الناس فيه هو من الأمر الذي نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فقد كان ينهى عن «قيل وقال»[1]، يعني: الكلام الذي ليس له أصل وليس ثابتاً، ينهىٰ عنه عليه الصلاة والسلام، كأن يقول: والله سمعنا قيل كذا، وقال فلان كذا، بدون تثبُّت، «وعن كثرة السؤال»، ومنه ــ أعني كثرة السؤال ــ أن تقول: ماذا كان على فلان؟ ماذا كان على فلان؟ خصوصاً إذا كان سؤالك لا يترتب عليه مصلحة، «وعن إضاعة المال»، وإضاعة المال لا شك أنها سفه، وإضاعة الوقت أشدّ سفهاً.

والوقت أغلى على الإنسان من المال، ويظهر ذلك إذا حضره الموت؛ علم أن الوقت أهم من المال؛ يقول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾ [سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩، ١٠٠]، لم يقل: ارجعون لأتمتع بالدنيا، قال: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٠٠] هذا المال الذي تركته وخلفته ردَّني إليه يا رب لَعَلِّي أعمل صالحاً فيه، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ ﴾ [سورة النبأ: الآية ٤] يعني لا رجوع، أو بمعنى: حقّاً ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٠٠].

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧) عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال». وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٣) نحوه.

إن الاشتغال بالقيل والقال وماذا طرأ على فلان، يوجب للطالب شيئين ليس أمرها بالهين:

الأول: أنه يصرفه عن الإقبال إلى الله؛ لأن قلبه يكون مشغولاً بأخبار الناس، وماذا قال فلان، وماذا قيل له، وماذا قيل عنه؟ فينصرف عن طاعة الله؛ لأنكم تعلمون أن القلب إناءٌ، إذا امتلأ من شيء لم يحتمل الشيء الآخر، لو ملأت إناء لبناً هل يمكن أن تضيف إليه ماءً؟ أجب، لا، ولو أضفنا إليه ماءً لساح، القلب كذلك إذا تعلَّق بشيء فإنه يغفل عن الشيء الآخر.

ولهذا اسمع إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف: الآية ٢٨].

الشيء الثاني مما يحصل بتتبع الأقوال وماذا قيل، أنه يحصل بذلك الغفلة عمّا هو أهم، عن تعلم الإنسان، عن دروسه، عن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، عن أشياء كثيرة من مصالحه، وهذا أمر لو أنكم رجعتم وحاسبتم أنفسكم لوجدتم أنه كذلك.

فإياكم والتشاغل بأمر يضيِّع عليكم الأوقات ولا يفيدكم، اتجهوا إلى التشاغل بالعلم والعمل به والدعوة إلى الله عزَّ وجلّ، دون إعجاب بالنفس ودون احتقار للغير؛ لأن هذين داءان عظيمان: الإعجاب بالنفس والاحتقار للغير.

ثم إني أرجو منكم أن تكونوا دعاةً إلى الخير في بلادكم، وأن تُروا الناس أخلاقكم وأعمالكم التي اكتسبتموها في هذه الجامعة، حتى

تكونوا نوراً مُشِعّاً للأمة وهداةً لعباد الله، اجعلوا أنفسكم يُشار إليهم ويقال: انظروا إلى هذا الطالب كيف تهذَّبت أخلاقه، كيف حسنت أعماله، حتى تكونوا قدوة.

وإياكم أن يُشار إليكم بأصابع السب والشتم، وعدم المبالاة وسوء المعاملة، فإن هذا ليس عيباً في الشخص نفسه ولكنه عيب فيه وفي الجامعة التي ينتمي إليها في نظر عامة الناس.

هذا ــ ونظراً لكثرة الأسئلة التي أمامي ــ ما أردت أن أقوله في توجيهكم، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون إمامُكم كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ). انتهى كلام الشيخ العلاَّمة محمد بن صالح بن عثيمين حفظه الله.

جزى الله سماحة الشيخ خير الجزاء ونفعنا بما سمعنا، والحقيقة كما ذكر سماحته الأسئلة كثيرة جداً، ولكن قد ينوب بعضها عن بعض، فنكتفي ببعض منها:

سـؤال: سماحة الشيخ: سؤالي: كيف أرتِّب بين دروس الكلية والدروس الخارجية، أي دروس المساجد عند العلماء؟

الجواب: لا أستطيع الجواب على هذا؛ لأن كل إنسان أدرى بنفسه، لكن أستطيع أن أقول: إذا تزاحمت هذه الدروس، فأيها أقدِّم: الدروس النظامية الجامعية أو الدروس عند العلماء؟ فأرى أن الإنسان يحرص على الدروس الجامعية؛ لأن مدة الدراسة بالجامعة قليلة إذا وفق الإنسان للنجاح كل سنة، وكما تعلمون الآن أن المناصب القيادية في

القضاء والتعليم والإدارة والرئاسة مبنية على الشهادة، وأن الإنسان مهما بلغ علمه، إذا لم يكن لديه شهادة، فإنه لن يقام له وزن، وأنت إذا طلبت العلم في الجامعة لهذا الغرض، أي من أجل أن تنال شهادةً تستطيع أن تصل بها إلى مناصب قيادية، فهذه نية طيبة وليس فيها شيء من الشرك في النيّة.

لو اجتمع شخصان أحدهما معه الشهادة الجامعية، والثاني ليس معه شهادة، والثاني أعلم من الأول، فأيهما يقدم في الوظائف القيادية؟ يقدَّم من معه الشهادة، وحينئذٍ أرى إذا تزاحمت أن يقدم الإنسان الدراسة الجامعية، أما إذا لم تتزاحم بأن تكون الدراسة في المساجد موافقة للدراسة في الجامعة، فالأمر ظاهر أنه يمكن أن يجمع بين هذا وهذا، على أن الدراسة في المساجد الآن أصبحت ميسرة؛ إذ إن غالب الذين يدرسون في المساجد يكون عندهم مسجِّل يسجِّل كلماتهم وأسئلة الطلاب وأجوبتهم، فإذا أخذ الإنسان من هذه الأشرطة وصار يستمع إليها في وقت فراغه فكأنه لم يَفُته شيء.

سـؤال: سؤاله الآخر: لماذا لا يكون لكم درس أُسبوعي في مدينة الرياض؟

الجواب: لأن النهر لا يُروي البحر.

سـؤال: سماحة الشيخ: أنا أحبك في الله وأطال الله في عمرك على الطاعة والإيمان، كيف كنت تقرأ كتب العلم في بداية طلبك للعلم؟ وما هي الكتب التي قرأتها في بداية الطلب، حيث إني طالب وأجد مللاً عند القراءة ولا أجيد اختيار الكتب وجزاك الله خيراً؟

الجواب: أقول لهذا الطالب: أحبه الله الذي أحبّنا فيه، ابتداء طلبي كان على أيدي المشايخ وكان شيخي الأول عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ليس عنده هذه المواد الكثيرة: تجد القراءة في التفسير، القراءة في العقيدة، القراءة في التوحيد، في الفقه وفي الحديث في بلوغ المرام، فالمنهج يسير، كلٌّ يستطيع أن يلم به، وكنا نحفظ الآجرومية أولاً في النحو، ثم متن القطر ثم الألفية، نحفظ أيضاً في الحديث عمدة الأحكام، ومنا من حفظ بلوغ المرام، نحفظ في العقيدة: العقيدة الواسطية، في التوحيد: نقرأ في كتاب التوحيد منا من يحفظه ومنا من لا يحفظه، في الفقه: زاد المستقنع نحفظه ونقرأه على الشيخ، وحصلنا على خير كثير، ثم لما فتحت المعاهد أشار علينا بعض الناس أن نحضر إلى الرياض ونقرأ في المعاهد العلمية، وقرأنا واستفدنا علوماً جديدة كعلم البلاغة وكذلك علم المصطلح وعلم الصرف، ثم تابعنا الدراسة على المشايخ أيضاً على الشيخ عبد العزيز بن باز، ولم ندرك الدراسة على الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

وبعد سنتين أو ثلاث رجعنا إلى البلد وصرنا ندرِّس الطلاب في المعاهد العلمية، ثم لما فتح فرع جامعة القصيم صرنا ندرس فيه، لكن الحقيقة أنني لم أجد البركة في العلم إلا فيما تلقَّيته في المساجد، أما ما أخذناه من المعاهد والكلية فاستفدنا فوائد جديدة كالفنون التي ذكرت لكم، واستفدنا أيضاً أنّا أخذنا الشهادة حتى نستطيع أن ندرس في الجامعة وغيرها مما تؤهِّلنا له هذه الشهادة.

سؤال: سماحة الشيخ: نرجو من سماحتكم توجيه الشباب لما يحصل بينهم من بعض المحرمات التي استهانوا بها، وأعني بالشباب: الشباب الملتزم بشرع الله، وأعني بالمحرمات: ما يحصل بينهم من حكايات الطرف الكاذبة للضحك والغيبة، وكذلك عدم التناصح بينهم عند وقوع ذلك؟

الجواب: أما التناصح بينهم فقد أفضت في القول فيه، وأما ما ذكر من إلقاء النكت التي لا يُقصد بها إلا الإضحاك؛ فإنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ويل لمن حدَّث فكذب ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له»[1]، فأعاد النبي ﷺ الويل ثلاث مرات لمن كذب ليضحك به القوم، وإني لأربأ بالطالب أن ينحدر إلى هذا، إلى أن يكذب ليضحك الناس، وأرجو أن تكون مجالس الطلبة في البحث العلمي مثل: أن يُلقوا بينهم مسألة فيها شيء من الإعجاز، أو الإلغاز، حتى تتفتح الأفهام والأذهان، ومن الممكن أن يُلقى بينهم في النحو مثلاً: قول الشاعر:

لقد طاف عبدَا اللَّهِ بالبيتَ سبعةً ... وحجَّ منى الناسُ الكرامُ الأفاضلُ

وما توجيه البيت هذا؟ وحج مِنى الناسُ الكرام الأفاضلُ، إذا مِنى مفعول حج، والناس فاعل، لقد طافَ عبدَا اللَّهِ بالبيتَ سبعةً. . معنى البيت أن رجلين حملاه وطافا به البيت. الصواب أنَّ معنى البيت على أنَّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) من حديث معاوية بن حيدة وقد تقدم ص ١٧٢.

عبدا مثنى عبد فهو مرفوع بالألف، ولكن عند النطق، لا يكون الفرق واضحاً جدّاً بين عبدَ الله وعبدا الله.

أقول مثل هذه الطُرف والألغاز تُغني عن الطُرف التي للضحك فقط، ولو قال قائل: رجل له أبٌ من الرضاع وليس له أُم من الرضاع، كيف هذا؟ من أرضعه حتى يكون له أب من الرضاع وليس له أم من الرضاع، رجلٌ له أربع زوجات وأمة تسرّاها من كل واحدة رضعة، صار له أب، أما لو كان له زوجتان فقط، أرضعته إحداهما: ثلاثاً والأخرى ثلاثاً، صار له أب من الرضاع وليس له أُم.

أنّا أقول: إن مثل هذه المسائل فيها تفتيح الأذهان، وشد الانتباه، وهي في نفس الوقت تسلية، كذلك أيضاً يمكن أن تكون التسلية فيما يسمّونه بالمساجلة، مساجلة الشعر، يقول أحدهم بيتاً، ثم يقول الثاني بعده بيتاً مبدوءاً بحرف القافية من البيت الأول كما لو قلت:

دع الأقــدار تفعــل مــا تشــاء وطـب نفسـاً بمـا فعـل القضـاء

من يأتي به، من يساجل، نعم... تفضل: قال أحد الطلاَّب:

أقولها لها وقد طارت شعاعاً من الأخطار ويحك لن تراعي

بارك الله فيك، لكن أنا أتيت بهذا البيت: دع الأقدار تفعل ما تشاء، لأُبيِّن أن فيه خطأ، ما هو الخطأ؟ خطأ في العقيدة، من يعرف الخطأ؟ هل الأقدار هي التي تفعل أو مقدرها؟ نعم، مُقَدِّرُها، ولهذا لا يضاف الشيء إلى قدرة الله إلاَّ إذا قيل: اقتضت قدرة الله كذا وكذا، أما أن يردَّ إلى القدرة على أنها فعلت فلا، ولهذا يخطىء من يعبر

فيقول: شاء القدر كذا كذا، هذا غلط؛ لأن القدر لا يشاء ولا يستقل بالفعل، وإنما الذي يشاء ويفعل هو الله سبحانه وتعالى.

والحاصل: أنَّ الذي يأتي بالنكت من أجل أن يضحك القوم متوعَّداً بالويل، أما الغيبة فهي أشد؛ لأن الغيبة من كبائر الذنوب التي لا تُمحى إلا بتوبة، وتزداد قُبحاً إذا كانت للعلماء أو للأمراء أو لأهل الخير عموماً.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الانتماء إلى الجماعات الإسلامية والتحزُّب لها، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الانتماء إلى الجماعات الإسلامية الموجب للتفرُّق محرم لا شك؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٣]، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٩]، فالواجب أن نكون أمةً واحدة كما أمرنا الله بذلك، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وندعوا إلى الخير.

والواجب إذا خالفنا مَنْ يخالفنا ونرى أنه مخطىء: أن نناصحه ونبين له الحق وندعوه إليه، أما أن نتخذ من خطئه سبباً بالتشهير به وغيبته وسبه، فهذا لا يجوز.

ولو تأمَّلتم ورجعتم إلى التاريخ؛ لوجدتم أن هذا الانقسام

لا يوجد في الصحابة، ما منهم أحد يقول: إنه سلفي، أو إنه إصلاحي، أو إنه كذا وكذا مما يُنسب إلى الطوائف، كلهم كانوا على ما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، كلنا قرآني، كلنا سنّي، كلنا سلفي، لكن ليس معنى ذلك أن نضلل الفئات الأخرى إذا كانت موافقة للهدف الذي نحن عليه، ولا يجوز أبداً أن يكون هذا التحزّب، وأن يكون كل حزب بما لديهم فرحون.

سـؤال: سماحة الشيخ: هلاَّ ألقيت الضوء على سيرة شيخكم العلاَّمة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وكيفية طلبه للعلم وجوانب من سيرته العلمية وآثاره؟

الجواب: هذا يحتاج إلى وقت طويل، ويمكن إدراكه بما كتب له من تراجم؛ لأن بعض كتبه المطبوعة فيها ترجمة له.

سـؤال: سماحة الشيخ: كيف كان هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام في ركعتي سنّة الفجر؟

الجواب: سنّة الفجر إحدى الرواتب التابعة للمكتوبات، يعني أنها اثنتا عشرة ركعة، أفضلها راتبة الفجر، فقد كان النبـي ﷺ يحافظ عليها حضراً وسفراً، وتختص هذه الراتبة بأنه ينبغي فيها التخفيف حتى قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف تخفيف النبـي ﷺ لها: (حتى إني أقول: أقرأَ بأُم القرآن؟)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٧١).

وتختص هاتان الركعتان بأنه يشرع فيهما قراءة شيء معيَّن من القرآن، وهو سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [سورة الكافرون: الآية ١] في الركعة الأولى، وسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١] في الثانية، أو ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ . . .﴾ إلخ الآية [١٣٦] من سورة البقرة، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . . .﴾ الآية [٦٤] من سورة آل عمران.

فهدي النبي ﷺ في هاتين الركعتين أنه كان لا يدعهما حضراً ولا سفراً، وأنه كان يخففهما، وأنه كان يقرأ بما سمعتم، ثم إنه عليه الصلاة والسلام كان يضطجع بعدهما[١] أي بعد هاتين الركعتين، وهذا الاضطجاع من العجب أن بعض الناس ـ أي بعض العلماء ـ قال: إنه شرط لصحة صلاة الفجر، وأن من لم يضطجع بعد سنة الفجر، فصلاة الفجر في حقه باطلة، أسمعتم هذا القول؟ هو قول غريب! أي علاقة بين الاضطجاع بعد سنّة الفجر وبين صلاة الفجر؟

ومن العلماء من قال: إنَّ الاضطجاع يعدُّ سنَّة بكل حال لكنه لا علاقة له بصلاة الفجر.

ومنهم من قال: إنَّ الاضطجاع بعدهما سنَّة لمن كان يقوم الليل حتى ينشط لقيام صلاة الفريضة، وهذا الأخير قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والقول الأول قول ابن حزم، لكنه لا حظَّ له في

(١) أخرجه البخاري (١١٦١) من حديث عائشة.

الدليل، والصواب أنه سنّة لمن كان يقوم الليل، لكن بشرط أن يأمن من فوت صلاة الفجر؛ لأن بعض الناس ربما ينام ابتغاء السنّة ولكن تفوته صلاة الفجر، إما مع الجماعة، وإما يفوته الوقت كله! نعم، بقي أن يقال: لو فاتته هذه السنّة، فهل يقضيها أو لا.

والجواب: نعم يقضيها: إما بعد صلاة الفجر، أو يؤخرها حتى ترتفع الشمس قِيد رُمح.

سـؤال: سماحة الشيخ: إني أحبك في الله، وإن الطالب في هذا السكن في غرفته وحيداً يطرأُ عليه بعض الشهوات من الشيطان، فما هي نصيحتكم لأمثاله؟

الجواب: أحبه الله الذي أحبنا فيه، أما نصيحتي لهؤلاء:

فأن يتعوَّذ الإنسان بالله من الشيطان الرجيم؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة فصلت: الآية ٣٦]، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ويعتقد أنه مضطر إلى معونة الله وإلى عصمة الله، وأنه لولا عصمة الله لهلك.

ثانياً: أن يقوم يقرأ القرآن، يتوضأ، يصلِّي، يراجع، حتى يزول ما أثاره الشيطان.

ومنها أن يحرص على الزواج المبكر؛ فإن النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حثَّ عليه الشباب وقال: «يا معشر الشباب، من

استطاع منكم الباءة فليتزوَّج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم»[1].

سؤال: سماحة الشيخ: إني أحبكم في الله، وبعد، ففي قاعات الدراسة هناك بعض الطلبة ـ وقد أكون منهم ـ من ينشغل عن الدرس بقراءة كتاب خارج عن الدرس، وذلك لأن الدرس غير مفيد أو أنه ممل قليلاً، أو لأني أجد في الكتاب فائدة أكثر مما يقوله الأستاذ، فما نصيحتكم لي ولأمثالي؟

الجواب: أحبَّه الله الذي أحبَّنا فيه، وبالنسبة للتشاغل عن الدرس الذي يُلقى، أرى أنه لا يجوز؛ لأنك دخلت هذه الجامعة ملتزماً ما يكون فيها، ومنها الدراسة المعينة، فإذا تلهيت عنها لم تكن موفياً بالعقد والعهد، فالأقرب عندي أنه لا يجوز أن يتشاغل بغير ما يقرؤه الأستاذ، أو يشرحه الأُستاذ.

وأما كون الدرس مملاً، فالإنسان إذا أعطى نفسه الملل من شيء ملَّه، لكن إذا وطَّن نفسه على أنه لا بد أن يحضر قلبه له؛ زال عنه الملل.

وأما كون الأستاذ لا يشرح الشرح الوافي، فهذا يمكن معالجته بحيث إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لجميع الطلبة يُقال للمدرِّس: نحبّ أن تشرح لنا شرحاً أوفى من هذا، أو تبين لنا بياناً أوضح من هذا،

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥، ٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

والأشياء يمكن القضاء عليها بالتناصح والتعاون.

سؤال: سماحة الشيخ: ما رأيك فيمن يقول: لا تقم بالدعوة إلا بعد أن تكون طالب علمٍ كبير، وإننا ـ ولله الحمد ـ عندنا ما نتكلَّم به مع الناس وما يؤهِّلنا للقيام بالدعوة، علماً بأن الرسول ﷺ قال: «بلِّغوا عنِّي ولو آية...» الحديث[1].

الجواب: أعتقد أن السائل أجاب، أجاب نفسه بكلام من هو خير مني، وهو من؟ الرسول عليه الصلاة والسلام، قال: «بلِّغوا عنِّي ولو آية»، والإنسان مأمور أن يبلغ ما علمه من شريعة الله ولو كان قليلاً، ولكن يجب أن يحذر من أن يجعل نفسه مفتياً كبيراً؛ لأن بعض الناس إذا تكلم بموعظة ثم قام الحاضرون يسألونه صار يفتي بما هو صواب وما هو خطأ، وتقول له نفسه: إنك إذا قلت: لا أدري؛ نزلت مرتبتك عند الناس، وهذا ـ والله ـ خطأ، إن الإنسان إذا قال فيما لا يدري عنه: أنا لا أدري؛ فإن منزلته عند الناس ترتفع، كما أن منزلته عند الله ترتفع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦]، تقف: مأخوذة من القفا، ومن كان يسير قفا غيره فهو متَّبع له، يعني لا تتَّبع ما ليس لك به علم قولاً ولا انقياداً: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

﴿تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٣]، فالإنسان إذا قال فيما لا يعلم: لا أعلم، فهذا والله هو العلم، وهو الإيمان، وحينئذٍ يزداد الناس به ثقةً ويحترمونه ويعظِّمونه، أما إذا كان لا يتورع: كل ما سُئل عنه قال كذا وكذا؛ فهذا من الخطأ.

ولقد حكى لنا شيخنا رحمه الله في أوان الطلب قصة عن ابن جني، وابن جني عالم من علماء النحو وذكي، وله والد يتظاهر بأنه عالم وشيخ، فيسأله الناس ـ يسألون والده ـ وهو ليس عنده علم، ويقف حيران، يقال: إن ابنه قال له: يا أبت كلما سألك أحد عن مسألة فقل: فيها قولان، مثلاً هذا حلال أو حرام، قال: فيه قولان، يعني قول يقول حلال، وقول يقول: حرام، فجاء رجل فقال له: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ١٠]، قال: فيها قولان، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ١٠] قال: فيها قولان!!! ثم أحاله على ابنه، قال: يفسر القولين ابني، فكيف تفسِّرون هذا؟ أجيبوا يا جماعة، خصوصاً طلاب العربية، ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ١٠] فيها قولان!! أين طلاب العربية؟ هم يستحيون وإلا، أنا قلت لكم في أول كلامي: الصراحة أحسن شيء، ما أحد يعرف؟ قال: قولان في إعرابها، هل يكون شك فاعل للضمير المستتر في (أَ) أَمستقرٌ في الآية شك، أو أنها مبتدأ والخبر الجار والمجرور المتقدِّم، تتخرج وصار القولان في إعراب الآية، لا في وجود الله.

فأقول: بارك الله فيكم، إن من الناس من يتسرَّع في الإفتاء، ويقول: هذا حلال وهذا حرام، وإذا كان ورعاً قال: والله يحتمل هذا وهذا!

فلا يجوز للإنسان أن يُقدِم على الفتوى إلا إذا رأى أن هذا هو شرع الله عزَّ وجلّ.

سـؤال: سماحة الشيخ: أرجو من سماحتكم إلقاء الضوء على قوله ﷺ: «من مات من غير بيعة مات ميتةً جاهلية»، وما هي نواقض البيعة؟

الجواب: البيعة هي المبايعة، مبايعة ولاة الأمور على السمع والطاعة في غير المعصية، وهي مأخوذة من الباع مُغرم بنشر مساوىء وُلاة الأمور، وكتمان محاسنهم، وهذا كما أنه خطأ من جهة نشر المساوىء فهو خطأ مركَّب من جهة كتمان المحاسن، نشر مساوىء وُلاة الأمور يترتَّب عليه أن تمتلىء قلوب العامة بغضاً وحقداً على ولي الأمر، ويترتَّب على ذلك مخالفة وُلاة الأمور فيما يجب على الإنسان طاعتهم فيه.

فإذا رأى أحد من الناس أن ولي الأمر منهمك بالمعاصي، فخلع بيعته من رقبته وقال: أنا لا أقرّ بأن هذا ولي لأمري، أو أن هذا إمامٌ لي، فإنه إذا مات على ذلك مات ميتةً جاهلية.

والواجب علينا أن نعتقد أن وُلاة أمورنا لهم بيعة في أعناقنا وسمع وطاعة، وأن لنا قائداً يوجِّهنا ويلزمنا بالشريعة، إذا كان النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أمر المسافرين إذا كانوا ثلاثة أن يؤمِّروا

أحدهم[1]؛ فكيف بأمة عظيمة لا يكون لها قائد؟ فهذا الذي يموت وليس في عنقه بيعة لولي أمر المسلمين يموت ميتة جاهلية؛ لأنه لا بد للأمة الإسلامية من إمامٍ يدبِّر أمورها وشؤونها وإن كان فيه نقص في واجب أو في فعل محرم، فهذا لا يسلم منه أحد.

فالواجب علينا طاعتهم في غير معصية الله، وإن عصوا الله هم، معصيتهم عليهم وطاعتهم واجبة علينا، وبيعتهم في أعناقنا، ولا يلزم من البيعة أن يبايع كل واحد من الناس، يعني لو قال قائل: أنا ما بايعت، ولا قيل لي: احضر البيعة، نقول: هذا ليس بلازم، البيعة إنما تكون ممن بيدهم الحل والعقد وأشراف الناس وكبرائهم، ولهذا لا يستطيع أحد أن يقول: إن أبا بكر رضي الله عنه وهو أول خليفة في الأمة بايعه حتى العجائز في المدينة، ما يمكن أحد يقول هذا، وإنما بايعه أهل الحل والعقد، فمن سولت له نفسه وقال: أنا ما بايعت الإمام ولا في عنقي بيعة له، قلنا: هذا خطأ، إذا بايع أهل الحل والعقد الإمام ثبتت إمامته، سواء بايعت أنت أو لا، وهذا هو طريق المسلمين من الخليفة الأول إلى آخر خليفة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما رأي سماحتكم فيمن يرى عدم زكاة الأوراق النقدية، وهل يدخل فيها الربا؟

الجواب: من المعلوم أن الأوراق النقدية لم تكن نقداً إلا في عصور متأخِّرة، ولهذا اختلف أهل العلم فيها على نحو ستة أقوال، لكن أصح

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

الأقوال فيها، فيما نرى، أن حكمها حكم النقد التي جُعلت بدلاً عنه، وأنه يجري فيها ربا النسيئة دون ربا الفضل، بمعنى أنك لو أبدلت دراهم سعودية بدولارات أمريكية بدون تقابض في مجلس العقد كان حراماً، ولو أبدلتها بزيادة بتفاضل بينها فلا بأس، يعني لو قدرنا أن الدولار الأمريكي يساوي أربعة ريالات واشتريته من شخص آخر بخمسة ريالات؛ لأنك تحتاج إليه؛ لكان هذا جائزاً.

وهذا القول الذي أراه هو قول وسط بين من يمنع فيها ربا النسيئة وربا الفضل، وبين من يجيز فيها ربا النسيئة وربا الفضل.

ولقد كان من بين الأقوال فيها أنه لا يجوز التعامل بها إطلاقاً؛ لأنه يقول: إنها ديون على الحكومة التي أصدرتها، وبيع الدين على غير من هو عليه حرام، وأنه لا يجوز للإنسان أن يتعامل بها إلا عند الضرورة، فإذا كان يحتاج إلى شراء خبزة بورقة فلا بأس، أما إذا أراد أن يزيد خبزتين وهو في غنى عن الثانية؛ فإنه لا يجوز أن يشتري، يستطيع أن يشتري ثوباً بعشرة ريالات يكسو به عورته ولكن لا يجوز أن يشتري ثوباً بخمسة عشر ريالاً؛ لأنه أجمل، وهذا القول لا شك أنه قول لا يمكن العمل به، لكن حكيته لكم لتعلموا كيف وجهات النظر.

والرأي الذي أشار إليه السائل يقول: هذه النقود عروض بمنزلة الثياب ليس فيها ربا، لا ربا النسيئة ولا ربا الفضل، وليس فيها زكاة إلا أن تُعَدّ للتجارة كسائر العروض، وهذا وإن كان ظاهر كلام فقهاء الحنابلة رحمهم الله حيث قالوا: إن الفلوس ليس فيها ربا مطلقاً، فإنه

قول ضعيف، وأقرب الأقوال عندي فيها أنها بمنزلة النقود التي جُعلت بدلاً عنها فتجب فيها الزكاة، ويجري فيها الربا، لكن ربا النسيئة دون ربا الفضل.

وبناءً على ذلك لو أن أحداً اشترى ورقةً من فئة العشرة بتسعة ريالات معدن، يجوز أو لا يجوز؟ بناءً على ما اخترناه: يجوز، لا سيما وأن الجنس مختلف. قال النبـي ﷺ: «إذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»[1].

سؤال: سماحة الشيخ: ما منهج صاحب تفسير (في ظلال القرآن) في العقيدة؟ وهل يُعوَّلُ عليه في تفسير كتاب الله؟

الجواب: هذا الكتاب لا أريد أن أقرأه، لكني أرى أن في كتب التفسير المشهورة ما هو خير منه بكثير كتفسير ابن كثير، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وتفسير أبـي بكر الجزائري، وتفسير القرطبـي وإن كان فيه بعض الأشياء الضعيفة فيما يختص بالحديث؛ لأن القرطبـي رحمه الله في الحديث حاطب ليل يأتي بالصحيح والحسن والضعيف، لكن التفاسير الأخرى فيها غِنى عنه.

وتفسير ظلال القرآن ليس تفسيراً في الواقع؛ لأن صاحبه الذي ألفه سمَّاه: «في ظلال القرآن»، أي: أنه ليس داخلاً في عمق القرآن، ولهذا تجد أسلوبه أسلوباً عائماً عامّاً، يصور لك المعنى الإجمالي،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبـي هريرة.

ويندر قليلاً جداً أن يتكلَّم على الألفاظ والكلمات وحدها، ثم إن فيه أشياء خطيرة جداً نبّه عليها العلماء كعبد الله الدويش رحمه الله والألباني، فقد مرَّ بي منذ عهد طويل انتقادات للألباني على تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١]، واطَّلعت أنا بنفسي على تفسيره لـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١]، فوجدته فظيعاً لا يمكن أن أحداً يوافقه على هذا، إلا من قال بوحدة الوجود، وكذلك تفسيره استواء الله على العرش بأنه عبارة عن الهيمنة والسيطرة، وهذا كتفسير المعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن قالوا: إن ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ [سورة فصلت: الآية ١١] بمعنى: استولى!

على كل حال الكتاب لم أقرأه كله، ولكني مع هذا أقول: الرجل وافى ربه، إن كان مخطئاً عن اجتهاد فالله يغفر له، والمجتهد من هذه الأمة إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وإن كان مخطئاً عن تقصير وتفريط في طلب الحق فالله يتولى أمره.

أما نحن بالنسبة إلينا، فلا يجوز لنا إطلاقاً أن نجعل منهج الرجل وتفسيره هو الرابطة بيننا، أو هو محك البراءة والولاية، كما يفعله كثير من الناس اليوم، يرون أن من تكلم في هذا الرجل فهو إن أثنى عليه فهو ولّينا وإن لم يثن عليه فهو عدونا! هذا غلط، الرجل نرجو له من الله المغفرة؛ لأنه من المسلمين يخطىء ويصيب، ولا نتكلم في خطئه وصوابه على وجه يكون سبباً في التعادي بيننا، وفي كتب التفسير ما هو خير من تفسيره ألف مرة، وكتابه: «في ظلال القرآن» ليس تفسيراً كما

قلت لكم، لكنه يحوم حول المعنى بعبارات إجمالية، وفيه هذه الغلطات التي أشرت إليها، وربما يكون فيه أكثر لكني ما تتبَّعته تتبُّعاً تبرأ به الذمة للقول فيه، إلاَّ أني أرجو من الإخوان . . .

وأن يقولوا: هو كغيره من الناس يخطىء ويصيب، ونرجو له المغفرة فيما أخطأ فيه، وهو قد لاقى ربه وليس لنا من شأنه شيء، أما كتابه فإني أنصح من أراد أن يقف على تفسير القرآن حقيقة أن يقرأ في كتب أخرى خير من كتابه هذا.

سؤال: سماحة الشيخ: هل ورد أن الإنسان إذا أراد أن يمنع الجن من دخول منزله أن يأخذ إناءً فيه ماء، فيقرأ فيه آية الكرسي والمعوذتين، ثم يرش به على أطراف المنزل، وهل هذا صحيح؟

الجواب: هذا ليس بصحيح، لكن الصحيح أن: «من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح» كما في حديث أبي هريرة.

سؤال: سماحة الشيخ: نشهد الله على حبكم، والسؤال هو أن هناك من الإخوة ــ جزاه الله خيراً ــ من يقوم بإيقاظ إخوانه في المبنى كل يوم في صلاة الفجر بطرق الباب على كل واحدٍ منهم، ولكن هناك من يخرج لهذا الأخ ويسبه ويقول: إن هذا الفعل تنطُّعٌ، فهل من نصيحة لهؤلاء؟

الجواب: أرى أن من نعمة الله على العبد أن ييسِّر الله له من يوقظه

للصلاة، وقد قال العلماء رحمهم الله: إنه يجب على الإنسان أن يوقظ النائم إذا خاف فوت الوقت أو فوت الجماعة، يجب وجوباً، فالذي ينبغي لهذا الذي طُرِق عليه الباب أن يشكر من طرق عليه الباب، ويقول: جزاك الله خيراً أعنتني. وهو إذا شكر، ورأى أن ذلك من إحسانه إليه، وقام وصلَّى مع الجماعة، فسيجد لذة ذلك في قلبه وزيادة الإيمان وحلاوة الإيمان.

لكن سألني سائل وقال: إنه يوجد واحد يتتبَّع دليل الهاتف، فإذا وجد رقماً بعد أذان الفجر زهم عليه، وقال: قم لصلاة الفجر! هذا هو التنطُّع، وهذا هو الذي لا يجوز؛ لأنه قد يصادف من ليس عليه جماعة، قد يصادف امرأة ليس عليها صلاة، قد يصادف كافراً لا يصلي، فكونه يتتبع أرقام الدليل وكلما وجد رقماً زهم عليه وقال: قم صل! هذا غلط ولا يجوز.

سؤال: سماحة الشيخ: والله إني أُشهد الرب على محبَّتكم فيه، وأجرى الله الحقَّ على لسانك، كثُر الكلام وطال حول منهجية الشيخ: ربيع المدخلي، فما رأيكم في كتاباته ومنهجيَّته. وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: أقول: جزاه الله خيراً على ما أبداه من المحبة لنا، ومقامنا هنا ليس مقام تقويم للرجال، وإنما تقويم للأقوال، وليس لي جواب على هذا السؤال. ولا تظن أن هذا إحجام عن الثناء عليه، والرجل أَعْرِف أنه حريص على اتِّباع السنَّة، وهو ممن نحبّه في الله، وقد أثنى عليه من هو أعظمُ مِنِّي وأَعْرَفُ بحالِه.

سؤال: سماحة الشيخ: إنَّ الله سبحانه وتعالى منَّ عليَّ أنا ووالدتي بالحج في هذه السنة، ومن ثم قرَّرنا في طواف الإفاضة أن نجمعه مع طواف الوداع، ففي اليوم الثالث عشر طفنا بالبيت طواف الإفاضة وطواف الوداع جمعاً، وفي الشوط السابع من الطواف، وبعد الركن اليماني ومن شدَّة الزحام، لم نكمل الشوط السابع، وذلك اجتهاداً مني وجهلاً بوجوب استكمال الشوط السابع إلى محاذاة الحجر الأسود، مع العلم أنه يمكننا الإكمال بصعوبة الأشواط السابقة، فماذا يجب علينا لا سيما وأننا في مدن بعيدة عن مكة، وإذا كان يجب علينا الطواف مرةً أخرى: فهل يجب أن يكون في شهر ذي الحجة؟ وإذا كان يجب، أنا لا أستطيع أن أطوف إلا في محرم، وذلك لانشغالي بالاختبارات، فماذا يجب عليَّ أنا ووالدتي؟ أرجو منكم توجيهي.

الجواب: أولاً: يجب أن تعلم أنك الآن لم تطف طواف الإفاضة؛ لأنه لا بد أن يكون سبعة أشواط، فإن كان لديك زوجة فلا تقربها؛ لأنه باقٍ عليك التحلل الثاني، ويجب عليك الآن أن تذهب إلى مكة قبل أن يخرج هذا الشهر لتؤدي طواف الإفاضة، وعندك وقت غداً الأربعاء يمكن أن تذهب في آخر النهار أنت والوالدة وتطوف طواف الإفاضة في يوم الخميس وترجع؛ لأنه باقٍ عليكم الآن ركن من أركان الحج، فالواجب أن تذهب إلى مكة. ثم إن تيسَّر أن تأتي بعمرة قبل الطواف بأن تحرم من الميقات بنية العمرة وتطوف وتسعى وتقصر أو تحلق أنت، وتقصر الوالدة، ثم تأتيا بطواف الإفاضة.

وماذا عن السعي؟ قال السائل: قدمنا السعي، قال الشيخ: بارك الله فيكم، انتهى أمر السعي، باقٍ عليكم طواف الإفاضة لا بد أن تطوفوا قبل انتهاء هذا الشهر.

الشيخ سليمان يسأل يقول: إذا طاف طواف الإفاضة هل يجزىء عن الوداع؟ فيجيب الشيخ بقوله: نعم، ما دام أنه طاف طواف الإفاضة ثم رجع إلى الرياض لا إشكال فيه.

سـؤال: سماحة الشيخ: هناك شخص حجَّ في العام الماضي ولكنه لم يطف طواف الوداع ويقول: إن أهل مكة ليس عليهم طواف وداع، وهو من أهل مكة، فهل هذا صحيح؟ وإذا كان غير صحيح فماذا عليه الآن وقد مضى على حجّه سنة كاملة؟

الجواب: نعم أهل مكة ليس عليهم وداع إذا بقوا في مكة، وأما إذا سافروا بعد الحج فلا بد أن يُوَدِّعوا، وعلى هذا فمقتضى قواعد الفقهاء أن من ترك واجباً من واجبات الحج فعليه دم، أن يلزمه الدم، يذبحه في مكة ويوزعه على الفقراء.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم لو توضأ شخص لقراءة القرآن فهل يصلي بهذا الوضوء؟ جزاكم الله خيراً.

الجواب: أنا أسأل: توضأ لقراءة القرآن، من أجل ماذا؟ من أجل رفع الحدث. أليس كذلك؟ حتى يقرأ القرآن متطهِّراً، فإذا ارتفع الحدث فإنه يرتفع ارتفاعاً كاملاً، فإذا توضأ لقراءة القرآن فله أن يصلي به الفريضة والنافلة ويطوف به؛ لأن الحدث ارتفع فلا يرد الحدث إلا بناقض.

ولكني أسأل: لو كان شخص ليس عنده ماء، أو يتضرَّر باستعمال الماء ويتيمَّم لقراءة القرآن، فهل يصلي به أو لا يصلي؟ أين طلاّب الشريعة، فلما لم يجب أحد، قال الشيخ: والله إما أن جماعتكم يستحيون وإلاَّ فهم جُهَّال! طيب، إنسان تيمم لقراءة القرآن فهل يصلي به أو لا يصلي؟ فريضة أو نافلة؟ أنت من الطلاب يالله، يصلي به، أهكذا قال الفقهاء وما درسته في الروض المربع. . . إيه طيِّب استرح، على كلام الفقهاء: إذا تيمَّم لقراءة القرآن لا يستبيح به الصلاة؛ لأن الوضوء للصلاة واجب، التيمم للصلاة واجب، والتيمم لقراءة القرآن غير واجب، ولكن أن يستبيح الأعلى بنية الأدنى، لكن هذا القول ضعيف، والصواب أن التيمم يرفع الحدث تماماً، فإذا تيمَّم لقراءة القرآن فله أن يصلي به، وإذا تيمَّم لصلاة النافلة فله أن يصلي الفريضة، وأن التيمم رافع للحدث.

وبناءً على ذلك: لو تيمم لصلاة الظهر وبقي على طهارته إلى صلاة العصر، فهل يعيد التيمم أو يكفي الأول؟ الجواب: يكفي الأول، إذا قلنا: إنه رافع للحدث، وهذا هو الصواب، وهو الذي يدل عليه القرآن والسنّة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم

﴿مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فجعل الله التيمم تطهيراً.

وأما السنّة فقال النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»(١) فإن كان كذلك، فإن التيمم بدل عن طهارة الماء، والبدل له حكم المبدل، إلا أن شيخ الإسلام رحمه الله يقول: أجمع العلماء على أن من تيمَّم لعدم الماء ثم وجد الماء، فإنه يجب عليه أن يستعمله إذا أراد ما تجب له الطهارة، ويدل لذلك قول النبي ﷺ: «الصعيد الطيب وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد فليتق الله وليمسه بشرته»(٢)، ونحن نسأل الأخ: تيمم لصلاة الفجر وبقي لم يحدث إلى صلاة العشاء، هل يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء بتيمم صلاة الفجر، على هذا القول؟ الجواب: نعم.

سؤال: سماحة الشيخ: إنني أحب الله ورسوله وأحبكم في الله، ولكنني ممن ابتلوا بالوسواس منذ سنوات طويلة، وأنا ـ ولله الحمد ـ قد منَّ الله عليَّ بالعلم وانجلت عني أكثر هذه الوساوس ولله الحمد والشكر، ولكن بقي لدي بعض الوساوس التي أجهل حكم الدين فيها، ومنها طلاق الزوجة، فأنا أريد أن أتزوج، ولكني أخشى من الوسوسة في هذا الجانب، وقد قرأت فتوى لسماحتكم تقولون فيها: إنه لا يقع الطلاق من الموسوس، فهل هذا على إطلاقه؟ لا سيما وأنا أوسوس في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٢، ٣٣٣)، والترمذي (١٢٤) من حديث أبي ذر.

هذا الموضوع من الآن قبل الزواج، فكيف بعده! فأريد منكم حفظكم الله أن تجيبوني إجابةً شافية وأن تضعوا لي ضابطاً في هذا الموضوع، ومتى يقع طلاق الموسوس، وأرجو الدعاء لي بالعافية في ظهر الغيب، والله يحفظكم.

الجواب: أحبه الله الذي أحبنا فيه، وأسأل الله له الشفاء، وفي ظهر الغيب إن ذكرت دعوت له، وإن نسيت فأنا في عذر، وأما بالنسبة للوسواس فالوسواس في أمور الدين إنما يطرأ على من كان قلبه حياً، وهذه بشرى، ولهذا لما شكى الصحابة هذا الوسواس إلى رسول الله ﷺ قال: «أوجدتم ذلك؟»، قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»[1] يعني خالص الإيمان، ولا يمكن أن يرد هذا الوسواس على القلب إلا إذا كان الإنسان مؤمناً.

لكن يجب عليه أن يستعيذ بالله إذا ورد عليه هذا الوسواس، وأن ينتهي ويُعْرِضَ ولا يلتفت إليه، فإنه لا يضره بإذن الله، ولما قيل لابن عباس أو ابن مسعود: إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في صلاتنا، قال: (صَدَقوا لا يوسوسون، وما يصنع الشيطان بقلب خراب؟) القلب الخراب ما يأتي الشيطان ليفسده؛ لأنه خربان، لكن القلب العامر هو الذي يتسلط عليه الشيطان من أجل أن يخربه.

فنقول لإخواننا جميعاً: إذا وجدتم ذلك فهو دليل على الإيمان، ولكن عليكم أن تستعيذوا بالله وتنتهوا عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢) من حديث أبي هريرة.

أما ما يتعلق بوسوسة الأخ في الطلاق، فنقول: تزوَّج، ونحن نقول له مقدَّماً: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير، تزوج، وإذا أحسست بأنك طلَّقت فإنه لن يقع الطلاق، طلاق الموسوس لا يقع؛ لأن الموسوس ينطق بالطلاق مكرَهاً عليه، حتى كان بعض الموسوسين ـ نسأل الله العافية ـ يقول: إني إذا قرأت القرآن ثم قلبت الصفحة كأن نفسي تقول: زوجتي طالق، إلى هذا الحد، فالموسوس لا يقع طلاقه حتى لو نطق.

بعض الناس يرتكب حمقاً إذا رأى الضيق الشديد من الوسوسة، قال إذن: أطلِّق زوجتي وأستردها، فيقول: زوجتي طالق من أجل يستريح من الضيق! نقول: هذا غلط، وهو إذا قال في هذه الحال: زوجتي طالق؛ فإنها لا تطلق، كرجل ابتلي بالوسواس في الحدث، وصارت نفسه تقول له: أحدثت، أحدثت، أحدثت. فقال: إذن أستريح وأحدث، فيذهب يحدث لأجل أنه شك ووسوس! وهذا غلط، إن النبي ﷺ أعطانا ـ جزاه الله عن أمته خيراً ـ قاعدة في الوسواس قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[1]، ما قال: إذا أحس بذلك فليحدث وليتوضأ، قال: لا ينصرف.

فاطرد الوساوس هذه بالغفلة عنها، والبناء على الأصل: ففي الطلاقِ، الأصلُ بقاء النكاح، وفي الحدثِ: الأصلُ بقاء الطهارة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧، ١٧٧، ٢٠٦٥)، ومسلم (٣٦١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم.

سـؤال: ما هي الأضرار والمفاسد المترتِّبة على غِيبة وُلاة الأمر من العلماء والأمراء؟

الجواب: الأضرار بالنسبة للعلماء الضرر العظيم: أن غِيبة العالم تستلزم نقصه في أعين الناس، وهذه جنايةٌ عليه جنايةً شخصية، وتستلزم عدم الثقة فيما يقوله عن شرع الله، وهذه جناية على الشريعة الإسلامية؛ لأن الناس إذا لم يثقوا بالعالم ما استفتوه ولا استمعوا لقوله، وضاع العلم العظيم الذي يحمله بسبب غيبته، فيكون الذي يغتاب العلماء جانياً على نفس العالم وعلى الشريعة الإسلامية.

أما الأمراء فغيبتهم أيضاً تستلزم محظورين عظيمين: الأول: الجناية عليهم شخصياً، والثانية: الجناية على المجتمع كله؛ لأن المجتمع إذا هان ولي الأمر في عينه لم يبالِ بمخالفته؛ فيفسد النظام وتحصل الفوضى، فنسأل الله أن يحمي ألسنتنا من غيبة عباد الله.

سـؤال: سماحة الشيخ: فإنه مما يدعوني ويدعو كل طالبٍ في هذا السكن أن نبوح لسماحتكم بشيءٍ مما نعيشه في السكن من بعض المضايقة من بعض المسؤولين، وأذكر من ذلك ـ بعد أن أعترف بفضل هذه الجامعة في جميع المجالات ـ مثلاً: منع دخول الأطعمة إلى داخل السكن، والشدَّة في بعض المعاملات، مثل: سحب البطاقة عند حدوث خطأ قد يحصل من طالب أو أي فرد، وخلاصة ما أقول: إننا نناشدك أيها الشيخ الفاضل أن تحثّ المسؤولين إلى التساهل معنا في

الحد المعقول، كما أطلب من قارىء الأسئلة أن يظهر هذا السؤال بَل أسأَلُه بالله، والسلام عليك.

الجواب: أما منع الأطعمة فلعل في ذلك خيراً، لعل في ذلك خيراً؛ حتى توفِّروا فلوسكم؛ لأنه لو فتح الباب لتباهى الناس فيما يفسدون من الأطعمة، وصار الطالب ليس له همّ إلا إدخال أحسن طعام، ففي منعه فيما أرى مصلحة ما دام يوجد مطعم في داخل السكن فيه الكفاية. انتهينا من هذا، بالنسبة لسحب البطاقة: في ظنِّي أنها لا تسحب البطاقة إلا إذا كان هناك شيء لا يمكن تحمله من الطالب، وأنه متى أمكن إصلاح حاله بدون سحب البطاقة فإن ذلك هو المتَّبع، أليس كذلك؟ يجيب الشيخ أبا الخيل: بلى هو كذلك، فيقول الشيخ: طيِّب إذن ما في إشكال الآن، الحمد لله.

سؤال: سماحة الشيخ: لي أقارب خارج المملكة مسلمون، ولكنهم لا يؤدُّون الصلاة، وهم فقراء، فهل أدفع لهم زكاة مالي؟

الجواب: قوله: مسلمون، ولكنهم لا يؤدُّون الصلاة، إن كان المراد لا يؤدُّونها في المسجد، فلا تناقض بين قوله: مسلمون، وقوله: لا يؤدُّون الصلاة، وإن كان أنهم لا يؤدُّونها لا في المسجد ولا في البيت فإن هذا تناقض عظيم؛ لأنه لا يمكن إسلام مع ترك الصلاة، فإن ترك الصلاة كفر مخرج من الملَّة، ومن تركها فقد كفر كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد

كفر»[1]، وقال: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[2]، فإذا كان الثاني، أي أنهم لا يصلون لا مع الجماعة ولا في البيوت، فلا تصلهم، اهجرهم إلا إذا كان في صلتهم سبب لهدايتهم، وكان ذلك من باب التأليف، فأرجو أن لا يكون في هذا بأس.

سـؤال: سماحة الشيخ: أجد في بعض الأوقات بعد النهوض من النوم رطوبةً في السراويلات، فما يُعد هذا، مع أنه ليس فيه غلاظة أو غيرها بل مجرَّد رطوبة؟

الجواب: إن لدينا قاعدة بارك الله فيكم لعلَّكم تعرفونها جميعاً: إذا شككنا في الحدث فما الأصل؟ الأصل الطهارة، إذا شككنا في كون الحدث أكبر أو أصغر، فما الأصل؟ أنه أصغر؛ ذلك لأن الحدث الأكبر يوجب طهارة الأكثر من الحدث الأصغر، فإذا استيقظ النائم ووجد في ثوبه بللاً ولا يدري أهو جنابة أم لا؛ فإنه لا يجب عليه أن يغتسل، لكن يغسل الثوب احتياطاً، وربما نقول يغسله وجوباً؛ لأن رفع وجوب الغسل عنه يقتضي أن هذا الخارج نجس، فيلزمه أن يغسله ولا يلزمه أن يغتسل.

سـؤال: هذا طلب من واحد من طلاب شقيقتنا جامعة الملك سعود يطلب زيارتكم إلى الجامعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة الأسلمي.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله.

الجواب: أنا إن شاء الله سأجيبه إلى هذا، إذا جاءنا من المسؤولين؛ لأن طلب مثل هذه الزيارة لا يكون من فرد واحد، فإذا جاءنا من المسؤولين دعوة إلى زيارة الجامعة، فأنا إن شاء الله تعالى مستعد لهذا؛ لأنني والله أود بكل قلبي أن يتصل الشباب بمَنْ يكبُرهم سنّاً حتى يستفيد الجميع من الجميع، نحن نستفيد مما عندكم من المشاكل التي قد لا نعلمها، وأنتم تستفيدون مما عندنا من الأمور العلمية الدينية التي قد لا تعلمونها، فأنا أحب من كل قلبي أن يكون بين الشباب وبين الشيوخ صلة، وأن تنشرح صدور الشيوخ لهم، وأن يعاملوهم باللطف واللين وإزالة الشكوك؛ لأن الشاب لا بد أن يصل إلى قلبه شيء من الشك، فإذا صار العلماء أو الكبار يتلقون هذه الإشكالات بصدر رحب وبيان للحق؛ حصل في هذا خير كثير، وأنا أقول للأخ السائل: أنا إن شاء الله تعالى على أتم استعداد لذلك إذا جاءنا من الجهات المسؤولة دعوة، لكن في هذا الظرف لا أظن أن الإجابة موافقة، أو لا أظنّها مناسبة؛ لأن الطلاب عليهم اختبارات وامتحانات، ولكن إن شاء الله في العام المقبل إذا جاءنا دعوة ممن يملكون الدعوة فلا بأس.

قال الشيخ سليمان أبا الخيل: ما دام الأمر كذلك فأنا أقول ونيابة عن زملائي وإخواني الطلاب وبكل قلوبنا: ندعوك لزيارتنا في كل فصل مرة في هذا المسجد.

قال الشيخ ابن عثيمين: لا، إيه في كل فصل من فصول السنة، رحلة الشتاء والصيف!!

قال الشيخ سليمان: هذا إن شاء الله يتم التنسيق فيه وهو متحقق إن شاء الله.

قال العلاّمة ابن عثيمين: يكون خيراً إن شاء الله، أبد يكون خير أبد متى وجدنا الفائدة إن شاء الله ما يْهمك.

قال الشيخ سليمان: جزاكم الله خيراً.

سـؤال: سماحة الشيخ: شاب رأى رؤيا منامية وفسرت له بأنه شابٌ له مستقبل في الدعوة، فما نصيحتكم له؟ والله يحفظكم.

الجواب: نعم، إذا كانت الرؤيا حق، وكان الذي عبَّرها عالماً بتعبير الرؤيا، فهذا لا شك أنه من نعمة الله عليه ومن البشرى الحسنة، فنرجو الله سبحانه وتعالى له من الاستقامة والثبات وأن يكون من دعاة الخير وأنصاره.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما رأي سماحتكم فيمن جعل أماكن معيَّنة لعلاج المرضى من السحر والمس والعين، وهو ما يسمى بالرقية، ولا يشترط أجراً محدَّداً، بل يأخذ ما يُعطى له؟

الجواب: إن في هذا نظاماً صدر من وزارة الداخلية، فيُعمل به.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [سورة الجن: الآية ٣]؟

الجواب: معنى قوله تعالى عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [سورة الجن: الآية ٣] المعنى أنه تعالت عظمته

عزَّ وجلّ؛ لأن الجدّ هو العظمة كما جاء في الحديث: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1]، فالمعنى أن عظمة الله تعالى عَلَت وتعاظمت فلم يتَّخذ صاحبةً ولم يتَّخذ ولداً.

سـؤال: سماحة الشيخ: إنا نحبكم في الله، وأرجو منكم أن تخبرونا بدروسكم في القصيم اليومية وما تشرحون من كتب، ثم أرجو أن توضحوا لنا الكتب التـي تشرحونها في أول الإجازة، وهل تبدأ من جديد أم أنكم تستمرون في شرحها، ثم أرجو أن تعطوا الرياض نصيباً من علمكم وخاصةً في الإسكان، فتشرحوا لنا شيئاً من العلم وجُزيتم خيراً.

الجواب: دروسنا اليومية ــ والحمد لله ــ كل ليلة على مدار السنة إلا في رمضان أو في أيام السفر لحاجة، ونحن ندرِّس التفسير، لكن لا في كتاب معين بل نفسِّر المصحف، ندرِّس أيضاً في الحديث: بلوغ المرام والبخاري ومسلم، ندرِّس أيضاً في الفقه: متن الزاد، وكذلك أيضاً الكافي، ندرس بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية مثل: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

أما في الإجازة، فإننا ندرِّس بالإضافة إلى ذلك في الحصة الصباحية ندرِّس أيضاً: التفسير، لكن على تفسير الجلالين، وندرِّس كذلك في الحديث: المنتقى، وندرِّس في الفقه: الروض المربع،

---

(١) ورد ذلك في كثير من الأحاديث من ذلك دعائه عقب الصلاة المكتوبة من حديث معاوية الذي أخرجه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

وندرِّس أيضاً في العقيدة أحياناً: العقيدة الواسطية، وأحياناً عقيدة السفاريني، حسب ما يرد ويتيسَّر وحسب ما يقترحه الطلاب.

أما أننا نبدأ أو نستمر فنحن نستمر؛ لأنه لا يمكن أن نبدأ كل إجازة نرجع من الأول، فإن ذلك يعني أن آخر الكتب ما تُقرأ بل نحن نستمر والإخوان الجدد لو استمروا معنا يحصلون على خير لا سيما مثل التفسير، التفسير ليس له أول ولا آخر، القرآن متشابه من أوله إلى آخره، ويوجد بعض الطلبة البارزين، يدرِّسون الطلبة المبتدئين.

أما إعطاء الرياض شيئاً من علمنا فنحن لن نبخل عليه، والأشرطة ـ والحمد لله ـ موجودة والمؤلفات موجودة، أما أن نأتي بدنياً إلى الرياض فهذا فيه صعوبة علينا، ثم اعلموا أن الطلاب إذا انقطعت الدروس لحقهم الملل، وانصرفوا عن الدراسة، فإذا ربطهم الإنسان بكونه يبقى ويثبت صار هذا أقوى للطلبة، نعم، ثم إنه كما قلنا أولاً: هل النهر يغني في البحر شيئاً، لو صب أكبر نهر في المحيط يزيده أو لا يزيده؟ أجيبوا: ما يزيده، الحمد لله، الرياض كله علماء ولله الحمد.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما تعليقكم على ظاهرة انتشرت في رد السلام، وهي قولهم: (سلام ـ بمد الألف ـ عليكم ورحمة الله)؟

الجواب: قال الشيخ: (سلامٌ عليكم) بدون (أل) أو مع (أل)، لا بدَّ فيهما من مد (سلام)، يعني: يجوز أن تقول (سلامٌ عليك)، ويجوز أن تقول (السلام عليك) لكن العلماء اختلفوا: هل الأفضل: تعريف السلام

أو الأفضل تنكيره؟ والمشهور أن الأفضل تعريف السلام، أي أن تقول: السلام عليك، كما جاء في القرآن: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة طه: الآية ٤٧]، وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [سورة هود: الآية ٦٩] فهذا في الجواب، فإن الجواب صار نكرة؛ لأن التقدير (عليكم سلام)، أما قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة هود: الآية ٦٩] فهو على تأويل أنَّ في الآية شيئاً محذوفاً تقديره: قالوا قولاً (سلاماً).

فعلى كل حال الإنسان مخير إن شاء قال: سلامٌ عليكم، وإن شاء قال: السلام عليكم، واختلف العلماء: أيهما أفضل: التعريف أو التنكير؟ وأرى أن الأمر واسع، إن شاء بالتعريف، وإن شاء بالتنكير، وكما تعلمون أن التعريف أكثر: «السلام عليك أيها النبي»، «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، «السلام عليك يا رسول الله»، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة طه: الآية ٤٧].

سؤال: سماحة الشيخ: إذا عطس المصلِّي، فهل يحمد الله؟

الجواب: نعم، إذا عطس المصلي، فإنه يحمد الله، كما أنه إذا أصابه نزغ من الشيطان فإنه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، لو حدث لك وساوس وهواجيس وأنت تصلي فاتفل عن يسارك ثلاثاً وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ولكن إذا كان الذكر الذي وُجد سببه في الصلاة طويلاً يشغل الإنسان عن صلاته؛ فالظاهر أنه لا يأتي به، مثاله: رجل سمع المؤذن وهو يصلي، فهل يتابع المؤذِّن؟ يرى شيخ الإسلام رحمه الله أنه يتابعه،

والذي أرى أنه لا يتابعه؛ لأن متابعة المؤذِّن تؤدي إلى انشغاله بمتابعته عن الصلاة، وأما الكلمة والكلمتان فلا بأس، لو سمع نهيق حمار فما المشروع؟ أن يستعيذ بالله من الشيطان، فلا بأس أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو يصلي، ولو سمع صياح الديك فليسأل الله من فضله، يقول: أسأل الله من فضله، ولو كان يصلي.

فما وجد سببه من الأذكار والإنسان يصلي، فإنه يفعله، بشرط ألا يشغله عن صلاته، لكن لو قال: الحمد لله، وقال له جاره: يرحمك الله، فما الحكم؟... فيما إذا كان جاهلاً يظن أن ذلك لا بأس به فإن صلاته لا تبطل، استدلالاً بحديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه حين سمع مصلياً عطس فحمد الله، فقال له معاوية: يرحمك الله، فرماه الناس بأبصارهم ينكرون عليه، فقال: واثكل أُميه! فجعلوا يضربون على أفخاذهم يسكِّتونه، فسكت، فلما انصرف من صلاته دعاه النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التكبير والتحميد وقراءة القرآن»[1] أو كما قال ولم يأمره بالإعادة، نأخذ من هذا قاعدة يجب على طالب العلم أن يفهمها تماماً، وهي أن: جميع المحظورات ـ أعني المحرمات ـ إذا فعلها الإنسان جاهلاً، لم يترتَّب على فعله شيء أبداً، لا إثم ولا فساد عبادة ولا كفارة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]، فماذا قال الله

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

لما قال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]؟ قال: «نعم»، أو قال: «قد فعلت»[1]، وهذا من الله عزّ وجلّ فضل من الله، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥]، وقال النبي ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتمَّ صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[2]، وأخبره عدي بن حاتم أنه صام وجعل تحت وسادته عقالين أحدهما أسود والثاني أبيض، أتعرف العقالين؟ نعم حبلان تعقل بهما الإبل، جعل تحت وسادته عقالين أحدهما أبيض والثاني أسود، وجعل يأكل حتى تبيَّن الأبيض من الأسود فوقف، ثم أخبر النبي ﷺ بذلك فقال له: «إن وسادك لعريض أن وسع الخيط الأبيض والأسود»[3]؛ لأنه الخيط الأبيض بياض النهار، والأسود سواد الليل وهذا ملء الأفق، فأراد النبي ﷺ أن يداعبه قال: «إن وسادك لعريض أن وسع الخيط الأبيض والأسود»، قال ذلك مداعبةً له، ثم بيَّن أن المراد بهما: «بياض النهار وسواد الليل»، ولم يأمره بالإعادة؛ لأنه كان تأوَّل القرآن، فعمل بما تأول جهلاً منه.

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أفطرنا في يوم غيم على عهد النبي ﷺ ثم طلعت الشمس، ولم يأمرهم النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣، ٦٦٦٩)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (١٩١٦، ٤٥٠٩، ٤٥١٠)، ومسلم (١٠٩٠).

بالقضاء[1]؛ لأنهم كانوا جاهلين، يظنون أن الشمس قد غربت، وهذه قاعدة خذها، فليست من قول فلان وفلان، ولكنها من قول الله عزَّ وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]، قال الله تعالى: «قد فعلت»[2]، وفي رواية أخرى لفظها يختلف عن هذه. قال الله: «نعم»؛ لأن الصحابة لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٤] أتوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وجثوا على ركبهم وقالوا: يا رسول الله لا نطيق هذا، كيف يحاسبنا الله على ما في نفوسنا سواء أبديناه أو أخفيناه؟ هذا لا يطاق، فقال لهم النبـي عليه الصلاة والسلام: «قولوا سمعنا وأطعنا لا تقولوا: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا»، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فماذا حصل؟ أنزل الله تعالى قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٥]، ثم قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦] قال الله: «نعم»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦] قال الله: «نعم»، ﴿رَبَّنَا وَلَا

(١) صحيح البخاري (١٩٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس.

﴿تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦] قال الله: «نعم»[1].

فلو أنَّ رجلاً محرماً قتل صيداً جاهلاً، يظن أن قتل الصيد حلال، ماذا عليه؟ لا يجب عليه الجزاء؛ لأنه جاهل، والله يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]، بل إن الآية في الصيد يقول الله تعالى فيها: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٥] طيِّب اشرح، رجل صلَّى في ثوب فيه نجاسة لم يعلم بها إلا بعد سلامه، صلاته صحيحة!! هل تجوز الصلاة في ثوب نجس؟ طيب كيف تقول صحيحة؟ لأنه حين كان في الصلاة لا يعلمها، جاهل، بارك الله فيك، طيِّب اشرح، لو أنه في أثناء الصلاة علم أن في ثوبه نجاسة فماذا يصنع؟ الأخ: قال: (يكمل صلاته) قال الشيخ: ثوبه نجس، علم وهو في أثناء الصلاة أن ثوبه نجس، . . يزيل النجاسة، ما عنده ماء، هو يصلي الآن. . خلع نعليه لا بأس، هذا في ثوبه نجاسة ماذا يصنع؟ افرض أنها أصابتك أنت، صلَّيت ثم ذكرت أن الثوب متنجِّس، فماذا تصنع؟ . . يخلع الثوب، يبقى عارياً؟ طيب فصل: إن كان عليه ثوب آخر طاهر خلع النجس واستمرَّ في صلاته وإن كان ليس عليه إلا هذا الثوب النجس وجب عليه أن ينصرف ويغيِّر الثوب. . تمام؟ ما الدليل على أنه إذا أمكنه أن يخلعه خلعه واستمر؟ . . لا ما هو الدليل، أنا لا أريد التعليل، من يعرف الدليل؟ تفضَّل. . لأن

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة.

النبـي ﷺ كان يصلِّي وكان عليه نعلان فخلعهما في أثناء الصلاة فخلع الصحابة نعالهم تأسِّياً به، ولما انصرف سألهم: «لماذا خلعتم نعالكم؟»، قالوا: رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا، فقال: «إن جبريل أتاني وأخبرني أن فيهما قذراً»[1]، أحسنت بارك الله فيك.

طيِّب القاعدة الآن: أن من فعل محظوراً جاهلاً: لا يأثم به، ولا تفسد صلاته، ولا تلزمه فدية ولا كفارة.

فإن فعل المحظور عالماً بأنه محظور لكن كان جاهلاً ماذا يترتَّب عليه، فهل يُعذر أو لا يُعذر؟ لا يعذر؛ دليل ذلك قصة الرجل الذي أتى إلى النبـي ﷺ وقال: إنه جامع زوجته في رمضان فماذا عليه؟ فأمره النبـي ﷺ أن يكفر بعتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً[2]، ولم يعذره بجهله؛ يكون الرجل يعلم أن الجماع حرام، ولهذا جاء يقول: هلكت، ولكن لا يدري ماذا يترتب عليه.

مثالٌ آخر: رجل يعلم أن الزنى حرام، لكن لا يدري أن الزاني إذا كان محصناً يُرجم فزنى، فأمر ولي الأمر برجمه فقال: ما علمت أن الزاني يُرجم ولو علمت ما فعلت، هل يُعذر أو لا يُعذر؟ والجواب: أنه لا يُعذر؛ لأنه انتهك محارم الله فيرجم، وإن كان لا يدري حين فعل المعصية أنه يُرجم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠) من حديث أبـي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٠٠)، ومسلم (١١١١) من حديث أبـي هريرة، وقد تقدم ص ٢٤٣.

يشكل على هذه القاعدة ـ بارك الله فيكم ـ قصة المسيء في صلاته أتعرفونها: رجل صلى بدون طمأنينة، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال له ﷺ: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل»[1] وعلى مقتضى القاعدة تقرر أنه إن كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه، فما الجواب عن هذا الحديث؟

الجواب: أنَّ هذا الرجل لم يفعل محذوراً لكنه ترك واجباً، وهو: الطمأنينة، ولهذا يجب أن تفرقوا بين ترك المأمور وفعل المحظور، هذا الرجل ترك مأموراً وهو الطمأنينة؛ ولهذا قال له النبي ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسّر معك من القرآن. . .»[2] إلخ، ولم يقل: لا تفعل كذا، بل قال: افعل كذا، إذن هذا الرجل ترك مأموراً فأمر بقضاء الواجب.

وهنا مثال ينطبق على القاعدة هذه: رجل صلى بغير وضوء ناسياً، ما تقولون؟ أيعيد أو لا يعيد؟

نقول: عليه الإعادة؛ لأنه ترك مأموراً وهو الوضوء، بخلاف الذي صلى في ثوب نجس ناسياً فإنه لا قضاء عليه؛ لأنه إنما ارتكب محظوراً، وهذه القاعدة أشار إليها العلماء في عدة مواضع: فعل المحظور ناسٍ أو جاهل لا يترتب عليه شيء، ترك المأمور يجب أن

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

تعاد العبادة على الوجه المشروع إلاَّ إذا كان وقتها قد انقضى ومضى، فهنا قد نقول: إنه يعذر بالجهل، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ هذا الرجل أن يعيد ما مضى من صلاته. انتهى كلام الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى.

جزى الله سماحة شيخنا خير الجزاء، وأمدَّ في عمره على الطاعة والإيمان، ونفعنا بما سمعنا منه، وجعل ذلك في موازين حسناته. نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علَّمنا وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا الإخلاص والاحتساب في القول والعمل، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



بسم الله الرحمن الرحيم

(المحاضرة العاشرة)

لقاء طلاَّب المعهد العلمي في محافظة الرس بفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء وإمام وخطيب الجامع الكبير في عنيزة، وعضو هيئة التدريس بفرع جامعة الإمام بالقصيم، يوم الثلاثاء ٧/ ١/ ١٤١٨هـ.

قدَّم لهذا اللقاء مدير المعهد الأستاذ محمد بن سكيت النويصر، والذي قال بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله:

إن نعم الله علينا كثيرة في هذه البلاد، وأجلّها نعمة الإسلام، هذا الدين القويم الذي نزل على محمد ﷺ فجاهد في الله حق جهاده وبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأبان الملة، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وسار على نهجه خلفاؤه الراشدون ثم سلف الأمة الصالح، وبحمد الله لا زالت هذه الدعوة المباركة مستمرة إلى وقتنا الحاضر، منذ تأسيس هذه الدولة على يد الإمام محمد بن سعود وهي ترفع لواء الإسلام وتشد من عضده وترعى المسلمين في بلادها

وفي خارج بلادها، وهذا من فضل الله علينا، ولا زال ولاة الأمر حفظهم الله مستمرين على هذا النهج، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعينهم وأن يوفقهم لما فيه الخير، وأن يجمع شملهم ورعيتهم ويوحد صفهم ويديم علينا وعليهم نعمة الإسلام والأمن والاستقرار في هذه البلاد الآمنة المطمئنة المملكة العربية السعودية.

وامتداداً لهذه الدعوة المباركة توجد هذه اللقاءات وهذه الندوات وهذه المحاضرات التي ينفع الله بها بإذنه تعالى.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هي إحدى الجامعات السبع، تؤدي رسالتها في سبيل نشر العلم والمعرفة وتربي هذه الأجيال؛ ليكونوا لبنات صالحة في الدعوة إلى الله وفي بناء الوطن بتوجيهات ورعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ يحفظه الله ـ وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني.

هذه الجامعة من فروعها هذه المعاهد العلمية التي نفع الله بها من فضل الله وشكره، والمعهد العلمي بمحافظة الرس أحد هذه المعاهد يسره أن يستقبل صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء وإمام وخطيب الجامع الكبير بعنيزة وعضو هيئة التدريس بفرع جامعة الإمام بالقصيم.

ندعو الله له بالأجر والمثوبة وأن يجزل له الحسنات.

ونترككم مع صاحب الفضيلة في هذا اللقاء:

بعد ذلك تكلم فضيلة الشيخ ابن عثيمين، فحمد الله سبحانه وأثنى عليه، ثم صلى على النبـي محمد ﷺ، ثم قال فضيلته:

ولن يعرف فضل هذه الرسالة العظيمة التي ختمت بها النبوّات والرسالات إلاَّ من عرف الجاهلية، وعرف تخبطهم العشوائي في ظلمات الجهل والجور والجفاء ومخالفة المروءات، فكان الناس أحوج ما يكونون إلى رسالة النبـي ﷺ، التي أشرقت بها الظلمات وصلح عليها أمر الدنيا والآخرة.

إنه ليسرني في هذا اليوم الثلاثاء السابع من شهر محرم عام ١٤١٨هـ أن ألتقي بإخواني وأبنائي بهذا المعهد معهد الرس، هذا اللقاء الذي أرجو من الله أن يكون لقاءاً مباركاً، وأسأل الله أن ينفع به حاضراً ومستقبلاً.

أيها الشباب:

إنكم التحقتم بهذه المعاهد عن اقتناع في فائدتها التي تُرجى من وراء إفشائها، وهي إصلاح الشباب وتوجيههم التوجيه السليم المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح، إنكم جئتم إلى هذه المعاهد لتنهلوا من معين العلم الشرعي، وما يسانده من العلوم الأخرى، ولا شك أن الله إذا منّ على العبد في العلوم الشرعية، فإن ذلك عنوان سعادته كما ثبت عن النبـي ﷺ أنه قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(١). فكل مَنْ مَنَّ الله عليه بالفقه في دين الله فليبشر أن الله أراد به خيراً.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبـي سفيان.

ولكن ما هو الفقه في الدين؟ أهو كثرة العلوم وتكريسها أم العمل بالعلوم والتوجه إلى ما تهدف إليه هذه العلوم؟ الجواب هو التالي:

ليس الفقيه الذي حشى رأسه من العلوم دون أن يفقه، ولهذا قال عبد الله بن مسعود: (كيف بكم إذا كثُر قرَّاؤكم وقل فقهاؤكم؟)[(١)] وقال النبي ﷺ: «رُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع»[(٢)]، فالرجل الذي ملأ رأسه من العلوم إذا لم يستفد العمل بها؛ فإنه لا علم عنده في الحقيقة، هو والجاهل سواء، بل هو أشد إثماً من الجاهل وأعظم عبئاً على الأمة من الجاهل، ولقد وصف الله الذين لا يعلمون الكتاب إلاَّ قراءة وصفهم بأنهم أميون، والأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٨].

أيها الشباب:

إن بلادنا هذه هي أم البلاد الإسلامية، فيها أم القرى، ومنها نبعت الرسالة وإليها تعود، وإن الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، وإذا كان مبتدأ الإسلام ومنتهاه هذه البلاد؛ فاعلموا أن الأعداء مسلَّطون عليكم، يغزونكم بكل سلاح فكري أو عَقَدي أو منهجي أو أخلاقي، وإذا تسنى لهم أن يغزوكم في السلاح العسكري

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٣٦) من حديث ابن مسعود مرفوعاً. وقال: «المشهور من قول عبد الله موقوف».

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

فسيفعلون، لذا يجب الحذر من الأعداء ومكائدهم ولا نجعل لهم منفذاً إلى مجتمعنا، وأن نكون نحن الشباب حصناً حصيناً يمنع من تسلط الأعداء.

الصحوة الإسلامية بدأت منذ عشر سنوات أو تزيد قليلاً، واتجه الشباب والحمد لله ــ أعني كثيراً منهم ــ الاتجاه السليم، فصار الشباب ليس له همّ إلاَّ أن يعرف أن هذا هو الشرع، وأنَّ الدليل من الكتاب والسنَّة كذا وكذا، فصارت المسيرة على هذا النحو، ثم بدأ الخلاف يدب بين الشباب، وظهرت الاتجاهات المنحرفة الوافدة إلينا بأشخاصها أو بكتاباتها، أو بأقوالها المسموعة، فدبت فينا هذه الأفكار، ومن ثم تشقق البناء وتمزق، وصار كل واحد أو كل جماعة ينتمون إلى فكر مؤيد، ونسوا الأصل الأصيل، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنَّة ممثلاً بمنهج سلف الأمة؛ لأن عمل السلف هو الترجمة لما في الكتاب والسنة، ولذلك كثيراً ما تأتي أحاديث لم يعمل بها أحد من السلف فيحكم عليها بالضعف أو بالرد؛ لكونها لم يعمل بها؛ إذ لا يمكن أن يكون لسلف الأمة شيء من شريعة الله.

لما بدأ الخلاف والنزاع والتعصب بالهوى لا بالهدى؛ صار الخوف شديداً على الناشئة أن تتفرَّق وتتمزَّق، ويحصل فيها الجفاء والغلظة والاندفاع الذي لا انضباط له، وهذا بلا شك سيؤدي إلى مفاسد عظيمة، ولا يخفى عليكم أيها الشباب ما وقع في البلاد المجاورة أو البعيدة التي نسمع عنها عبر وسائل الإعلام من الشقاء

والبلاء، المبني على هذا التصرف الخاطىء الذي ليس عن رويَّة ولا فقه.

ولكن فيما أرى أنه منذ سنة أو سنة ونصف تبين الأمر وتراجع بعض الشباب عن هذه الأفكار وعرفوا الحق من الباطل، ورجعوا إلى الصواب في أن الإنسان يجب عليه أن يشق طريقه إلى الهدى، وأن يتجنب الهوى، وأن يجعل رائده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، وأن يمشي لشق طريقه إلى صراط الله عز وجل؛ لأن الانشغال بالتعصب لفئة أو لشخص واتخاذ ذلك هو الركيزة التي يُبنى عليها الولاء والبراء، لا شك أن ذلك يصد القلب عن ذكر الله وعن طاعته؛ لأن القلب إناء إذا ملأته بماء لم يكن للبن فيه مكان، فإذا امتلأ القلب بالتردد بين هذا وهذا وهذه الفئة وهذه الفئة، وما تقول في فلان، وما تقول في فلان؟ لا شك أنه سيضيق عن الحد والتفكير السليم والاتجاه إلى عبادة الله.

لذلك أدعكوم أيها الشباب إلى نبذ الخلافات وطرحها والوطء عليها بالأقدام، والاتجاه السليم إلى طاعة الله ورسوله، مستندين في ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج سلف الأمة؛ لأنه كما قال الإمام مالك رحمه الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها).

وإن على طالب العلم بالذات أن يخلص النية لله تعالى في طلب العلم؛ حتى يلتحق بالمجاهدين في سبيل الله، فإن الله جعل التفرغ للعلم عديل الجهاد في سبيل الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] أي: القاعدون في الدين ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

بل إن بعض العلماء ليقول: إن طلب العلم بنية خالصة أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأن الجهاد في سبيل الله ليس فيه إلَّا صدّ الأعداء وقتالهم؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، لكن طلب العلم تحتاج الأمة كلها إليه حتى تعبد الله على بصيرة، ويحتاج إليه المجاهدون حتى يعرفوا كيف يجاهدون وكيف يغنمون وكيف يُقدِمون وكيف يحجمون؟ فالعلم تحتاج الأمة إليه، في كل حال وفي كل لحظة.

لذلك أحثكم أيها الشباب إلى الاتجاه والجد في طلب العلم الشرعي، وإخلاص النيَّة في ذلك، بحيث تنوون به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بامتثال أمره، وتقصدون حماية الشريعة الإسلامية والذب عنها ونشرها بين العباد، ثم تصدّقون هذه النية بأعمالكم عبادة وخلقاً ومعاملة.

وإنه ليؤسِف المرءَ أن يجد شباباً ليسوا في مستوى العلم المتوسط أو الثانوي، بل في مستوى العلم الجامعي وليس لديهم شيء مما يجب أن يتصف به طالب العلم، وهذه بلوى يمتحن بها كثير من الناس ويضل بها كثير من الناس؛ ذلك لأن العامة تنظر إلى طالب العلم على أنه أسوة وقدوة، فإذا أخل بشيء مما يجب؛ تهاون الناس به، وقالوا: لو كان هذا واجباً لفعله فلان، أو إذا لم يتخذوه قدوة وأسوة جعلوه مشمتاً لهم

ومحلاً للقيل والقال، وربما ذلك إلى غيره من طلبة العلم النافعين. والعوام ــ كما قيل ــ هوام، لا يفرقون بين رجل وآخر ما داموا في مستوى علمي سواء، ويضيفون هذا الانحراف إلى جميع أهل العلم.

لذا عليكم أيها الشباب أن تظهروا سِيَّما العلم في عباداتكم وفي أخلاقكم وفي معاملاتكم.

وبما أنَّا في استقبال الامتحانات في آخر السنة فإنني أحذركم من التهاون بنزاهة الاختبار، إياكم أن تتهاونوا في ذلك؛ لأن الإنسان إذا تهاون به ثم نجح من غير جدارة؛ صار في ذلك خيانة لنفسه أولاً، ثم لدولته ثانياً، ثم لجميع الناس، وليندمنّ المفرط في حماية الامتحانات من الغش، ليندمنّ إذا كبر ويعرف أنه أخطأ.

ولقد كان بعض الناس يسأل حين نجح عن طريقة الغش وحصل على الوظيفة المرتبة على النجاح المبني على الغش يسأل: هل يحل له راتب هذه الوظيفة أو لا؟ لأنه عقل وندم وعرف أنه أخطأ، فيريد الخلاص من هذا الخطأ.

لذلك أنصحكم أيها الشباب ما دمتم في أول مراحل الدراسة أن لا تتهاونوا بالامتحانات لا تتهاونوا بها، احموها من الغش، من محاولة الغش، من استدرار بعض الأساتذة لمعرفة مواضع اختيارات الأسئلة؛ لأن لبعض الطلاب رأي ليستدر الأستاذ ويسترجيه حتى يعرف منه مواطن اختيار الأسئلة، وهذا لا شك أنه غلط، وأن الواجب على التلميذ أن ينجح بجدارة وأن يتقي الله عز وجل في أمانته.

فإن من اتقى الله جعل الله له مخرجاً وييسر له أمره.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين والقادة المصلحين، إنه على كل شيء قدير. انتهى كلام الشيخ حفظه الله.



ثم تليت الأسئلة التي تميزت بالصراحة والوضوح، وذلك حسب طلب فضيلته حفظه الله.

ندعو الله أن ينفع بها الجميع، وأن يجزل لفضيلته الأجر والمثوبة على ما تحدَّث به من توجيهات ونصائح..

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

❑ ❑ ❑

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لقاء فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين لطلاَّب المستويين السابع والثامن من كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم يوم الثلاثاء ٢١/ ١/ ١٤١٨هـ.

التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة: يسرنا في هذا اليوم المبارك أن نستضيف سماحة شيخنا وأستاذنا ووالدنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله ورعاه، ليوجه أبناءه الطلاب ممن هم على أبواب التخرج، والنزول إلى ساحة العمل والإفادة، بعد أن قضوا ما يسر الله لهم في هذا الصرح العلمي الشامخ، ونهلوا من معينه ومن علم مشايخه ممضين في ذلك الوقت الكثير، ولا شك أيها الإخوة أن الجلوس أمام أمثال شيخنا ـ يحفظه الله ـ نعمة عظيمة يتمناها كل إنسان؛ ليستفيد من علمه ومن توجيهاته الثمينة النافعة، وينتفع من خبرته وتجربته، وأترككم الآن مع

سماحة شيخنا ووالدنا لتستمعوا إلى توجيهاته ووصاياه، جزاه الله خيراً وبارك في خطواته.

محاضرة سماحة الشيخ يحفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليله وأمينه على وحيه، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ختم الله به النبوات وجعل رسالته عامة للإنس والجن، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وترك أمته على محجة بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنه رغبة مني ورغبة من عمادة فرع الجامعة، نجتمع بكم في هذا اليوم الحادي والعشرين من شهر محرم عام ثمانية عشر وأربعمائة وألف، وذلك أنكم على أبواب التخرج، وستغادرون مناهل العلم التي ألفتموها لمدة تبلغ أربع سنوات، وستقطفون ثمار هذا العلم في مستقبل حياتكم، ولا شك أنكم على اتجاهات مختلفة، ولكن على المرء أن يسأل الله سبحانه وتعالى أن يختار له ما فيه المنفعة له خاصة وللمسلمين عامة، وأن لا يشطط في الإِباء عما لا يهواه، أو يشطط في

طلب ما يريده؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٩].

إن من الناس من يكره أن يُوَجَّه إلى سلك القضاء، وهذا وإن كان في ابتداء الأمر، قد يكون رأياً صواباً، لكن أصوب منه أن ينظر الإنسان إلى حال أكثر المسلمين اليوم، وأنهم إن لم يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبآراء العلماء الأمناء، فإنه ربما يأتي يوم من الأيام يولى القضاء من ليس أهلاً له، من حيث القوة العلمية، أو القوة التنفيذية، أو غير ذلك من الأسباب التي تجعل الإنسان قد يرضى بأن يوجه إلى القضاء، فالأمة لا بُدَّ لها من قضاة، فإذا تأخر عنها من هم أولى الناس بالقضاء، فإنه سوف يتولى القضاء من هو ليس بأهلٍ له.

ومن الناس من يكره أن يوجه إلى التدريس، وهذا أيضاً ليس بصواب.

صحيح أن المدرس يعاني من الطلاب الشيء الكثير، ويعاني من مسؤولية التدريس ما يعاني، لكن إذا وفقه الله سبحانه وتعالى لنية صالحة وسلوك طيب ومظهر في العبادة والوقار، نفع الله به نفعاً كثيراً، ونحن نرى أن التلاميذ يكتسبون الآداب والأخلاق من معلميهم أكثر مما يكتسبونها من الكتب، أو من ذويهم المقربين.

لذلك لا تستوحش من التدريس.

ثم اعلم أنَّ التدريس كالقضاء؛ لأنه يفتح للإنسان أبواباً كثيرة من العلم قد لا تخطر على باله، وكثيراً ما ينبه الطالب أستاذه على مسألة ما

طرأت على باله وليست في خياله، فيقتنع بها وهذا شيء مجرب.

ثم إنَّ التدريس يحمل الإنسان على أن يراجع ويبحث مع إخوانه وزملائه، حتى يأتي إلى قاعة الدرس وقد نضج علميّاً؛ وبالتالي لا يفشل أمام الطلاب فتذوب شخصيته ولا ينتفع بعلمه.

ومن الطلاَّب من يكره أيضاً أن يوجه إلى جهة أخرى، لكني أقول: ارض بقضاء الله وقدره، ولا تظن أنك إذا أتيت شيئاً أو إذا جلب الله إليك شيئاً تكرهه ستكون العاقبة سيئة، بل إن الله يقول: ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٩].

وتنبه للآية الكريمة حيث قال: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النساء: الآية ١٩] ولم يقل: فعسى أن تكرهوهن، من أجل أن يكون الحكم عاماً، فالإنسان قد يكره شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

وكما قال تعالى في القتال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٦].

وإني أوصيكم بعد ذلك أن تبنوا حياتكم على الإخلاص لله، وأن يكون اليوم الآخر أمام أعينكم، فيكون أمام أعينكم أنكم ستحشرون حفاة عراة غرلاً لا أنساب بينكم ولا تتساءلون، وأن الواحد منا في ذلك اليوم يفر من أبيه وأمه وأخيه وصاحبته وبنيه، فعليكم أن تتذكروا هذا اليوم.

ثم تذكروا أن الله إنما شرع لكم العبادات لينجيكم من العذاب في ذلك اليوم، فأنتم عندما تؤدُّون الصلاة مثلاً، ماذا ترجون؟

لا شكَّ أنكم ترجون النجاة من عذاب الله في ذلك اليوم وأن تَصِلُوا إلى دار كرامته، وهذا الاعتقاد لا بدَّ أنه يوجب للإنسان الإخلاص والبعد عن إرادة الدنيا بعمله الصالح.

فانتبهوا إلى هذه النقطة المهمة، وهي: الإخلاص لله عز وجل، وطلب النجاة من عذابه حينما يبعث الناس على ما وصفهم النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حفاة عراةً غرلاً[1].

ثم احرصوا غاية الحرص على تطبيق السنة النبوية مأخوذة من المؤلفات التي أُلِّفت فيها، مقرونة بالمؤلفات الفقهية؛ لأننا نرى أن الذي يعتمد على علم الحديث دون أن يرجع إلى القواعد العامة في الشريعة، ودون أن يرجع إلى ما كتبه الفقهاء يسلك طريقاً شاذاً في بعض الأحيان.

وأضرب لكم مثلاً بشخص دخل على أهله يوم السبت وهم صائمون يوم عرفة، فأمرهم أن يفطروا، وقال: لا بد أن تفطروا، ويحرم عليكم أن تستمروا في صومكم، لماذا؟ قال: لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «لا يصومن أحدكم يوم السبت إلاَّ فيما افترض عليه»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٢١)، والترمذي (٧٤٤) من حديث عبد الله بن بسر، عن أخته.

ولا شك أن هذا من قلة فقهه حتى في الحديث أيضاً، ذلك لأن هذا الحديث معارض بما هو أصح منه، وهو أن النبـي ﷺ قال لإحدى نسائه وقد صامت يوم الجمعة: «أَصُمْتِ أمس»، قالت: لا، قال: «أتصومين غداً»، قالت: لا، قال: «فأفطري»[1]. وهذا نص صريح في جواز صوم يوم السبت.

ولهذا حكم بعض العلماء على حديث النهي بأنه كذب على الرسول عليه الصلاة والسلام، كما نقله أبو داود عن الإمام مالك رحمه الله.

وبعضهم قال: إنه منسوخ كما قاله أبو داود.

وبعضهم قال: إنه شاذّ لمخالفته ما هو أصح منه.

ولو قلنا: إنه صحيح، فإنه يجمع بينه وبين الأحاديث الصحيحة بأن النهي إنما هو عن إفراده وقصد صومه لكونه يوم السبت الذي هو خاص باليهود، ولذلك أقول: إنَّ بناء الإنسان مسلكه إلى ربه عز وجل، وتوجيه عباد الله على مجرد السنة دون أن ينظر إلى فقهها والجمع بين أطرافها، ودون أن يَنظر إلى كلام العلماء الذين استنبطوا فقههم من الكتاب والسنة، سيكون فيه قصور تام، لذلك أحثكم بارك الله فيكم على الجمع بين هذا وهذا.

ولست أقول لكم: لا بُدَّ أن تبنوا مسلككم على ما هو مشهور من

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٦) من حديث جويرية بنت الحارث.

المذاهب سواء الحنبلي أو المالكي أو الشافعي أو الحنفي، لكن أقول: لا بُدَّ أن تقرنوا علم الحديث بعلم الفقه حتى ينتج عنهما رأي صائب ناضج، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «رب مبلغ أوعى من سامع»[1] يعني: أفقه وأدرى «ورب حامل فقه ليس بفقيه»[2].

وأحثكم مرة ثالثة على أن تُرُوا الناس من آثار هذه الجامعة المباركة ما يحمدونكم عليه، وذلك لأن الناس يقيسون المؤسسات بنتائجها، فإذا كانت هذه الجامعة تنتج رجالاً أهل علم وأهل خير وأهل توجيه، فستكون لها الذكرى الحميدة، وإذا كان الأمر بالعكس صار الأمر بالعكس.

فأحثكم وأوصيكم على أن تُرُوا عباد الله من نتائج هذه الجامعة المباركة ما تقرّ به الأعين، ويطيب به الذكر بالألسن، فاحرصوا على هذا حرصاً كثيراً.

وأوصيكم كذلك بنشر العلم، المبني على الطمأنينة والهدوء والتوجيه السليم، وأن تفعلوا شيئاً إلاَّ وأنتم عارفون عواقبه ونتائجه، حتى توجهوا الناس إلى السبيل السوي، ولا يخفى عليكم ما يوجد من كثرة الصوارف عن الهدى والحق في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وأن الشباب إذا لم يكن لهم قادة يتصفون بالعلم والحكمة والتودد إليهم فإنهم سوف يتجهون اتجاهات متباينة، وحينئذٍ

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦) من حديث زيد بن ثابت.

تتفرَّق الأمة، فاحرصوا على نشر العلم وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالهدوء والطمأنينة، وبما أوصاكم الله عز وجل في قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٣] وقال عز وجل لنبيه محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

وأحذركم من التباغض والتعادي فيما بينكم فإن ذلك سبب للفشل، والخيبة والخذلان، كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦].

أسأل الله لي ولكم التوفيق لما فيه الخير والصلاح، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

والآن إلى الأسئلة، وأرجو أن تكون الأسئلة صريحة جسداً حتى يزول ما في قلب الإنسان من الشك والتردد؛ لأنه إذا لم تكن الأسئلة صريحة فإن فائدتها ستكون قليلة. انتهى كلام سماحة شيخنا حفظه الله.

الأسئلة وإجابات الشيخ عليها

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: بعض الطلبة هداهم الله يتكلمون في حق بعض المشايخ ويتنقصونهم فما توجيهكم لمثل هؤلاء؟

الجواب: الواقع أن الكلام في المشايخ أو في غيرهم من المسلمين محرم، بل هو من كبائر الذنوب، كما نصَّ على ذلك الإمام أحمد رحمه الله فقال: إنَّ الغيبة من كبائر الذنوب، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره.

وإذا كانت الغيبة في العلماء تضاعف إثمها وأثرها السيِّىء لأن غِيبة العلماء لا يقتصر إثمها ووبالها على العلماء أنفسهم، بل عليهم وعلى ما يحملونه من شريعة الله.

وحينئذٍ يكون في سب العلماء إثمان عظيمان، أولهما: الغيبة.

والثاني: عدم قبول ما يلقونه من شريعة الله؛ لأن الناس إذا سمعوا عن العلماء سمعة سيئة فإنهم لا يثقون بهم كما هو ظاهر، فيكون هذا الذي تكلم فيهم، جانياً عليهم، وعلى شريعة الله عز وجل التي يحملونها إلى الناس، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وأن يستسمح العالم الذي وقع في عرضه.

ثم إني لا أقول إن العلماء معصومون، فالعلماء يخطئون كما يخطىء غيرهم ولكن إذا نسب إلى عالم خطأ من الأخطاء.

فالواجب أولاً وقبل كل شيء: التحرِّي عن صحة النقل؛ لأنه قد ينقل عن العالم ما لم يقله، وقد يقول العالم شيئاً بناء على سؤال وُجِّه إليه ولكن السائل لم يحسن السؤال، فيجيب العالم على حسب السؤال ويفهمه ـ أي السائل أو غيره ـ على وجه آخر.

وطريق التثبت عن صحة النقل علمناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على الرافضي في منهاج السنَّة، حيث كان إذا نقل عبارة ابن مطهر، قال: أولاً نطالب بصحة النقل؛ لأنه إذا لم يصح النقل كُفينا. فعلى الإنسان أن يتحرَّى ويتثبَّت أوَّلاً ثم بعد ذلك فليتأمل: هل هو صواب أو غير صواب ـ أي ما نقل عن العالم ـ فإن كان صواباً وجب عليه أن يدافع عن عرض العالم، ويبدأ لأنَّ بمن نَقَلَ إليه ذلك، ويقول له: تعال، أنت قلت لي عن فلان كذا وكذا، وتبيَّن لي أنَّ هذا صواب ويبين له وجه الصواب، فيكون بذلك ذابّاً عن الحق وعن عرض أخيه مستحقاً للثواب.

وإن لم يتبين له وجه فيما نقل عن هذا العالم؛ فالواجب أن يتصل بالعالم ويبحث معه في ذلك، وعند اتصاله بالعالم يكون مؤدَّباً وقوراً مسترشداً، لا منتقداً متهجّماً؛ لأن بعض الطلبة وهم صغار يأتون إلى العالم الكبير من أجل أن يناقشوه في مسألة فتجدهم يخاطبونهه مخاطبة الند للند، وهذا من سوء الأدب، ومن الموانع التي تحول بين الحق وبين هذا العالم، فربما تأخذ العالم العزة بالإثم فيرفض المناقشة، وربما يتبين له الحق ولكن لا يقبل، وذلك كله بسبب سوء الأدب من هذا الطالب الذي أراد أن يناقش هذا العالم. فلتكن مناقشته بهدوء واحترام واسترشاد حتى يحصل المطلوب.

فإن كان الحق فيما قال العالم وجب على هذا المنتقد أن يذب عنه، وأن ينشر قوله ويصوبه.

وإن كان الخطأ من العالم وجب على العالم أن يرجع إلى الحق؛ لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والرجوع إلى الحق فضيلة، ومتى عُرف الإنسان أنه رجَّاع إلى الحق فإن الناس سوف يثقون به أكثر.

وبعض الناس تحدِّثه نفسه فتقول له: إذا رجعت إلى الحق فهذا انهزام وسوف ينزل قدرك بين الناس وهذا غلط، ووالله إنَّ الرجوع للحق لهو عين الشجاعة، وحقيقة الإقدام هو الذي يجعل الناس يثقون بك.

فهذه هي المراحل بالنسبة لما يسمع عن بعض العلماء، وعلى كل حال فنحن نحذركم وننهاكم جميعاً من أن تقعوا في أعراض العلماء خاصة، وفي أعراض إخوانكم المسلمين عامة.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: من الأمور التي يحار فيها بعض الشباب ويقعون بسببها في كثير من المشاكل هي مسألة مواجهة بعض المنكرات وكيفية إصلاحها. فما هي الطريقة السليمة السديدة التي ترونها الأفضل والأقوم والأسلم والأنفع؟

الجواب: لا شك أن المنكرات موجودة في كل زمان، حتى إنه وجدت بعض المنكرات في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ألم يقطع يد السارق؟ ألم يرجم الزاني؟ ألم يجلد شارب الخمر؟ فكل هذا كان موجوداً في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فلا يمكن أن تخلو أمة من خطيئة، كل بني آدم خطَّاء، وكذلك في زمن الخلفاء الراشدين، وُجد شيء من المنكرات، وكلما بَعُدَ الناس عن عهد النبوة ازدادت

الفتن وكثرت الشرور، فما زالت المعاصي موجودة في كل زمان ومكان.

ولكن الذي يجب على الإنسان تجاه هذه المنكرات: أولاً: أن يقارن بين هذه الدولة وبين الدول الأخرى المجاورة القريبة، فإنك إذا خرجت عن الحدود، حدود السعودية، فستجد الأمور المنكرة ظاهرة معلنة، حيث يوجد في بعض البلاد الإسلامية، الشرك الصُّراح الواضح المعلن، تُعبد القبور ويستغاث بها، ويُسأل غير الله، ويُستهزأ بالدين علناً حتى في الصحف.

وهل هذا موجود في بلادنا؟ هل يوجد في بلادنا قبور تعبد من دون الله؟

الجواب: لا يوجد أبداً ولله الحمد، ولا يوجد من يستهزىء بالدين علناً في الصحف ولا في غيرها مطلقاً.

كذلك أيضاً: هل تباع قوارير الخمر وغيرها في المطاعم أو في البقالات؟

الجواب: لا، فالواجب على الإنسان أن يقول الحق ولو على نفسه، قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة النساء: الآية ١٣٥].

هل يوجد من يحكم القوانين في كل شيء في بلادنا؟ وتكتب قوانين علناً تخالف الشريعة ويقال: يجب أن يحكم في القليل والكثير بهذه القوانين، هذا غير موجود ولله الحمد، فإذا نظرنا إلى هذا وجدنا

أن بلادنا ولله الحمد خير بلاد المسلمين، ومع هذا نقول: يجب علينا أن نحاول إزالة المنكر، ولكن كيف؟

هل نصب جام غضبنا على ولاة الأمر من العلماء والأمراء ونقول: إن العلماء مقصرون، والأمراء متهاونون، وهذا وإن كان له جانب من الصحة، لكن الواجب أن نوجه الناس إلى الطريق السليم، وثقوا بأن المجتمع إذا استقام فسوف يستقيم الحاكم.

لكن إذا تأملت تصرفات الشعب وجدت في كثير منها مخالفة للشريعة، فلماذا لا نُوجه الناس إلى الحق؟

ولنضرب مثالاً على ذلك بالبنوك، فالبنوك الآن شائعة، وتزداد، لكن لم نجد إلاَّ القليل ممن يحذِّر الناس من التعامل معهم، ويقول: إن هذا ربا، وهو حرام لا يجوز، وأَوْجِدُوا طريقاً سليماً يكون فيه الربح وضمان الأموال، وثقوا بأن البنوك إذا رأت الناس قد كفت يديها عنها سوف تُوجِد هي بنفسها طرقاً صحيحة وفق مبادىء الشريعة.

أما أن يصب الإنسان جام غضبه على الدولة، ويقول: لماذا تمكن هذه البنوك من البقاء أو ما أشبه ذلك؟ فهذا غلط.

والحكومة بارك الله فيكم كغيرها ممن يوليه الله أمر عباده لها بطانتان: بطانة تأمرها بالخير وتدلها عليه، وأخرى بالعكس.

فكل من ولاّه الله أمر المسلمين حتى في الأمور الصغيرة تجد له بطانتين: بطانة مستقيمة وبطانة غير مستقيمة. فيشكل عليها الأمر.

ألم تعلموا أنه يوجد الآن من العلماء من يقول: إنه ليس في الأوراق النقدية ربا إطلاقاً، لا ربا فضل ولا ربا نسيئة؟ وهذا موجود في كتب مؤلفة قبل أن تكثر البنوك عندنا.

كتب مؤلفة يقول مؤلفوها: هذه الأوراق النقدية ليس فيها ربا، إنما الربا في الذهب والفضة، والأوراق النقدية هي حَقِيقَةً الفلوس التي تكلم عنها الفقهاء من مئات السنين، واختلفوا: هل فيها ربا أم لا؟ والفلوس نقد يتعامل به الناس، مقومة بالدراهم والدنانير والأوراق النقدية كذلك مقومة بالدراهم والدنانير.

فيأتي شخص ويقول للحكومة: هذا ليس فيه شيء، وهذا كلام الفقهاء السابقين، منهم من يقول ليس في الفلوس ربا، وهذه مثل الفلوس؛ لأنها عملة متقومة بالذهب والفضة وليست ذهباً ولا فضة، فإذاً لا ربا فيها، وهذه شبهة.

وشبهة أخرى يأتي شخص يقول: الربا المحرم هو الربا المبني على الظلم؛ لأن الله تعالى: قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧٩]. فنص الله تعالى على العلة في تحريم الربا وأنها الظلم، والبنوك ليس فيها ظلم.

فيقول هكذا: البنوك ليس فيها ظلم، بل ربا البنوك مصلحة، للمستثمر وللمعطي، فالبنك يستفيد من الزيادة، والآخر يستفيد من الاستثمار.

فالإنسان الذي يريد أن يفتح مصنعاً وليس بيده مال، يذهب إلى

البنك ويأخذ منه، والإنسان الذي يريد أن يحرث ويزرع، وكذلك من يريد أن يتجر، وما أشبه ذلك، هذا ليس فيه ظلم، فيلبس على الحكومة، فيقال: هذا صحيح ما دام أنه ليس فيه ظلم، قال تعالى: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧٩] إذن لا بأس به، فتجد بعض الناس يصب كل غضبه على الدولة حول هذا الموضوع ولا يحذر الناس من ذلك.

علماً بأننا نرى أن الربا واقع في هذه الأوراق، وأن الربا فيها محرم، وربا النسيئة لا إشكال في أنه حرام ولا يجوز، وهذه الأوراق جعلت قائمة مقام الذهب والفضة يعني: مقام الدراهم والدنانير، والبدل له حكم المبدل شرعاً.

أما مسألة الظلم فغير صحيح أن الربا المحرم هو ما فيه ظلم فقط؛ بدليل أن النبي ﷺ، أُتي إليه بتمر جيد فقال: «من أين هذا؟» قالوا: يا رسول الله نأخذ الصاع من هذا بالصاعين يعنون الصاع الجيِّد من الرديء، فهل هذا فيه ظلم، تراضى اثنان على أخذ صاع يساوي عشرة ريالات بصاعين تساوي عشرة ريالات؟

الجواب: لا ظلم فيه، ومع ذلك قال النبي ﷺ: «عين الربا، لا تفعل، ردوه»، هكذا جاء في صحيح مسلم[1]: «ردوه» فأمر برد البيع، وقال: «بع الرديء بالدراهم واشتر بالدراهم طيباً» بمعناه.

---

(١) صحيح مسلم (١٥٩٤). والحديث أخرجه البخاري أيضاً برقم (٢٣١٢) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري.

إذاً هل الربا المحرم هو الذي يشتمل على الظلم؟

الجواب: لا؛ فبطلت حجة هؤلاء، وبطلت حجة الآخرين، وصار القول، الراجح هو جريان الربا في هذه الأوراق النقدية، لكني أتيت بهذا المثال حتى يتبين لكم أنه يجب أن نُحذِّر الناس من الربا في هذه البنوك، لا أن نذهب نسبُّ الدولة ونقول: مكَّنت وفعلت؛ لأنَّ الدولة يأتيها أناس يهوِّنون عليها الأمر.

فعلى كل حال أقول: إن الواجب على الإنسان أن يسلك الطريق الذي فيه اجتناب المحرم والتخلص منه على وجه ليس فيه تشويش وليس فيه إيغار الصدور على ولاة الأمور؛ لأن إيغار الصدور على ولاة الأمور له عواقب سيئة للغاية، ولا حاجة أن نضرب الأمثلة على ذلك، فكل يوم تسمعون الإذاعات وتقرؤون الأخبار، وماذا جرى على أولئك القوم الذين أرادوا أن يصلحوا الأمة بالعنف فحصل الفساد العظيم من جراء أفعالهم؟ فأقول للشباب الذين يرون مظاهر الفسوق في هذه البلاد: عليكم بسلوك سبيل الحكمة في إزالة الفساد فسيزول إن شاء الله تعالى؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٨].

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما توجيهكم لبعض الشباب الذين يتسرعون في تكفير الآخرين؟

الجواب: الواقع أن هذا لا يحتاج إلى جواب مكلف؛ لأن النبي ﷺ

أجاب عنه، فقال: «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك فإنه يعود عليه»[1].

فإذا كفّر من لم تقم البينة الشرعية على تكفيره صار هو الكافر.

فالقول بالتكفير قول خطير جداً، ولا يظن الإنسان أن كثرة صلاته وقراءته القرآن والحديث والعلم، لا يظن أنه ينجيه من عذاب الله إذا لم يكن على شريعة الله، ألم تعلموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن الخوارج يحقر الصحابة صلاتهم عند صلاتهم وقراءتهم عند قراءتهم، ولكن لا يدخل الإيمان إلى قلوبهم، فهم يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[2]؛ لأنهم كفَّروا المسلمين، واستباحوا دماءهم وأموالهم.

فهذا الذي يكفر غيره بدون سلطان من الله عز وجل لا شك أنه سيكفر إلاَّ أن يشاء الله ويهديه.

والتكفير حكم شرعي ليس إلينا، كما أنه ليس لنا أن نحلِّل أو نحرِّم إلاَّ بإذن الله، أو ندخل في الإيمان إلاَّ بإذن الله.

والتكفير أمره خطير؛ لأنك إذا قلت لإنسان: هذا كافر، فلازم قولك أنه حلّ دمه، وحلّ ماله، وحَرُمَ عليه أن يعاشر زوجته، وسُلِبَ الولاية على أولاده، وإذا مات لا يدفن مع المسلمين ولا يغسل ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٦١) من حديث أبي ذر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٥٠٥٨، ٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

يصلى عليه، فليست المسألة هينة، وليست المسألة مجرد كلمة كفر أو كافر، بل المسألة يترتب عليها أشياء عظيمة.

فالمهم أنني أحذر من إطلاق كلمة الكفر على من لم يكفره الله ورسوله، وأقول لهذا الذي أطلقها: إنه لا بد أن يبوء بها هو ما دام الثاني ليس بكافر في حكم الله، وأذكره بما وصف به النبي ﷺ الخوارج الذين يحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم وقراءته عند قراءتهم، ومع ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[1] وأخبر أنهم يقولون من خير قول البرية، ويقولون أقوالاً عظيمة بليغة، من يسمعها يقول: هذا الحق، لكنهم لا يتجاوز القرآن حناجرهم، أعاذنا الله وإياكم من حالهم، وأسأل الله تعالى أن يُدْخل الإيمان في قلوبنا جميعاً.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما تعليق فضيلتكم على قول النبي ﷺ في الحديث: «يؤتى بالقاضي العادل يوم القيامة فيرى من الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين»[2] وهل يجوز التحايل للهروب من القضاء لمن يعرف من نفسه عدم القدرة على هذا العمل، إما لضعفه في علمه أو لصعوبة هذا المجال؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٥٠٥٨، ٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣) من حديث عائشة نحوه بلفظ: «ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة».

الجواب: أقول إن النبي ﷺ أخبر أن القضاة ثلاثة «قاض في الجنة، وقاضيان في النار، فمن علم الحق وحكم به فهو في الجنة»[1] وليكن الإنسان مُوَطِّناً نفسه على هذا؛ أي: على أنه سيقضي بين الناس بالعلم والعدل، وإذا وطَّن نفسه على ذلك فهو على خير إن شاء الله تعالى وبذلك أمر الله نبيه داود فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [سورة ص: الآية ٢٦]. فهذه وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأما ما ذكره السائل فيحمل على أنه حصل منه شيء من التفريط في قضية من القضايا حوسب عليها هذا القاضي فتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: هناك من يجعل بعض الدعاة في مصاف كبار العلماء، بل بعضهم يقدمون بعض طلبة العلم على كبار العلماء في أقوالهم وتبجيلهم، وأخذ آرائهم وتقديمها على آراء أولئك الجهابذة في المسائل الواقعية والمنهجية، وذلك لإعجابه به، فما رأيكم في هذا، وما العلاج؟

الجواب: رأيي أنه يجب على الإنسان أن يحكم بين الناس بالقسط، فمن استحق شيئاً أعطي إياه، ومن لم يستحق شيء فلا يعطى إيَّاه، ونحن نرى أن من العلماء الذين هم علماء في الشريعة بمعنى: أن لديهم علماً

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥) من حديث بريدة.

كثيراً يكون عندهم تفريط في بعض العبادات، وفي بعض الأخلاق، وفي بعض المعاملات، فهؤلاء يجب أن يعطوا حقهم، فيحمدون على ما عندهم من العلم، ويذمون على ما لديهم من التقصير، لكن ليس معناه أننا نغتابهم بل نناصحهم.

ونرى أيضاً من الدعاة من عنده قدرة على الدعوة وعلى التأثير وعنده علم أيضاً فينتفع الناس به، لكن نرى من الدعاة أيضاً من يغلو في بعض الأمور وتحمله العاطفة على سلوك ما لا ينبغي أن يسلكه.

أما بالنسبة للناس الآخرين فإننا نقول لهم: إن الواجب أن تنظروا إلى العلم؛ لأنَّ العلم هو الأصل، وأما القدرة على التأثير وعلى الدعوة فهذا باب آخر، فكم من إنسانٍ جاهلٍ في ميزان أهل العلم ـ يعني: في علم الشريعة ـ لكن عنده قوة تأثير حينما يتكلم بوعظٍ أو ما أشبه ذلك، فالواجب على الإنسان أن لا يأخذ دينه إلَّا ممن هو أهل للأخذ منه، كما قال بعض السلف: (إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[1] ولا يكفي الإنسان أن يكون قوي الحجة عظيم البيان. فالواجب أن ينظر إلى ما عنده من العلم وما عنده من السلوك.

أما ما يقدح به بعض الناس في العلماء الكبار من أنهم لا يفقهون الواقع، فلا شك أن هذا من باب الافتراء، ومن باب قفو ما ليس له به علم، فهل هم ناقشوا هؤلاء العلماء ووجدوا أنه ليس عندهم فَهْم

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب: بيان أن الإسناد من الدين (١/ ١٤، ١٥) من قول محمد بن سيرين.

للواقع؟ وهل الفقه الذي يُحمد عليه الإنسان أن يفقه الواقع؟ كم من إنسانٍ كافرٍ ملحدٍ في الدول الغربية أو غيرها عنده من معرفة أحوال الواقع ما ليس عند كثير من الناس، فهل يحمد الإنسان على مجرد أن عنده علماً من الواقع؟

فالنبي ﷺ قال: «من يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1] ولم يقل: في الواقع، فهذا الذي يُحمد عليه الإنسان.

فالفقه في الواقع يقع من إنسان عابد لله عز وجل معظّم لله، ويقع ممن ليس في قلبه دين إطلاقاً، وهذا شيء مشاهد.

فانظروا كلام الساسة، الذي تسمعونه في الإذاعات وتقرأونه في الصحف، تجدوا عندهم من الذكاء ومعرفة الواقع ما لا يوجد عند كثير من المسلمين؟

ثم دعواه أن العلماء الكبار كما يقولون عنهم: لا يفقهون الواقع، هذه دعوى بغير حق، هل ناقشهم؟ أو لأنهم صامتون ويرون أنه من الحكمة أن لا يُثار الشعب على الولاة يقال عنهم: إنهم لا يفقهون الواقع؟ فقد يكون عندهم من علم الواقع ما ليس عند صاحبهم الذي هم مغرمون به.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما رأيكم فيمن تخرَّج من هذه الجامعة ولكن ليس عنده من الفقه والعلم ما يؤهِّله للتدريس في المساجد كما يرى من نفسه، فهل له أن يدرِّس أو أنه يكون من المتعالين؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبـي سفيان.

الجواب: ميزان هذا قول النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «بلِّغوا عني ولو آية»[1]، فأي مسألة من العلم يَعْلَمُها الإنسان فإنه عليه أن يبلغها، ولسنا نقول، بل ولا أحد يقول: إن الإنسان لا يجوز أن يدرس إلاَّ إذا كان له علم كثير، فهذا غير صحيح، وأضرب لكم مثلاً، ولستُ أُريد منه أن أبرر على وجه الإطلاق ما تسلكه جماعة التبليغ، حيث يأتي الواحد من جماعة التبليغ وليس عنده علم كثير، لكن عنده شيء من نصوص الوعد أو الوعيد أو الترغيب أو الترهيب، ثم يقوم في مسجد ويتكلم فيؤثر تأثيراً بالغاً، مع أنهم أي: تلك الجماعة عندهم من الجهل الكثير ما هو معروف، ومع ذلك يؤثرون تأثيراً قوياً.

نعم يجب على الإنسان أن لا يتكلم إلاَّ بما يعلم أنه حق، فلا يتكلم بكل ما يسمعه من أحاديث الترغيب أو الترهيب؛ لأن كثيراً من أحاديث الترغيب والترهيب فيها ضعف وبعضها موضوع: فاحرص على نفع الناس ولو بالشيء القليل إلاَّ أنك لا تتكلم إلاَّ بما تعلم.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما توجيهكم لمن أراد الجمع بين طلب العلم وبين الدعوة؟

الجواب: توجيهنا أن يحرص على طلب العلم، بمعنى: أن يجعل أكثر جهوده وأكثر أوقاته في طلب العلم، ولكن لا يترك الدعوة؛ لأن علمه يكون جافّاً إذا لم يكن لديه دعوة، وإن دعا بغير علم ربما يَضل، ويُضل؛ لأن غالب الناس إذا تقدَّم أحد وتكلَّم فيهم يأتون إليه يسألونه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

ومن الناس الذين ينصحون الناس ويتكلمون فيهم من لا يرى أن يقول لما لا يعرفه: لا أدري، أو: لا أعلم، فتجده يفتي بما لا يعلم ولا يبالي وهذا غلط، لذلك أنا أقول: من نصب نفسه للدعوة لله عز وجل فليكرس جهوده أكثر على العلم حتى يكون كلامه عن علم، وإذا وجهت إليه الأسئلة أجاب عن علم.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: إننا نشاهد يا فضيلة الشيخ من بين الطلاب وممن تظهر عليهم سمات الخير من لا يهتمون بمسألة الأدب سواء داخل القاعات الدراسية أو خارجها، بل يتسابقون إلى إظهار النكت والمزاح بطريقة تُخِلُّ بالوقار والسمت المطلوبين من الشباب الأخيار، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: كثرة المزاح تقلِّل من هيبة الإنسان، مهما كان علمه ومهما كانت منزلته، وعدم المزاح إطلاقاً يثقل الإنسان عند الناس، ويهابونه كثيراً، ولا ينتفعون منه، فالذي ينبغي أنه إذا وجد محلاً للمزاح فليمزح، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يمزح لكنه لا يقول إلاَّ حقّاً[1]، أما كثرة المزاح وكون المجلس يغلب عليه الهزل فهذا لا أراه، وإنما أرى أن يجمع الإنسان بين الوقار وبين شرح الصدور في إلقاء كلمة فيها تنفيس عن النفوس حتى لا يُهاب فيحرم الناس من علمه.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: نرغب في كلمة توجيهية لمن يريد العمل بعد التخرج في مراكز هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة.

الجواب: الواقع أنَّ هذا يحتاج إلى محاضرة كاملة؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خطير، جدّاً، فيحتاج قبل كل شيء إلى العلم؛ لأنه إذا لم يكن عند رجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علم؛ فقد ينهى عن معروف، وقد يسكت عن منكر، فلا بدَّ من العلم قبل كل شيء، ثم الوقار والاحترام، احترام الناس ووقار النفس، ثم الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن بعض الناس قد يريد إنكار منكر ينتقل صاحبه إلى ما هو أنكر منه.

وقد قال العلماء: أنه يحرم إنكار المنكر إذا لَزِمَ منه ما هو أعظم منه نكراً؛ لأنك الآن تريد أن تنهى عما هو أخف إلى ما هو أثقل وأعظم.

فهذه المسألة تحتاج إلى محاضرة تامة، ولكن أهم شيء عندي هو العلم والتؤدة وسلوك الحكمة، وأن لا ينهى عن منكر يتحول المنهي عنه إلى ما هو أنكر منه.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: لو أنَّ رجلاً أتى للمسجد وهو لم يصل المغرب ووجد جماعة يصلون العشاء جمعاً وقصراً فما الحكم حينئذٍ؟

الجواب: هذا ليس بمشكلة في الواقع: فإذا دخل المسجد وهم يصلون العشاء وهو لم يصل المغرب وهم يقصرون فليس بمشكلة إطلاقاً؛ لأنه إن دخل معهم في أول ركعة وسلَّم الإمام قام وأتى بركعة فتم له ثلاث، وليس فيه إلاَّ اختلاف النية بين الإمام والمأموم، والصحيح أنه لا يؤثر.

لكن المشكل إذا كان هؤلاء يصلون العشاء أربعاً وهو ينوي أن يصلي المغرب، فدخل معهم.

فإن كان في الركعة الثانية فما بعدها فالأمر أيضاً ليس فيه إشكال، فيسلِّم مع الإمام؛ لأنه صلَّى ثلاثاً.

فإذا قال قائل: هذا الرجل الذي صلَّى ثلاثاً تشهد في الركعة الأولى وفاته التشهد في الركعة الثانية، نقول: لا بأس، كما أن الإنسان لو جاء والإمام يصلي الظهر وقد فاته ركعة فسوف يتشهد في الركعة الأولى ويدع التشهد في الركعة الثانية.

لكن إذا دخل مع الإمام في الركعة الأولى والإمام يصلي أربعاً وهذا سيصلي المغرب ثلاثاً فماذا يصنع؟ هل يتابع الإمام فيصلي أربعاً؟ أو ينتظر الإمام، أي يجلس والإمام قائم يأتي بالرابعة فيجلس هذا ينتظره ويسلم معه؟

فيمكن أن يجلس وينتظر الإمام ويسلم معه، لكن خير من هذا أن ينوي الانفراد إذا قام الإمام إلى الرابعة ويتشهَّد ويسلم، وإن كان بعض العلماء لا يوافق عليه، لكن هذا هو الراجح إن شاء الله.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: نرجو أن توجِّهونا إلى بعض الكتب في الفقه والحديث تكون عمدة لنا عندما تقصر هممنا عن الاطِّلاع على المطولات؟

الجواب: إن خير ما نرى بالنسبة للفقه، علماً بأنه ليس عندنا إلمام كثير بغير الفقه الحنبلي، أنَّ ذلك: «الروض المربع شرح زاد المستقنع»؛ لأنه كتاب جامع بين المسائل والدلائل.

حتى قيل: إن المسائل التي في المنتهى موجودة في الروض المربع مع وجود الدلائل.

ثم إن هذا الكتاب قد خدم وعليه حواشي متعددة.

أمَّا بالنسبة للحديث: فنيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، من خير ما رأيت، فهو كتاب واسع ويتكلم على أسانيد الحديث بكلام جيِّد وهو من هذه الناحية خير من شروح بلوغ المرام، فأشير عليكم بهذا وهذا.

وإذا أراد الطالب أن يتوسَّع في البحث مثلاً في المسائل الفقهية فعليه بالمغني، وكذلك المحلَّى، والمجموع شرح المهذب للنووي رحمه الله.

سؤال: سماحة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فيستعجل كثير من الشباب في الحكم على بعض القضايا الخطيرة الدقيقة، فما نصيحتكم لهم؟

الجواب: أولاً: أريد أن أسأل: هل يسلم الإنسان إذا كان في مجلس وأراد أن يلقي سؤال؟

الجواب: ما أعلم أن الصحابة إذا كانوا جلوساً عند الرسول عليه الصلاة والسلام وأرادوا السؤال أنهم يلقون عليه السلام.

أمـا بالنسبة لتعجـل بعض الناس في الإفتاء في المسائل الدقيقة من غير تحرير لـهـا ولا تمحيص فـأقـول: ليقرأ هذا الرجل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ٣٣]، وليقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦]، وليقرأ قول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

والإنسان المفتي يفتي على أن ما يقوله عنه هو قول الله ورسوله، فيكون بذلك مفترياً على الله كذباً، فليعد لهذا جواباً يوم القيامة إذا وقف بين يدي الله وسُئِلَ: لماذا حرمت على عبادي ما لم أحرمه؟ لماذا أوجبت عليهم ما لم أوجبه؟ لماذا أحللت لهم ما لم أحلله؟ وليعلم أنه في ذلك الموقف لن يجد سبيلاً يتخلَّص فيه من سؤال الله عز وجل، وإذا كان أحب أن يقود عباد الله بكتاب الله وسنَّة رسوله فليتأن وليصبر.

والإنسان إذا سُئِلَ عن شيء وقال: لا أدري، أو: لا أعلم، فقد اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن النبـي ﷺ إذا سئل عما لا يعلم يكل العلم إلى الله، فلما سأله جبريل فقال: «أخبرني عن الساعة؟» قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[1]، فتبرأ من علمه بها عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لا يعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب.

وهل هذا ينتقص الإنسان إذا قال فيما لا يعلم، لا أعلم؟

الجواب: لا ينتقصه، والله لا يزيده إلاَّ رفعة عند الله، ورفعة عند الناس، فالناس إذا رأوا هذا الرجل الذي لا يعلم يقول: لا أعلم، ولا يبالي، ويذل نفسه من أجل إعزاز دين الله، فإنهم يثقون به أكثر.

لكن إذا كان كلما جاءه شيء أفتى به ثم تبين غلطه، فحينئذٍ يسقط من أعين الناس.

فعلى المرء أن يتأنى، وإذا سُئِلَ عما لا يعلم فعليه أن يقول: لا أعلم.

روي أنَّ قوماً أتوا إلى الإمام مالك رحمه الله، والإمام مالك إمام في الحديث وإمام في الفقه حتى لقب بإمام دار الهجرة، فسألوه عن مسألة حملوها من خراسان فيما أظن، أو من بلد حولها، فقال: لا أعلم، فانتظروا عدة أيام وراجعوه؛ وفي النهاية قال لهم: لا أعلم.

فقالوا له: هل نذهب إلى قومنا فنقول لهم إنَّ مالكاً قال: لا أعلم؟

قال: نعم، اذهبوا وقولوا لهم: إنا سألنا مالكاً وتربصنا عنده عدة أيام وقال: لا أعلم. هذا وهو الإمام مالك، فلا يضر الإنسان إذا قال: لا أعلم، لكن يضره إذا تكلم بما لا يعلم.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: بم تنصح من عُيِّنَ للقضاء من حيث الرغبة والطاعة في ذلك، ومن حيث الكتب التي تنصحونه بقراءتها إذا أطاع في ذلك؟

الجواب: أنصحه إذا وجه إلى القضاء فليستعن بالله وليقبل، وكثير من القضاة والحمد لله كانوا عند التخرج قليلي العلم في الفقه، لكن بعد أن مارسوا القضاء وصارت ترد عليهم مسائل، يبحثونها في الكتب، ويتدارسونها مع إخوانهم، حصلوا على خير كثير.

فإذا وجه إلى القضاء فليستعن بالله وليقبل، وليحرص على مشاورة العلماء وعلى مطالعة الكتب، ومن المعلوم أن القضاء عندنا يسير على المذهب الحنبلي، فحينئذٍ يرجع إلى كتب الحنابلة، وإذا أشكل عليه مسألة من المسائل يرى فيها ضعف المذهب فعليه أن يبحث في الكتب الأخرى، ومن خير وأجود ما يبحث فيه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه قلَّ أن يختار شيئاً إلَّا ويكون هو الصواب.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: انتشر بين بعض الشباب ممن هم أمامكم ومن غيرهم بعض الانتماءات كالسلفية والإخوانية وغيرها التي لم تكن معروفة من قبل، فما توجيهكم حيال ذلك بارك الله فيكم؟

الجواب: أرى أن يتجنب الإنسان كل هذه الطرق، وكل هذه الجماعات، إلَّا الانتماء إلى سنة النبي ﷺ وطريق السلف الصالح، لكن لا على أنه حزب قائم له حزب مضاد كحزب الإصلاح وحزب التحرير وما أشبه ذلك من الأحزاب التي فيها نظر.

والتحزب لا شك أنه يحمل الإنسان على أن يجعل الحق باطلاً والباطل حقّاً، فتجد بعض الناس يرى مثلاً هذا واجباً أو يرى هذا حراماً

ويعرف عنه ذلك تماماً ثم إذا انتمى إلى حزب أخذ بطريق الحزب الذي ينتمي إليه وإن كان بالأمس يعتقد أنه غير صواب.

لذلك أُحَذِّرُ إخواني الشباب من التجمع والتحزب إلاَّ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وطريق السلف الصالح، فهذا لا بُدَّ منه، وهو طريق ليس فيه أحزاب، فلا تجد في الصحابة هذا حزب كذا، وهذا حزب كذا، وهذا حزب كذا، حتى وإن اختلفوا في المسائل فالقلوب والهدف والمنهج لا تختلف.

لكن هذه الأحزاب التي على الساحة اليوم يكفر بعضهم بعضاً أحياناً، أو يضلل بعضهم بعضاً في مسألة يكون الصواب فيها مع الجانب الآخر، فعلى الإنسان أن يتجنب هذه الطرق كلها وأن يسلك طريقاً واحداً وهو الذي أمر باتباعه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ».

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما توجيهاتكم لمن يرغب في العمل في هيئة التحقيق والادعاء العام؟

الجواب: أرى أن ينتظم في سلكها؛ لئلاَّ يخلفه من لا يحسن التحقيق ولا الادعاء، هيئة حجة تحتاج إلى أهل علم، وأهل عدل، وأهل دين حتى يتم المقصود؛ لأننا نسمع عن بعض التحقيقات التي لم تكن على يد أهل العلم والعدل والإيمان، أنها تحقيقات باطلة، مجانب فيها الصواب بطرق شتى ليس هذا موضع ذكرها.

فإذا تولى هذا الأمر أناس أهل علم وعدل وإيمان وخوف من الله عز وجل صار في ذلك خير كثير.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما الفرق بين زكاة بهيمة الأنعام وزكاة الطيور؟

الجواب: هذا السؤال جوابه أن نقول: ما الفرق بين صلاة المسافر، وصلاة المقيم، أو بين صلاة الظهر وصلاة الفجر، أو بين صلاة الفجر وصلاة المغرب أو ما أشبه ذلك؟

حيث إنَّ بهيمة الأنعام ثبت في السنَّة وجوب الزكاة فيها، والطيور وشبهها ليس فيها زكاة؛ لأنها كقول النبي ﷺ: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة»[١].

إلاَّ إذا أعدت للتجارة فإن فيها زكاة عروض، وعلى هذا فليس شيء من الحيوان فيه زكاة بعينه إلاَّ بهيمة الأنعام.

ومع ذلك لا بدَّ من توافر شروط: وهي أن تكون سائمة ـ أي راعية ـ لا يعلفها صاحبها، فأما المعلوفة فإن كانت لا تعلف إلاَّ قليلاً وترعى أكثر السنة فالحكم كما تقدم، وإن كان العكس بأن كانت تعلف أكثر السنة فليس فيها زكاة إلاَّ أن تكون تجارة.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما توجيهكم لمن يرغب في العمل في سلك التدريس بعد التخرج إن شاء الله؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣، ١٤٦٤)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة.

الجواب: هذا طيب أيضاً، لكني أقول: التدريس ينقسم فيه المدرسون إلى قسمين:

قسم ليس له هم إلَّا أن يكمل المقرر فقط دون نظر إلى سلوك الطالب وتوجيهه.

وقسم آخر يراعي هذا أعني إكمال المقرر؛ لأنه مؤتمن عليه ويراعي توجيه الطلبة ويقول: إن الاهتمام بالتربية أشد من إكمال المقرر، وهذا هو المدرس الناصح، والأول إن شاء الله ناصح بقدر حاله، لكن هذا أكمل، وهو المدرس حقيقة؛ لأن حمل الطلاب على الآداب وحسن الخلق مع الله ومع العباد هذا هو المهم، ونحن لا نعلم إلَّا لنعمل.

فأقول إذا توليت التدريس فعليك بالأمرين: القيام بالواجب لإكمال المقرر، والقيام بالواجب للتربية والتوجيه.

لكن نسمع أن بعض المدرسين هداهم الله إذا دخلوا الفصل أشغلوا التلاميذ بما لا فائدة فيه لا في الدين ولا في الدنيا، بحيث يتكلمون معهم عمّا جرى على فلان وما جرى على فلان، وما قال فلان وما قال فلان، فتمضي الساعة أو غالبها في هذا، وهذا خطأ؛ لأنَّه خلاف الأمانة التي وكلت إليه من المقررات، وخلاف الأمانة فيما وكِّل إليه من التوجيه.

أهم شيء أن يجمع الإنسان بين هذا وهذا ولكن ليس التوجيه الذي فيه قيل وقال وكثرة السؤال، بل التوجيه إلى الطريق السليم المستقيم.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: تعلمون أن التعيين في مجال التدريس قد يكون في بلدةٍ بعيدةٍ عن بلدي، وأن ذهابي إلى تلك البلدة يترتب عليه مفسدة، وهو أني أبتعد عن والديّ ولا يحصل مني بِرٌّ بهما، خصوصاً أنه ليس لهما غيري، فكيف يمكن التوفيق بين جلب المصلحة ودفع المفسدة ونشر العلم؟

الجواب: أولاً نقول: إذا لم يكن للوالدين راعٍ إلاَّ هذا المدرس الذي أبعد عنهما فإنه يسلك أحد الطريقين:

إما أن يحاول نقل والديه إلى مكانه ولا يدري ما الصالح فيه، فربما يكون تعيينه في هذا البلد بركة عليه وعلى أهله، فقد يكون هذا البلد ليس فيه علماء، أو ليس فيه طلبة علم، فينفع الله به ويفتح حلقات في المسجد، ويذهب إلى الوجهاء والأعيان يوجههم إلى الخير، وكم من إنسان حصل منه هذا.

فنحن نعلم عن أناس ذهبوا إلى بلادٍ نائيةٍ وحصل منهم خير كثير، فالإنسان لا يدري ما الصالح فيه.

وأما إذا أبى الولدان أن يذهبا معه وليس عندهما أحد يقوم بكفايتهما فليقدم إلى المسؤولين دلائل وبينات تدل على هذه الضرورة، ولا إخال المسؤولين إذا علموا ضرورته أن يمتنعوا من الموافقة على طلبه.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما توجيهكم لمن يرغب في العمل في السلك العسكري بعد التخرج؟

الجواب: السلك العسكري لا شكَّ أن دخول الناس فيه مهم جداً؛ لأنه فتح باب للجهاد في سبيل الله، وفيه حماية للبلاد والدفاع عنها.

وأُحب كثيراً أن يكون في السلك العسكري رجال عندهم علم ودين؛ لأن السلك العسكري محتاج إلى ذلك.

فإذا كان فيه رجال أهل علم ودين نفع الله بهم كثيراً، وهذا قد لا يقل أهمية عن سلك التدريس أو القضاء، إلاَّ أنه ـ أي السلك العسكري ـ يحتاج إلى مدة حتى يترقى الإنسان إلى رتبة يتمكن فيها من التوجيه.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: كثر الكلام في فتواكم حول التصوير فنرجو الفصل في ذلك؟

الجواب: أولاً: يجب أن لا تكون هذه المسألة هي مهمة المهام، فالمسألة فيها خلاف قديم من عهد الصحابة وعهد التابعين، والأئمة، وليست هي من المسائل العقدية، فأنا أتعجب كيف كان اهتمام الناس بها هذا الاهتمام العظيم، مع أن فيه مسائل عقدية لا يسألون عنها هذا السؤال.

فيقال أولاً: الشيء المجمع على تحريمه: هو أن يصور الإنسان جسماً على صورة إنسان أو حيوان، فهذا متفق فيما أعلم على أنه حرام، سواء صورها لتعبد من دون الله، أو تتخذ زينة، أو عبثاً، أو تجارةً، أو مضاهاة لخلق الله، أو غير ذلك؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي:

«ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي»[1].

وقول النبي ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»[2]، وقوله: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»[3]؛ لأن تصوير جسم على هيئة إنسان أو حيوان مضاهاة لخلق الله تعالى بلا إشكال سواء قصد ذلك أم لا؛ لأن المضاهاة حاصلة بقصد وبغير قصد؛ كما لو صنع شخص باباً على شكل، وصنع شخص آخر باباً على هذا الشكل؛ فإنه يقال: هذا مضاهٍ لهذا وإن كان الثاني لم يعلم بالأول.

ثانياً: التصوير بالرسم باليد، فهذا فيه خلاف من قديم الزمان، لكن القول الراجح أنه حرام، وأنه داخل في التصوير المحرم؛ لعموم الأحاديث السابقة، ولحديث علي بن أبي طالب أنه قال لأبي الهياج: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلاَّ طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلاَّ سويته»[4].

ثالثاً: التصوير بالآلة التي تحتاج إلى تعديل وتحميض وهذا أيضاً يقرب عندي أنه داخل في التحريم؛ لأن فيه شيئاً من مضاهاة خلق الله عز وجل، وذلك بالتعديل الذي يعدله المصور في الفيلم، فهذا لا شك

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤) من حديث عائشة.
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود.
(٤) أخرجه مسلم (٩٦٩) من حديث علي بن أبي طالب.

أن الاحتياط والأولى هو المنع منه.

رابعاً: التصوير بالآلة الفوتوغرافية وظهور البطاقة فوراً بدون عمل من المصور فيها فهذا ليس بتصوير، ولا ينطبق عليه الحديث؛ لأن هذا لم يضاه خلق الله، فهو لم يخطط العين ولا الأنف، ولا الشفة، ولا الوجه، أبداً، إنما نقل صورة صوَّرها الله عز وجل بدون عمل منه في التصوير، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦]، وهو قريب من كون الإنسان ينظر إلى المرآة فينطبع وجهه فيها، وإن كان الفرق أن الصورة في المرآة غير ثابتة وفي البطاقة ثابتة، لكن هل هذا الفرق مؤثر؟

ولهذا يقال للرجل إذا قابل المرآة: هذه صورتك، فتسمى صورة، لكنها ليست محرمة بالاتفاق.

والفرق بين كون هذا ثابتاً أو غير ثابت، قد يدعي المدعي أنه غير مؤثر؛ لأن حكاية الآلة الفوتوغرافية كحكاية مقابلة المرآة تماماً، فلا أرى أنها داخلة في التصوير أصلاً.

ولكن يُنظر لأي غرض فعل الإنسان هذا؟ لأن المباح إذا قصد به غرض محرم صار حراماً، فإذا قصد بهذا فتنة بأن يصور الإنسان مثلاً امرأة جميلة أو حسناء أو أمرداً جميلاً من أجل أن يتلذذ ويتمتع برؤيتها أو برؤيته كلما شاء؛ فهذا لا شك أنه حرام.

أو صور مثلاً محفل نساء في عرس من أجل أن يعرضه على كل إنسان؛ فهذا حرام أيضاً ولا إشكال فيه.

أما إذا صور دون قصد فهنا عبث، والعبث فيه إضاعة مال وإضاعة وقت، وربما يحتفظ بها الإنسان للذكرى فيدخل في عموم: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة»[1].

ولهذا يجب على طالب العلم أن يعرف الفرق بين التصوير وبين اقتناء الصور، كما فعل الفقهاء، قال في زاد المستقنع: (ويحرم التصوير واستعماله) فجعل التصوير شيئاً وجعل استعمال الصور شيئاً آخر.

القسم الخامس: التصوير بالفيديو، فالأشرطة التي فيها الصورة لا تظهر فيها الصورة، وإنما تظهر الصورة على الشاشة فهي قريبة من المرآة، وهي أقرب إلى كونها مثل المرآة من الصورة التي في الورقة.

ولهذا جرى بحث في مجلس كبير في الدولة: هل يمكن أن تصور المحاضرات التي تلقى في المساجد لما في ذلك من المصلحة؟

فرجح أكثر الحاضرين أنه لا بأس به، إلاَّ أنهم قالوا: إنَّ هذا يُخشى منه أن يثير العامة، وهو الآن مستعمل في المسجد الحرام والمسجد النبوي، فالصلاة والخطبة تصوران، فلذلك رأى هذا المجلس: أن لا يسمح بهذا في المساجد خوفاً من التشويش وإثارة العامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥، ٣٢٢٤)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: نرى في الساحة كثرة الكُتيبات الإسلامية منها ما يهتم بالأخلاق، ومنها ما يهتم بالعقيدة، ومنها ما يهتم بالفقه، إلى غير ذلك، فما توجيهكم لنا تجاه هذه الكتيبات وكيفية التعامل معها؟

الجواب: الواقع هو كما قال الأخ، فالكُتيبات كثيرة، وكثيرة أيضاً من أناس مجهولين لا يعلم عنهم سابق علم، ولا سابق فقه، فيحصل فيها إذا خالفت الحق ضرر على العامة، ولهذا أنا أنصح أن لا يُتَلَقَّى من هذه الكتيبات إلاَّ من عُرِفَ أصحابه، وأنهم من العلماء الموثوقين بهم ديناً وعلماً حتى لا يضل، وكما قال بعض السلف: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[1].

فالمسألة ليست بهينة، فأرى أن الإنسان وخصوصاً من ليس عنده علم كاف وأن لا يقتني هذه الكتيبات، وأن يرجع إلى كتب أهل العلم الموثوق بعلمهم وأمانتهم.

وقد وجد رسائل أطلعنا على بعضها، فيها كلام في العقيدة غير صحيح وأحاديث ضعيفة أو موضوعة، والعامة، وطالب العلم الصغير لا يدرك هذا ولا يدري عنه، نسأل الله تعالى أن يوفق المسؤولين عن هذه الأمور إلى ضبط هذه الظاهرة التي يخشى منها في الحاضر والمستقبل.

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب: بيان أن الإسناد من الدين (١/ ١٤، ١٥) من قول محمد بن سيرين.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما حكم استعمال جهاز صاعق الحشرات كالذباب والبعوض ونحوها، فهي منتشرة وخاصة في المساجد، وإذا كان الإنسان المستعمل بها شخصٌ كبيرٌ طاعن في السن لا يمكنه دفع تلك الحشرات عن نفسه إلَّا بها، فما الحكم؟

الجواب: لا أرى في استعمال جهاز صاعق الحشرات بأساً للأسباب الآتية:

أولاً: لأنها لا تحرق وإنما هي تصعق كما لو لمس الإنسان مثلاً سلك كهرباء خط ٢٢٠ فإنه يموت بدون احتراق.

ثانياً: إذا لم يندفع ضرر هذا إلَّا بهذه الآلة وفرضنا أنها تحرق فلا بأس أيضاً.

أرأيتم النبي ﷺ الذي لدغته نملة فأحرق قرية النمل كلها، فقال الله تعالى له: «هلاَّ نملة واحدة»[1]، ولم يعاتبه الله على الإحراق؛ لأنه فعل ذلك دفاعاً عن النفس، لكن لامه الله عز وجل على أنه أحرق كل القرية، فما دام لدفع الأذى فلا بأس به.

ونحن نعلم أن النبي ﷺ «أحرق نخل بني النضير»[2] والنخل لا يخلو عادةً من فراخ طير أو حشرات أو غيرها، لكنها غير مقصودة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٩، ٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٦، ٣٠٢١، ٤٠٣١، ٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب.

ويعلم كثير منكم أن العلماء رحمهم الله قالوا: يجوز أن ترمى قرية الكفار بالمنجنيق، مع أن المنجنيق سوف يقتل من لا يحل قتله من النساء والأطفال، لكنهم تبعاً، ولهذا نرى أن هذه الأجهزة لا بأس بها.

والكلام في هذا يجرنا إلى بيان حكم إحراق المزارع: فنرى أنه لا بأس للمُزارع أن يُحْرِق أرض الزرع من أجل أن لا تنبت الحشائش التي تضر بالزرع، وإن كان في الأرض ما يكون فيها من الحشرات ونحو ذلك؛ لأن الإِنسان إنما أحرق الأرض لا من أجل إحراق الحشرات ولكن من أجل إحراق الحشائش الضارة.

وهذا نظير إحراق النبـي ﷺ نخل بني النضير مع ما في النخل من فراخ الطيور والحشرات ونحوها.

وفي الختام نشكر لسماحة شيخنا ووالدنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين هذه التوجيهات النافعة، وهذه الكلمات السديدة، ونرجو أن تكون محل عملكم، وأن تستفيدوا منها في حياتكم إن شاء الله بعد تخرجكم؛ لأن الإِنسان لا بُدَّ له أن يعمل بعد تخرجه إن شاء الله، ولا بدَّ له من موجِّه يستفيد منه، وخاصة إذا كان من أمثال شيخنا، نسأل الله عز وجل أن يجزي شيخنا خيراً على هذه التوجيهات، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❑ ❑ ❑

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الحادية عشرة)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمَّة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فيطيب لي في هذا اليوم الثلاثاء ٢٢ من ذي الحجة عام ١٤١٧، أن ألتقي بطلابنا طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في المستويين السابع والثامن من الكليات في مدينة الرياض، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ذلك لقاءًا مباركاً.

أيها الإخوة: لا يخفى علينا مسؤولية طالب العلم في أمته وفي

نفسه وأهله؛ وذلك أن حامل العلم قد حمل ميراث محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، فهو مطالب بأن يبيِّنه للناس، ولا يكتمه، وأن يقوم به في نفسه وفي أهله وفي كل من يتصل به، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٧].

والعلماء ورثة الأنبياء في العمل والدعوة والبلاغ، فعلى طالب العلم أن يعمل به أولاً في العقيدة، وهي: كل ما يتعلق بالله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، بحيث تكون العقيدة سليمة مبنية على ما كان عليه السلف الصالح، بإفراد الله تبارك وتعالى فيما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولسنا نريد أن نتكلم على ما يتعلق بالألوهية والربوبية؛ لأن هذا أمر واضح والمخالفة فيه قليلة.

لكن الخلاف الذي وقع بين الأمة وكثر، هو فيما يتعلق بالأسماء والصفات، والعقائد السمعية كاليوم الآخر، ولقد حرص علماء المسلمين على تثبيت العقيدة السليمة حول هذا الموضوع، ففي باب الأسماء والصفات أصّلو أصولاً عظيمة مهمة، تنحصر في: إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي ما نفى الله عن نفسه، والسكوت عما لم يكن فيه إثبات أو نفي.

فأما الإثبات فأثبتوا لله سبحانه وتعالى كل ما سمى به نفسه أو وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، على حد قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

﴿ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١]، وبناء على هذه القاعدة الإيمانية أبدأ بذكر شيءٍ من النصوص التي يثار حولها الجدل والنزاع في حديث: «إن الله لا يمل حتى تملوا»[(١)]، وحديث: «إن الله خلق آدم على صورته»[(٢)] وأشباههما، فإن كثيراً من الناس يثير حول هذه الأحاديث إشكالات، وهي في الحقيقة ليست مشكلة إذا طبقناها على القاعدة الأساسية التي أشرنا إليها.

فمثلاً في الحديث الأول: نقول: إن كان هذا الحديث يدل على ثبوت الملل فإنه ملل يليق بالله ليس كمللنا المبني على الضجر والسآمة والتعب، هذا إن كان الحديث يدل على ذلك، على أن في دلالته على ذلك نظراً فنقول: إن دل الحديث على هذا فهو ملل يليق بالله من غير نقص ولا عيب.

والصورة أيضاً كذلك، إذا طبقت على هذا الأصل العظيم، قلنا: إن الله خلق آدم على صورته، لكن بدون مماثلة، على حد قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١]، والصورة قد تثبت بدون مماثلة؛ كما جاء في الحديث الصحيح: «أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر»[(٣)]، ومعلوم أنَّ هؤلاء ليسوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣، ١١٥١)، ومسلم (٧٨٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، ٣٣٢٧)، ومسلم (١٦٢٥) من حديث أبي هريرة.

مماثلين للبدر من كل وجه، بل بينهم من التخالف ما هو معلوم.

كذلك يجب أن ننفي مانفى الله عن نفسه من النقص والعيب ومماثلة المخلوقين، فكل صفة نقص: فالله منزه عنها، سواء كان ذلك مما يتعلق بأصل الصفة بحيث تكون صفة نقص أو مما يتعلق بكمال الصفة؛ بحيث يكون هذا المنفي لدفع توهم النقص بكماله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة ق: الآية ٣٨].

أما القاعدة الثالثة: فهي السكوت عما لم يثبته الله لنفسه، ولم ينفه، وهذا مهم بالنسبة لطالب العلم؛ لأن كثيراً من طلاب العلم الحريصين على إثبات صفات الله وأسمائه نجدهم يبحثون ويسألون عن شيء لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم، وهذا من التعمُّق في الدين، وهو أمر لا يجوز، كسؤال بعضهم: كم عدد أصابع الله؟ وسؤال بعضهم: كيف استوى على العرش؟ وسؤال بعضهم: كيف عين الله؟ وما أشبه ذلك من المسائل التي لا يجوز التساؤل فيها؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أعمق منا علماً، وأشد منا حرصاً على معرفة الله تبارك وتعالى، وعندهم من يستطيع الإجابة فيما يعلمه، وهو الرسول ﷺ، لم يسألوا عنها، هل أحد من الصحابة سأل: كيف استوى الله على العرش؟ هل أحد سأل: كم عدد أصابع الله؟ هل أحد سأل: كيف يد الله؟

لذلك يجب على طالب العلم أن يعرض عن هذا كله، وأي إنسان

يسألك عن شيء من هذا القبيل فإن من أحسن ما تجيب به هو ما أجاب به الإمام مالك رحمه الله: الكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة؛ لأن ذلك لم يكن معروفاً في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

كذلك يجب على طالب العلم أن يحقق علمه بعمله فيما يتعلق بالعبادة، بأن يُعرف بالتعبد لله عز وجل من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحفظ الصوم والحج وغير ذلك كبرٍّ الوالدين وصلة الأرحام وحسن المعاملة.

ويجب كذلك على طالب العلم أن يكون متخلقاً بالأخلاق الفاضلة من طلاقة الوجه، وانشراح الصدر، والصبر على أذى الخلق، فإن ذلك من الصفات التي كان عليها رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم؛ وذلك لأنه إذا تعوّد على هذه الأخلاق صارت بمنزلة الغريزة له، حتى إنه ليضيق صدره إذا لم يقم بها.

وكذلك يجب على طالب العلم أن يكون حازماً كيِّساً فطناً، يقدر الأمور على حسب ضخامتها ولا يكون نظره قريباً، بل يكون له نظر قريب وبعيد؛ لأن النظر إلى القريب سيؤدي حتماً إلى الندم؛ وذلك من أجل تغيُّر الأمور.

وأنا أضرب لكم مثلاً بمهندس أراد أن يخطط قرية أو مدينة على حسب ما يشاهد في أسواقها وطرقها ومصالحها، فإن هذا سوف يجد الخلل العظيم في تخطيطه، وأنه ربما يأتي الزمن القريب الذي يؤدي إلى إهدار هذا التخطيط كله؛ لعدم إمكان إصلاحه.

كذلك أيضاً أنت في حياتك ومستقبلك لا بد أن تخطط للزمن البعيد، وتقدر جميع الاحتمالات التي يمكن أن ترد حتى يكون لديك حل لمشكلاتها، إن بعض الناس لا ينظر إلى الزمن البعيد وإنما ينظر إلى الوقت الحالي، وبعض الناس يغلبه التفاؤل حتى لا يستعد لما يُخشى من التشاؤم، لكن المؤمن كيِّسٌ فطن: لا يفرط في وقته ولا يهمل المستقبل.

وأقول هذا: لا نطلق، المسألة مهمة، وهي أن طالب العلم الذي أعد نفسه لنشر الشريعة والدفاع عنها لا بد أن يكون لديه قدرة على إقناع الخصم بالدليل السمعي من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وبالدليل العقلي الذي لا ينكره حتى الملحد؛ لأن الناس الآن يعيشون في زمن تغلب فيه الأهواء، فلا بد من أن يقترن الدليلان العقلي والسمعي.

فإن من المعلوم أن المؤمن يكفيه الدليل السمعي، إذا قلت: قال الله وقال رسوله؛ اقتنع أتم الاقتناع، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٦]، وكما قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: (كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[1]. فالمؤمن يسلم للدليل السمعي تسليماً تامّاً.

(١) أخرجه البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥)، واللفظ لمسلم.

لكن غير المؤمن يحتاج إلى دليل عقلي يُسند الدليل السمعي، فلا بد من أن يكون عند طالب العلم نظران، نظر في الأدلة السمعية، ونظر في الأدلة العقلية، ولنا أسوة في العلماء الأجلاء الذين كانوا يستعملون الاستدلال بالأدلة السمعية والعقلية، كمثل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

كذلك يجب على طالب العلم أن يكون مع بيان العلم مربياً للأمة؛ لأن العلم إنما يقصد به الإصلاح، وحينئذ لا بد أن يقترن بالتربية السليمة الصحيحة، فإن بعض طلبة العلم يأخذ الأمور بظواهرها، ويريد أن يطبق ما يراه شريعة دون النظر إلى المفاضلة والترجيح فيما أذن الشرع به، وهذا خلاف السياسة الشرعية.

كلنا يعلم أن من أشد الناس سياسة، وأقواهم عزماً وأفهمهم رأياً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومع ذلك قد يعدل عما يقتضيه النص إلى ما تقتضيه المصلحة من غير مخالفة، ومثال هذا في الطلاق الثلاث، فإن الطلاق الثلاث في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وأول خلافة عمر، كان واحدة[1]، يعني أن الرجل إذا قال لزوجته: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، فهي واحدة، وهذه الصيغة من الطلاق حرام؛ لأنها تلاعب بآيات الله، فإن الله تعالى إنما أمر بالطلاق للعدة، وأمر بالطلاق أن يكون على مراحل، فإذا تعجل الإنسان وأتى بهذه الصيغة الدالة على البينونة؛ كان عاصياً لله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٢) من حديث ابن عباس.

لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الناس كثر فيهم الطلاق عاملهم بمقتضى مرادهم، ومنعهم من الرجوع إلى نسائهم، وقال: (أرى الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة)[1]، فأمضاه عليهم.

فهنا نجد أنه منعهم من أمر ثابت لهم، وهو مراجعة الزوجة إذا طلقت بهذه الصيغة عقوبةً لهم؛ حتى لا نتجرأ على هذا المحرم.

وكذلك الشأن في بيع أمهات الأولاد، كان جائزاً في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وعمر في أول خلافته لكن الرجل كان لا يفرق بين المرأة وولدها، ولما قلت الرحمة في العباد وصار الرجل يبيع أم ولده، ويفرق بينها وبين ولدها، رأى عمر رضي الله عنه بثاقب رأيه وحكمته أن يمنع من بيع أمهات الأولاد فمنعها[2].

وفي الخمر كانت العقوبة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر لا تتجاوز أربعين جلدة، ولما كثر شربها استشار عمر الصحابة، فرأوا أن يرفعوها إلى أدنى الحدود وهي ثمانون، وهو حد القذف، فرفعها استصلاحاً للخلق. والأمثلة كثيرة[3].

فكثير من طلاب العلم لا يراعي هذه المسألة، وهي سد الذرائع

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٢) من حديث ابن عباس.

(٢) ورد ذلك من حديث جابر بن عبد الله أخرجه أبو داود في سننه (٣٩٥٤)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١٧٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٧٩) من حديث السائب بن يزيد.

إلى إهمال الواجب أو انتهاك المحرم، ومن ثم صار بعض العلماء يؤسس قاعدة مهمة وهي: أنه يعرِضُ للمفضول ما يجعله أفضل من الفاضل، وأسسوا كذلك: سد الذرائع، وهذا التأسيس مبني على أصل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٨]، فنهى الله عن سب المشركين مع أنه واجب؛ خوفاً من مفسدة أعظم وهي سب الرب عز وجل، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٠٨].

والنبي ﷺ منع من بيع العينة؛ لأنه حيلة أو ذريعة إلى الوقوع في الربا، والعينة هي أن يبيع الشيء بثمن مؤجل ثم يشتريه من المشتري بثمن حاضر أقل، إن صورة العقد هنا صورة جائزة، رجل باع سلعة بثمن مؤجل والتأجيل لا بد أن يزاد في الثمن، ثم اشتراها نقداً بأقل، لكن لما كان ذريعة إلى أن تباع الدراهم متفاضلة وتدخل بينها هذه السلعة؛ صارت محرمة.

على كل حال هذه مسألة مهمة في أمر طالب العلم: أن يكون عنده نظر ثاقب للمستقبل، ونظر للنتائج وألا يتسرع في الأمور فيفتي بأمر قد يؤدي إلى مفاسد كثيرة، وهو في الأصل جائز.

آخر كلمة أقولها: هو أن بعض الطلاب صاروا يتنازعون في أمر هم في غنى عن النزاع فيه، ربما يتنازعون في مبدأ من المبادىء، وربما يتنازعون في شخص من الأشخاص، ويجعلون الولاء والبراء مرتباً على

هذا، فمن والى هذا الشخص فهو وليهم، ومن لم يواله فهو عدوهم، كأنما يطبقون: من لم يكن معي فهو عليّ! وهذا خطأ، خطأ عظيم، الواجب أن لا نهتم بالأشخاص، أن نهتم بالأقوال والآراء، وإذا كانت الأقوال والآراء متفقة فهذا مطلوب، وإذا اختلفت فإنه يجب النظر وعرض هذا الاختيار على الكتاب والسنة؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: الآية ١٠].

والله تعالى قد بين لنا هذا الحكم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩].

وإذا كان النص أو الدليل يحتمل هذا وهذا، فإنه لا يجوز أن نضلل المخالفين وأن نبدعهم وأن نفسقهم وأن نعاديهم، ما دام النص يحتمل هذا وهذا، فليس قول أحد حجة على الآخر، ومن زعم أن قوله حجة على غيره فقد تبوأ مكان الرسالة، وادعى لنفسه أنه معصوم، وهذا من الخطأ، والواجب ألا يحصل خلاف في القلوب حتى وإن اختلفت الآراء فيما يسوغ فيه الاجتهاد.

وعلى هذا درج السلف الصالح، فقد كانوا يختلفون في أشياء مهمة كبيرة، لكن لا تختلف القلوب، لذلك أدعوا إخواننا طلاب العلم إلى التسامح فيما بينهم والتآلف، وأن يعذر بعضهم بعضاً في مخالفته إذا كان لا يخالف الدليل مخالفة غير سائغة.

ومرادي بقولي: مخالفة غير سائغة: أنه قد يظهر للإنسان من الدليل ما لا يظهر للآخر، والدليل يحتمل هذا وهذا، فلا يجوز أن نتعادى أو نتباغض أو يضلل بعضنا بعضاً مع هذا الاختلاف السائغ، أما من تبين له الحق وعاند وأصر، وأراد أن ينتصر لنفسه؛ فهذا محل للقدح ومحل للتنفير منه، ومن طريقه؛ لأن هذا طريق أهل الكبر الذين لا يتواضعون للحق ولا للخلق.

أسأل الله لي ولكم التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأسأل الله لإخواننا وأبنائنا الذين يتخرجون هذا العام أن يوفقهم لأصلح ما يكون من عملهم، وأن ينزل فيهم البركة، إنه على كل شيء قدير.

انتهت محاضرة الشيخ حفظه الله تعالى، وهذا أوان عرض الأسئلة عليه:

سؤال: هل من كلمة توجيهية للإخوة الطلاب أصحاب التخصصات الشرعية وغيرهم ممن يوجد عنده بعض الملاحظات، كالإسبال وحلق اللحى، فهي ظاهرة تفشت في الكليات الشرعية وغيرها، وهل من تذكير لهم بمسؤوليتهم في ذلك؟

الجواب: لعل فيما سبق من الكلام ما يشير إلى هذا، وأن الواجب على طالب العلم أن يظهر أثر العلم عليه في عباداته وأخلاقه ومعاملاته، أما ما ذكر من الأمثلة على المخالفات كإسبال الثياب وحلق اللحى وما أشبهها؛ فإني أقول:

إن طالب العلم إذا وقعت منه هذه المعاصي؛ فإنه يتضرر بها من وجهين:

الأول: المخالفة لما كان يعلمه من دين الله، وبهذا يكون علمه حجة عليه وليس له.

الثاني: أن الناس يقتدون به ويستمرؤون ما فعله من المعصية، فإذا قيل للعامي: لم تسبل؟ لم تحلق لحيتك؟ قال: لأن فلاناً ــ وهو من خريجي الجامعة ــ كان يفعل هذا، ولو كان حراماً ما فعله، أو يقول: لو كان من الكبائر ما فعله، فيكون هذا المتخرج جانياً على نفسه من وجهين:

الأول: المخالفة.

الثاني: أنه دلّ على المعصية، ومن دل على معصية كان له مثل إثم من فعلها.

وإني أقول: إن الناس إذا كان ينظر بعضهم إلى بعض بعينين؛ فإنهم ينظرون إلى طالب العلم بأعين كثيرة، على حسب منزلته بين الناس، وكلما عظمت منزلته صاروا ينظرون إليه بنظر أشد، وينقدونه في الصغيرة والكبيرة؛ لأنهم يجعلونه إماماً، فإذا خالف الحق سار انتقادهم له أكثر وأعظم، ثم هو أيضاً إذا خالف الحق لا بد أن يُنزل من قدر نفسه، وإذا نزل من قدر الإنسان في الأمة قل الانتفاع بعلمه، وسار فعله هذا جناية ثالثة على ما سبق، وهي إهدار كرامته العلمية، وبالتالي إهدار الانتفاع بعلمه.

سـؤال: سماحة الشيخ: أنا حججت هذه السنة وأخّرت طواف الإفاضة مع طواف الوداع، ولكن بقي عليّ السعيُ، فهل يكون بعد الطواف؟ وإذا كان بعده فكيف يكون آخر عهدي بالبيت؟

الجواب: هذا الإشكال يورده كثير من الناس، وحُقَّ لهم أن يوردوه؛ لأن الواجب أن يكون آخر عهد الإنسان بالبيت الطواف، وهذا آخر عهده السعي، والجواب على ذلك من وجهين:

الأول: حديث عائشة رضي الله عنها حين اعتمرت في ليلة الخروج من مكة، اعتمرت واكتفت بعمرتها، واكتفت بطواف عمرتها عن طواف الوداع، وقد ترجم على هذا البخاري رحمه الله: أن المعتمر يكفيه طواف العمرة عن طواف الوداع إذا كانت العمرة عند السفر.

ومن المعلوم أن السعي للعمرة لا يمكن أن يتقدم على الطواف أبداً ولم ترد الرخصة فيه، بخلاف السعي في الحج، فقد وردت الرخصة في تقديمه على الطواف.

ثانياً: أن يقال: السعي تابع للطواف فلا يضر، ويدل على أنه تابع للطواف: أن الإنسان لو اعتمر فقدّم السعي على الطواف؛ لن يصح سعيه، ولو أنه أحرم بالحج من مكة وهو مفرد أو قارن ثم سعى؛ فإنه لا ينفعه؛ لأنه لم يسبقه طواف نسك، كما صرح بذلك أهل العلم، فعلى هذا يكون هذه الصورة:

أعني من أخّر طواف الإفاضة إلى السفر، فطاف وسعى، تكون داخلة في كون آخر عهده بالبيت الطواف، ويكون حديث عائشة دلّ

عليها، أي على جواز كون السعي بين الطواف وبين الخروج من وجه آخر.

سؤال: ما قولكم في رجل قدم السعي على الطواف في العمرة؟

الجواب: لا يصح، بخلاف الحج، وتمت الإجابة عليه فيما سبق.

سؤال: ما رأيكم فيمن حج حجة الإسلام وهو في سن الثامنة عشر، وبعد حين ـ أي بعد تلقيه العلم ـ وجد أنه قد انتهك بعض المحذورات في حجه، هل تصح حجته وتسقط عنه حجة الإسلام، أم ما هو الحكم في ذلك؟

الجواب: لا شيء عليه ما دام أتى بالأركان؛ لأنه قد بلغ، والمحذورات التي فعلها لا شك أنها صادرة عن جهله، والقاعدة الشرعية: أن جميع المحرمات إذا فعلها الإنسان عن جهل فإنه لا يترتب عليها الأثر الذي يترتب لو كانت عن علم، وهذا عام في جميع المحرمات لا يستثنى من هذا شيء؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦]، فقال الله تعالى: «قد فعلت»[١].

ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥].

فمثلاً لو أن الإنسان جامع في حجه قبل التحلل الأول لكنه لا يدري أنه حرام، وهذا يقع أحياناً في ليلة مزدلفة حيث يظن الظان أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٥) من حديث أبـي هريرة.

قول النبي ﷺ: «الحج عرفة»[1]، يعني أن من وقف فقد انتهى من حجه، فيجامع بناءً على أنه تحلل، فهذا ليس عليه شيء لا نسك ولا قضاء ولا فدية؛ لعموم الأدلة.

كذلك لو أن رجلاً تكلم في الصلاة يظن أن الكلام لا يبطل الصلاة، فإن صلاته صحيحة، كما جاء ذلك صريحاً في حديث معاوية بن الحكم، الذي قال للعاطس الذي حمد الله، قال: يرحمك الله، ولم يأمره النبي ﷺ بالإعادة[2]، حتى إن العلماء رحمهم الله قالوا: إن من شرط إقامة الحد على فاعل ما يجب فيه الحد أن يكون عالماً بالتحريم، فلو أن رجلاً حديث عهد في الإسلام زنى يظن أن الزنا لا بأس به؛ فلا يقام عليه الحد؛ لأنه جاهل.

ولكن يجب أن نعرف الفرق بين الجهل بالحكم وبين الجهل بما يترتب على الفعل؛ فالجهل بالحكم: معذور به الإنسان، وأما ما يترتب على الفعل: فليس معذوراً به، ودليل هذا ما جاء في حديث أبي هريرة[3] في قصة الرجل الذي جامع في نهار رمضان فأتى إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إني هلكت، وأخبره بما صنع، فأمره النبي ﷺ أن يكفر، ولا شك أن الرجل هنا جاهل بما يترتب على جماعه، لكنه عالم أن الجماع حرام؛ لقوله: (هلكت).

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٨٩) من حديث عبد الرحمن بن يعمر.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧)، وقد تقدم ص ١٥٤.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة.

فيجب أن نعرف الفرق بين الجهل بالحكم، وبين الجهل بما يترتب على الفعل، كذلك لو أن رجلاً يعلم أن الزنا حرام وكان لا يدري أنه يترتب عليه الجلد إن كان غير محصن، أو الرجم إن كان محصناً فإنه يقام عليه الحد.

المهم أن الحاج صاحب الثمانية عشرة سنة وقد فعل شيئاً من المحذورات، هو إنما فعل ذلك جاهلاً فلا شيء عليه.

سـؤال: إنّا نحبّك في الله ونرجو من سماحتك أن تبيِّن لنا ما هي الحقوق الواجبة علينا تجاه علمائنا وحكَّامنا؟

الجواب: أقول: أحبَّه الله الذي أحبَّنا فيه، وجعلنا وإيَّاكم من أحباب الله وأوليائه وأصفيائه.

العلماء لهم حق، والأمراء لهم حق، على حسب حالهم، فالعالِم الكبير حقه أعظم ممن هو دونه في العلم، إلاَّ أن يكون هناك ميزة أخرى بأن يكون من دونه في العلم أشد منه في العبادة، وأحرص منه على نفع الخلق؛ فهنا يتميَّز هذا عن هذا.

والواجب علينا تجاه علمائنا: أن نجلّهم ونحترمهم بقدر ما عندهم من العلم والإيمان والعبادة، وألاَّ نعتقد أنهم معصومون من كل خطأ، فكل إنسان يخطىء، وخير الخطَّائين التوَّابون، وإذا سمعنا عن أحد منهم ما نظن أنه خطأ؛ فإنَّ الواجب اتِّخاذ المراحل التالية:

الأولى: أن نتأكَّد من وقوع ذلك منه؛ لأنه كثيراً ما يُنْقَل لنا عن

عالِم من العلماء أنه قال كذا أو فعل كذا، وعند التحقيق لا يكون ذلك ثابتاً، فالواجب التثبُّت.

ثانياً: إذا ثبت هذا عنه؛ فإن الواجب اتخاذ المرتبة الثانية وهي التأمل فيما قال، أو فيما فعل، فلعل ما قاله هو الصواب وإن كنا نظن في أول وهلة أنه أخطأ؛ لأنه كثيراً ما نسمع قولاً ثم ننفر منه ونستنكره ونقول: هذا لا يمكن، وعند التأمل يكون هذا القول هو عين الصواب، فالواجب التثبُّت من وجهين: الأول: من الناحية العلمية، هل ما نقل عنه موافق لما تقتضيه الأدلة الشرعية؟ ثانياً: من الناحية التربوية؛ لأن بعض العلماء قد يمنع ما هو مباح؛ نظراً لما يترتب عليه من المفاسد، أو قد يستهين في شيء محرم؛ لأن الضرورة تدعو إلى فعله، أو لأنه مباح من حيث الشرع لوجود أسباب الإباحة، فيجب أيضاً أن ننظر من هذه الناحية، قد يكون بعض العلماء منع شيئاً مباحاً خوفاً من أن يكون ذريعة إلى شيء محرم، فيكون انتقادنا إياه من حيث النظر العلمي البحت خطأ؛ لأنه قد يكون عنده من النظر ما يقتضي منع هذا الشيء وإن لم يكن حراماً في الأصل.

المرحلة الثالثة: إذا ثبت عندنا ما نقل عنه، وبعد التأمل رأينا أنه لا وجه لما قال؛ فالواجب أن نتصل به، وأن نبحث معه، ولكن بأدب وأسلوب رفيع؛ لأنه عالم وأنت أتيت إليه في منزلة المتعلم، خلافاً لما يفعله بعض الطلبة، تجده يقف أمام العالم المحترم موقف الند للند، بل موقف المهاجم الموبِّخ لهذا العالم، ولا شك أن هذا سوء أدب، وأنه

قد يؤدي إلى نتيجة سيئة؛ لأن هذا العالم ربما تأخذه العزة بالإثم ويقول: ما بال هذا يتكلم هذا الكلام معي وهو أصغر مني سناً وأقل مني علماً؟! فلذلك يجب أن نبحث مع هذا العالم الذي رأينا أن فعله أو قوله خطأ بحث متأدب مستلهم متعلم.

ثم بعد هذا إما أن يكون الصواب معه، أو الصواب مع من ناقشه، فالواجب الرجوع إلى الصواب سواء كان مع العالم أو مع من دونه؛ لأن قبول الحق واجب من أي جهة كان مصدرها، حتى لو كان مصدر الحق من كافر؛ وجب علينا قبوله، أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨] فاعتلّوا بعلتين:

الأولى: أنهم وجدوا آباءهم عليها.

والثانية: أن الله أمرهم بها.

فماذا كان جوابهم؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨]، وسكت عن قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٨] لأنها حق، فقبل الله تعالى الحق من هؤلاء المشركين.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين استحفظه النبي ﷺ على صدقة الفطر فأتى الشيطان إليه بصورة رجل محتاج وأخذ من الصدقة، فأمسكه أبو هريرة وقال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فادعى أنه ذو حاجة وعيال، فأطلقه، فلما غدا أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ قال

له النبـي ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» فأخبره بما جرى، ثم قال النبـي ﷺ: «إنه كذبك وسيعود»، فعاد في الليلة الثانية، فأمسكه أبو هريرة وأراد رفعه إلى النبـي ﷺ ولكن ادعى أنه ذو حاجة وعيال فأطلقه، ثم غدا إلى النبـي ﷺ فأخبره، فقال: «إنه كذبك وسيعود»، وعاد في الليلة الثالثة، فأصرَّ أبو هريرة أن يرفعه إلى النبـي ﷺ فقال له: «ألا أدلك على آية في كتاب الله إذا قرأتها لم يزل عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح؟ قال: نعم، فقال: هي آية الكرسي، وتلاها، فلما غدا إلى النبـي ﷺ أخبره بما جرى فقال: «لقد صدقك وهو كذوب، أتدري من تخاطب منذ ثلاث؟» فقال: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك الشيطان»[1].

فعلى كل حال الحق يجب أن يقبل من أي مصدرٍ كان، حتى ولو كان ممن دونه؛ لأنك لا ترضخ لهذا الشخص الذي دونك من أجل أنه فلان أو فلان، ولكن ترضخ للحق، وهذا هو التواضع للحق، ومن تواضع لله تعالى رفعه، هذا بالنسبة للعلماء.

أما بالنسبة للأمراء: فإن الواجب احترامهم واحترام أنظمتهم إذا لم تكن مخالفة للشريعة؛ لأن الله تعالى أمر بذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩]. ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٩] تشمل العلماء والأمراء.

وفي عدم احترامهم، أعني: الأمراء إضاعة للأمن، وفيه إحداث

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١) من حديث أبـي هريرة.

للفوضى؛ لأن الناس إذا لم يأتمروا بأوامر أمرائهم؛ صار كل إنسان أميراً على نفسه، وصار يريد أن تكون السيطرة له، وحصل بذلك الفوضى العظيمة.

ولهذا نقول: إن الواجب احترام العلماء والأمراء؛ لأن في ذلك حفظ الشريعة وحفظ الأمن: أما حفظ الشريعة فلأن العلماء هم حملة الشريعة فإذا لم يحترموا لم تحترم أقوالهم، والأمراء هم حفاظ الشريعة، أي حفاظ تنفيذها في الأمة، فإذا لم يحترموا ضاع ذلك، أي: تنفيذ الشريعة في الأمة، وحصلت الفوضى.

وهنا نقطة مهمة: قد يقع من بعض الأمراء عقوبة وتعزير على شخص في ذنب نرى أنه لا يستحق هذه العقوبة، لكن يكون عند الأمراء من السوابق لهذا الشخص ما لا يطّلع عليه كثير من الناس؛ لأن الأمراء لهم قنوات كثيرة، تصل الأخبار إليهم من جهتها، فيكون الظاهر للناس أن هذا ذنب خفيف لا يستحق هذه العقوبة، ولكن قد اجتمع عند الأمراء سوابق لهذا الشخص أوجبت أن يُعاقَب بهذه العقوبة، وهذه مسألة يجب أن نتفطن لها؛ لأن هذا هو الواقع فعلاً.

سؤال: تعلمون ـ حفظكم الله تعالى ـ أننا على أبواب التخرُّج وأننا إن شاء الله سنرث غداً ولكن شئنا أم أبينا سنجد من يجعلنا مفتين، بل وحتى يعتقد أننا علماء، ويسألوننا عن الأحكام وعن أمورهم، وأريد منكم يا فضيلة الشيخ أن ترشدنا وتدلّنا على الطريق التي نقوِّي بها

معلوماتنا ونزداد علماً، فكيف نبدأ؟ وما هي أهمّ الكتب التي نبدأ بقراءتها؟ وماذا تأمرنا ــ يحفظك الله ــ بحفظه منها؟ وجزاكم الله عنّا كل خير وبارك لكم في علمكم.

الجواب: لا شك أن هذا سؤال مهم، وأن ما ذكره السائل وارد، وهو أن الإنسان إذا تولى منصباً قضائيّاً أو تعليميّاً أو إداريّاً أو غير ذلك، وهو ممن ينتسب إلى العلوم الشرعية، لا بد أن يبتلى بالاستفتاء، ومقام الاستفتاء مقام عظيم؛ لأن المفتي يعبر عن حكم الله عز وجل، فهو واسطة بين الله تعالى وبين خلقه في بيان شرعه، وسيُسأل عما أفتى به عباد الله مما يرى أنه شريعة الله.

فالواجب على من استُفتي ألا يتعجل وأن يتأنى وينظر ويجمع بين الأدلة، حتى يتبين له الحق، هذا إذا كان عنده أداة يستطيع بها أن يبحث وينظر ويرجح ويضعف، أما إذا لم يكن كذلك فالواجب عليه أن يسأل أهل العلم، الذين هم أكثر منه علماً، ولا حرج على الإنسان ولا عيب أن يقول لمن استفتاه أنظِرْني إلى يومين أو ثلاثة أو أكثر، فإن هذا رفعة له في الدنيا والآخرة، وهذا مما يزيد الناس قوة في رأيه وفتواه، خلاف المتعجل الذي قد يفتي بباطل فيأثم بذلك ويؤثم غيره، ويسقط اعتباره عند الناس.

ولقد كان الأئمة يَبقَون أياماً وأسابيع ــ بل ولربما شهوراً ــ في حكم مسألة سُئلوا عنها حتى يتبين لهم الحق، ويذكر أن قوماً أتوا إلى الإمام مالك في المدينة ــ أظنهم من خراسان أو من جهة نحوها ــ

يسألونه عن مسألة، فاستأخرهم حتى ينظر فيها، وبعد مضي خمسة عشر يوماً قال لهم: أنا لا أعلم حكمها، قالوا: كيف! أتينا إليك من بلاد بعيدة لتفتينا بذلك، وقد ندبنا أهل هذه الجهة إلى سؤالك، فكيف نقول لهم: إن مالكاً يقول: لا أعلم عنها شيئاً؟!

فانظر يا أخي كيف كان خوف الأئمة من الفُتيا؟ فمن استُفتي فإن كان عنده علم؛ وجب عليه أن يفتي به، ومن لم يكن عنده علم وجب عليه أن يُنظِرَ السائل حتى يسأل من هو أعلم منه، وإذا سأل من هو أعلم منه أيضاً فإنْ بيَّن له الدليل واقتنع به أفتى بدون أن ينسب الفُتيا إلى من أفتاه، وأما إذا لم يتبين له فيقول للسائل: إني سألت فلاناً، وقال: الحكم كذا وكذا.

بالنسبة للكتب: أما الحفظ: بودي أنه سأل قبل أن يبلغ هذه السن؛ لأن الحفظ بعد الكبر صعب في التحفظ والتعهد، لكن مع ذلك لا ييأس، نقول: بالنسبة للحديث فأرى أن من خير ما يحفظ «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» وبالنسبة للفقه «زاد المستقنع». فإنه أكثر مسائل من «دليل الطالب»، يعني يزيد عليه مسائل كثيرة، وإن كان «دليل الطالب» من حيث الترتيب والتبويب أحسن منه، لكن «زاد المستقنع» أكثر مسائل، وكان شيخنا عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله قد دَرَسَ في أول عهده «دليل الطالب» ويقال: إنه حفظه عن ظهر قلب، لكنه كان يشير علينا بـ«زاد المستقنع»، ويقول: إنه أكثر مسائل من «دليل الطالب».

سـؤال: كيف أخدم الدين وأنا في تخصص غير متعلق بالعلوم الشرعية؟

الجواب: هذا سؤال أظن الإجابة عليه سهلة:

المتخصص في غير العلوم الشرعية إما أن يكون متخصصاً في علوم مساندة للعلوم الشرعية، وإما أن يكون متخصصاً بعلوم أخرى، ربما يكون خدمته للدين فيها أكثر تأثيراً من آخر متخصص بالعلوم الشرعية.

رأينا من الأطباء أنهم يدعون إلى الدين دعوة مؤثرة؛ لأنهم يباشرون المرضى، والمريض سهل الانقياد، قريب الطاعة.

فيمكن لكل إنسان مهما كان تخصصه أن يدعو إلى الله عز وجل، كما قال النبـي عليه الصلاة والسلام: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات»[1]، فالشيء البيِّن يدعو إليه سواء كان حلالاً أو حراماً، وسواء كان واجباً أو مستحباً، وغير البين يسأل عنه فيدعو إلى الله عز وجل، ويؤثر، وربما كان تأثيره لحسن خلقه وسهولة نفسه وانشراح صدره وبشاشة وجهه، أكثر تأثيراً من تأثير بعض طلبة العلم الذين لا يلاقون الناس بهذه الصفة.

سـؤال: ما الحكم في المسابقات التي انتشرت في هذا الوقت الحالي في المجمَّعات والأسواق التجارية الغذائية وغيرها، بأن يكتب سؤال وتحته إجابتين، وقد توضع الإجابة من العامِلين في السوق، ولا يأخذ السؤال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

إلاَّ إذا اشترى من هذا السوق، فيأخذ كرتاً ويحدِّد وقتاً لكي يسحب على جائزةٍ: سيارة واحدة أو أكثر.

نريد تبيين هذا الحكم بالتفصيل، سواء الحلال والحرام منه أو طريق الحلال وطريق الحرام في ذلك؛ لكثرة انغماس الناس فيه، وجزاكم الله خيراً وحفظكم للإسلام والمسلمين.

الجواب: أقول: بالنسبة للمسابقات: إن كان يؤخذ عِوض على الدخول فيها فهي حرام؛ لأن هذا العِوض إما أن يذهب على من بذله، وإما أن يأتيه أكثر منه فهو إما غانم، وإما غارم، وهذا هو الميسر.

أما إذا كانت المسابقات لا يؤخذ على الدخول فيها أجر، وإنما يشترك فيها الإنسان مجاناً؛ فإننا ننظر: هل واضع هذه المسابقات: هو رفع سعر السلعة عما كانت عليه في السوق؟ هذا أيضاً لا يجوز؛ لأن الداخل في هذه المسابقة سوف يعطي ثمناً أكثر، فإن لم يفز بالسبق صار عليه خسارة، وإن فاز صار غانماً، فيكون داخلاً في قاعدة الميسر.

وأما إذا كان سعر السلعة هو سعر السوق ولم يزد فلا حرج في الدخول فيها؛ لأن هذا الداخل إما سالم، وإما لأنه ربما يشتري وهو ليس بحاجة فيضيع ماله ويفوته السَّبَق، أي: الجُعل الذي جعل على هذه المسابقة.

كما بلغني أن بعض الناس يشتري علباً من الحليب فيها مسابقة يشتريها ويريقها بدون أن ينتفع بها! وهذا يعني الخسارة.

هذا هو التفصيل في هذه المسألة.

على أني أقول: إذا تجارى الناس فيها ـ أعني التجَّار ـ وصاروا يتباهون بها فينبغي للجهة المسؤولة عن الأسواق أن تمنعها منعاً باتاً؛ لأن هذا يؤدي إلى التجاري فيها وإلى تسابق الناس في الجوائز، فهذا يجعل السيارة تساوي أربعين ألفاً، وهذا يجعل السيارة تساوي خمسين ألفاً، والثالث يجعلها تساوي ستين ألفاً، وهلم جرّاً.

سؤال: هل الكفر لا يكون إلَّا بالتكذيب أو الجحود أو الاستحلال؟ فإنه قد شاع في أوساط طلبة العلم ذلك، وأن هذا هو مذهب أهل السنة، ما صحة ذلك؟ وهل قائل هذا القول مرجىء؟

الجواب: أما التكذيب والجحد: فهذا كفر، إذا صح الخبر عن الله ورسوله ﷺ.

مثال ذلك: أن يقول قائل: إن الله تعالى لم يستوِ على العرش، هذا جحد وتكذيب، وليس كمن قال: إن الله استوى على العرش، ولكن معنى الاستواء: الاستيلاء.

وأمّا الاستكبار: فإذا استكبر عن الحق فإنه يكون كافراً، مثل أن يستكبر عن الصلاة؛ فإنه يكون كافراً، كما كان إبليس كافراً حين استكبر عن السجود لآدم؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ [سورة ص: الآية ٧٤].

وكل أحكام المرتد التي ذكرها الفقهاء رحمهم الله كلها تعود إلى

هذين الأمرين: الاستكبار والجحود، لكن بعضها قد يكون واضحاً، وبعضها قد يكون خفياً.

أما الاعتقاد: فإن اعتقد الإنسان خلاف ما جاء في الكتاب والسنة من أحكام أو أخبار مع ثبوت الأحكام؛ فإنه يكون كافراً، مثل أن يعتقد أن الصوم غير مفروض مع أن الله قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٣]، أو يعتقد أن الصلاة غير موقوتة وليس لها وقت، وما أشبه ذلك، وهذا له أمثلة كثيرة، فهذا يكون كافراً، وإن فعلها، وإن فعل الطاعة وجعلها في وقتها؛ لما قام في قلبه من الاعتقاد المنافي للانقياد.

هناك أشياء قد يفعلها إنسان مستحلاً لها، وقد يفعلها إنسان غير مستحل لها من الأحكام، فهذه تحتاج إلى نظر لكل مسألة بعينها، ولا يمكن أن يحكم فيها الإنسان حكماً عاماً؛ لأن هذه قضايا معينة، لكل قضية حكمها الخاص.

ذكرت في المثال الذي قبل: مسألة الصلاة، إذا تركها استكباراً، وأقول: لكن النص دلّ على أن ترك الصلاة تهاوناً وكسلاً: كفر وردة، كما هو معروف، والمسألة لا تحتاج إلى كثرة بيان؛ لأنها واضحة.

سؤال: من أعظم السلبيات التي ابتلي بها كثير من الشباب المنتسبين للعلم الشرعي: عدم الجدِّية مع أنفسهم، وعدم الإيجابية في التعامل مع مجتمعهم، فتجدهم يشتغلون بالكلام في فلان وفلان وفي تلك القضية، سواء كانت تخصُّهم أو لا علاقة لهم بها، فيقطعون فيها الوقت بدون

جدوى، ويبذلون في ذلك الوقت الكثير، فما نصيحتكم وتوجيهكم حفظكم الله؟

الجواب: لا ينبغي لطالب العلم أن لا يكون له هم إلَّا فلان وفلان، وأن تكون ولايته وبراءته معلقة بشخص معين، فإن هذا من الخطأ، ثم إن الخوض في هذه الأمور مما يضعف جانب العبادة، وتعلق القلب بالله عز وجل، فتجد هؤلاء الذين يشتغلون بمثل هذه الأشياء تجد عندهم ضعفاً في تعلق قلوبهم بالله تبارك وتعالى، وإن كان ظاهر أمرهم أنهم ينتصرون للحق ويريدون إبطال الباطل، لكن لو رجعوا إلى أنفسهم لوجدوا عندهم ضعفاً كبيراً في تعلق قلوبهم بالله عز وجل، ولا أدل على ذلك مما وصف به النبـي ﷺ الخوارج حيث كانوا يَحقِرُ الصحابـي صلاته عند صلاتهم، وقراءته عند قراءتهم، ويقرؤون القرآن ويقيمون حروفه، لكنه لا يتجاوز حناجرهم[(١)]؛ لأن قلوبهم تعلقت بالأمور الظاهرة دون أن يكون لها تعلق بالله.

لذلك أنا أحذر إخواني طلبة العلم من هذا السبيل الذي يُعِيقُهم عن تعلقهم بالله تبارك وتعالى، وأرى أن ينصرفوا عن هذا كلِّيّاً، وأن لا يكون للإنسان هم إلَّا نفسه: ينظر استقامته وتعلق قلبه بالله وخشيته لله، تقواه لله إنابته إلى ربه عز وجل، ويحقق هذا، فإنه خير له من هذا الكلام الفوضوي الذي ليس به إلَّا إضاعة الوقت.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٥٠٥٨، ٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبـي سعيد الخدري.

سـؤال: فضيلة الشيخ: أُحبكم في الله، هل الخوف من الناس، وخاصة ما يسمى بالحياء الذي يأتي الإنسان أحياناً، عندما يريد أن يلقي كلمة أو حديثاً على أحد من الناس أو على جماعة مسجد، فهل ذلك يدخل في الشرك بالله؟

الجواب: أحبه الله الذي أحبنا فيه، هذا لا يدخل في الشرك بالله؛ لأن هذه طبيعة، والناس يختلفون في الحياء والخجل والخوف من الناس اختلافاً بيِّناً واضحاً، فمن الناس من لا يهتم بأحد حتى ربما يقوم فيلقي الكلمات الطويلة غير مبالٍ، حتى لو كان يخطىء فإنه لا يبالي، ومن الناس من يكون خجولاً حيياً يستحي أن يقوم أمام الناس يلقي كلمة ولو كانت صواباً، والواجب أن يكون الإنسان بين هذا وهذا أن يستحي مما لا ينبغي أن يفعله، وأن لا يستحي مما ينبغي أن يفعله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1]، يعني: إذا لم تفعل شيئاً مستحياً منه؛ فاصنع ما شئت ولا تبالي، أو أن الإنسان إذا كان لا يستحي؛ له أن يصنع ما يشاء ولا يبالي، وكلا المعنيين حق، فعلى الإنسان أن يكون بين بين؛ لا خجولاً يعجز عن بيان الحق، ولا غير مستحٍ لا يبالي بما نطق به، وليس هذا من باب الشرك بالله أبداً.

سـؤال: هناك بعض الناس في بلدي من العلماء وغيرهم لا يقرؤون كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكتب محمد بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠) من حديث أبي مسعود البدري.

عبد الوهاب، فهل يجوز لي أن أكتب على غلاف كتاب من كتب المذكورين اسم عالم آخر يرضونه، حتى إذا قرؤوه أبين لهم اسم المؤلف الحقيقي؟

الجواب: هذه محل توقُّف، قد يقال: إن هذا من باب التورية، وإذا قلنا: إنه من باب التورية، فيجب أن يكتب اسماً ينطبق على هؤلاء المؤلفين، فمثلاً يكتب على مؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية: تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الكريم، وما أشبه ذلك، فقد يقال: هذا من باب التورية، والتورية جائزة للحاجة.

وهذا قد نجح فيما بلغنا عن شخص كان ينكر على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إنكاراً بالغاً بين الطلبة، فقام أحد الحاضرين ونزع أول ورقة من كتاب التوحيد وأعطاه إلى هذا الشيخ، فقرأه الشيخ وبعد مضي مدة رجع إليه وقال: ما تقول في الكتاب الذي أعطيتك؟ قال: هذا كتاب قيم، آيات وأحاديث ومسائل، وأثنى عليه، فقال: هذا من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فجعل هذا الشيخ يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن كان يحذر منه ويذكره بسوء، وقد يقال: إن الأَوْلى أن يعطي هؤلاء الكتاب، أو أن يقرأ عليهم قراءة مباشرة حتى يتبين الأمر، فالإنسان ينظر للمصلحة: إذا رأى المصلحة في التورية ووصف مؤلف الكتاب بوصف ينطبق على المؤلف الحقيقي، فهذا لا بأس به إن شاء الله.

سـؤال: بالنسبة لطلاب الجامعة الذين يأتون من خارج الرياض: هل لهم أحكام السفر أثناء إقامتهم في الرياض، أو أثناء عودتهم إلى مدنهم يأخذون حكم المسافر، حيث إن الوقت الأكثر في الرياض، والأقل أثناء عودتهم إلى قراهم أو مدنهم؟

الجواب: نعم، هو أقل بالنسبة إلى إقامتهم في بلادهم، وإقامتهم في الرياض هو أكثر من إقامتهم في بلادهم، لكن هذا ما دامت الدراسة قائمة، أما إذا انتهت الدراسة فإقامتهم في أوطانهم، وعلى هذا: فيعتبر وطنهم البلد الذي هم ساكنون فيه، وأما إقامتهم في الرياض فهي إقامة عارضة، من أجل الدراسة، ولو أنهم أُعطوا شهاداتهم في أول الشهر؛ لرجعوا إلى أهلهم، وهذه المسألة فيها خلاف طويل عريض بين العلماء، فمنهم من حدد وقت السفر بأربعة أيام، ومنهم من حدد بخمسة عشر يوماً، ومنهم من حدد بتسعة عشر يوماً، ومنهم من لا يرى له تحديداً، والمسألة مبسوطة في «زاد المعاد» لابن القيم، وفي «فتاوى شيخ الإسلام»، وأوسع ما تكلم في هذه المسألة في باب صلاة الجمعة في «مجموع الفتاوى».

سـؤال: ما القول الصحيح في الشرك الأصغر، وهل يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه، وهل هو محبط للعمل؟

الجواب: أما الشرك الأصغر: فقد حدّه بعضهم بأنه: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، كالحلف بغير الله، والرياء وما أشبه ذلك، وحدّه بعضهم بأنه: كل عمل أطلق عليه الشارع اسم الشرك ولا يخرج من الإسلام،

لكن هذا في الحقيقة فيه دَوْرٌ؛ لأنه ما الذي يعرفنا أنه لم ينجي الإنسان من السمع أو لا؟

أما كونه يُغفر أو لا يغفر، فنرى من قول الله تعالى عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٨] أنه لا بد أن يعاقب الإنسان على الشرك الأصغر، لكن قد يكون هناك حسنات زائدة على السيئات، فتخضع للموازنة؛ لأن هناك موازنة يوم القيامة بين الحسنات والسيئات؛ فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل الجنة.

وقال بعض العلماء: إن الذي لا يُغفر إنما هو الشرك الأكبر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٨] والآية، محتملة أن يكون المراد بها الشرك الأكبر أو الأصغر؛ لأنها ليست مصدراً صريحاً، بل هي مصدر مؤول، ولو كان صريحاً لكانت ظاهرة في أنها عامة في الشرك الأصغر والأكبر، يعني لو كانت [إن الله لا يغفر شركاً به]؛ لكانت الآية ظاهرة في أنه شامل للشرك الأصغر والأكبر، لكن لما كانت مصدراً للتأويل، أي بتأويل: أنَّ والفعل بعدها؛ صار الشرك متردداً: هل يشمل هذا أو هذا؟

سـؤال: هل من الدعوة إلى الله: الاتصال بالتليفون عند أذان الفجر لمن تعرف ومن لا تعرف؛ من أجل إيقاظهم للصلاة، حيث إن هناك من يفعل ذلك؟

الجواب: هذا فيه إزعاج لا شك، قد يتصل بالتليفون على رقم ليس أهله ممن تجب عليهم الجماعة، وقد يتصل بالتليفون على قوم في يقظة ويزعجهم الاتصال في هذا الوقت، إلاَّ مَنْ وكّل إليك الأمر وقال: أريد أن توقظني إذا دخل وقت الصلاة، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، وأما الإنسان الذي يمسك دليل الهاتف وكل اسم يزهم عليه! فهذا غلط.

سـؤال: نود منكم إخبارنا عن حكم زواج المسيار، وما هو تعريفه وصورته؟ حفظكم الله.

الجواب: أسأل الله تعالى أن ييسر للشباب زواج استقرار!

سـؤال: هل المسح على الكنادر يكفي، علماً أنه يفسخها عند الصلاة، أم الأفضل المسح على الجوارب؟

الجواب: الأحسن أن يمسح على الجوارب؛ لأنه إذا مسح على الجوارب استقر المسح عليها ما دامت باقية، أما إذا مسح على الكنادر ثم خلعها بعد مسحها فإنه لا يجوز إعادة المسح عليها؛ لأن كل من خلع الممسوح بطل أن يمسح عليه في المستقبل، فيكون هنا الأيسر له أن يمسح على الجوارب.

سـؤال: يشتكي كثير من الناس من قسوة القلوب، بالرغم من مشاهدة المصائب باستمرار، إلاَّ أن ذلك لا يحرك ساكناً في هذه القلوب، فهل من علاج يوصف من فضيلتكم لهذا المرض؟

الجواب: لا شك أن ما ذكره السائل قد أصيب به كثير من الناس، وهو: قسوة القلب وعدم الاتعاظ بالقرآن ومواعظ السنة والحوادث والمصائب؛ فنشكو إلى الله عز وجل. كثير من الناس يشكو هذا.

ولكن من أسباب لين القلب:

أولاً: قراءة القرآن بتدبر وبتمهل، كما قال ابن عبد القوي رحمه الله:

وحَافِظْ على دَرْسِ القُرآن فإنه يُلَيِّـنُ قلبـاً قـاسِيـاً مثـلَ جَلْمَـدِ

ويشهد لهذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحشر: الآية ٢١].

فإذا قرأ القرآن على وجه التدبر والاتعاظ؛ فإن هذا من أسباب حياة القلب ولين القلب.

ثانياً: كذلك أيضاً من أسبابه: أن يرجع إلى الأحاديث التي فيها المواعظ، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتكلم بالموعظة التي توجل منها القلوب وتذرف منها العيون.

ثالثاً: أن يقرأ سيرة النبي ﷺ فإن سيرته تحيي القلب وتنير القلب، وتليِّن القلب.

رابعاً: أن ينظر إلى الضعفاء بعين العطف والرحمة، والنظر إلى الصغار واليتامى بعين الرحمة، فإن الراحمين يرحمهم الله عز وجل، وهذا أعني النظر إلى الصغار أو ما أشبه ذلك، يلين القلب تليينا واضحاً، وله أسباب أخرى.

لكن أهم شيء: قراءة القرآن بتدبر وبتمهل، وكثرة العبادة.

أيضاً من أسباب لين القلب: رحمة المساكين.

سؤال: رجل يصلي منذ عدة سنوات وهو يتوضأ من الجنابة جاهلاً وجوب الغسل ولم يعلم إلاّ قريباً، فما حكم السنوات الماضية، وهل عليه قضاؤها؟

الجواب: قيل: يلزمه أن يقضي الصلوات التي كان يتوضأ من الجنابة فيصليها، وأما ما نراه راجحاً فإنه إذا كان الرجل بعيداً عن العلم، ولم يسمع أن على من أجنب أن يغتسل، ولم يفهم القرآن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [سورة المائدة: الآية ٦] فلا شيء عليه؛ لأن كثيراً من الذين يجهلون أحكام الشريعة يعذرهم النبي ﷺ، كقصة الرجل المسيء في صلاته الذي كان يصلي ولا يطمئن؛ فإن النبي ﷺ لم يأمره بقضاء ما فات من الصلوات، وإنما أمره بقضاء الصلاة الحاضرة[١].

سؤال: هل هناك أشياء تعين على محبة اللغة العربية وتعلمها؟

الجواب: ينبغي أن يُوجه هذا السؤال إلى أساتذة اللغة العربية، لكن في ظني أن ممَّا يحبب اللغة العربية للإنسان: كثرة قراءة الأشعار الجاهلية، وكتابة الأشعار التي جاءت بعد الإسلام، وكثرة المناقشة بين الزملاء في الإعرابات والتوجيهات النحوية.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

سؤال: ما قولكم في الاعتماد على المذكرات في التدريس للطلاب؟

الجواب: أحب أن يرجع الطلاب والأستاذ إلى الكتاب؛ لأنه أنفع وأبقى، المذكرات تفنى وتتمزق وتذهب، لكن إذا أمسك كتاباً معيناً وصار يشرحه للطلبة كان هذا أفيد وأنفع.

سؤال: إذا صلى المصلي قبل دخول الوقت؛ لعدم علمه بذلك، كأن يكون هناك غيم والشمس ليست واضحة، وصلى المغرب مثلاً ثم تبين له بعد ذلك أنها لم تغرب إلاَّ بعد صلاته مباشرة، هل يعيد صلاته أم يسجد للسهو؟

الجواب: تكون صلاته الأولى التي صلاها قبل الوقت نفلاً ويثاب عليها ويؤجر عليها، وربما يقال: إنه يثاب عليها ثواب الفرض؛ بناءً على نيته واعتقاده، ولكن ذمته لا تبرأ بها؛ لأنه صلاها قبل وقتها، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٣] فعليه أن يعيدها بعد دخول الوقت.

سؤال: حبذا لو أسديتم نصحاً للطلاب والباحثين بالتزام الأمانة في النقل والتدوين، وتلافي الغش والسرقة الأدبية، ولا أدب لسارق!

الجواب: نعم، أقول: إن الواجب على الإنسان أن يقوم بالأمانة؛ لأن الله سبحانه وتعالى، قال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٢، ٧٣]،

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: الآية ٥٨]، ولقول النبي ﷺ: «أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[1]، ولقوله ﷺ: «مَنْ غش فليس منا»[2].

فالواجب على الإنسان: الأمانة، وأن يتقي الله عز وجل في نفسه وفي مَن وَلاَّه الأمر وائتمنه عليه، وليُعلم أن النجاح بالخيانة والغش ليس بنجاح، وأن من نجح منها فسوف يندم ندماً عظيماً إنْ منّ الله عليه بالتوبة؛ لأنَّا إذا قدَّرنا أنه نجح في الاختبار النهائي في الشهادة، وكان النجاح مزوَّراً، وترتب على هذه الشهادة أن يوظف وظيفة لائقة بها، وهو لم يصل إليها إلاَّ بالخيانة، فإننا في شكٍّ من حلِّ هذا الراتب الذي أخذه على هذه الوظيفة؛ لأنه مبنيٌّ على باطل، والمبني على باطل يكون باطلاً، فعلى الإنسان أن يتقي ربه وأن لا يخون أمانته.

سؤال: لو اقترض شخص من آخر مبلغ عشرين ألف ريال على أن يعيده بعد عام بسيارة جديدة محددة الوصف والمعالم، هل هو من الربا أم لا؟ أفيدونا أثابكم الله.

الجواب: هذا ليس من الربا، إلاَّ إذا كانت السيارة الموصوفة أكثر قيمة من القرض، لكن بدلاً من أن يجعله قرضاً يجعله سلماً، والسلم جائز في كل ما يمكن انضباطه بالصفة، فإذا أعطاه مثلاً أربعين ألفاً على أن يسلم إليه بعد سنة سيارة صفتها كذا وكذا، وتنضبط بالصفة؛ فلا بأس،

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة.

ويكون هذا سَلَماً، والسلم جائز؛ كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبـي ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون بالثمار السنة والسنتين والثلاث، فقال: «مَنْ أسلف في شيء فليسلف في كيلٍ معلوم ووزنٍ معلوم إلى أجلٍ معلوم»(١).

سـؤال: نرجو إرشادنا إلى أسباب جلب المودة والمحبة والائتلاف والتعاون على البر والتقوى بين طلبة العلم وغيرهم، وجزاكم الله خيراً.

الجواب: لا أرى سبباً أحسن مما ذكره النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، حيث قال: «والله لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»(٢).

فإفشاء السلام من أقوى أسباب المودة والائتلاف، ومع الأسف أن إفشاء السلام الآن أصبح منسوخاً في المجتمع بين الطلاب وبين العوام؛ لذلك أحثكم على إفشاء السلام بينكم، تقول: السلام عليكم، ثم يقول أخوك: عليك السلام.

وهذا دعاء لأخيك ودعاءٌ لك من أخيك، ثم إنَّ السلام فيه حسنات، السلام الواحد فيه عشر حسنات، وإذا زاد: ورحمة الله؛ صارت عشرين، وإذا زاد: وبركاته؛ صارت ثلاثين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٩، ٢٢٤١)، ومسلم (١٦٠٤) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبـي هريرة.

ومن أسباب المودة أيضاً: التهادي، بمعنى أن يهدي الإنسان لأخيه ما يجلب المودة والمحبة، إلَّا إذا كانت بين طالب ومعلم فإنه لا يجوز للمعلم قبول هدية الطالب، إلَّا بعد أن ينتهي من الدراسة؛ لأنه إذا أُهدي إليه وهو يدرس؛ فإن هذا يشبه أن يكون غلولاً، وعبد الله بن اللتبية الذي بعثه النبي ﷺ عاملاً على الصدقة، فلما رجع بالإبل قال: هذا لكم وهذا أهدى إليّ، قال النبي ﷺ: «فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدى له أم لا؟»[1].



(1) أخرجه البخاري (٢٥٩٧، ٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي.

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الثانية عشرة)

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمَّة، وتركها على محجة بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه يسرني في هذه الليلة ليلة الاثنين الثالث عشر من شهر جمادى الثانية عام ستة عشر وأربعمائة وألف، أن ألتقي بشبابنا في وحدة السكن التابعة لفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، والتي مقرّها عنيزة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الالتقاء، التقاءً مباركاً طيباً.

وإنه يسرّنا أن نرى هؤلاء الشباب الجمَّ الغفير يتردد إلى منهل بارز

من مناهل العلم، وهو هذه الجامعة التي جعل الله فيها بركة كبيرة، لا في هذه البلاد فحسب، بل وفي البلاد الأخرى الإسلامية العربية وغيرها، وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا.

وإن طالب العلم كالمجاهد في سبيل الله، بل إن بعض أهل العلم قد فضل طلب العلم على الجهاد في سبيل الله، ولكن لا بد من مراعاة أمور:

أولها: الإخلاص لله تعالى في طلب العلم، وذلك بأن ينوي الإنسان بطلبه العلم حفظ شريعة الله، وحمايتها، ورفع الجهل عن نفسه، وعن عباد الله، حتى يبارك الله له في علمه ويزيده هدى؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة محمد: الآية ١٧].

والإنسان الذي ليس له نية صالحة في طلب العلم، إن نال شيئاً من الدنيا، فإنه لن ينال شيئاً من الآخرة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦].

وعلى الإنسان إذا دخل في العلم على غير هذه النية أن يصحح نيته، وأن يحاول أن يغض الطرف عن كل ما سوى الله عز وجل في طلبه للعلم، وقد قال بعض العلماء: (طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاَّ لله) فلتعمل على تصحيح نيَّتك، حتى يجعل الله فيك الخير والبركة،

على نفسك وعلى أمتك.

وقد يقول بعض الطلاَّب: نحن لا يمكننا أن ننكر في أن دخولنا في الجامعات من أجل نيل الشهادة، فهل هذا يحبط العمل؟

وجوابنا على هذا أن نقول: إذا كانت نيَّتك لنيل الشهادة التي تنال بسببها رتبة دنيوية أو مرتبة فهذه النية لا شك أنها نية دنيئة، وأن الإنسان قد يحرم من الخير والبركة من أجل ذلك.

ولكن إذا كانت نيَّتك أن تنال هذه الشهادة من أجل أن تتبوَّأ مكاناً قياديّاً في أمتك؛ فنحن نرى اليوم أنه لا يمكن لأحد أن يتبوَّأ مكاناً قياديّاً في الأمة، سواء كان قيادة في العلم، أو في الإفتاء، أو في القضاء، أو في الأمور الأخرى، إلاَّ إذا كان معه شهادة، فهو يقول: أنا أريد أن أنال هذه الشهادة لا من أجل رتبة دنيوية، أو مرتبة أو جاه، ولكن من أجل أن أتبوَّأ مكاناً قياديّاً أنفع به الأمة، فحينئذ تكون النية صحيحة.

ولذلك فإن هناك فرق بين من يريد الشهادة في الجامعة حتى يكون في المرتبة المعينة من الوظيفة أو يحصل على الراتب المعين، وبين من يريد أن يكون قائداً لأمته إلى الخير:

فالأول: ليس له حظ في الآخرة.

والثاني: له حظ فيها، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى[1].

---

(١) هذا لفظ حديث عمر وهو أول حديث في صحيح البخاري تقدم ص ٢٣٨.

وها هما رجلان في صف القتال:

أحدهما: إذا قتل قُتل شهيداً.

والثاني: إذا قُتل فقد الحياة بدون شهادة.

فالأول: قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

والثاني: قاتل ليستريح من الدنيا؛ لأنه في هم وغم، يُضَيِّق عليه أهله، ويُضَيِّق عليه جيرانه، ويُضَيِّق عليه مجتمعه، فيذهب إلى القتال لعله يُقتل فيستريح، فهل هذا ينال الشهادة؟

الجواب: لا، بل هو إلى الإثم أقرب منه إلى السلامة؛ لأنه أراد أن يقتل نفسه، لكن بدون مباشرة، فانظروا الفرق بينهما مع أنهما قرينان في صف القتال.

ولقد ضرب النبي ﷺ مثلاً ينطبق تماماً على ما ذكرته، فقال ﷺ: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

فهذان رجلان هاجرا:

أحدهما: كانت هجرته إلى الله ورسوله، فنال ثواب الهجرة، وبورك في هجرته.

والثاني: يريد أن يتزوج امرأة ذكرت له في البلد الذي هاجر إليه،

---

(١) هذا لفظ حديث عمر وهو أول حديث في صحيح البخاري تقدم ص ٢٣٨.

أو تجارة ذكرت له في البلد الذي هاجر إليه، فهذا نيته دنيئة؛ ولهذا، لم يصرح النبي عليه الصلاة والسلام بأنه هاجر إلى الدنيا، بل قال: «... فهجرته إلى ما هاجر إليه» كأن هذا القصد لا يستحق أن يذكر.

لكن من كانت هجرته إلى الله ورسوله، قال فيها: «... فهجرته إلى الله ورسوله».

إذاً فلا بد من تصحيح النية.

الثاني: لا بد من اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام في طلب العلم عبادة وخلقاً ودعوة فهذه ثلاثة أمور:

الأول: العبادة.

والثاني: الخلق.

والثالث: الدعوة؛ لأنَّ العلماء ورثة العلم، والأنبياء قاموا بالعبادة، وقاموا بالأخلاق وقاموا بالدعوة. قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم: الآيات ٢ ـ ٤]، فلهذا كان يأتيه الأعرابي فيمسك بردائه، فيجذبه جذبة شديدة حتى يؤثر الرداء في صفحة عنقه عليه الصلاة والسلام، فيقول: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فيلتفت إليه النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وهو يضحك ثم يأمر له بعطاء[1]، وليس هذا فحسب بل بلغ الأمر أن ألقى على ظهره زعماء

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٩، ٥٨٠٩، ٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧) من حديث أنس بن مالك.

قريش ـ وهو ساجد تحت الكعبة، في آمن مكان على وجه الأرض ـ سلا الجزور وهو ساجد، ومع ذلك كان صابراً[1].

وصفاته ﷺ الخلقية معلومة، وما أحسن أن تقرؤوا ما كتبه شيخ الإسلام رحمه الله عن هذا الموضوع في آخر كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، فقد ذكر أن من آيات الرسول عليه الصلاة والسلام: ما جبله الله عليه من الأخلاق الفاضلة.

أما عبادته: فحدث ولا حرج، فكان النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وتتشقق، وحتى إن الشباب من أصحابه يعجزون عن مسايرته.

وقد صلَّى معه عبد الله بن مسعود ذات يوم صلاة الليل فأطال النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم القراءة، قال عبد الله: حتى هممت بأمر سوء، قالوا: بم هممت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هممت أن أقعد وأدعه[2]، وهو شاب والرسول عليه الصلاة والسلام أسنّ منه.

وصلَّى معه حذيفة ذات ليلة فقرأ بسورة البقرة، قال حذيفة: فقلت: يركع عند المائة، فمضى حتى أتم البقرة والنساء وآل عمران[3] ـ خمسة أجزاء وربع جزء، أي: أكثر من سدس القرآن ـ في ركعة واحدة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤) من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣) من حديث ابن مسعود.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧٢) من حديث حذيفة.

إذاً يجب علينا، أن نتابع الرسول عليه الصلاة والسلام في عبادته، وأن نتعبد لله عز وجل ما استطعنا؛ لأن العبادات مثل سقي الشجرة، فالإنسان إذا غرس شجرة وتركها بلا سقي؛ يبست وماتت، وإن تعاهدها بالسقي والحرث؛ نمت وزادت، فالأعمال للقلوب مثل السقي للأشجار تماماً.

ولذلك فتِّش عن نفسك، فإذا وجدت من قلبك تكاسلاً وتهاوناً فأكثر من الذكر، وأكثر من العبادة، وأكثر من اللجوء إلى الله عز وجل، واجعل دائماً ذكر ربك في قلبك، بحيث إذا قمت، كنت في عبادة، وإن جلست كنت في عبادة، وإن أكلت كنت في عبادة، وإن نمت كنت في عبادة.

أما الخلق: فليكن الإنسان متبعاً لرسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في الخلق بقدر ما يستطيع، ومن الأخلاق الفاضلة: فعل كل ما يجلب المودة بينك وبين المسلمين، وقد ذكر رسول الله ﷺ مثالاً من ذلك فقال: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: نعم، قال: أفشوا السلام بينكم»[(١)] أي: انشروه بينكم، بسلام بعضكم على بعض، حتى إن الصحابة إذا فرق بينهم شجرة، ثم التقوا بعد ذلك؛ سلم بعضهم على بعض[(٢)]، فالسلام يجلب المودة، ويتمم الإيمان، وفيه حسنات، فإذا

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٠٠) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٨٦).

قلت: السلام عليك، نلت عشر حسنات.

إذاً ما بالنا الآن نتهاون بهذا الأمر، يلاقي بعضنا بعضاً في دار العلم، وفي دار الراحة، ولا يسلم بعضنا على بعض؟

ألسنا مسلمين، والإسلام واحد، والدين واحد، والخلق الفاضل واحد؟

فلماذا يهجر بعضنا بعضاً؟

إنَّ النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، لم يرخص في الهجر إلاَّ في الثلاث فما دونها، حيث قال: «لا يحل لأحد أن يهجر أخاه فوق ثلاث؛ يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[1].

ومع الأسف الشديد، أنني أشاهد إخواناً لنا وجوههم مسفرة، وتبدو عليهم الأخلاق الفاضلة، ومع ذلك فالسلام مهجور عندهم، كأنه غير مشروع، وكأنه ليس من تحية المسلمين، فلماذا؟ وما الفائدة من العلم إذا لم يطبق؟

أما الأمر الثالث: فهو الدعوة إلى الله: فالله أخذ على الذين أوتوا العلم والكتاب ـ ونحن منهم إن شاء الله ـ وأن نبيِّنه للناس ولا نكتمه.

وكيف أخذ علينا الميثاق؟

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠) من حديث أبـي أيوب.

الجواب: لأنَّه علَّمنا، وتعليمه إيَّانا، يعني العهد أن نقوم بنشر العلم ما استطعنا، وألاَّ نحقِّر أنفسنا، ولكن يجب ألاَّ يكون نشر العلم سبباً في العداوة والبغضاء ـ فيما إذا خالفك أحد في رأيك ـ فإن هذا خلاف هدي السلف الصالح.

فمنذ بعث الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي عهد الرسول، والناس يختلفون، لكن الاختلاف اختلاف آراء، وليس اختلاف قلوب.

ولا يغيب عنا أن النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم حينما رجع من غزوة الأحزاب، أتاه جبريل وأمره أن يخرج إلى بني قريظة اليهود، الذين نقضوا العهد، فندب النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أصحابه، وقال: «لا يصلين أحد منكم العصر إلاَّ في بني قريظة»[1] فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة، وأدركتهم الصلاة في الطريق، فمنهم من صلَّى؛ خوفاً من خروج الوقت، ومنهم من لم يصل؛ امتثالاً لقول الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «لا يصلين أحد منكم العصر إلاَّ في بني قريظة»[2].

فهذا اختلاف وليس في أمر هين، ليس في رفع اليدين عند الركوع أو الرفع منه، أو القيام من التشهد الأول أو في كل خفض ورفع، ولا في جلسة الاستراحة؛ بل في أمر مهم هو صلاة العصر في وقتها، أو بعد خروجه.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

صلاة العصر التي قال فيها النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «من ترك صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»[1] ومع ذلك لم يعنف أحدٌ منهم على الآخر، ورسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، لم يعنف أحداً من الطرفين؛ لأنهم كانوا مجتهدين.

ومن فضل الله على هذه الأمة: أن من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد، والخطأ مغفور.

لكن أتظنون أنَّ الصحابة لما اختلفوا هذا الاختلاف، تباينت قلوبهم؟

الجواب: لا أبداً، بل هم على المحبة، وعلى الألفة؛ لأنهم اجتهدوا في أمر، وبذلوا الجهد في الوصول إلى الحق فيه، فمنهم المصيب لذلك، ومنهم من لم يصب، لكن لا يخلو من أجر.

وأسألكم الآن: أيهم المصيب؟ الذي صلى في الوقت، أو الذي أخرها؟

الجواب: المصيب الذي صلَّى في الوقت، وذلك لأن الصلاة في الوقت واجبة وجوباً يقينياً وتأخير الصلاة إلى أن يصلوا إلى بني قريظة فيه احتمال؛ إذ يحتمل: أن النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أراد أن يحثّهم على المسارعة حتى لا تدركهم الصلاة إلاَّ في بني قريظة، واحتمال أن يؤخروا الصلاة حتى يصلوا إلى بني قريظة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر.

ومن المعلوم أيضاً أن فعل الصلاة في وقتها أمر واجب متحقق، ولا يترك اليقين للمظنون ولا المحكم للمتشابه.

ولهذا كان القول الراجح في هذه المسألة أن المصيب هم الذين صلوا في الوقت.

والمهم أن الصحابة، وإن وقع بينهم الخلاف، لا يمكن أن تختلف قلوبهم.

وإنه لمن المؤسف أن نسمع اختلاف الطلاب، اختلاف قلوب في مسائل ليست مهمة، وليست من الدين في شيء، يعلقون الولاء والبراء على أشخاص قد يجتهدون فيصيبون، وقد يجتهدون فيخطئون، وهذا خطأ، لماذا؟

لأن الشخص قد يخطىء وقد يصيب، وإذا علقنا الولاء والبراء بالأشخاص صرنا كالصبيان في الشوارع، أنت معه أو معي.

والواجب أن نعرف للمصيب صوابه، وللمخطىء خطأه ونقول ــ إذا علمنا حسن نيَّته وصدق اجتهاده ــ : إنه معفوٌّ عنه ولا نبغضه لهذا الخطأ بل نرى أنه من الأمة المغفور لها، ما دمنا نعلم منه حسن النية والقصد، وإن أخطأ التصرف.

فلهذا يجب ألا نجعل مجالسنا معمورة في القيل والقال، والأخذ والرد، وما تقول في فلان؟ وما تقول في فلان؟

فأنت لست مكلف بهذا؟ وإنما مكلف بشريعة تتعبَّد لله بها فمن

أصابها فهو أخوك، ويجب عليك أن تتولاه، ويجب عليك أن تحبه.

ومن أخطأ نظرنا: إذا كان ممن عرف بحسن القصد، والسلوك المستقيم أحببناه ولو أخطأ، وهذا لا يمنعنا أن ننصحه ونبين له الخطأ، لكن بدون أن يكون هناك علاوة.

ومع الأسف نسمع أيضاً أنَّ من الناس من عنده عنصرية جاهلية، فتجده يقول: أنت من بني فلان، ومن هم بنو فلان؟ ثم يأخذ يحط من قدره، والثاني بالعكس: يفخر بنسبه وحسبه، وهذا من أمور الجاهلية، كما أخبر بها النبي ﷺ[1].

والإسلام ولله الحمد أذهب عن أهله عبِّيَّة الجاهلية، وجعلنا كلنا إخوة في الإسلام، فكلنا أخوة في دين الله، لا فضل لأحد على أحد إلاَّ بالتقوى، ولهذا أحثكم أن تكونوا يداً واحدةً قلباً واحداً، لأنَّ الهدف واحد، والعمل واحد، والمكان واحد، ودار العلم واحدة، فلا يجوز أبداً أن نجعل بيننا فوارق، أو أن يكره بعضنا بعضاً، بمجرد أمور يخطىء فيها بعض الناس ـ ونحن نعلم منهم حسن القصد والاجتهاد ـ ، أو يصيب فيها.

فأنا أحذركم من ذلك، وأرى أن تكونوا كالإخوة نسباً، كما أنكم

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب.

إخوة ديناً، والعلاقة الدينية أقوى من العلاقة النسبية، أليس كذلك؟ فإبراهيم عليه الصلاة والسلام، لما تبين له أن أباه عدو لله؛ تبرَّأ منه.

ونوح عليه الصلاة والسلام لما سأل ربه، قال: ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة هود: الآيتان ٤٥، ٤٦].

حقّاً إنه ليس من أهله مع أنه ابنه، وبضعة منه.

ولهذا إذا كان يوم القيامة وطلب الناس الشفاعة منه، بماذا يعتذر؟

الجواب: يعتذر بأنه سأل ما ليس له به علم، حيث شفع في ابنه، فقال الله تعالى له: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة هود: الآية ٤٦].

وبهذا نعرف أن الصلة الحقيقية بين المؤمنين هي الرابطة الإيمانية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٠].

لهذا أحثكم أيها الشباب على التمسك بهذا الأصل، وعلى اتباع النبـي عليه الصلاة والسلام، في العبادة والخلق، والدعوة؛ حتى تقوموا بالإرث تماماً، وحتى تكونوا من ورثة الأنبياء حقّاً، فنعم الوارث ونعم الموروث.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من ورثة خاتم النبيين، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن لا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

انتهى كلام سماحة شيخنا حفظه الله تعالى.

الأسئلة وإجابات سماحة شيخنا عليها

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: هل من نصيحة للشباب الذين أصبح حديثهم حول ما يقع بين الأقران من العلماء، وحول حرمة لحوم العلماء؟

الجواب: النصيحة أشرت إليها إجمالاً، وبينت أن هذا خطأ، وأنه إضاعة وقت.

وأقول: إنه إضاعة وقت، وسبب للكراهة والبغضاء، فما يجري بين الأقران من العلماء، أو طلبة العلم، يجب أن نجعله جانباً، وأن نحب من نحب منهم؛ لكثرة تمسكه بالكتاب والسنة، وأن نجعل مدار الحب والكراهة على هذا.

لكن لا يعني ذلك أن من أخطأ فإننا نكرهه على وجه الإطلاق، بل من أخطأ ونحن نعلم أنه إنما يريد الخير، فإننا نعذره باجتهاده ولو أخطأ.

فنصيحتي مرة أخرى ألا يكون هذا دأبكم، وألا يكون هذا

همكم، من أخطأ فعلى نفسه، ومن أصاب فلها، ولكن أقبِلوا على ما أنتم مرادون له من العلم، والبحث والمناقشة.

سؤال: سماحة الشيخ: هل يشرع السلام على من مرَّ على جماعة نساء، وبالعكس، أم لا؟ وهل يفرق بين الشيخ الكبير، وبين الشاب، أم لا؟

الجواب: أولاً: لا نرى السلام على النساء من الرجال الأجانب، اللهم إلَّا رجلاً دخل بيته ووجد في البيت نساء من الجيران أو من الأقارب وسلم فهذا لا بأس به، وقد جرت به العادة.

أما إذا لاقى نساءاً في السوق فلا يسلم عليهن؛ لأنَّ هذا غير لائق، وهو محل تهمة، ومحل فتنة أيضاً.

ولا شك أيضاً أنه يفرق بين الشيخ الكبير المعروف بالنزاهة والعفة، وبين الشاب الذي لا تعلم حاله، ولكن مع ذلك أرى أن يسد الباب، وأن يقال: لا يسلم الرجال على النساء، ولكن الشكوى الآن ليست من هذا وإنَّما من عدم سلام الرجال بعضهم على بعض، فالله المستعان.

سؤال: سماحة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد تركت العسكرية بعد خدمة أربع سنوات والتحقت بجامعة الإمام محمد بن سعود؛ أملاً أن أقول كلمة ولو واحدة يحملها عني تلميذ لله سبحانه وتعالى، هل هذا العلم يعتبر خالصاً لوجه الله؟

الجواب: السائل قال: السلام عليكم، والسلام إنما يقع عند الملاقاة أو عند الورود، وأمّا رجل جالس معك يريد أن يسأل فليس من هدي الصحابة رضي الله عنهم، أنه إذا قام أحدهم يسأل الرسول ﷺ أن يسلم وهو في المجلس، لكن الناس أخذوها عادة، ولكنني لا أعلم لذلك أصلاً في السنَّة.

نعم لو دخل الإنسان وسلّم ثم سأل فلا بأس، كما فعل المسيء في صلاته حين صلَّى ثم جاء إلى النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم وهو جالس في أصحابه فسلم، فرد عليه السلام(١)، أما رجل جالس معك، ولكنه أراد أن يسأل فلا حاجة للسلام.

والجواب على سؤالك: ما دمت تريد أن تنشر العلم الشرعي في الأمة فهذه نية صحيحة طيبة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الحلف بالذمة، مثل أن يقول الإنسان: بذمتي إن الأمر كذا وكذا؟

الجواب: هل قصد الإنسان إذا قال بذمتي إن الأمر كذا وكذا، أن يقسم بالذمة كما يقسم بالله، أو أن الذمة هنا بمعنى العهد.

والذمة تقع بمعنى العهد كما في حديث بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ قال: «إذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله، ولكن اجعل لهم ذمتك

---

(١) حديث المسيء في صلاته تقدم ص ٤١٨.

وذمة أصحابك»[1].

فإذا قلت: ذمتي إن هذا كائن؛ فلا أظن أن أحداً يعتقد أن هذا من باب اليمين، ولكنه من باب العهد، يعني: أنه في عهدي أن لا أكذب عليك، وما أشبه ذلك.

سـؤال: سماحة الشيخ: هل هناك قدر محدد من العلم إذا بلغه الشخص، بدأ بالدعوة إلى الله؟

الجواب: ليس هناك شيء محدد؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، قال: «بلِّغوا عني ولو آية»[2].

لكن إذا كانت الدعوة ستشغلك عن طلب العلم فابدأ بطلب العلم أولاً؛ لأنه لا يمكن وجود أو تحقُّق دعوة كاملة إلَّا بعلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [سورة يوسف: الآية ١٠٨]، والغالب أن الذي يدعو بلا علم يحصل له من الخطأ والزلل الشيء الكثير.

لكن إذا كنت تعلّم، فادعُ، بشرط ألا تشغلك الدعوة عن العلم.

ثم إنَّ الدعوة ليست مجرد أن تقوم في مسجد أو في مجلس وتتكلم، بل يمكن أن تدعو شخصاً صلَّى إلى جنبك وأخطأ في صلاته، فتبين له الصواب.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو.

ويمكن أن ترى في أهل بيتك شيئاً يخالف الصواب، فتدعوهم إلى الصواب، فالدعوة أعم من أن يقوم الإنسان في المجالس العامة ويدعو.

سؤال: سماحة شيخنا: ما رأيك فيمن يقسّم الشباب المسلم أو المسلمين إلى أقسام، مثل السلفية أو الإخوانية أو غيرها، وما يحصل بينهم من خلاف وغيره بسبب ذلك، أفيدونا وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الذي يصنِّف الناس، فيقول: هذا إخواني، وهذا سلفي، وهذا تبليغي، وغير ذلك، أرى أنَّ هذا من الخطأ؛ لأن هذه ليست ألفاظاً مجردة تُقال، بل مع الأسف أصبحت ألفاظاً وعقائد، فتجد الإخواني يكره السلفي، والسلفي يكره التبليغي، وهلمَّ جرّاً، وهذا غلط.

فالواجب علينا إذا رأينا من أحد إخواننا خطأ، أن نتصل به وأن نناقشه عن هذا الخطأ، وأن نعتبر أنفسنا وإياه شيئاً واحداً، لا أنه خصم وندٌّ لنا.

ولو سألت أي واحد من المسلمين، هل أنت على طريق السلف، أو على طريق الخلف؟ لقال لك: على طريق السلف، فكلنا على طريق السلف.

حتى الإخوان المسلمون، لو قالوا: لسنا على طريق السلف؛ فقد أخطؤوا في هذا، فيجب علينا جميعاً أن نكون على طريق السلف.

واستمع إلى قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [سورة الحشر: الآيات ٨ ــ ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٠].

فلا بد لنا أن نتبع السلف، ولا غنى لنا عن اتباعهم إطلاقاً، ومن خالف السلف فقد ضل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء: الآية ١١٥].

فالواجب علينا أن نكون أمة واحدة، وقلباً واحداً، وعملنا واحد، لا يكره بعضنا بعضاً، ولا يعنف بعضنا بعضاً، ولا يضلل بعضنا بعضاً، وإذا وجدنا من أحد ضلالاً، فالواجب أن نتصل به، وأن نناقشه بهدوء، وأن نبين له الحق.

وإني على يقين أن كل إنسان أراد الحق، فإنه لن يتخلى عنه إذا تبين له، لكن ربما يعتقد أن هذا الذي قاله أو فعله حق، وأن ما عليه أخوه ليس بحق، فالشيطان يوقع بينه وبين غيره العداوة، ويقول: هذا أخطأ وليس على حق، ويجب بغضه لله، وما أشبه ذلك، فهذا غلط.

فأنت إذا كنت ترى أنك على صواب، هل أنت على الحق الذي يريده الله ورسوله؟

الجواب: لا، فقد تكون مخطئاً؛ لأنك لست معصوماً، صحيح أنه لا يلزمك أكثر مما تطيقه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٦].

والحق قد يكون مع الآخر، ومن زعم أن الحق معه على كل حال، أو أعتقد ذلك فقد أخطأ خطأً عظيماً؛ لأنه بهذا ادعى أنه معصوم، وأنه شارك الرسول ﷺ في وجوب قبول قوله، وإلاَّ فما معنى أن يرى أن الصواب معه وأن من خالفه فهو على خطأ، وكثيراً ما يبدو للإنسان أن الصواب في كذا، ثم إذا ناقشه غيره؛ تبيَّن له أن الصواب على خلاف ذلك.

وهذا أمر مشاهد، فنحن لسنا معصومين، ولا ندعي العصمة، بل من ادعى العصمة فقد ضل، وهذا أول خطأ وقع فيه.

لذلك نرى ألا تَفَرُّقَ بيننا، وأن الخطأ يجب أن يناقش بهدوء حتى لا نكون شماتة للأعداء، ألم تروا أن من المنافقين والملحدين والأعداء البارزين، من يتمنى أن يكون خلاف بين أهل الحق، وخصوصاً الشباب المقبل على دين الله؛ لأنه سيقول: «سقينا بدعوة غيرنا. فقد جعل الله بأسهم بينهم».

فلماذا نشمت الأعداء بنا؟

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم من يتسرَّع في الحكم على شخص لم يسمع له شيئاً ولكن سمع الناس يقولون عن كذا، فقال مثلهم ولم يتثبَّت في الأخبار التي تُنْقَل إليه؟

الجواب: حكم هذا أنه أخطأ خطأً عظيماً؛ لأن الله تعالى قال في القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٣٦].

فلا يجوز للإنسان أن يتسرع في ذلك، بل إذا بلغه عن أحد شيء وجب عليه أو لا: أن يتأمل في النقل، هل هو صحيح أم لا؟

وكثيراً ما نُقل عن بعض الناس، ونقل عنا من بعض الناس ما هو كذب وما زيد فيه أو نقص.

حتى في الأمور الشرعية ينقل عنا أشياء وعن غيرنا أيضاً ممن هو أكبر منا، لا حقيقة لها.

فالواجب إذا نُقل لك عن فلان شيئاً، أن تتحقق في صحة النقل قبل كل شيء؛ لأنه قد ينقل خطأ، إما عمداً، أو عن فهم خاطىء أو لقصد سيِّىء.

وما أحسن ما سلكه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: (منهاج السنة) الذي ردّ به على الرافضة، حيث إنه إذا أتى بالجملة التي قالها الرافضي واستدل بشيء من النقل، قال له: أولاً نطالبك بصحة النقل؛ لأنه إذا لم يصح النقل بَطلت الحجة، ولا حاجة أن نتعب أنفسنا بالبحث فيه وتأويل معناه.

فإذا نقل لك شخص شيئاً فالواجب أولاً أن تتثبت في صحة النقل.

فإذا صح النقل فتأمل فيه: هل للشيء المنقول حظ من النظر؛ لأنه قد يظن لأول وهلة أن الإنسان مخطىء، لكن عند التأمل تجد أنه مصيب.

فالمرتبة الثانية إذاً: أن تتأمل فيما نقل عن الشخص، هل هو صواب، أو غير صواب؟

ولا يخفى عليكم ما جرى في غزوة الحديبية، حين قبل النبـي ﷺ تلك الشروط القاسية وعارضه عمر رضي الله عنه، وأتى إليه وقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: فَلِم نعطي الدنية في ديننا؟

لماذا نشرط لهم أن من جاءنا منهم مسلماً رددناه إليهم، ومن ذهب منا لا يردونه إلينا؟

فقال النبـي عليه الصلاة والسلام: «أما من أسلم ورددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، وأما من ذهب منا إليهم فلا رده الله»[1] أو كما قال ﷺ، والنتيجة صارت خيراً.

وقصة أبـي بصير رضي الله عنه معروفة[2]، حيث صار على سيف

---

(١) حديث الحديبية تقدم ص ١١٢.

(٢) قصة أبـي بصير جزء من حديث الحديبية السابق.

البحر ولا تأتي قافلة لقريش إلاَّ أخذها، واجتمع إليه جماعة من أهل مكة من المسلمين، حتى اشتكت قريش وذلّت وأسقطت الشرط وقالت للرسول عليه الصلاة والسلام: من خرج منا إليك فهو لك حلال غير حرج، فأرسل النبـي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم إلى أبـي بصير ومن معه أن يقدموا المدينة، فصارت العاقبة للمسلمين ولله الحمد.

والخلاصة: أن تتأمَّل أوَّلاً بعدما يصح النقل، هل هذا المنقول صواب أو خطأ؛ لأنه قد يظن في أول وهلة أنه خطأ، وبعد التأمل يتبين أنه صواب.

المرتبة الثالثة: إذا علمنا أنه خطأ، فهل يحل لنا أن تلوك ألسنتنا عرض هذا الرجل، فنسبه ونشتمه؟

الجواب: لا، الواجب أن نتصل به، إما مشافهة أو مهاتفة أو مكاتبة، ونناقشه، والله لا يستحيـي من الحق.

فنقول له: بلغنا عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟

فإذا أقر بذلك بينّا له وجهة النظر.

وفي اعتقادي أن أي مؤمن يتبين له الخطأ فسوف يرجع إلى الصواب مهما كان؛ لأنه لو لم يرجع إلى الصواب وهو بيِّن ظاهر ليس محل اجتهاد، فسوف يظهر عناده ويكون مذمة للناس جميعاً.

فصارت المراتب ثلاثاً:

المرتبة الأولى: صحة النقل.

والمرتبة الثانية: النظر فيما نُقل عنه، والتأمل والتثبت قبل أن نتكلم معه.

والثالث: أن نتصل به.

فإذا قال قائل: قد لا يمكن أن اتصل به؛ لأني لو اتصلت به لم يكترث بي ولم ير شيئاً.

قلنا: هذا وارد، لكن أليس هناك قنوات أخرى يمكن أن تتصل به عن طريقها؟ فما من إنسان إلاَّ وله صديق أو قريب حتى ولو كانوا أهله فيمكن أن تتصل بهم.

وفي الوقت الحاضر يمكن أن تتصل عن طريق الكتابة وإن لم تذكر اسمك، فتقول: بلغنا عنك كذا وكذا ولم يتبين لنا وجهه، فإذا فعلت هذا أقمت الحجة عليه، فإن اهتدى فلنفسه، وأنت مأجور، لأنك كنت سبباً في هدايته، وإن لم يهتدِ فعليه، وأنت حصل لك الأجر.

سؤال: سماحة شيخنا: ما نصيحة سماحتكم لمن يروم العلم جملة واحدة، ويحضر كثيراً من الدروس، إلى جانب الجامعة، ويقرأ يمنة ويسرة، متشتت، مهلك لنفسه، يظن أن هذا طريق العلم، ولا يرعى حق نفسه من الراحة ونحوها ولا يبالي بحقوق غيره، ويحاول الاعتذار عن حق غيره باستمرار، وربما أهمل دروس الجامعة، وقد يكون ممن يهوّن من أمر دروس الجامعة، ويتنقص بعض الأساتذة.

الجواب: أرى أن العلم لا ينال براحة الجسم، فلا بد من تعب، ولهذا قال بعض العلماء: (أعط العلم كُلك تنل بعضه، وأعطه بعضك يفتك

كله) فلا بد من التعب والاجتهاد، لكن المحذور تشتت جهد الطالب، لا سيَّما إذا قرأ فنّاً واحداً على شيخين يختلفان في الرأي، فإنه سوف يتذبذب.

ولنفرض مثلاً أنه قرأ في الفقه عند شيخ يقول: إن الماء قسمان: طهور ونجس، وشيخ آخر يقول: إن الماء ثلاثة أقسام: طهور وطاهر ونجس، فماذا يفعل؟

ولهذا أرى أن الطالب إذا رتب طلب العلم على شيخ معين في الحديث فلا يذهب إلى شيخ آخر في علم الحديث، وفي الفقه لا يذهب إلى شيخ آخر فيه.

لكن من الممكن إذا كان عنده متسع من الوقت أن يقرأ على الشيخ الثاني في فن آخر، فيقرأ على واحد التوحيد، وعلى الثاني الفقه، وعلى الثالث النحو أو البلاغة، وما أشبه ذلك، وهذه مسألة يجب على الإنسان أن يتفطن لها؛ لأنه ربما يحصل كثيراً من العلم لكن ليس عنده رصيد راسخ في الأصول والقواعد يستطيع أن يفرع المسائل على أصولها وضوابطها، ويبقى كالذي يلقط الجراد من الصحراء لا يستفيد.

وأما تنقص دروس الجامعة، أو السخرية من بعض المدرسين؛ فهذا غلط، فالجامعة هي الدار التي ترتقي بها إلى أن تكون قيادياً في هذه الأمة، والمدرسون ليسوا على حد سواء، لكن ينبغي احترام المدرس؛ لأنه أمضى وقته وأتعب جسمه في مصلحتك.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما حكم التكفير والتبديع؟

الجواب: التكفير والتبديع يتلقى من الشرع، وليس على حسب الهوى والذوق، ولهذا لما جعله الخوارج تابعاً للهوى؛ ضلوا ضلالاً بعيداً، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إنهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم)[1]؛ لأنهم كفّروا المسلمين وقاتلوهم، ولم يقاتلوا الكفار.

فالتكفير ليس حسب الذوق والهوى، إنما هو حسب الدليل الشرعي من الكتاب والسنَّة، فمن كفره الله كفرناه، ومن لم يكفره الله حرم علينا أن نكفره، بل إن من كفر مسلماً عاد الكفر عليه هو، أي: أنه يَكْفُر هو إلاَّ أن يتوب إلى الله؛ لأن النبي ﷺ قال: «من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك عاد عليه»[2].

فأنت إذا قلت: هذا كافر، وهو ليس بكافر؛ فإنك تبوء ـ أي ترجع ـ بها، إلاَّ أن تتوب إلى الله.

فالواجب الكف عن التكفير إلاَّ بدليل شرعي.

وكذلك يقال في التبديع، وليعلم أيضاً أن البدعة إنما هي بدعة الدين والعبادة، وليست بدعة العادة، فبعض الناس يرى أنَّ كل شيء بدعة، حتى بلغنا أن بعض الناس يقول: تسجيلنا بالمسجل هذا بدعة؛ لأنه ليس على عهد الرسول ﷺ، وكذلك مكبِّر الصوت الذي يوجد في المساجد وغيرها بدعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٦١) من حديث أبي ذر.

(٢) أخرجه مسلم (٦١) من حديث أبي ذر.

فلا يفرِّقون بين المقصود بالذات وبين الوسيلة، فلو تعبد الإنسان لله تعالى بما لم يشرعه كان متبدعاً، لكن إذا اتخذ وسيلة تقوم بها العبادة؛ صارت هذه الوسيلة مطلوبة شرعاً.

ولهذا نرى أن من نعمة الله علينا في هذا الوقت وجود هذه المسجلات، فمن يستطيع أن يحفظ كل ما يقول المدرس والمعلم والشيخ؟ لا أحد يستطيع هذا وخصوصاً الوقت الحاضر.

فأقول: إنَّ هذه المسجلات الآن، هي من نعمة الله علينا لا شك في ذلك، حيث حفظت شيئاً كثيراً من العلم، وكذلك مكبرات الصوت، هي أيضاً نعمة الله علينا، فلو أن الأمور وُكلت إلى أصوات الأئمة؛ لكان المسجد الكبير لا يسمع فيه الإمام، لكن يسَّر الله هذه المكبرات، فصار يسمع مِن بُعد كما يسمع من قرب، وهذا من النعم.

فأقول: انتبهوا لحقيقة (البدعة) فإن البدعة هي: أن يتعبَّد الإنسان لله بغير ما شرع من عقيدة أو قول أو فعل.

أما الوسائل للعبادة فلا، فمثلاً يوجد اليوم في المساجد خطوط لإقامة الصفوف أليس كذلك؟ هل وُضعت هذه الخطوط لنتعبَّد لله تعالى بها نفسها أو وضعت وسيلة لتسوية الصفوف؟

الجواب: أنها وضعت وسيلة لتسوية الصفوف.

فلو قال قائل: لماذا لم يكن ذلك موجوداً في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام؟

فالجواب: أن المسجد في عهده ﷺ لم يكن مفروشاً بالحصر ونحوها وإنما فراشه الحصباء، ولا يمكن أن يجعل فيها خط، حتى لو خط بالرجل فسوف يزول بالمشي عليه، ولو وضعت خيوط لكانت سبباً لتعثُّر الناس بها، والوسائل في الإسلام لها أحكام المقاصد.

سـؤال: سماحة الشيخ: هل هناك تلازم بين التربية والعلم؟

الجواب: ليس بين العلم والتربية تلازم من حيث الواقع؛ لأننا نرى من أعطاه الله العلم، ولكن لم ينفع الناس، لا بعلمه ولا بتوجيهه وإرشاده، فهنا حصل العلم وفقدت التربية، ونرى من الناس من علمه قليل لكن نفع الله به نفعاً عظيماً.

فالواجب أن يكون العالم معلماً مربيّاً؛ لأنَّ من كان هذه صفته هذا هو العالم الرباني، أي: العالم المربـي، وهذا هو الذي كنا نؤكد عليه دائماً وهو أن تكونوا علماء مربين.

سـؤال: سماحة الشيخ: إني أحبك في الله، وأرجو أن يكون هناك وسيلة تنقل الطلبة إلى درسكم بعد صلاة المغرب ليعم النفع، وجزاكم الله خيراً.

الجواب: أقول: أحبك الله الذي أحببتنا فيه، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم جميعاً متحابين في الله.

أما مسألة الوسيلة، فأنا أقول يجب عليكم أن تتعاونوا على البر والتقوى، فالذي عنده سيارة، يُركب معه اثنين أو ثلاثة، ويحصل خيراً إن شاء الله.

سـؤال: سماحة الشيخ وفقه الله: ما حكم قصر الصلاة في حقنا ونحن مسافرون، حيث نمكث خمسة أيام ثم نعود إلى أهلنا؟ وكذا حكم السنن الرواتب؟

الجواب: أما مُخَاطِبُكم فيرى أنكم على سفر، وأن جميع رخص السفر ثابتة في حقكم، وأن تقييد انقطاع أحكام السفر بمدة معينة كأربعة أيام لا دليل عليه؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم مكث في أسفار متعددة أياماً مختلفة، ففي عام الفتح مكث في مكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة، وفي غزوة تبوك مكث عشرين يوماً يقصر الصلاة، وفي حجة الوداع مكث عشرة أيام يقصر الصلاة؛ لأن أنس ابن مالك رضي الله عنه سئل: كم أقمتم في مكة عام حجة الوداع؟ قال: أقمنا فيها عشراً[(١)].

ثم إن الرسول ﷺ في حجة الوداع قدم في يوم الأحد الرابع من ذي الحجة، ونزل في ظاهر مكة وصار يقصر الصلاة عليه الصلاة والسلام، ولم يقل للناس: إذا قدم أحد منكم مكة قبل اليوم الرابع؛ فعليه الإتمام، وكونه سكت عن ذلك، يدل على أنه لا فرق بين من صادف وصوله مكة في اليوم الرابع أو قبل ذلك.

وهذا هو القول الراجح الذي تدل عليه الأدلة فأنتم الآن مسافرون.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨١)، ومسلم (٦٩٣).

أما بالنسبة للرواتب: فاعلموا أن المسافر يتنفل بما شاء، يتنفل نفلاً مطلقاً ومقيداً، يتنفل تهجداً، ويتنفل وتراً، ويصلي الضحى وتحية المسجد وغير ذلك من النوافل المطلقة والمقيدة، ولا يسقط عنه إلاَّ ثلاث تطوعات فقط وهي: راتبة الظهر، وراتبة المغرب، وراتبة العشاء، فإن هذه الرواتب الثلاث ثبت عن النبـي ﷺ أنه كان لا يصليها وهو مسافر، لكن لو فرضنا أن الإنسان دخل المسجد، وصلى تحية المسجد، ثم أحب أن يتطوع تطوعاً مطلقاً لا على أنه راتبة، فلا حرج.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما هو القدر الذي يجب معرفته على الإنسان من فقه الواقع؟

الجواب: أولاً: أن كلمة (فقه الواقع) محدثة، لا يعلم لها ذكر فيما نعلم في الزمن السابق، اللَّـٰهُمَّ إلاَّ ما ذكره الفقهاء أنه ينبغي للقاضي أن يكون عالماً بأحوال الناس، والفقر الذي يُثنى به على المرء، هو الفقه في دين الله؛ لقول النبـي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1].

أما فقه الواقع فهو وسيلة؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يحكم على الواقع بشيء إلاَّ بعد أن يعرفه، ولهذا كان من القواعد المقررة: الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وأنتم تعلمون أن الدندنة حول فقه الواقع أوجب لكثير من الشباب أن يشتغل بواقع الناس، ممن هم عن يمينه وشماله، وبالصحف والمجلات، عن الفقه الشرعي المحمود الذي يكون من وفق له قد أراد

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبـي سفيان.

الله به خيراً، فالتركيز على الفقه في الدين هو الأهم، ومعرفة أحوال الناس أمر مهم لا شك.

لكن لا ينبغي أن يكون ديدن الإنسان، وألا يكون له هم إلاَّ تتبع الإذاعات، وما قيل وما يقال؛ لأن الرسول ﷺ «نهي عن قيل وقال»[1]، ففقه الواقع إذا دعت إليه الحاجة، أمر لا بد منه، وإذا لم تدع الحاجة إليه فهو من فضول العلم والمعرفة، والاشتغال بفقه الدين أولى بكثير.

ولهذا فإنَّ هذا الذي عنده فقه بالواقع، لو سألته وناقشته في فقه الدين لم تجد عنده شيئاً كثيراً؛ لأن قلبه انصرف إلى الاشتغال بفقه الواقع.

ثم إنَّ فيه خطراً آخر، وهو انصراف القلب عن العبادة والتعلق بالله؛ لأنه لا يكون له هم إلاَّ ما حدث عند الناس، ماذا قال الناس؟ وماذا قيل لهم؟ فيكون في هذا إعراض عن عبادة الله، لكن لو أن الإنسان اشتغل بالعلم الشرعي، بالفقه في دين الله، وبالعبادة، واشتغل بمعرفة أحوال الناس عند الحاجة؛ لكان هذا جيِّداً.

سؤال: سماحة الشيخ: يوجد في هذا السكن بعض الشباب هداهم الله يمرون من أمام الإنسان دون أن يسلموا عليه، بحجة أنه يتبع شيخاً

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧) عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٣) نحوه.

يكرهه في نفسه، أو يتبع جماعة تختلف عن منهجه، فماذا تنصحهم جزاك الله خيراً؟

الجواب: هذا السؤال سبق الكلام عليه، والجواب عنه، وأن هذا ليس من طريق المؤمنين ولا طريق السلف الصالح، وأنه لا يحل للإنسان أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

ولذلك فإنه يجب عليكم: أولاً: ألاَّ تعلقوا الولاء والبراء بالأشخاص؛ لأنَّ الولاء والبراء معلق بالمعاني، أمَّا من يعلقه بالأشخاص فإنه يشبه حال الصبيان في الشوارع، أنت معي وإلاَّ معه، وهذا غلط.

فالواجب عليكم أن تهتموا بدروسكم، وألا تشتغلوا بالقيل والقال، وإنَّنا نسأل الله سبحانه وتعالى لإخواننا الذين أخطؤوا فيما أخطؤوا فيه، الهداية والتوفيق للحق؛ لأن الإنسان بشر يحتاج إلى المعونة.

سؤال: سماحة الشيخ: إذا كان يعرف الإنسان أن هذا ذنب ولا يعرف العقوبة عليه هل يُعذر؟

الجواب: لا يعذر الإنسان إذا علم أن هذا شيء محرم وانتهكه؛ لكونه لا يعلم العقوبة.

ولهذا لو زنا الرجل وهو محصن ويعلم أن الزنا حرام، فأمر

القاضي برجمه، ثم قال: فقال ما أدري أنَّ حدِّي الرجم، ولو علمت ما فعلت الفاحشة؛ فإنه لا يعذر.

ولهذا: فإنَّ الرجل المجامع في نهار رمضان، والذي جاء يستفتي الرسول ﷺ، لم يكن يعلم بالكفَّارة ومع ذلك ألزمه النبي ﷺ بالكفَّارة.



بسم اللّـه الرحمن الرحيم

(المحاضرة الثالثة عشرة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنها فرصة ثمينة أغتبط بها، حيث تيسَّر لي اللقاء فيها بإخوة لي في هذه الجامعة المباركة، أشكر الله سبحانه وتعالى على ما يسَّر ومنَّ به من هذا اللقاء، ثم أشكر القائمين على هذا الصرح العلمي من عمداء ووكلاء وأساتذة ومدرِّسين، ثم أشكر لإخواني الطلاب الذين حضروا واقتطعوا جزءاً من وقتهم الثمين من أجل ذلك، وأنا مسرور والحمد لله لرؤية هذه النخبة الطيبة من طلبة العلم في هذا الوطن المبارك.

أيها الإخوة:

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى مختلف التخصصات العلمية، وعلى رأسها التخصص الشرعي، الذي أنتم ولله الحمد تمثلون من توجه إليه، وسيكون إن شاء الله منكم الموجهون لهذه الأمة، يكون منكم

القضاة، ويكون منكم الدعاة، ويكون منكم المفتون، ويكون منكم أهل الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون منكم الخطباء والموجهون للأمة، وإن كانت الأمة أيضاً بحاجة إلى التخصصات الأخرى التي لا تستغني عنها.

والله جلَّ وعلا جعل للناس مواهب، فكل إنسان يتوجَّه إلى ما يتلاءم مع موهبته، فمن الناس من يتوجه إلى ما توجهتم إليه من طلب العلم الشرعي، وهذا أشرف المقامات وأعلى الدرجات عند الله سبحانه وتعالى. يقول سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١].

وكذلك الأمة بحاجة إلى التخصص العسكري والتخصص المهني وبحاجة إلى التخصص الطبي، بحاجة إلى كل التخصصات التي تفيد بناء مجتمعها وقيام مصالحها، فكلاً هيَّأه الله للقيام بما يتلاءم مع مواهبه، والجميع ينفع هذه الأمة، لكن بلا شك أن من توجه إلى العلم الشرعي فقد اختار أعلى المقامات وأشرف التخصُّصات.

ومن المعلوم أن من توجه إلى شيء من هذه التخصصات وانتظم في سلكه؛ فلا بدَّ أن يحقق الغاية المطلوبة التي من أجلها أوجدت هذه التخصصات في البلاد، ولا يكون ذلك إلاَّ بتوفيق الله سبحانه وتعالى أولاً، ثم بالجد والاجتهاد والصبر والتحمل وحفظ الأوقات، وتحقيق ما توجه إليه حتى يقوم به خير قيام.

فلا يمكن أن يكون هناك طبيب لا يجيد الطب، ولا يمكن أن

يكون هناك عسكري لا يجيد العلوم العسكرية، ولا يكون هناك صناعي لا يجيد الأُمور الصناعية؛ لأنَّهم إذا كانوا على هذه الصورة سيفشلون.

ومن باب أولى لا يكون هناك عالم شرعي يقوم بحاجة الأمة في مختلف أمورها من قضاء وإفتاء وإرشاد ودعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وخطابة لا يجيد العلوم الشرعية، فلا يمكن أن يقوم بهذه التخصصات على الوجه المطلوب إلاَّ من تأهل لذلك، وإلاَّ فإنه سيفشل، وليت الأمر يقتصر على أنه يفشل في نفسه، لكن سيترتب على ذلك نقص في حاجة الأمة إلى من يشغل هذا التخصص على الوجه المطلوب؛ لأن الغلط في أمور الدين، والغلط في العلم الشرعي ليس كالغلط في الأمور الأخرى، وإن كان الغلط في كل شيء مرفوض ومصيبة، ولكن الغلط في أمور الشرع وفي أمور الدين، والتقصير في القيام بالأمانة العلمية الشرعية لا بدَّ منها، والغلط في ذلك يترتَّب عليه ضرر عظيم بالنسبة للأُمَّة، وأنا على يقين أنَّكم تدركون ذلك.

وقد هيَّأ الله لكم فرصة عظيمة ما كانت تتهيأ لمن كان قبلكم.

فمن كان قبلكم كانوا يتحمَّلون المشاق في طلب العلم، ويتعرَّضون للأخطار والجوع والعطش وغير ذلك في سبيل طلب العلم، فالكتاب لا يجدونه إلاَّ بعد جهد شاق أيضاً، يستنسخونه بأيديهم وبأقلامهم، ولو بلغ عدة مجلدات، ولا يجدون المشايخ إلاَّ بعد التعب والعنت والسفر إليهم في أي بلد ذكروا لهم فيه.

أما أنتم والحمد لله فكل شيء وفر لكم، بنيت لكم المدارس والجامعات، ووفرت لكم الكتب، وصرفت لكم المكافآت التي تعينكم على قضاء حوائجكم، وجلب لكم المدرسون بدل ما كان أسلافكم يسافرون إلى المدرسين، فالآن المدرسون يقدمون إليكم، ويسافرون إليكم، ويحضرون عندكم من غير تعب عليكم ولا مشقة، فبدل أن تذهبوا إليهم هم يأتون إليكم عند بيوتكم.

فتأملوا هذه النعمة واشكروا الله عليها؛ لأنَّ البلاد الراقية كما يسمونها لا تتوافر فيها هذه الفرص، بل إنهم ينفقون على أولادهم من الأموال في سبيل تعليمهم، النفقات الطائلة، وأكثرهم لا يستطيعون الإنفاق على أولادهم وبناتهم.

أما أنتم والحمد لله فلا يطلب منكم إلاَّ الحضور، كل شيء ميسر بتوفيق الله تعالى، فهذه فرصة عظيمة، اغتنموها فإن الفرص لا تدوم، واشغلوها بما يعود عليكم وعلى مجتمعكم بالنفع والصلاح؛ لأنكم مهيأون لتحمل مسؤولية وأمانة، فالله جلَّ وعلا يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٧٢].

فهي أمانة عظيمة، وأعظم الأمانات أمانة العلم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا العلم لا يقوم هو بنفسه، إنما يقوم العلم برجاله وبحملته، فأنتم تحملتم أمانة عظيمة تؤجرون عليها عظيم الأجر إذا أنتم قمتم بما تستطيعون منها، أمَّا

المسؤولية إذا قصرتم بها فستتحمَّلون المسؤولية أمام الله.

فطالب العلم يجب عليه أولاً: أن يخلص النية لله عز وجل، وذلك بأن فيكون هدفه وقصده من طلب العلم وجه الله سبحانه وتعالى، وطلب الأجر والثواب؛ لأن هذا العلم ميراث الأنبياء كما قال ﷺ: «وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»(1). فأنتم تهيئون أنفسكم لوراثة النبي ﷺ في أمته وحمل ما جاء به ﷺ وتبليغه للناس، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٣٩].

فأولاً علينا جميعاً: إخلاص النية لله عز وجل، وأن يكون قصدنا وهدفنا: رضا الله عز وجل وامتثال ما أمرنا به، حيث يقول جلَّ وعلا: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢]، فهذا حث من الله عز وجل لعباده أن تنفر طائفة ـ ممن فيهم الأهلية والكفاية ـ لطلب العلم، فيتفقَّهون في دين الله عزَّ وجلّ، ثم لا يقتصر الأمر على أنهم يتفقهون في أنفسهم، بل لا بدَّ أن يفقهوا غيرهم كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

---

(1) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء. وقد تقدم ص ٧٩.

فليس القصد أن الإنسان يتفقه في نفسه فقط، بل لا بدَّ مع ذلك أن يفقه غيره، فالعلم مشترك بين الأمة لا يختزنه أحد لنفسه، أو يحفظه لنفسه فقط، وإنما يبلغه للمحتاجين إليه.

فإذا كان احتكار الطعام ــ والناس في حاجة إليه ــ معصية عظيمة ومتوعد عليه، فكيف باحتكار العلم الذي يحتاجه الناس الحاجة الماسة ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

ثم نلاحظ أن الأمر بالتفقُّه في الدين الوارد في الآية الكريمة سابق للإنذار، مما يدل على أنه يجب على الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والقائم بوظائف الدين، أن يتفقَّه أوَّلاً في الدِّين؛ يقوم بالإنذار والعمل المطلوب منه، قال تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

أما من باشر الدعوة أو الفتوى، أو قام بالأمور العلمية قبل أن يتفقه في دين الله؛ فإنه يُخل بهذا الأمر، ويفسد أكثر مما يصلح.

ثم علينا جميعاً لا سيَّما ونحن نمثل طلبة العلم ونمثل العلماء، أن نقوم بالإصلاح بين الناس، وتأليف القلوب، وجمع الكلمة، وإزالة الأحقاد من بين المسلمين؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا يقول: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء: الآية ١١٤]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال: الآية

١]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٠].

والنبي ﷺ يقول: «**وإصلاح بين الناس صدقة**»[١].

فالواجب على طلبة العلم والعلماء أن يقوموا بذلك ويحرصوا عليه، فيصلحوا بين الناس، ويسوّوا النزاع بين المتخاصمين مهما أمكن، ويعملوا على إزالة سوء التفاهم الذي يقع بين المسلمين، وجمع كلمة المسلمين، والتحذير من الفرقة والاختلاف.

وأن يكونوا دائماً دعاة إصلاح، ودعاة أُخُوَّة خير لأمتهم كذلك.

وقبل أن يباشر العالم أو طالب العلم الإصلاح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبدأ بنفسه، فيعمل بعلمه في نفسه، وفي أهله، وفي بيته وأقرب الناس إليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الصف: الآيتان ٢، ٣].

فيبدأ الداعية والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بنفسه، ويعمل بما علَّمه الله حتى يكون قدوة صالحة لغيره وحتى يثق الناس بدعوته، فإنَّ السلف الصالح كانوا صالحين في أنفسهم قبل أن يتكلَّموا،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

فإذا رآهم الناس في أشخاصهم استفادوا منهم واقتدوا بهم؛ لأنهم يعملون بما علمهم الله فيكونوا قدوة لغيرهم، قبل أن يتكلَّموا مع الناس.

أما الذي يتكلم مع الناس وهو مُضَيِّع لنفسه؛ فإنه كـ (السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره) والإنسان أولى بالنصيحة، وأولى بالعمل، وأولى بالانتفاع بعلمه من غيره.

فهذا جانب مهم، وهو: أن يكون طالب العلم قدوة صالحة في نفسه قبل أن يدعو الناس، ويبدأ بأهله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [سورة الشعراء: الآية ٢١٤].

واعلم أنَّ هذه هي الطريقة الصحيحة للإصلاح.

وإذا كان الأطبَّاء في المستشفيات يعالجون الأجسام، ويداوون الأمراض الحسِّيَّة، فأنتم أطبَّاء القلوب، تعالجون القلوب من أمراضها بالشفاء الذي أنزله الله في كتابه، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٢]، ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [سورة فصلت: الآية ٤٤]، فأنتم أطباء القلوب وأطباء الأرواح.

وأمراض القلوب والأرواح أشد من أمراض الأجسام، وبهذا يكون طبيب القلوب أهم من طبيب الأبدان.

ولا شكَّ أنكم والحمد لله قد اخترتم لأنفسكم المكانة اللائقة، وانتسبتم إلى أشرف تخصص، فحققوا هذا الانتساب وهذا الاختيار، حققوه بالعمل حتى تحصلوا على النتيجة المطلوبة.

واعلموا أن الناس ينظرون إليكم، وينظرون إلى أفعالكم، وإلى تصرفاتكم، ويتابعون عبادتكم، ومحافظتكم على صلواتكم، وحضوركم في المساجد.

فالناس ينظرون إليكم أكثر من غيركم؛ لأنكم طلبة علم وقدوة لغيركم، والشاعر يقول:

قد هيَّأوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ثم عليكم بحفظ الوقت؛ فإن المغريات اليوم والشواغل والصوارف التي جلبتها المَدَنيَّة الحديثة كثيرة، فعليكم أن تحذروا من هذه الشواغل، وأن تقبلوا على ما اخترتم الانتماء إليه، فتقبلوا على طلب العلم وحفظ الوقت، والحكمة تقول: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

ولا شك أن حفظ الوقت عليه مدار كبير، فاحفظوا أوقاتكم فيما هيأتم أنفسكم له، فإن طالب العلم إذا مرت عليه ساعة أو فترة غفل فيها عن طلب العلم؛ فستبقى هذه الساعة، أو هذه الفترة، أو هذا اليوم وهذا الأسبوع، ثلمة في معلوماته، لا يدركها إلَّا فيما بعد، بينما من حفظ وقته ولم يضيع شيئاً منه فإن معلوماته ستكون متواكبة ولا يفوت عليه شيء، وقد قيل: (لا تؤخِّر عمل اليوم إلى

الغد)[1]؛ لأنك ستعجز عن تأدية عمل يومين في يوم واحد.

هذا ما أحببت أن أقوله لكم، وإن كنت أعلم أنكم والحمد لله أحرص على أنفسكم وعلى الاهتمام بتخصصكم، وأنتم أعرف منِّي أيضاً بهذه الأمور؛ لأن من زاول الشيء أعرف به ممن هو بعيد عنه، وأنتم أدرى بأموركم وأحرص على أوقاتكم، ولكن هذه الكلمات هي من باب التذكير، والذكرى تنفع المؤمنين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة وإجابات فضيلة الشيخ عليها

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله وسلَّمه: لقد هيَّأ الله لنا من طلب العلم ما لم يُهيَّأ لأسلافنا من طلبة العلم والدين في كل الأمور، لكن إذا نظرنا إلى التحصيل وجدنا أنفسنا قليلي التحصيل بالنسبة لمن سبقنا فما سبب ذلك، بالرغم من أنه قد وفر لنا جميع أسباب طلب العلم؟

الجواب: لا شكَّ أن تحصيل الأوائل بالنسبة إلى تحصيلنا هو تحصيل مختلف، فالشاعر يقول:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

والسرّ في ذلك والله أعلم النية، فأنتم إن شاء الله نيَّتكم طيِّبة، لكن الأوائل أشدّ إخلاصاً في النية، وأيضاً هم أحرص على العمل، والعلم

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٢٤٨) عن أبي إسحاق السبيعي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. وإسناده غير صحيح؛ لأن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن في هذا الحديث.

يزكو وينمو بالعمل، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٨٢].

فلا شكّ أنَّ السلف والله أعلم حصلوا على ما حصلوا عليه بسبب أمرين، هما:

الأول: النية، فنياتهم لا شك أنها تفضل على نيات من بعدهم.

وثانياً: العمل بالعلم: فقد كانوا يعملون بعلمهم ويطبقونه، فيظهر لعلمهم هذا آثار حميدة على أعمالهم، وعلى تصرفاتهم وعلى تحصيلهم، وكون الإنسان يعمل بما علم فهذا ينمي علمه ويزيده، وإذا نسي شيئاً من العلم فإنه عند العمل يتذكر ويطلب ما نقص؛ لأن عمله يحدوه إلى ذلك.

أما الإنسان الذي يعطل العلم عن العمل فإن علمه سيتناقص.

والناظم يقول:

يزيد بكثر الإنفاق منه ... وينقص إن به كفاً شددت

فما هو الشيء الذي يزيد بكثرة الإنفاق منه؟

الجواب: هو العلم، فكلما أنفقت من العلم زاد، بخلاف المال فإنه كلما أنفقت منه نقص، فلا شكّ أنَّ السلف إنما سبقوا بما سبقوا، وحَصَّلوا ما حَصَلُوا عليه بالنية الخالصة وبالعمل الصالح.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم من يسب أهل العلم والولاة وينشر أخطاءهم بين الناس؟

الجواب: قلنا في أثناء المحاضرة أنكم ولله الحمد أطباء قلوب وأرواح تعالجون الأمراض الاجتماعية[1] وغيرها، فعالجوا هذه الظاهرة بنشر العلم النافع، وبيان حقوق المسلمين، لا سيما حقوق ولاة الأمر، وحقوق العلماء، وما يجب للوالدين، وكبار السن من المسلمين.

فعالجوا هذا الأمر وانصحوا من تسمعون منه مثل هذه المقالات بما رزقكم الله من العلم النافع.

فهذه الظاهرة تدل على أن هناك خللاً في المجتمع، يحتاج إلى إصلاح، ولا يمكن أن يصلحه إلَّا طلبة العلم والعلماء، وذلك بأنَّ يقوموا بالنصيحة والتذكير، وجمع الكلمة، وبيان حقوق ولاة الأمور والعلماء، وحقوق الوالدين والأقارب، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض، فهذا دوركم، وأنتم المسؤولون عن إصلاح هذا الخلل الذي ذكره السائل.

فعلى الجميع بصفة عامة الاحتساب وإصلاح هذا الخلل، وعلى المدرِّسين بصفة خاصة عن طريق الدروس في الفصول، وفي المساجد، ومن خلال المحاضرات والندوات وخطب الجمع أن يهتمّوا بهذا الجانب، وأن يُبيِّنوا ما في هذه الظاهرة من الخطر على المسلمين، وأنَّ الخطر الأشد على المتكلمين بها قبل غيرهم.

فلا شكَّ أن من تكلم بهذه الأمور أن الخطر عليه، والإثم في حقّه قبل غيره.

---

(١) انظر: ص (٤٦٤، ٤٦٥).

فيجب على كل طالب علم أن يسعى بالإصلاح من خلال الدرس، ومن خلال خطبة الجمعة، وعن طريق المحاضرات والندوات العامة، ومن خلال حديث المجالس.

وإذا قمنا بهذا وحرصنا عليه فإنه سيزول بإذن الله، لكن إذا سمعناه وتركناه فإنه سيتكاثر ويتعاظم حتى تكون العاقبة غير حميدة، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

سؤال: سماحة الشيخ: إنا نحبك في الله ونسأل الله لك الجنة والرفعة وحسن الخاتمة، ما رأيك في تشتُّت المجتمع، وكل يقول قولي هو الحق، نرجو توجيه كلمة حول ذلك، حفظك الله وسدَّد خطاكم؟

الجواب: جواب هذا السؤال كجواب السؤال الذي قبله تماماً، فدور طلبة العلم والعلماء هو دور إصلاح هذا الخلل، ونشر العلم النافع بين الناس، وتخويفهم بالله عزَّ وجلّ، وأن يبين لهذا الذي يرى أنه هو الوحيد، وأنه هو الأعلم والأدرى من غيره، أنه مخطىء في هذا التصور، فالإنسان مهما بلغ من العلم، ومهما بلغ من العمل؛ فإنه إنسان قاصر ناقص، لا يعجب بنفسه، والإنسان إذا أعجب بنفسه، أو أعجب بعمله، أو أعجب بعلمه؛ هلك.

أما إذا استشعر من نفسه ومن علمه النقص، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٥] فيستشعر من نفسه أنه أقل من غيره، وأن غيره أفضل منه، فلا شك أنه سيدرك أنه مخطىء في تصوُّره، وفي تكبُّره، وفي إعجابه بنفسه؛ لأنه مهما كان فهو

إنسان، والإنسان محل للنقص، إلاَّ من عصمه الله سبحانه وتعالى ووفقه.

فالواجب بذل النصيحة لهؤلاء، والتحذير من الاختلاف، ومن التنافر، يقول النبي ﷺ: «وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(١).

والله جلَّ وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحجرات: الآيتان ١١، ١٢].

فالواجب على المسلمين: أن يتجنبوا السخرية بعضهم من بعض؛ لأنك إذا سخرت من أخيك فقد سخرت من نفسك؛ لأن المسلمين نفس واحدة، وجسم واحد، وبنيان واحد، فالسخرية والغيبة والنميمة وسوء الظن بالناس، والتجسس عليهم وتتبُّع عثراتهم وعوراتهم، كل هذا يسبب الخلل في المجتمع، فعلى المسلمين أن يجتنبوا هذا الشيء، وعلى العلماء أن يحذروا من هذه الآفات.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر.

سـؤال: سماحة الشيخ الوالد حفظه الله: الفضل الوارد في كتاب الله عز وجل للعلم والعلماء، هل هو خاص بالعلوم الشرعية، أم أنه عام في كل علم من علوم الدين والدنيا؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب: الفضل الذي ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ للعلم الشرعي الذي يُعَرِّف بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته وعبادته، ويعرف بالحلال والحرام، ويُعَرِّف بحقوق الناس بعضهم لبعض، ويُعَرِّف بالدار الآخرة، ويُحَذِّر من النار ومن الأعمال السيئة، وتترتب عليه السعادة في الدنيا والآخرة.

هذا هو العلم الذي فيه الفضل الذي ذكره الله في قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١]، وقوله سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [سورة الزمر: الآية ٩]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر: الآية ٢٨].

هذا في العلم الشرعي، أما العلوم الدنيوية فهي علوم مباحة؛ لأنها تعين على مصالح العباد، وإذا صلحت نية الإنسان فيها فإنه يثاب عليها؛ لأنه ينفع بها نفسه، وينفع بها المسلمين، ففيها فضل ولكنه فضل محدود.

أما الفضل المطلق، والفضل الممدوح، والفضل الذي يتواصل ولا ينقطع، إنما هو بالعلم الشرعي، والعلم الشرعي يوجه إلى العلوم الأُخرى الدنيوية ويأمر بها؛ لأنها من مصالح العباد، ولأن الإنسان إذا

اشتغل بها يستغني عن الناس، ويغني بها غيره، ولا شكَّ أن فيها فضلاً لكنه فضل محدود ليس هو مثل فضل العلم الشرعي.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله ورعاه: الإنسان يجد من نفسه أحياناً وهو يطلب العلم في الجامعة بأنه لم ينتظم بها ولم يدرس بها إلاَّ ليحصل على الشهادة، وكذلك خدمة دين الله، لكن لو علم أنه لن يحصل على الشهادة فإنه لن يستمر في الجامعة، وإن كان حصول الهدف الأسمى هو خدمة دين الله ونشره، فماذا على مثل هذا الإنسان؟

الجواب: على هذا الإنسان أن يخلص النية لله عزَّ وجلّ؛ لأنَّ الإنسان قد يدرك من نفسه خللاً في النية فيصلحه، فيخلص النية لله عزَّ وجلّ، والوظيفة والمسائل الأخرى تابعة لذلك وليست مقصودة.

فالمقصود إنما هو وجه الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً إذا نوى بالوظيفة نفع المسلمين والقيام بمصالح المسلمين، فهذا عمل صالح يؤجر عليه.

فإذا كان الإنسان يطلب العلم الشرعي ليخرج نفسه من الجهل إلى العلم بالله عزَّ وجلّ، وأنه إذا حصل على علم فإنه سينفع المسلمين، فهذه نية طيبة؛ وعمل صالح أيضاً.

أما إذا كان ينوي بالعلم الشرعي طمع الدنيا فقط فهذا هو الخاسر، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦]،

فالذي يلتمس الدنيا بعمل الآخرة فهو خاسر، أما الذي يريد بعلمه وجه الله، ويريد الدار الآخرة، ويقصد مع ذلك نفع المسلمين؛ فهذه نية صالحة وحسنة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم فعل كثير من الطلاب في الجامعة، بل وبعض المدرسين، من مخالفة أنظمة الجامعة المنصوص عليها كالخروج لما هو أدنى من الضرورة، أو قبل انتهاء المحاضرة تماماً، ونحو ذلك؟

الجواب: طلبة العلم أولى بالوفاء بالعهود والوفاء بالشروط، والنبي ﷺ يقول: «المسلمون على شروطهم»، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [سورة المائدة: الآية ١]، والأنظمة هي من العقود ومن العهود ومن الشروط، وطالب العلم قدوة، فيجب عليه أن يحترم هذه الأمور وأن يتقيد بها؛ لأنها في صالحه وفي صالح إخوانه وفي صالح التعليم، كما أنَّ الأستاذ والطالب أيضاً قدوة، ويمثِّل العمل الإسلامي؛ لأنه طالب علم، وإذا رآه الناس يتساهل في هذه الأمور صار قدوة سيئة.

فلا يليق بطالب العلم إلاَّ الوفاء، ولا يليق بطالب العلم إلاَّ الأدب، والتقيُّد بالأنظمة التي هي في صالحه وفي صالح إخوانه، وإذا بدت له ضرورة فهناك طرق يستطيع من خلالها أن يحقِّق طلبه ورغبته، فيراجع المسؤولين عن الجامعة، وسيحصل على الرخصة بطريق مشروع ونزيه.

أما إنه هو يعطي لنفسه التحلل من النظام وعدم التقيُّد به، فهذا لا يليق بطالب العلم؛ لأنَّ طالب العلم يجب أن يكون مؤدَّباً، وملتزماً، وقدوةً صالحةً، لا يعهد منه كذب ولا احتيال ولا مخالفة تخل بالمروءة.

سؤال: سماحة الشيخ: كثرت المناهج في هذا الزمان فأصبح بعض الإخوة يبدع ويكفر، فما هو ميزان البدعة والكفر الذي نزن عليه هذه الأمور؟

الجواب: المناهج والمذاهب ليست وليدة عصرنا هذا، بل هي قديمة.

والناس مختلفون، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩].

ولكن الله جلَّ وعلا رسم لنا منهجاً نسير عليه ولا نلتفت إلى ما سواه، وهو منهج الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣].

وأنتم تقرؤون فرضاً في كل ركعة من الصلوات المكتوبة والمندوبة، قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة: الآيتان ٦، ٧].

والصِّراط المستقيم: هو صراط الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣].

وهو المنهج الصحيح، فعلينا أن نلزم هذا المنهج، وأن ندعو إليه، وأن نحذر مما خالفه.

وأما قضية التبديع والتكفير فهذه ليست لكل أحد، ولكنها تعود إلى العلماء المتخصصين الذين يطبقون الأحكام على مواضعها، فمن كان يستحق التكفير بأن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يُكفّر، ومن ارتكب أمراً يقتضي الفسق يفسّق، كمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب فإنه فاسق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [سورة الحجرات: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [سورة الحجرات: الآية ٧].

فمن ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يكفر.

ومن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب دون الكفر ودون الشرك يفسق.

ومن عمل عملاً ليس عليه أمر الرسول ﷺ يبدّع.

فهذه ضوابط نمشي عليها، أما أن نجعل التكفير والتفسيق والتبديع بدون ضوابط، بل نتخذه للتشفي والنكاية بالآخرين، فهذا يرجع على من قاله؛ لقوله ﷺ: «من كفَّر أخاه أو قال له: يا عدو الله، أو يا فاسق، وهو ليس كذلك، رجع وبال ذلك عليه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة. وقد تقدم ص ١٢٤.

فالأمر خطير جدّاً، على الإنسان أن يحفظ نفسه منه، وأنتم يا طلبة العلم، عليكم بالاشتغال في طلب العلم، وفي دراسة المناهج والمقررات التي قررت عليكم، ولكم في ذلك شاغل عظيم، ولا تتكلموا في التكفير، ولا في التفسيق، ولا في التبديع، حتى تتعلموا ويكون عندكم تخصص في ذلك، وتصدرون الأحكام في مواطنها، فتطلقون كلمة الكافر على من يستحق الكفر، وتطلقون كلمة الفاسق على من يستحق الفسق، وتطلقون كلمة المبتدع على من يستحق التبديع، أي: حتى تستطيعوا أن تضعوا الأمور في مواضعها، وإلاَّ فإن هذه الألفاظ إذا أصدرتموها من غير ضوابط شرعية فإنها سترجع عليكم أنتم.

سـؤال: سماحة الشيخ: لقد ارتكبت ذنباً عظيماً في ليلة من الليالي وكان ذلك الوقت يقارب الساعة الثانية ليلاً، ثم ندمت على هذا الذنب وحزنت حزناً شديداً، مما جعلني أدعو على نفسي في تلك الليلة بأنه لو عدت إلى نفس الذنب أن يتوفاني الله، وبعد ذلك جلست فترة ثم رجعت إلى هذا الذنب، وكلما فعلته ندمت، فماذا ترون حيال دعائي هذا وهل يصير نذراً؟ أرجو من فضيلتكم توجيهي بما ترون، وجزاكم الله خيراً.

الجواب: قال ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوَّابون»[١].

فعليك بالتوبة الصادقة إلى الله عز وجل كلما أذنبت، وكلما تكرر منك الذنب، ولا تقنط من رحمة الله، تب إلى الله توبة صحيحة، والله

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩) من حديث أنس بن مالك.

يتوب على من تاب، وعليك بالإقلاع عن هذا الذنب والابتعاد عنه، والابتعاد عن أسبابه التي توقعك فيه.

وأما الدعاء على نفسك بالموت، فهذا غير جائز، فلا تدعُ على نفسك بالموت، وإنما تب إلى الله بدون دعاء على نفسك بالموت، وهذا ليس بنذر، وليس هو من ألفاظ النذر، وإنما هو خطأ منك.

وينبغي أن تجتنب الأسباب التي قد تكون أوقعتك في مثل هذا الذنب من مغريات وملهيات، وما أشبه ذلك.

سؤال: سماحة الشيخ: قرأنا في بعض كتب المَجْد والشيخ محمد بن عبد الوهاب عن شرك الطاعة، فما هو شرك الطاعة؟ وهل يمكن أن يقع في زماننا هذا؟ جزاكم الله خيراً.

الجواب: شرك الطاعة وهو طاعة المخلوقين في معصية الخالق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣١].

فشرك الطاعة هو طاعة العلماء والأمراء في معصية الله، كما ترجم بذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد: (باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، فقد اتخذهم أرباباً من دونه الله)، وساق هذه الآية، وساق حديث عدي بن حاتم الطائي لما سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية، وكان نصرانيّاً قبل أن يسلم، فعرف أن الآية تعنيهم فقال: يا رسول الله: إننا لسنا نعبدهم؛

لأنه فهم أن العبادة للأحبار والرهبان إنما هي الركوع والسجود لهم، فقال له النبي ﷺ: «أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قال: بلى، قال: «فتلك عبادتهم»[1].

فطاعة المخلوقين في معصية الخالق عبادة؛ لأن الذي تجب طاعته هو الله جلَّ وعلا ورسوله ﷺ، ولما أمر الله المؤمنين أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وكان المشركون يأكلون الميتات، ويجادلون فيها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢١].

فالذين يطيعونهم في تحليل الميتة، اتخذوهم شركاء لله جلَّ وعلا في التشريع والطاعة.

ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: الآية ٢١].

فالتشريع حق لله جلَّ وعلا، فهو الذي يحلل وهو الذي يحرم، ولا أحد يشارك الله في ذلك، فمن أطاع أحداً في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله؛ فقد أشرك به شرك الطاعة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما هو أثر العقيدة الصحيحة والمنهج السليم في حياة الأمة؟

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١١٤)، والطبراني (١٧/ ٩٢ رقم ٢١٨).

الجواب: لا شك أن أثر العقيدة الصحيحة والمنهج السليم في حياة الأمة عظيم، ويتجلَّى هذا في حياة الصحابة رضي الله عنهم، والقرون المفضلة، والذين اتبعوهم بإحسان، وما كان لهم من العزّ والشرف والعيش السعيد الهانىء في هذه الحياة وفي الآخرة.

ويتمثَّل هذا أيضاً في هذه البلاد ولله الحمد، فإنَّ هذه البلاد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيها كانت كغيرها من البلاد، متفرقة ومتشتتة، كل قرية فيها أمير لا يخضع للأمير الذي بجانبه، بينهم من القتال والتناحر والحروب الشيء الكثير، حتى بلغ الأمر فيها أن أهل القرية الواحدة يتقاتلون فيما بينهم.

ذكر ابن بشر رحمه الله: أن بلداً في نجد كان فيها أربعة أمراء، كل أمير في حي من الأحياء، وسميت هذه القرية بـ (المربعة)؛ لأن فيها أربعة أمراء، فهذه كانت حالة أهل نجد.

وكانوا في الاعتقاد مثل غيرهم: يعبدون القبور والأضرحة والمزارات والأشجار والأحجار، ويحكمون العادات والسلوم ولا يرجعون إلى الشرع، خصوصاً في البوادي بوادي نجد.

فلما منّ الله على هذه البلاد بدعوة التوحيد وقيام دولة على هذه العقيدة المباركة حصل لهذه البلاد من رغد العيش والأمن والاستقرار ما لا يخفاكم ولله الحمد، وهذه البلاد تعيش تحت هذه العقيدة السليمة وتحت شريعة الله سبحانه وتعالى من حدود الشام إلى حدود اليمن،

ومن البحر إلى البحر شرقاً وغرباً، كلهم ولله الحمد في أمان تحت راية وقيادة واحدة.

فبدل من أن كان في القرية الواحدة أربعة أمراء؛ صار يحكم هذه البلاد من أقاصيها إلى أقاصيها حاكم واحد يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالمحاكم الشرعية في كل بلد، بل وفي كل قرية، والجامعات وكليات الشريعة وأصول الدين والمعاهد العلمية التي تنفع الأمة أيضاً منشورة في كل بلد، وهذه نعمة عظيمة من الله عزَّ وجلّ.

فهذا الرغد من العيش وهذا الأمان هل هو بسبب حولنا وقوتنا؟

الجواب: لا، إنما هذا يرجع إلى فضل الله سبحانه وتعالى، ثم العيش تحت هذه العقيدة الصحيحة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

والشرط الذي يتحقَّق به وعد الله في هذه الآية، هو ما ذكره في قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [سورة النور: الآية ٥٥].

فإذا صلحت العقيدة وقام عليها الحكم، وأخذ بها المسلمون جميعاً؛ حصل لهم ما حصل لأسلافهم من الشرف والعز والسيادة.

وإذا أخلوا بهذا صاروا كغيرهم من البشر، والله تعالى أعلم.

سـؤال: سماحة الشيخ: أحسن الله إليك وعفا عنك: ما هي الطريقة المثلى لطلب العلم للمبتدىء المستجد، وما هي الكتب المناسبة لذلك؟ وجزاكم الله خيراً وغفر لكم.

الجواب: طالب العلم على قسمين:

الأول: طالب العلم المنتظم في الكليات والمعاهد العلمية وهذا قد كُفي المؤونة، حيث قررت عليه كتب، واختيرت له مناهج معينة، ما عليه إلَّا أن يضبطها وأن يفهمها ويسير عليها، وألا يتعدى شيئاً منها إلَّا وقد أتقنها في مختلف مراحل الدراسة، من أول سنة في المعهد إلى مرحلة الدراسات العليا.

الثاني: أما طالب العلم في غير السلك النظامي، كالذي يطلب العلم في المساجد، فهذا عليه أن يستشير العلماء الذين يدرس عليهم في المساجد ويختارون له المختصرات، في الفقه، والتوحيد، والنحو، والأصول، والحديث، والتفسير، فالمدرِّس في المسجد يختار لطلابه الكتب المختصرة، يُحَفِّظهم إيَّاها، ويشرحها لهم، ويتدرَّج بهم شيئاً فشيئاً.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: إنا نحبك في الله، ونسأل الله لك ولنا الثبات على دينه، فكما تعلمون ما تواجهه الأمة الإسلامية من فتن ومن تكالب الأعداء عليها، فما هو توجيهكم لطالب العلم أمام هذه الفتن؟

الجواب: أشرت إلى هذا فيما سبق، حيث قلت: إن طلبة العلم والعلماء دورهم في هذه الفتن وهذه الاختلافات هو الإصلاح، وهذا هو وقت

الحاجة إليهم، فهم لم يتعلَّموا هذا العلم من أجل أن يختزنوه، أو من أجل أن ينالوا به وظيفة يعيشون منها فقط، وإنما حملوا هذا العلم للإصلاح في المجتمع، فعليهم أن يقوموا بذلك.

وهو متأكد في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى.

فعليهم أن يعالجوا هذه الخلافات والنزاعات، وتلك الاتِّجاهات التي هي غريبة عن مجتمعنا، وبعيدة عن منهجنا، كما يجب أن يقوموا بالإصلاح، وأن يقوموا بالتوضيح للناس عوامهم وطلبة العلم منهم، وبيان الطريق الصحيح لهم، وأن يحذروهم من هذه المناهج الوافدة التي شَتَّتَتْنَا، وفَرَّقَتْنَا، وأحدثت بيننا النزاعات والأحقاد، وبغضت بعضنا إلى بعض.

علينا أن نتلافى هذا الأمر قبل أن يستفحل ويخرج الأمر من أيدينا، فعليكم وعلى إخوانكم من طلبة العلم في أي مكان، أن يقوموا بهذا الدور العظيم، وأن يبصروا الناس، ويرشدوهم إلى التمسُّك بدين الله عزَّ وجلّ، وأن يحذِّروهم من الدسائس والأفكار والمناهج المخالفة لمنهج الكتاب والسُّنَّة.

أما إذا سكتنا وتركنا هذه الأمور تنتشر بيننا، ووقفنا مكتوفي الأيدي، أو ألقينا بالمسؤولية على غيرنا؛ فحينئذ تعظم المصيبة، ويصعب تدارك الأمر، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

سؤال: سماحة الشيخ: أنا شاب ملتزم إن شاء الله والحمد لله، ولكني أخاف على نفسي كثيراً من الرياء، حتى إنني إذا ذهبت إلى الجمعة

مبكراً أضع اللثام على وجهي حتى لا يراني أحد، أرجو توجيهي للعلاج وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الخوف من الرياء شيء طيِّب، والإنسان يجب أن يخاف على نفسه من الرياء؛ لأن النبي ﷺ خافه على أمته وقال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء»[1].

فكون الإنسان يخاف منه؛ دليل على الإيمان، ولكن إحذر أن يزيد الأمر عليك، ويلبس عليك الشيطان حتى تتلثم إذا ذهبت للجمعة، فلا تفعل ذلك، وأخلص النية لله، وكن قدوة لغيرك، ودع الناس يرونك لأجل أن يقتدوا بك؛ لأنَّك طالب علم، فإذا رأوك تذهب مبكراً إلى المسجد اقتدوا بك.

فهذه الأمور التي ذكرها السائل من التلثم والتخفِّي هي من الشيطان، وقد يبلغ الأمر كما يسأل كثير من الناس لا يقومون إلى صلاة الليل ويقولون: نخاف على أنفسنا من الرياء، بل بلغ الأمر ببعضهم أنه لا يصلِّي مع الجماعة، ويقول: أخاف من الرياء.

فهذا كله من الشيطان، وليس هذا هو الخوف من الرياء.

فالخوف من الرياء يكون بالقلب، فتحذر منه، وتخلص النية لله عز وجل، أما أنك تعمل مثل هذه الظواهر فتنحبس عن المسجد خوفاً من الرياء، وتتلثم إذا ذهبت للمسجد خوفاً من الرياء، وتترك صيام أيام التطوع خوفاً من الرياء، فهذا من الشيطان.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٣١١٩، ٢٧٧٤٢) من حديث محمود بن لبيد.

فعليك باجتنابه، وعليك بفعل الطاعات، والإخلاص لله عز وجل، وهذا يكون في القلب وليس بالمظاهر.

سؤال: سماحة الشيخ حفظه الله ورعاه: ما حكم من جاء له ابن فذبح عنه العقيقة الأولى في اليوم السابع، ثم ذبح الثانية في اليوم الرابع عشر، فيكون بذلك قد فرق ولم يذبح اثنتين في يوم واحد كما ورد في السنة عن المصطفى ﷺ؟

الجواب: لا بأس بذلك، فيذبحهما جميعاً أو يفرِّقهما حسب الحاجة، فقد يكون ليس عنده إلاَّ واحدة في أول الأمر ثم تتيسَّر له الثانية، أو أنه في الوقت الحاضر بحاجة إلى واحدة، وبعد أيام يحتاج الثانية، والرسول ﷺ لم يقل لنا: اذبحوهما جميعاً، وإنما شرع لأمته العقيقة عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة[١]، ولم يأمرنا أن نذبحهما جميعاً أو متفرقات، فالأمر واسع في هذا ولله الحمد.

سؤال: سماحة الشيخ: بعض الخطباء لا يدعون للأئمة بالصلاح والهداية والتوفيق، فهل من منهج السلف الصالح الدعاء لهم؟ أرجو التوضيح، وما رأيكم بما يسمى بفقه الواقع؟

الجواب: العلماء ذكروا أن من علامة أهل السُّنَّة والجماعة: الدعاء لولاة الأمور في خطبة الجمعة وغيرها، خلافاً للخوارج والمعتزلة.

فأهل السُّنَّة والجماعة يجعلون الدعاء لولاة الأمور من أهم أمورهم؛ لأنهم يعلمون أن صلاح ولاة الأمور فيه صلاح للأمة، ونحن

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٤٢)، والترمذي (١٥١٣)، وابن ماجه (٣١٦٣).

ندعو للكافر بالهداية، فكيف لا ندعو لولاة الأمور وهم مسلمون ولله الحمد؟ فالدعاء لولاة الأمور، والدعاء للمسلمين، والدعاء للنفس وللوالدين، أمر مطلوب.

والإمام أحمد وغيره من الأئمة يقول: (لو علمت أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان).

وقصدوا من الدعاء للولاة في خطبة الجمعة مراغمة الخوارج والمعتزلة.

كما أنهم قصدوا بالترضي عن الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) مراغمة الروافض، وهو إظهار لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وإظهار لمخالفة المبتدعة.

أمَّا فقه الواقع: فالله جلَّ وعلا طلب منا التفقُّه في الدين، فقال: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

فالتفقُّه في الدين والتفقُّه في الكتاب والسُّنَّة، هو الفقه الحقيقي.

سؤال: سماحة الشيخ: من أفطر في رمضان عدة أيام، وعندما أراد القضاء بعد ذلك نسي كم عدد الأيام التي أفطرها، فماذا يفعل؟ أفيدونا عن ذلك جزاكم الله خير الجزاء.

الجواب: يقدر الأيام التي أفطرها ويحتاط، فإذا غلب على ظنه أن عليه خمسة أيام يحتاط ويجعلها ستة.

سؤال: سماحة الشيخ: لماذا تفوق الكفار على المسلمين بالنسبة للحضارة والأمور المادية من صناعة وغيرها، هل هو لضعف عقول المسلمين؟ أم لماذا؟

الجواب: **أولاً**: إن الله سبحانه وتعالى يستدرج الكفار، ويمهل لهم، يقول تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ [سورة هود: الآية ١٥]، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [سورة الأنعام: الآية ٤٤].

فما أعطيه الكفار ليس لرضا الله عنهم وإنما هو استدراج لهم.

ثانياً: الكفار جدّوا في أمور دنياهم فأدركوها، أما المسلمون فتكاسلوا وتأخَّروا، فالواجب على المسلمين أن يهتمّوا بهذه الأمور قبل الكفار، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٠٢﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٢].

فالواجب على المسلمين المبادرة إلى أخذ العدة، والانتفاع بما خلقه الله في هذا الكون؛ لأن الله خلقه للمسلمين، قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٩].

لكن لما تكاسل المسلمون وتخاذلوا، والكفار جدوا في هذا الأمر؛ سبقوا في ميدان الصناعة، وكان الواجب العكس.

سؤال: سماحة الشيخ: أثابكم الله وجزاكم الله خيراً على إلقاء هذه المحاضرة وجعلها في موازين حسناتكم، ما هي الصفات والخصال التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم؟

الجواب: أولاً: إخلاص النية لله عز وجل في طلبه للعلم؛ لأنه في عبادة، فطلب العلم من أشرف العبادات، وقد قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[1].

ثانياً: على طالب العلم أن يبدأ بالأسهل فالأسهل، فيبدأ بالعلم من أساساته وأصوله، ولا يبدأه من فروعه وأعلاه، هذا هو واجب طالب العلم إذا كان يريد التحصيل، يبدأ بالمختصرات ثم المتوسطات ثم المطولات، ويعتني بحفظ المتون والأُصول، ويهتم بالشروح والتوضيحات.

وعليه أن يسأل أهل العلم، ولا يستنكف من السؤال، فيسأل من هو أعلم منه، ولو من زملائه، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾ [سورة يوسف: الآية ٧٦]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [سورة النحل: الآية ٤٣].

ثالثاً: على طالب العلم الصبر وعدم الضجر من طلب العلم؛ لأن طلب العلم يحتاج إلى صبر ويحتاج إلى تحمُّل.

يقول الإمام الشَّافعي رحمه الله:

ومن لم يذق ذلّ التعلُّم ساعة   تجرَّع كأس الجهل طول حياته

فلا بدَّ من الصبر، وتحمُّل السهر طول الليل، وحضور الدروس في النهار.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب. وقد تقدم ص ٢٣٨.

رابعاً: على طالب العلم حفظ الوقت؛ لأن وقته مخصص لطلب العلم، فلا يجعل في وقته شيئاً إلاَّ لطلب العلم، لا سيَّما إذا كان مفرّغاً لذلك مثلكم، فاحفظوا أوقاتكم، واحذروا من القواطع والشواغل التي تذهب بها، وابتعدوا عن الكسل وكثرة النوم.

خامساً: عليكم بالعمل بما علمكم الله، العمل بذلك في أنفسكم، والدعوة إليه، وإرشاد الناس إلى طريق الصواب وبيان الخطأ لهم.

سادساً: ومن صفات طالب العلم: التواضع، فطالب العلم لا يتكبر، ولا يعجب بنفسه، ولا يرى أنه أفضل من غيره، ولا يطلب من الناس أن يجعلوا له منزلة لا يستحقّها، فإذا لم يجعلوا له منزلة يغضب عليهم.

فطالب العلم لا يرى لنفسه ميزة على الناس ولا يجد في نفسه عليهم شيئاً، إذا لم يعظموه، ولم يعملوا كذا وكذا في حقّه.

فعليه بالتواضع، فالله جلَّ وعلا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١].

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم أكل الحبوب المنبهة في الامتحانات للضرورة، مع العلم أنها تحسب في عداد الممنوعات، ولكن ليس لها أي تأثير سلبي على العقل، بل على النقيض من ذلك هي تدفع الطالب

على المذاكرة المتواصلة والتركيز المستمر؟

الجواب: أنصح بعدم تناول هذه الحبوب، وعلى الإنسان أنه يحفظ وقته من أوَّل السَّنة ولا يكلِّف نفسه إلاَّ طاقتها، فيجعل وقتاً لراحته، ووقتاً لأكله، وآخر لنومه ولدروسه، وبذلك يكون في آخر السَّنة قد هيَّأ نفسه، وبالتالي لا يحتاج إلى أنه يجهد نفسه في آخر العام.

فبعض الناس يهمل في أول العام، فإذا بقي على الامتحان أيام قليلة حمل على نفسه وكلَّفها فوق طاقتها، والرسول ﷺ يقول: «إنَّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[1].

فإذا رتب الإنسان وقته من أوَّل السَّنة استراح في آخرها، ولا يحتاج إلى حبوب ولا إلى شيء آخر، والحبوب فيها ضرر وإن قالوا لك: ليس فيها شيء، فلا تقربها.

سؤال: سماحة الشيخ: ما هو واجبنا تجاه عقيدتنا وعلمائنا وولاة أمورنا؟

الجواب: واجبكم عظيم تجاه العقيدة، وتجاه مجتمعكم وولاة أموركم وعلمائكم.

أوَّلاً: فالواجب تجاه العقيدة: تعلمها ومعرفة ما يضادها، وما يفسدها، وما يبطلها.

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» من حديث جابر بن عبد الله، كما في «كشف الخفاء» (٧٩٤).

ثانياً: الواجب نحو ولاة أموركم وعلمائكم، ومجتمعكم، هو ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «الدِّين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وقوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»[2].

ومن المناصحة لولي الأمر: أن كل إنسان يقوم بما أسند إليه من أعمال المسلمين، سواء الموظف أو المدرس أو القاضي أو المفتي.

فكل من ولي أمراً من أمور المسلمين، فمن النصيحة لولاة الأمور أن يقوم بواجبه على الوجه المطلوب.

ومن النصيحة لولاة الأمور: الدعاء لهم بالصلاح والهداية والتوفيق.

ومن النصيحة لولاة الأمور: إبلاغهم عن الأمور التي تحتاج إلى تنبيه، عن طريق الكتابة، والمشافهة، والاتِّصال، أو عن طريق الوسايط التي يمكن من خلالها إيصال النصائح لولاة الأُمور.

فالإنسان يحاول حسب استطاعته، ولا يكلّف أكثر من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري. وتقدم ص ١٨٠ من حديث أبي هريرة. وسيأتي ص٤٩٦.

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٥) من حديث أبي هريرة.

وليست النصيحة لولاة الأمور أننا نجلس في المجالس ونتكلم فيهم، فهذا ليس من النصيحة، بل هو من الغيبة، وهذا يفسد أكثر مما يصلح.

لكن تبليغهم بالأخطاء، والتنبيهات، يكون بأي وسيلة متاحة، تؤدَّى النصيحة بها عن طريق سرِّي لا عن طريق مكشوف ومفضوح.

سـؤال: سماحة الشيخ: ما هو ضابط الضرورة لارتكاب الأمر المحرم؟

الجواب: الله جلَّ وعلا يقول: ﴿ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٩].

والضرورة تختلف باختلاف الأحوال، الضرورة في قول كلمة الكفر غير الضرورة في أكل الميتة، غير الضرورة في الطلاق، إذا أكره عليه الإنسان.

فالضرورات تختلف؛ لأنَّ كل شيء بحسبه.

لكن الذي يجمع هذا: هو أن الإنسان إذا أُلجِىء إلى فعل المحظور، ولم يكن هناك طريق غيره؛ فلا مانع مع اعتقاد تحريمه، واعتقاد الابتعاد عنه إذا تمكن الإنسان من ذلك، فالله جلَّ وعلا يقول: ﴿ **لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٨].

يعني: إذا ألجأوه أن يقول كلمة فيها كفر، مع تيقن قلبه بالإيمان، فقالها بلسانه من غير اعتقاد، خوفاً من القتل؛ فلا بأس.

والله جلَّ وعلا يقول: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٠٦].

وانظروا إلى الضرورة في أكل الميتة: إذا جاع الإنسان وخاف على نفسه الموت، وليس عنده طعام، ولا يستطيع الحصول عليه، وليس لديه طعام لغيره يقدمه على أكل الميتة ليبقي على حياته؛ فإنه يأكل من الميتة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٩].

وينقذه من الموت قدر ما يبقي عليه حياته فيأكل، ثم يمسك، ولا يستمرّ في أكل الميتة، وهكذا الضرورات تختلف باختلاف المواقف والأحوال.



محاضرة

سَمَاحَة الشَّيخ : صَالح بن مُحَمَّد اللحيدان

رئيس مجلس القضاء الأعلى

عضو هيئة كبار العلماء

(حَفِظَهُ اللهُ)

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، ونسأله جلَّ وعلا أن يجعلنا من عباده المتَّقين، وأن يجيرنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقنا جميعاً مراقبته سبحانه في السرِّ والعلن، وألاَّ يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، بل نسأله سبحانه أن يلطف بنا وأن يعاملنا بما هو أهله من العفو والتوفيق والتسديد.

وأشكره جلَّ وعلا على ما منّ به من هذا اللقاء في مكان يعتبر مغرساً من مغارس العلم، ومعقلاً من معاقل المعرفة، هو فرع لمؤسسة ذات أثر على هذه البلاد بفضل الله ومنَّته؛ لأنها مؤسسة أسست بحمد الله جل وعلا على حب الخير، وتوفير أسباب المعرفة، والمحافظة على عقيدة التوحيد ونشر معارفها، فرحمة الله جلَّ وعلا على من كانوا السبب في تأسيسها، ونسأله سبحانه أن يوفق القائمين عليها بحسن رعايتها والجد في صيانتها والذود عنها.

إنها بالنسبة لي مناسبة كريمة، أن ألتقي بهؤلاء النخبة الذين أرجو الله جلَّ وعلا أن ينفع بهم البلاد والعباد، وأن يزيدهم من الرغبة في الخير والجد في تحصيل العلم، والحرص على بذله ونشره.

وإذا كان لي من نصيحة أو إبداء رأي فهو أن أحث الجميع على العناية بالعلم النافع، والحرص على تحصيله، والرغبة في إيصاله للآخرين، فإن أعظم المكاسب بعد إسلام المرء، أن يتعلَّم علم الشريعة؛ لحاجة الناس جميعاً إليه، فإنه علم لا يستغني عنه أحد، فالغني محتاج إلى هذا العلم، والفقير محتاج إليه، والمريض محتاج إليه، والراعي والمزارع والمسافر والمرأة في بيتها، فكل إنسان محتاج لعلم الشريعة.

فينبغي لطالب العلم أن يهتم به وأن يحرص على درايته، وأن يبذل شيئاً من وقته لنشره بين الناس؛ طاعة لله ونصحاً له ونصحاً لأمته؛ لأن النصيحة قوام هذا الدين، حيث قال نبي الهدى ﷺ في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

فكل إنسان عليه أن يهتم بهذا الأمر، فينصح لله، ويطيعه، وأن يعلم أن الله جلَّ وعلا مطلع على نواياه يعلم مقاصده، ويعلم ما تبيته نفسه، فهو ــ جلَّ وعلا ــ يعلم السر وأخفى.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري. وتقدم ص ١٨٠ من حديث أبي هريرة.

والعبد كذلك محتاج إلى لطف اللطيف الخبير، فعليه أن يعمل العمل الذي من شأنه أن يمنحه لطف ربه ــ جلَّ وعلا ــ من طاعته والتقرُّب إليه، وعليه إذا همَّ بعمل أن ينظر فيه هل هو طاعة لله أم لا؟

فإن كان طاعة لربه؛ فرح بها، وحرص على تنفيذها وأدائها حتى يكسب الأجر العظيم؛ لأن من هم بالحسنة وعملها فإنها تكتب ــ كما في الحديث الصحيح[1] ــ عشر حسنات إلى مائة إلى سبعمائة حسنة، إلى ما لا يعلمه إلاَّ الله، وإن حيل بينه وبين ما همّ به لم يحرمه الله جلَّ وعلا ثمرة هذه الهمة الكريمة الطيبة، فتكتب له آثار همته حسنة كاملة.

وينبغي لطالب العلم: أن يكون عنده فقه في الدين، ومعرفة بما يقربه من ربه جلَّ وعلا، .

فطالب العلم الله شرَّفه بمعرفة هذا العلم العظيم الكريم ينبغي أن يعرف قدر هذا العلم، وأن يهتم به، فينصح لربه جلَّ وعلا ويخلص له، وإذا هم بعمل تذكر أن الله يعلم ما همّ به، وكما يقول ذاك:

إذا ما خلوت الدهر يوماً
فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس.

فإذا هم الإنسان بعمل فلينظر: لو عمل هذا العمل على مرأى من الناس ومشهد، هل تطيب به نفسه؟

فإذا رأى أنه يستحي أن يفعله فليستح ممن لا يخفى عليه شيء.

ولينصح الإنسان لنفسه بأن لا يوقعها في مواقع الريب والتهم، بل يزجرها عن بعض المواقف التي لا تشين الإنسان، إذا كانت تلك المواقف يمكن أن تدنيه إلى ما يشين، وليأخذ بقول القائل:

أنههـا عـن بعـض مـا لا يشينهـا   مخافة أقوال العداء فيما أعدم

وأصدق من ذلك قول سيد الخلق ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»(١).

فطالب العلم أولى الناس أن يبتعد عن المواقف التي يمكن أن يقول الناس عنه: لِمَ وقف في هذا الموقف؟ ولم سار هذه السيرة؟ ولذلك فإنَّ طالب العلم ينبغي أن يظهر أثر العلم الشرعي على سلوكه وتعامله مع الناس، والرغبة في إيصال الخير إليهم، والبعد عن الاستهزاء بهم أو احتقارهم، أو عدم الاهتمام بمصالحهم إذا كان يستطيع أن يهتم بها أو ينفع فيها؛ لأن هذه من حقوقهم فإن من حق المسلم على المسلم: ألا يخذله، من حقه عليه ألا يسلمه، من حقه عليه ألا يظلمه، ومن ظلمه خذلانه.

فالنصيحة من المرء لنفسه أن يجنبها الوقوف في مواقف الانتقاد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

واللوم؛ إكراماً للعلم الذي يحمله، وضنّاً بها من أن تكون في محل يدعو للريبة، أو يحمل إلى القالة حتى ولو كان يتوقع ألا يتهم.

اقتداءً بسيِّد المهاجرين والأنصار الذي قال للأنصاريِّين لما مرّا به ومعه صفية، فأسرعا، قال لهما: «على رسلكما، إنها صفية».

فلمَّا استنكرا ذلك قال: «خشيت أن يقذف الشيطان في نفسيكما شيئاً فتهلكا»[1].

فطالب العلم: ينبغي أن يبعد نفسه عن مثل هذه الأمور ما أمكن، وأن يحرص على أن يشغل وقته بالتحصيل، فإن التحصيل ليس له وقت محدود، فجميع مدة حياة المرء زمن لتحصيله.

وينبغي للإنسان: ألَّا يثق برأيه، وهذا من نصح المرء لنفسه، يقول القائل:

ابـدأ بنفسـك فانههـا عـن غيّهـا

وعليه أن يتهم رأيه، وأن يعرضه على أهل الرأي والعدل والنصح.

وعليه إذا أراد أن يستشير: أن يستشير أهل الدين والمعرفة، البعيدين عن الحسد، فإن آراء أمثال هؤلاء من الكنوز التي يفوز المرء إذا وفق لتحصيلها والفوز بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث علي بن الحسين.

ومن نصيحة المرء لنفسه أيضاً: ألا يدخلها فيما لا تحسن، قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

ومن نصحه لنفسه: أن يشتغل بعيوبه عن عيوب الآخرين؛ لأن كل إنسان عنده عورات، وهي عورات قد لا تُرى أو ترى في الواقع؛ لأنَّه ما من إنسان يمكن أن يعمل أعمالاً يتعذَّر أن تعلم.

وإذا وفق فلم تعلم، فيعلمها الذي لا تخفى عليه خافية، لذلك ينبغي على الإنسان ينبغي أن يستحي من الله.

ومن نصح المرء لنفسه: أن يهتم بعبادته وأن يكون قدوة فيها، وأن يتجنب مواقف الإعجاب، فإن الإنسان إذا أعجب بنفسه؛ انغلقت عليه كثير من المفاهيم، وسدت في وجهه كثير من أبواب العلم والمعرفة، ومن شأن العاقل: أن يستفيد ممن فوقه وممن دونه؛ لأن الفوائد إذا حصلت للإنسان فهي من المكاسب العظيمة.

وطلاب الجامعات المتخصصة في العلوم العظيمة الهامة: ينبغي أن يُرى عليهم أثر انتسابهم لهذه الجامعات، من الأدب الكريم وعفة اللسان وغض البصر، وعدم الاشتغال بعيوب الناس، ومعالجة الأمراض التي قل أن يخلو منها الإنسان.

وأقصد الأمراض التي لا تعالج بالأدوية والعقاقير، وإنما تعالج بحسن السلوك وصون الجوارح، وأولى الناس بمثل هذه الأمور هم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) من حديث أبي هريرة.

الطلاب المنتسبون للمؤسسات الشرعية العظيمة أمثال هذه الجامعة، ولا سيما إذا كانوا طلاباً يدرسون علوم الشريعة؛ فإن الواجب يكون أعظم والمسؤولية عليهم أشد، فينبغي للطالب أن يهتم بذلك وأن يحرص على شغل وقته ما استطاع بالمذاكرة والمطالعة، وأن يهتم بمطالعة سِيَر العلماء وسِيَر الصحابة رضي الله عنهم وسِيَر التابعين.

فإن متابعة سِيَر الناس تكسب المرء معرفة في الأدب، أدب السلوك في العلم، والمواقف، والاهتمام بالصالح العام، وفي اتهام الرأي.

فهنا عمر رضي الله عنه وقد شهد له النبي ﷺ بما شهد فقال: «إنه كان فيمن كان قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر»[1].

يقول للصحابة: (أيها الناس اتهموا الرأي فلو رأيتنا يوم أبا جندل واستطعت رد أمر رسول الله ﷺ لفعلت) حتى إنه ذهب إلى أبي بكر الصديق يعرض عليه الأمر، ثم يقول بعد ذلك: (فتبين لي أن ما اختاره رسول الله هو الحق)[2].

فقراءة تراجم المتقدمين تحيي النفس، فإن كانت في أمور وقفوها ينظر الإنسان كيف وقفوها، ولا أحد يقول: إن للواقف ما للصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الصحابة اختارهم الله لصحبة رسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) أدخل الشيخ حديثين في حديث واحد الأول حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف. أخرجه البخاري (٣١٨١) والثاني من حديث صلح الحديبية تقدم ص ١١٢.

فكانوا بلا شك خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ولذلك فكل من أراد أن يصل إلى درجتهم وفضلهم فإنه لا يستطيع، بشهادة رسول الله ﷺ حيث قال: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[1].

فينبغي لطالب العلم أن يشغل وقته ــ الزائد عن العلوم المطالب بتحصيلها ــ بالقراءة العامة فيما يتعلق بالعلوم التي يَدْرسها، وما يتعلق بحملة هذه العلوم من السابقين، فينظر كيف كانوا يتحملون المتاعب ومشقة الأسفار، ويتعرَّضون للأخطار، ويعانون آلام الحاجة والذلة والفقر والجوع لتحصيل العلم، ثم ينظر فيما هو فيه: هل يتعرض لشيء من ذلك؟

ونحن في نعم عظيمة ينبغي أن نغتنم هذه النعم فيما يحقق لنا مقاصدنا ومقاصد أمتنا، وإذا كان الناس في الزمن القديم لم تكثر لديهم المشاكل، ولم تتعدد المحن والمتاعب، فإن زمننا هذا صار زمن المتناقضات والشرور والآثام والتعب الكثير، فينبغي لطالب العلم أن يعوِّد نفسه على ملاقاة المشاكل وتوطين النفس على العبد عند حصولها، والتفكر في كيفية الخروج منها.

ولا خروج يُشَرِّف سوى أن يكون على الكتاب والسنَّة وقواعد هذه الشريعة العظيمة وأصولها.

فمن الذي يمكن أن ينظر هذه النظرة؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد.

الجواب: هم المختصون بعلوم الشريعة المحصلون لها المحصنون بها الباذلون الجهد الكبير في تحقيق مسائلها، وأنتم وأمثالكم أولى الناس بحمد الله للقيام بمثل هذه الأمور.

وينبغي لطالب العلم: أن يحرص ألا يدخل على تحصيله العلمي أموراً لا تدعو الحاجة إليها، من الأمور العامة.

وأذكر على سبيل المثال أن شيخنا ــ رحمه الله ــ العلاَّمة، محمد الأمين الشنقيطي كان يقول: إنَّ أهلنا كانوا يضربوننا إذا أدخلنا دراسة علم على علم، نحن متفرِّغون لدراسته، لماذا؟ يقول: لأن من أدخل شيئاً على شيء لم يتهيأ له؛ لم يدرك مراده مما هو متهيِّء له، ولم يحصل ما أدخله.

وكان الشيخ عبد الرازق عفيفي رحمة الله عليه يقول: لأن يتقن الإنسان فهم كتاب واحد من كتب العلم إتقاناً تامّاً، خير له من أن يقرأ الكتب الكثيرة.

يقول: لأنك إذا أتقنت كتاباً في الفقه إتقاناً تامّاً، فقد حملت المفتاح الذي يفتح لك ما استغلق عليك من مسائل الفقه، وكذلك إذا أتقنت فهم كتاب في القواعد والأصول والنحو وغير ذلك.

فينبغي للطالب أن يهتم اهتماماً بالغاً في إتقان ما يدرس ويتعلَّم.

ومعلوم أنَّ زمننا هذا زمن المعوقات وهي معوقات لم تكن كالمعوقات في الزمن القديم، الذي أدركناه نحن، فزمننا لم تكثر فيه

المعوقات، فلا تلفزة، وأكثر الناس لا يملك المذياع، والصحف كانت قليلة، وقلَّ من يقرؤها، والمجالس والمقاهي والاستراحات مفقودة، فكان الناس متوافرين على تحصيل العلم أكثر وإن كانوا لا يقارنون بالسابقين؛ لأن السابقين كانت حياتهم حياة علم في كل أمورهم، حتى وهم في الطريق وفي السفر وعلى الإبل.

إذاً فالزمن المتأخر الذي قبل هذا الزمن كان أقل عوائق من هذا الزمن.

ولذلك فإن طالب العلم محتاج لأن يوطن نفسه على تخطي العقبات، والإعراض عنها، وأن يفطم نفسه عن رغباتها؛ لأن النفس أمارة بالسوء، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وقديماً قال ذاك:

النفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فلا أحد يهمل نفسه ويتركها كما تهوى إلاَّ وجمحت به في طرقات وعرة ومهاوي سحيقة، ثم قد لا يستطيع النزول من المركب الوعر، وقد لا يستطيع الصعود من الهوَّة، والوقاية خير من العلاج.

وينبغي لطالب العلم: أن يهتم بعلومه، وأن يهتم بأدبه مع مدرِّسيه والمسؤولين عن دراسته، وأن يحترمهم ويحسن التخاطب معهم، ويتجنَّب إيراد الأسئلة التي يراد منها التعجيز والإعياء؛ لأن من كانت هذه همته وقع هو وابتلي عن ما يؤذيه في المستقبل.

فينبغي لطالب العلم أن يكون همه تحصيل العلم النافع، وإذا سأل أستاذه في مسألة ولم يجبه، لزلة حدثت في فهم الأستاذ، لأنه قد يتفطَّن القاصر لما لم يتفطن له الكامل؛ والله جلَّ وعلا لم يجعل الناس في هذه الدنيا على الكمال، فليعتبر ذلك شرود ذهن أو عدم اطلاع، وبإمكانه أن يصل إليه فيما بعد.

ثم إذا سأل أستاذه ولم يجبه جواباً شافياً: فينبغي أن يكف عن الحديث عن أستاذه وأنه غلط أو لم يحسن الجواب، وأنه سأل فلاناً فأفتاه بجواب أحسن منه.

فينبغي أن يحترم معلمه؛ فإن للمعلم من الحقوق شيئاً مما للوالد؛ لما لهذه التربية من أثر، وعلى الطالب أن يوطن نفسه على احترام أساتذته وتبجيلهم، وتجنب إيذائهم، والأدب في مساءلتهم، والسمع والطاعة لهم إذا أسكتوه عن السؤال.

فينبغي للطالب إذا قال له أستاذه: دع هذا السؤال، ألا يناقش الأستاذ ويقول: لا أنت ما جئت إلاَّ لتعلمنا، فيتأدَّب معه، فإن الأستاذ سرعان ما يندم إن كان أخطأ.

أما إذا أوقفه طالب وناقشه؛ فإن هذا يؤذي المدرس ويجرىء البقية على مثل ذلك الموقف، والمسلم ينبغي أن يكون على أكمل حالات الأدب وأحسن حالات التعامل، لا سيَّما إذا كان من طلاب علم الشريعة، وينتمي إلى مؤسسات أُسِّست لخدمة علم الشريعة والعناية به.

وأنصح طلاب العلم أن يحرصوا على الاقتصار على المقررات المعدة لدراستهم، وألا يحرص الإنسان على التوسع هنا وهناك، فإن إتقان مقررٍ الإتقان التام كما أشرت سابقاً يفتح لطالب العلم آفاقاً متعددة من آفاق المعرفة، كما أن الخيِّرين يهتمُّون بأداء ما هو واجب؛ لأن هذه العلوم المعدة واجبة.

وأنصح الطلاب ألا يعتمدوا على مجرد المحاضرات ــ وإن كانت هذه الأمور قد لا تكون من متكلم مثلي ــ، بل يهتموا بتحصيل العلم، ومراجعة الكتب المؤلفة؛ حتى يحسنوا مراجعتها في المستقبل، وحتى يستطيعوا أن يصلوا إلى غوامض المسائل من بطون الكتب، فقديماً قال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلَّا من يكابده ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا الصبابة إلَّا من يعانيها

فإذا تعوَّد الطالب على مراجعة الكتب المؤلَّفة في هذا الفن لما أشكل عليه من المسائل شيء، ولم يكتف بسؤال المدرس أو الأستاذ وتلقي الجواب منه، بل يستغني عن ذلك بالمراجعة.

والمسائل التي يعتني طالب العلم بمراجعتها والبحث عنها في مظانها تستقر في الذهن عادة ويطول أمد بقائها، وعند أدنى احتياج لمثلها ــ حتى ولو كان غير مستذكر لها في الأصل ــ، وإذا بها تخرج من الذاكرة من جديد وينفتح لها الجواب.

فينبغي لطالب العلم أن يعتني بذلك التحصيل وأن يهتم به.

ولا شكّ أن الدراسة المعاصرة فقدت شيئاً كثيراً مما كانت عليه الـدراسة فـي السابق؛ لأنَّ الدراسة المعاصرة صار الكثير من الناس يعتمد فيها على محاضرات الأستاذ، ولا شك أنها بحمد الله نافعة ومجدية.

ولكن إذا عوَّد الإنسان نفسه على مراجعة الكتب والنظر في تقعيد أهل العلم لها وأساليبهم، فهي أرقى لغة مما يكتب أو يؤلف، لا سيَّما والغالب على التأليفات الجديدة التبسط في الكلام، والإطالة مع عدم لمِّ المسائل، كما يفعل المتقدِّمون، وهذه أمور فنية المعنيون بها أعرف مني وأدرى بها، لكن ذكرتها لمجرد التذاكر والنصح لإخواني الطلاَّب.

ومن الأمور المهمة لطالب العلم أن يتَّخذ من ليله وقتاً ولو قليلاً من الليل يصلِّي فيه ويتهجَّد فيعتني به ويتعوَّد عليه ويسأل ربه أن يمنحه الفقه في دينه، وأن يعيذه من الفتن، وأن يقيه شر الأشرار.

وكثير من الناس يحرص على أن يجعل صلاة وتره بعد صلاة العشاء وهذا جائز، ولكن الأَفضل والأَولى أن ينهض لأدائها لا أقول فقط من النوم، ولكن حتى من مجلسه، وإذا علم أنه لا ينام إلاَّ بعد مضي الثلث الأول من الليل أو النصف، أخَّر هذه الطاعة والقربة إلى قبل وقت نومه حتى يكون نومه بعد أداء عمل وعبادة تصله بربه جلَّ وعلا، ويدعوه فيها.

وإذا كانت في النصف الأخير من الليل فإنه يجمع بين الاستجابة وأداء هذه العبادة، كما في حديث عمر بن عبسة وقد سأل النبـي عليه

الصلاة والسلام: أي الليل أسمع؟ قال: «شطر الليل الآخر»[1] أي: نصفه الأخير.

فإذا عود المرء نفسه على ذلك وكرَّره أَلِفَه وصار خلقاً له وعادة، فرب دعوة في تلك اللحظات التي يناجي بها ربه يكتب له بها الله جلَّ وعلا التوفيق، ويعصمه من الخلل والزلل، وما أحوجنا إلى الأخذ بالأسباب المعينة والمنجية بإذنه سبحانه وتعالى.

وطالب العلم أولى الناس بمعاناة ذلك، لا سيَّما وهذا العمل الكريم دأب الصالحين قبلنا كما جاء في الأخبار الصحيحة.

وينبغي لطالب العلم أن يَدْعو في عبادته للمسلمين بأن تصلح أمورهم، وتسلم عقائدهم، وتدفع عنهم الشرور والآثام، وإذا دعى لأعيانهم ممن لهم فضل عليه أو يظن بهم خيراً ينفع به الله العباد كان ذلك حُسناً؛ ومن أولى من يدعو له من ولّاه الله جلَّ وعلا أمراً من أمور المسلمين، أو ولاه الله أمرهم، فيحرص المرء على الدعاء لهم؛ لأن صلاحهم خير عظيم للبلاد والعباد، فيدعو لهم بالتوفيق والسداد والهداية ومراقبة الله جلَّ وعلا في السر والعلن.

وينبغي ألَّا يحقر المرء نفسه فيقول: أنا مقصر، فربما لا يستجاب دعائي، بل يحرص على الدعاء في كل الأحوال.

والدعاء لولاة الأمر، لا يقتصر على الدعاء لهم لذواتهم،

(١) أخرجه أبو داود (١٢٧٧) من حديث عمرو بن عبسة.

بـل يـدعـو لـهـم بـالصـلاح والاستقامة ونصرة الحق وأهله، وإذلال الباطل وأهـلـه، وحـماية هذه البلاد وحفظ عقيدتها وأخلاقها من كل شر.

وكان الإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهم يقولون: لو نعلم أنَّ لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان؛ لأنَّ الوالي إذا صلح واستقام بمنزلة القلب من الجسد.

فالقلب إذا صلح واستقام صلحت الجوارح كما في الحديث الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

وذِكْر النبي ﷺ للقلب مع ذكره للحمى وأن لكل ملك حمى، يشعر بأن هناك ترابطاً بين الملك أو الوالي والخلق؛ لأن هذا القلب إذا صلح صلاحاً حقاً وامتلأ بالإيمان؛ فاض على سائر أجزاء الجسد بآثار ذلك، فالبصر يُغَضّ، والسمع يَصِمُّ عن المحرمات، واليد لا تمتد إلى ما حرم الله، واللسان يَنْكَفُّ عن كل ما لا يحبه الله.

وأما إذا كان هذا القلب مريضاً: فإنه يفيض على هذه الأجزاء بآثار مرضه، والإنسان محتاج لأن يأخذ بالأسباب المعالجة لهذا الجهاز، ولا شيء أنفع لذلك من التقرُّب إلى الله جلَّ وعلا بصالح الأعمال، والحرص على الابتعاد عن سيئها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير.

وكذلك إذا خرج الطالب من معاقل التعليم والتحصيل والتحصين، فإنه ينبغي أن يكون أثر تحصيله ظاهر عليه بأدبه مع الناس، وحسن نصحه لهم، وإرشاد من يحتاج إلى إرشاد، وكف الأذى عنهم؛ لأن كف المرء أذاه عن الآخرين من الصدقات التي يتصدق بها على نفسه، كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن سيد البشر ﷺ حيث قال: «إنَّ لكل تسبيحة صدقة...» الحديث[1].

فإذا عجز الإنسان أن يتصدق على الآخرين تصدق على نفسه، وأولى الناس بذلك طلبة العلم؛ لأن طالب العلم عليه من المسؤولية ما على من لا يعلم، لكنه أيضاً إذا نفع غيره فإنَّ له من الأجر والمثوبة على قدر ما أثر علمه بالآخرين.

ولذلك فإنَّ العلم الذي ينتفع به من الأعمال التي لا تنقطع لصاحب العلم، كما جاء في الحديث الصحيح «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث» وذكر منها ﷺ العلم الذي ينتفع به[2].

وينبغي لك يا طالب العلم: أن تفكِّر بأنك أحد هؤلاء الذين لا ينقطع عملهم بعد موتهم، أنَّ الثواب سيستمر لك، تغير أمراً أو تدل على خير، فَيُقْتَدَى بك، ثم يُقْتَدَي بمن اقتدى بك، فيستمر هذا الأجر والثواب والنفع ما دام أثر ما أرشدت إليه سارياً، وهذا من نعم الله على العباد.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبـي ذر.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبـي هريرة.

ولا أحسب أن أطيل عليكم في الكلام المردد الذي يقول فيه المعري:

مـــا أرانـــا نقـــول إلاَّ معـــاراً ... أو معـــاداً مـــن قـــولنـــا مـــأثـــور

وإنما أكرِّر النصح لكم في العناية بمصالحكم، وأعظم المصالح المحافظة على هذا الدين، وإحسان السلوك، والحرص على نفع العباد، والجد والاجتهاد في تحصيل العلم وبذله، وأن يُعرف أثرُ ذلك على حامله في كل أموره، في بيته ومع أهله وذوي قرابته، وفي رحلاته وفي كل مكان من أماكن وجوده في هذه الحياة، فيحرص على أن يظهر أثر ذلك عليه، ويجعل ذلك ابتغاء مرضاة ربه جلَّ وعلا، ورجاء أن ينفعه الله سبحانه وتعالى به في مواقف الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

كما أنصح الجميع بالنظر إلى ما يقع الناس فيه في هذا الزمن وأزمنة مضت، وأن يفكر المرء في أي عمل يريد أن يقدم عليه: هل سبقه أحد إلى هذا العمل؟ وهل هناك من سلك مثل هذا المسلك؟ لأن زمننا هذا زمن أفكار متضاربة، ودعايات متعددة، وزعامات متباينة، والنجاة من الوقوع في المهالك إنما هي بالاعتصام بكتاب الله جلَّ وعلا وسنة نبيه محمد ﷺ، ثم ما كان عليه سلف هذه الأمة.

وأخيراً أوصيكم بالعناية بهذه الجامعة والاهتمام بأمرها عندما تتعدد أماكن أعمالكم، وتتنوع مسؤولياتكم، وأن تذكروا أن لهذه الجامعة فضلاً عليكم، فيحرص من قدر على نفعها أن ينفعها، ومن لم يستطع ذلك فليدع لها باستمرار النجاح والتوفيق، وأن يسدد الله كل من

ولاه عملاً من أعمالها؛ لأن هذا جزء من واجبكم نحو هذه المؤسسة التي لا نزال نتفيّأ ظل دوحتها، ونسأل الله أن يمد في ذلك إنه سبحانه مجيب الدعاء.

أسأل الله جلَّ وعلا بأسمائه وصفاته أن يرزقنا إخلاص العمل لوجهه الكريم، وأن ينفعنا جميعاً بما عملنا، وأن يورثنا من العلم النافع ما لم نعلم، وأن يهيِّـىء لنا من أمرنا رشداً، وأن يحفظ على بلادنا أمنها وأن يصونها من عاديات الفتن، وأن يعزّ ولاة أمرها بطاعته، وأن ينصرهم بالحق وينصر الحق بهم، وأن يرزقهم خوفه في السر والعلن، ومراقبته في السر والعلن، ومراقبته في كل أمورهم، وأن يحفظ حدود بلادنا وسائر ربوعها من كل شر، وأن يرينا في القريب العاجل أمة الإسلام قد فاقت من كبوتها، وانتبهت من غفلتها، وحكّمت كتاب ربها وسنة نبيه، إنه جلَّ وعلا مجيب الدعاء.

وصلَّى الله وسلَّم على المصطفى وعلى أهله وصحابته ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين...». انتهى كلام الشيخ حفظه الله تعالى.

الأسئلة وإجابة سماحة شيخنا عليها

سـؤال: سماحة الشيخ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نيابة عني وعن إخواني في قسم أصول الدين أقول: حياك الله وبياك في صرح من صروح العلم، وأسأل الله رب العرش الكريم أن يبارك خطواتكم ويجعل

هذه النصائح في موازين حسناتكم يوم أن تلقاه، سؤالي يا سماحة الشيخ هو: كيف تكون النصيحة؟

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم إنَّ النصيحة تكون باللسان، وتكون بالقلم، وفي كل ما يمكن فيه النصح.

فالنصيحة لله: هي طاعته جلَّ وعلا في كل الأمور.

والنصيحة لكتابه: تلاوته والعمل به وتعظيم شأنه، والتقرُّب إلى الله جلَّ وعلا بذلك، وتحكيمه في جميع الأحوال وفي صغير الأمور وكبيرها، والنصح لرسوله ﷺ: اتِّباعه، ونشر دعوته، والدِّفاع عن سنَّته، ودعوة الخلق إلى التمسُّك بها.

والنصيحة لمن ولاَّه الله الأمر: أن تبلغه بالنصيحة إذا قدرت أو تبلغها لمن يبلغها إيَّاه، وإذا لم تستطع ذلك أن تدعو له بالصلاح والهداية والاستقامة.

والنصيحة لعامَّة المسلمين: أن ترشد جاهلهم، وتحبّ لهم الخير، وأن تعلم من تستطيع تعليمه، وأن تفرح لما يصيبهم من نِعم، وتتألَّم لما يصيبهم من نقم، وأن تتقرب إلى الله جلَّ وعلا بذلك كله.

سؤال: تعلمون يا سماحة الشيخ أنه قد حدث خسوف للقمر قبل أيام في وقت نهي، فما الحكم في هذه المسألة؟ وهل تصلى صلاة الخسوف أم لا؟

الجواب: أنت ولله الحمد في معقل كريم وعريق من معاقل العلم وبإمكانك أن تسأل أي أستاذ من أساتذة الفقه أو الحديث في هذه المؤسسة، وبإمكانك أيضاً أن ترجع ـ وأنت فيما يبدو على مشارف الخروج من بوَّابة هذه الجامعة إلى الحياة العملية ـ إلى كلام أهل العلم.

والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم: هل تصلى صلاة الخسوف في أوقات النهي؟ لا شكّ أن الدليل مع من يرى الصلاة في وقت النهي لأن النبي ﷺ يقول: «إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»[1] والفاء كما هو معروف تدل على الترتيب والتعقيب.

ولهذا الخلاف لا حرج إن شاء الله على من اجتهد ورأى أن لا يصلى في هذا الوقت؛ لأنه وقت نهي، ولا حرج على من صلَّى.

والشأن في المسائل الخلافية التي لكل قول فيها مستنده ألا يعيب هذا على ذاك، فإن وَجَد عنده قدرة على إقناعه، وكان قصده نصرة الحق وبيانه؛ فليفعل.

سؤال: سماحة الشيخ: يُشكل على بعض الطلاب الاستمرار بالدراسة في الجامعة؛ لأنه يقول: إنني أطلب العلم من أجل تحصيل الشهادة فيبقى في شكوك وتردد، أفيدونا جزاكم الله خيراً في هذا الأمر وخاصة وأننا قد أشرفنا على التخرج؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٦، ١٠٤٧)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة.

الجواب: هذا الذي ذكرت هو من الشيطان، لأنَّ الشيطان لا يفتؤ يثبط ابن آدم وخصوصاً أهل الخير، وزمننا هذا زمن شهادات، ومن لا شهادة له قد يتعذَّر عليه العمل، وأولى الناس بتحصيل الشهادات العالية والحرص عليها والعناية بها من يظن بهم الخير؛ لأنَّ الشهادة أصبحت وسيلة تَسَلُّم المراكز والقيام بالأعمال، وأخذ زمام المسؤوليات، فإذا تخلى عن الأخذ بأسبابها الطيبون أخذها غيرهم.

فينبغي لطالب العلم أن يهتم بتحصيل أعلى الشهادات، والشيطان يدخل على ابن آدم من مداخل عديدة.

فمن وجد عنده إعجاباً بالعمل حثه على العمل، وأبرز له عمله ليهتم به حتى يبطل عمله.

ومن رأى منهم خوفاً من الرياء حمله على ترك العمل؛ لئلا يقال: إنه يرائي.

ومن قال: إنَّ العلم ينبغي أن يكون لله، قال: أنت إذا أخذت الشهادات إنما أخذت العلم للشهادة، فينبغي للإنسان أن يتغلب على الشيطان في هذه الأمور كلها، وأن يأخذ لكل وقت ما يناسبه من السِّلاح.

سـؤال: سماحة الشيخ: حبذا لو أعطيتنا نبذة عن علاقة جهاز التحقيق والادعاء العام بجهاز القضاء؟ خاصة وأننا طلاب الشريعة حاجتنا تدعو لمعرفة ذلك؟

الجواب: المدعي والمحقق أعمالهما أعمال تعد من الوسائل، فإذا هَدَفَ المدعي والمحقق إلى الوصول إلى الحق وإذلال الباطل وقمعه؛ فهذه من الأعمال الصالحة، والشأن في التحقيق والادعاء أنهما مما يعين القاضي على الوصول إلى الحق الذي يريده.

والمهم أن المدعي لا يجوز له أن يدعي بما يعتقد بطلانه، كما لا يجوز للقاضي أن يحكم بما يعتقد بطلانه، وكل إنسان لا يجوز له أن ينصر أمراً يراه باطلاً، ولا أن يقعد عن أمر يراه واجباً عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والإنسان إذا دخل في هذه الأعمال، أي: الادِّعاء والتحقيق ينبغي أن تصحبه نية صالحة، وهي نصرة الحق، وإبراز أسباب نصرته، وفضح الباطل، وأسباب إذلاله، وبذلك يكون عمله كله عملاً مباركاً، فهناك ارتباط قوي بين التحقيق والادعاء العام وبين أعمال القاضي.

سؤال: سماحة الشيخ: نرجو منكم إعطاءنا نبذة وجيزة عن حياة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله؟

الجواب: الوقت يضيق عن ذكر ما يتعلق بحياة الشيخ رحمه الله ولو كان وجيزاً، ولا شكَّ أنه إمام، وجاء الله جلَّ وعلا به في وقت كان الناس في أمسّ الحاجة إلى مثله.

أما تحصيله العلمي، فلا شك أن عَارِفيه يقولون: إنه أبرز من أتى بعد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، من هذه الشجرة، وأما في مواقفه وحزمه ولينه إذا كان اللين حكمة؛ فيعرفه كل

مخالطيه، ولا شك أنه لم يترك مثله على الإطلاق.

توفي رحمه الله ولم يترك أحداً من طلابه يماثله، وقد يكون فيهم من يدنو منه في بعض الجوانب، ولكن لا أعلم أحداً جمع الله له ما جَمَع للشيخ رحمه الله.

فقد كان رزيناً، بعيد النظر، حكيماً، واسع المعرفة، قوي الذاكرة، مهيب الشخصية، محترم المجلس، لا تسمع في مجلسه مُتحدِّث يتحدَّث في أمور عامة أو خاصة، ولا تسمع في مجلسه غيبة ولا نميمة.

بل إنَّ كبار الشخصيات من أمراء وغيرهم إذا حضروا مجلسه حضروا بأدب عالي وسمت كريم، احتراماً لمجلسه رحمه الله، وربما سُئِل السؤال فلم يجبه لا عن جهل، لكن ربما يرى أن السؤال غير لائق. ويصدق فيه رحمه الله ما قيل في الإمام مالك:

يدع الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

وكان رحمه الله شجاعاً في المواقف التي يرى أن الشجاعة هي الحكمة.

وكان لا يصادم في المواقف التي إذا حصل فيها مصادمة رجعت الأمور عكسية ضارة، كان لا يخاف في الحق لومة لائم.

قد دامت الخلطة بيني وبينه سنين، من حين عملت معه في الإفتاء في وظيفة أمين، إلى أن توفاه الله جلَّ وعلا فرحمه الله.

أما في علمه فيعرفه طلابه الذين درسوا عليه، حيث كان واسع المعرفة في الفقه والحديث والأصول واللغة العربية، ويعرف أيام الناس وأحوالهم، ويعرف وجوه القبائل، وأعيان البلدان؛ لأنه كان مقصداً لمن يفد إلى مدينة الرياض، أو لمن يفد إلى مكة وهو فيها. وأقول ثانية: إنه لم يترك أحداً مثله رحمه الله، وفي مرة من المرات سألت الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله وقلت له: من أذكى من لقيت؟ فسكت قليلاً ثم قال: أذكى من لقيت محمد بن إبراهيم رحمه الله.

لا شك أني بحكم ما ذكرت لكم عن الشيخ رحمه الله أعرف الشيء الكثير عنه، لكني أعلم أن من سبقني في صحبته والتلقي عنه سمع شيئاً لم أسمعه، ومع ذلك فقد كان سداً منيعاً في وقته لكثير من الأمور التي حدثت بعده، فرحمه الله رحمة واسعة.

سؤال: سماحة الشيخ: ما هو موقف طلاب العلم من المناهج والدعاوى الباطلة التي يعج بها العالم الإسلامي؟

الجواب: عندنا كتاب الله جلَّ وعلا، وسنة نبيه محمد ﷺ، وسيرة سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، وعلينا أن ننظر في هذه المناهج: هل دعى إليها أولئك الأسلاف؟ وهل رفعوا راياتها ونصبوا أعلامها؟ أم أنهم تجنبوها وتنكبوها؟

فإن كانوا قد أعرضوا عنها فأَوْلى بنا أن نعرض عنها.

ومنهجهم رحمة الله عليهم منهج واضح ومسطر، وكما أشرنا في معرض كلامنا السابق أنه ينبغي لطالب العلم أن يقرأ سير المتقدِّمين.

ثم إن الخلاف شر إذا كان فيما يتعلق بحياة الناس، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الخليفة الراشد ــ وقد أمرنا بالاقتداء بالخلفاء الراشدين ــ لما صلى بمنى إتماماً بغير قصر استنكر الصحابة ذلك، وقال الصحابي الحبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان) فلما حان وقت الصلاة وأقيمت صلى وراءه أربعاً[1].

فقيل: يرحمك الله يا أبا عبد الرحمن قلت ما قلت ثم تصلي أربعاً؟ قال: (الخلاف شر).

فينبغي للإنسان أن يتجنب جميع أنواع التحزبات والتجمعات. ونحن في هذه البلاد في خير ونعمة، وكان الخير فيها أكثر لما كانت لا تتخللها دعايات، ولا تخوض في ربوعها تيارات، ولم يتسرب إليها شيء من الأفكار التي تعج بها كثير من المجتمعات الإسلامية في البلاد الإسلامية، حيث كانت عقيدة التوحيد صافية، وكان المنهج الذي نسير عليه منهجاً جليّاً تحكمه الشريعة بقواعدها وأصولها، ثم دخلنا ما دخل غيرنا ودبّ إلينا ما دب إلى غيرنا من الداء، ونشأت أفكار وآراء لم تكن معروفة ولا مألوفة.

ويكون ضرر الأفكار أخطر وأعظم إذا لبست لباس التقى وظهرت بمظهر حب الخير والنفع؛ لأن الناس بحمد الله جبلوا على حب الخير.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٨٤، ١٦٥٧)، ومسلم (٦٩٥).

ولذلك إذا نظرنا إلى دعاة البدع في الزمن القديم وجدنا أن كل داعية من دعاتها لا يقوم برفع رايات دعوته إلاَّ في ظل الظهور في مظهر الدين والتنسُّك.

فزعيم القرامطة أو الباطنية لما فرّ إلى جهة المغرب ظهر بالصلاح والتقى والزهد في الدنيا، والرغبة في تعليم الناس، وكثرة العبادة، حتى إذا تمكن من مراده كشَّر عن أنيابه، وأسس تلك الدولة الفاجرة الباطنية، وكذلك المعتزلة، وجميع البدع إنما تبدأ في بداية أمرها على أنها محبة للخير.

فينبغي لنا أن نحذر كل الدعايات التي تفد إلينا؛ لأنَّ بلادنا بلاد منبت الدعوة الصافية فأي نابتة تأتي إليها وهي غريبة عنا، فينبغي أن نحذرها وأن نحرص على أن نعرف بواعثها وحاملها، والمسلمون يد واحدة يجب ألا تنتشر بينهم الدعايات، وهذه الطوائف المتعددة إن كان دليلها الكتاب والسنة فتفرقها يدل على الشر، وإن كان دليلها غير الكتاب والسنة فيجب أن نحذرها.

سؤال: سماحة الشيخ: إني أحبكم في الله وأدعو لكم بظهر الغيب بالتوفيق والرفعة والثواب، ما قولكم فيمن يتكلم في أعراض الناس وخاصة العلماء والولاة حتى إن ذلك صار ديدنه وعادته، ويبذل فيه كل جهده؟

الجواب: أسأل الله جلَّ وعلا أن يجعلنا في هذا المكان من المتحابين فيه وأن يجعل ذلك ابتغاء مرضاته.

وإذ رأيت مريضاً فاحمد ربك على العافية، فإن من يقع في أعراض الناس لو فتش هو عن نفسه لوجد خللاً كبيراً، وأغلاطاً فاحشة، وأموراً منكرة، ولكن ستر الله جلَّ وعلا حماه أن ينفضح، وربما أيضاً أضل به هذا الستر فلم يكتشفه هو.

فينبغي للعاقل أن تشغله عيوبه عن عيوب الآخرين.

فإذا كان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، وإذا كانت الاستطالة في عرضه من أعظم المنكرات، ولذلك لما سئل النبي عن الغيبة قال ﷺ: «ذكرك أخاك بما يكره» قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه فقد اغتبته»[1].

وهذا الذي يعيب بعض أهل العلم أو الولاة أو يتحدَّث فيهم ويذمهم، إن كان يقصد بذلك التقرب إلى الله فلينظر في سير المتقدمين: هل كانوا يتقربون إلى الله بالغيبة والنميمة؟

وإن كان يقصد التقرب إلى الله، فهل كان السلف يتقرَّبون إلى الله بذكر عيوب الولاة؟

فليقرأ سيرة الإمام أحمد رحمة الله عليه وقد سجن بأمر المأمون وجلد بين يدي المعتصم حتى فقد الإحساس بمن حوله، هل كان يتحدث ويلتمس عيوبهم، ويعدد أخطاء المأمون والمعتصم ومن جاء بعدهم؟ وهل بعدما نصر المتوكل دعوة الحق، وأمات البدعة، وأقام

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة.

السُّنَّة، وجد في مجالس الإمام أحمد مجلس واحد يذكر المعتصم، ومن سبقه من المأمون وغيره بالشر أو يذمهم؟

فينبغي لطالب العلم أن يحسن الاقتداء، وإذا رأى أناساً يتصيدون عيوب الولاة، أو يختلقونها فلينفر من ذلك العمل، وليسأل الله جلَّ وعلا أن يهدي هذا الضال؛ لأن هذا ضلال، فالغيبة ضلال حتى ولو كانت من أحسن الناس وأتقاهم، لأنه لو كان تقيّاً حقّاً؛ لحماه تقاه من أن يغتاب الآخرين.

فيجب علينا أن نحذر من ذلك، وإذا رأينا المغتابين ننصحهم، فإذا أصرّوا على وقيعتهم فعلينا أن نفارق مجالسهم.

سؤال: سماحة الشيخ: نرسل لك السلام من أهل تبوك ونقول لك: إنهم يحبونك في الله، ثم نطلب من فضيلتكم أن تزورونا هناك لإلقاء بعض الدروس المفيدة والمحاضرات القيمة، ونطلب منكم أن تقولوا لمن ترون من المشايخ أن يزورونا؟

الجواب: عليك وعلى الحاضرين وعلى الغائبين ممن ذكرت السلام، وأود كثيراً أن أذهب إلى أماكن متعددة لألتقي بالمحبين، ولكن كما يقول صخر:

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فلا تتيسَّر الأسباب بكل سهولة للتنقُّل، وأرجو الله وأسأله أن يهيِّيء الأسباب والفرص المناسبة لِأَصِلَ إلى أماكن متعددة، وأما

إرشاد من يمكن أن أنصحه بالذهاب إلى هناك، فسوف أفعل إن تيسر ذلك إن شاء الله.

سؤال: سماحة الشيخ: نرى من بعض الشباب من كلية الشريعة عند قرب التخرج التغير في بعض مناظره، وذلك هروباً من اختيارهم للقضاء. فما نصيحتكم لهؤلاء؟

الجواب: الواجب على المسؤولين عن الكلية من عمداء وأساتذة أن يعرفوا ذلك.

وفي هذه المناسبة أذكر قصة أحد الزملاء الذين اختيروا للقضاء في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، فجاءه يتهرَّب، فلم يعفه، وفي آخر الأمر أمسك بيد الشيخ ابن إبراهيم ووضعها على لحيته وقال: أنا يا شيخ كما ترى أحلق لحيتي، فلا أصلح للقضاء.

فقال له: هذه معصية تستغفر الله وتتوب منها، وأما القضاء فلا بدَّ لك منه.

فنحن وإن غيروا شيئاً من ذلك، إذا شهد لهم أساتذتهم والمسؤولين عنهم بالصلاحية للقضاء؛ لا نطلقهم ولو تظاهروا بهذه المظاهر، ولكن ننصحهم أن تكون بواطنهم كظواهرهم.

سؤال: سماحة الشيخ: ما رأيك في رجل يؤخر الصلاة ويصليها في البيت، وينقرها نقراً وهو يكذب، ولكن هو يحب أهل الخير ويساعد الناس ويبكي خشوعاً لله لعل الله أن يهديه ويتوب إليه ويرجع عما هو عليه، وهو يريد الهداية ولكن عجز وحاول وعجز؟

الجواب: ينبغي أن يثابر على التوجه إلى الله بالدعاء، ثم يعالج نفسه بإلزامها بأداء هذه العبادة، فإن الصلاة عمود الدين، والمحافظة عليها من أسباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة، وهي أول ما ينظر من الأعمال يوم القيامة، فمن وجد عنده صلاة نظر في بقية عمله، ومن لم يوجد له شيء لم ينظر في بقية عمله.

وينبغي أن يتذكر العرض على الله عندما يُعْرِض عن الصلاة، وما أعد له من الكرامة، وما أعد للمفرطين المضيعين من العذاب وسوء الحساب، قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [سورة الماعون: الآيتان ٤، ٥].

لما قيل لعائشة: (أهم الكفار؟ قالت: لا هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها).

فينبغي للإنسان أن يحذر من ذلك، وأن يطلب الوقاية لنفسه منه.

ثم إنَّ العاقل يجب أن يعالج نفسه بالأدوية التي تكون سبباً في علاجه، فإذا كان إذا صلاها وحده صلاها دون أن يقيم ركوعها وسجودها فهي لا تنفع، وحديث صلاة المسيء[1] دليل على عدم نفع الصلاة وأنها لا تقبل إذا لم يصلها الإنسان كما شرعها الله، وليحرص على أن يصلِّي مع جماعة المسلمين في المساجد حتى يكون تابعاً لهذه الجماعة مؤتمّاً بإمامها، فإن حكمة التشريع حكمة تعجز أن تصل إلى كنهها الأفهام، وهذا التعويد والترويض على أداء العبادة بهذه الكيفية

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

خلف إمام المصلين، ترويض وتدريب للنفس على أن تألف أداء هذه العبادة بنفس الكيفية السليمة، فإذا استمر زمناً طويلاً محافظاً على الصلاة في المسجد في كافة الفرائض؛ فإنه يجد نفسه قد تأدَّبت بهذا الأدب، وسارت هذه السِّيرة، ثم لا يغفل دائماً أن يسأل ربه جلَّ وعلا أن يلطف به.

سؤال: سماحة الشيخ: نرى كثيراً من طلاب الجامعة وخاصة من كليتي الشريعة وأصول الدين، إذا عينوا في قرى بعيدة أو قريبة فإنهم في الغالب لا يسكنون في هذه القرى التي في الغالب يحتاج أهلها إلى تعليم وتذكير، فيقوم هؤلاء المدرسون بعد نهاية الدوام بالرجوع إلى أهليهم، فنود نصيحتكم لمن يستطيع أن يسكن في تلك القرية ويدعو إلى الله أن يسكن ويدعو إلى الله؟

الجواب: لا شك أن هذا العلم له شأن عظيم وحامله محتاج بأن يظهر عليه أثر هذا العلم؛ اقتداء بسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، ثم اقتداء بصحابته وسلف هذه الأمة، الذين يبذل المرءُ منهم العمل الكثير ليعلم الناس الخير.

فإذا كان معلم الناس الخير في أعلى المنازل ــ لأن من دل على خير فله مثل أجر فاعله من غير أن ينقص من أجر الفاعل شيء ــ .

فإنه ينبغي لطالب العلم أن يحتسب في ذلك، والناس محتاجون لأمور كثيرة، محتاجون لأن يتعلموا الوضوء، أن يعرفوا كيفية أداء الصلاة بتؤدة وأناة، وأن يتعلموا أذكار الصلاة، ومحتاجون لمن يعلمهم

الأدعية التي تقال قبل القراءة وبعد السلام، وأولى من يقوم بذلك طلبة العلم.

فطالب العلم ينبغي ألا يحصر همه وجهده في أداء الوظيفة، لا شك أن أداء الوظيفة واجب؛ لأنه يأخذ عليه أجراً، ولا بدَّ له أن يعطي هذه الوظيفة حقها التام، حتى يكون ما يأخذه أجراً على هذا العمل أجراً مباحاً نافعاً، لكن مع ذلك ينبغي أن يضيف إلى ذلك عملاً يبتغي به وجه الله زائداً عما يأخذ عليه أجراً، وعليه إن استطاع أن يسكن في القرية التي يدرس فيها سكن.

والناس إلى وقت غير بعيد، كانت منازلهم في المدن الكبرى فضلاً عن منازل الناس في الأرياف والقرى، لا يجد الناس فيها من وسائل الإضاءة إلاَّ السرج القديمة ذات الزبالة فقليل الهواء يطفىء ذلك المصباح، ومع ذلك كانوا عائشين، كان أحدهم إذا أراد أن يسير من موقع إلى موقع فإنه يشعل ناراً في طرف عسيب ثم سار يستضيء به، وكان أكثر الناس في السابق لا يجد دون ما يأكلونه، فمن كان يجد تمراً عدَّ نفسه من الأغنياء.

أما الان فقد تغيَّرت الحال، وكثرت النعم ولله الحمد، وأُنيرت المنازل والطرقات.

فينبغي لطالب العلم أن يحمد الله ويشكره على ذلك، وأن يجعل شيئاً من وقته مبذولاً للعباد، وإذا كان في قراية فعليه أن يحرص على تعليمهم العلم.

وإن من أعظم ما ينبغي أن يعتني به طالب العلم تعليم العقيدة، ومن أنفع الكتب للمبتدئين فيها: (ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب) و (القواعد الأربع).

فينبغي لطالب العلم أن يهتم بذلك زكاة لهذا العلم الذي حَصَّلَ وتقرُّباً إلى الله، ولعل الله أن يهدي على يديه من يجهل هذا الدين فيكون ذلك سبباً في فلاحه.

سؤال: سماحة الشيخ: لقد كثرت المعوقات في زمننا هذا، وإني أرى الشباب على رأيين: الأول: دخل مع المجتمع بكل معوقاته يريد الإصلاح، ويقع في مفاسد كثيرة بسبب المجاملة.

والثاني: انزوى على نفسه لا يحتك بأحد، ولا يجامل حتى أقرب الناس إليه ويقصر الإصلاح على نفسه فقط؛ لئلا يقع في اشتباكات اجتماعية أقوى منه، فأي الفريقين أقرب إلى الصواب؟

الجواب: الإسلام دين لا رهبانية فيه، فيجب على الإنسان أن يعلم الناس الخير، ولا يجوز للإنسان العزلة إلاَّ في حال تعذر النفع، وتعذر الانتفاع بالاستماع، عندما يختلط الشر ويعم البلاء، ويمتنع على الناس فعل الخير، ذاك الوقت يجوز للإنسان أن يعتزل، قال ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال وبطون الأودية فراراً بدنيه من الفتن»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩، ٣٣٠٠، ٣٦٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

أما في مثل هذه الأوقات فيجب على الإنسان أن يختلط بالنكال لكن لا تجوز له المداهنة؛ فإن هناك فرقاً بين المداهنة والمجاملة. المجاملة: أن تعامل الناس، وأن تقابلهم بالبشر والابتسامة، والرفق واللين.

والمداهنة: أن تُحَسِّن لهم القبيح، وتُمَجِّد لهم العمل السيِّىء.

فينبغي للإنسان أن يكون في سيرته مقتدياً بسير السابقين، فإن السلف والصحابة لم يأذنوا بالعزلة، وأئمة هذا الدين في القرون المتقدمة والمتأخرة لا يدعون إلى عزلة، وإنما يسعى المرء إلى الإصلاح ما استطاع، والإنسان لا يمكن أن يصلح كل شيء، فإن الناس من بعد النبي ﷺ وقيام الدولة الإسلامية في نقص، يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يأتي زمان إلاَّ والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»(١).

ومع هذا فإن الشر لا بُدَّ أن يوجد، والانعزال عن الناس، وترك أمورهم ليس من سمة الإسلام.

سؤال: سماحة الشيخ: هل من كلمة توجيهية لمن هم مثلنا على أبواب التخرج إن شاء الله، وسوف نكون على أكبر ثغرة من ثغر الإسلام، وهي ثغرة التربية والتعليم؟

الجواب: نصيحتي لكم في بقية هذا العام أن تجتهدوا في تحصيل العلم والاستفادة من أساتذتكم، ثم إنكم قد تكونون في التعليم وقد تكونون

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس بن مالك.

في القضاء أو غيره، فعليكم أن تتقوا الله جلَّ وعلا في أي عمل تتولونه، فإن الأعمال أمانة، والأمانة يسأل عنها كل مؤتمن، والسائل هو الذي لا تغيب عنه مسألة ولا تخفى عليه خافية، فينبغي أن يتقي الإنسان ربه في كل أموره، وإذا ابتلي بعمل من الأعمال وهو لا يريده وألجىء إليه؛ ينبغي أن يصبر ويحتسب ويسأل ربه الإعانة في أي عمل من الأعمال.

وإذا صار معلماً ينبغي له أن يتذكر مواقفه مع معلميه؛ لأنَّه سوف يتذكر أخطاءً كثيرة، فإذا رأى من طلابه شيئاً من ذلك فليعاملهم بما يستطيع من الرفق والتحمل، والإحسان إليهم وإرشادهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

سؤال: سماحة الشيخ: يخلط كثير من الطلاب بين طلب العلم والحضور إلى الجامعة، وبين الدعوة، ويجعل اهتمامه بالدعوة، فيكون ذلك على حساب طلب العلم، فبأيهما يجب على الطالب أن يبدأ؟

الجواب: يجب على طالب العلم أن يتعلم، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد: الآية ١٩].

ولهذا بوَّب البخاري (باب العلم قبل القول والعمل): وذكر ذلك شيخ الإسلام أيضاً في كتابه، والدعوة عمل، فينبغي للإنسان أن يعرف أنَّ الدراسة، وتحصيل العلم واجب من الواجبات، ويقبض على ذلك مكافأة، فعليه أن يهتم بهذا العمل حتى لا تكون المكافأة التي يقبضها من المكاسب المحرمة؛ لأن من أخل بواجب التعلم وواجب الدروس

المقررة من أجل أن يقوم بعمل آخر أخلّ بأسباب إباحة ما يقبض من مكافأة، فيجب أن يلاحظ ذلك؛ لأنَّ كثيراً من الناس قد لا يهتمّ بذلك، ولا يعيره أدنى الاهتمام.

فعلى الطالب أن يحصر همه في تحصيل العلم، وإذا رأى من يحتاج إلى الإرشاد والتوجيه أرشده ونصحه ووعظه، ولكن بعض من الناس قد تختلط عليهم المسائل.

فيقدم ما حقه التأخير أو العكس، ولا شكَّ أن كل محب للخير إذا أخذ بأسبابه وابتغى بذلك وجه الله أنه يثاب، لكن إن أصاب صار له أجران، وإن أخطأ صار بإذن الله له أجر واحد، وكل ذلك خير.

وكثير من الناس يسمي المواعظ والوعظ دعوة، ولا شكَّ أن فيها شيء من الدعوة، لكن لا تجد في الأحاديث كلها حديثاً يذكر أن النبي ﷺ دعا أصحابه وإنما يقال: وعظهم، ويقولون: (وعظنا) كما في حديث العرباض بن سارية(١).

والدعوة تكون في الغالب لغير المسلمين، أما المسلمون فإنما يوجهون إليه، بالوعظ، فيوعظون عن تجنب الأخطاء وترك المنكرات، والإقبال على طاعة الله عز وجل، فهذه الأعمال هي أقرب إلى الوعظ منها لما يسمى بالدعوة وإن سماها الناس عرفاً (دعوة).

وعلى الطالب أن يحصل العلم أولاً، ثم إذا كان مؤهلاً في علمه،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢).

قام بنشره حتى لا يقال كما قيل في أحد المؤلفين المتقدمين: (تزبب قبل أن يتحصرم).

فأحد المتقدِّمين لمَّا أَلَّف كتاباً في الفقه عابه أقرانه ومشايخه فقالوا: فلاناً تزبب ـ أي: صار زبيباً ـ قبل أن يتحصرم ثم يستوي ويحلولى، ثم يتحوَّل بعد ذلك إلى زبيب.

ويجب على طالب العلم أن يهتم بالحفظ؛ لأنَّ الحفظ من أعظم ما يعين المرء على ثبات العلم واستقراره، وقد ابتلينا في وقت من الأوقات بالدعايات التي كانت تنفر من الحفظ وتقول: إن الحافظ كالببغاء يقول ما قيل، وإن الحافظ عبارة عن نسخة زادت في البلد.

يقول بعضهم: قيل للإمام محمد عبده العالم المصري: فلان يحفظ البخاري، قال: زادت نسخة في البلد.

ولا أدري عن صدور هذه العبارة منه، لكنها خطأ؛ لأن من حفظ شيئاً من العلم خير ممن لم يحفظه، وخصوصاً إذا عمل بما حفظ.

سـؤال: سماحة الشيخ: يقول البعض: إن النصارى في هذا الوقت ليسوا من أهل الكتاب ولكنهم وثنيون، وعلى هذا لا تؤكل ذبائحهم، فهل هذا صحيح؟

الجواب: أليس القرآن يذكر عن النصارى في عهد النبي ﷺ أنهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة؟ ويقول الله فيه أيضاً: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣١]. فطالب العلم عليه أن يقرأ القرآن ويتأمل ما فيه، ويطلع على كلام أهل العلم،

فالنصارى خرجوا عن النصرانية قبل بعثة محمد ﷺ، واليهود حرفوا وخرجوا كذلك، ومع ذلك عوملوا المعاملة التي نص عليها الله في كتابه الكريم، وهم لا يتغيَّرون، لكن إذا ذبحوا باسم المسيح، أو قالوا: بسم عزير، وعلمنا ذلك؛ فهي ذبيحة لا تحل.

سـؤال: سماحة الشيخ حفظه الله: ما نصيحتكم لبعض الشباب الذين يتجرَّأون على الفتوى بغير علم، وسرعة تكفير الناس عامة وخاصة؟

الجواب: أما الأخيرة فطامة من الطوام وبلية من البلايا.

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنهم لا يكفِّرون أحداً بذنب من الذنوب والمعاصي.

وأما التجرُّؤ على الفتوى فمن الجهل، فكلما كان الإنسان جريئاً على الفتوى ولم يتأهل لها؛ دلّ ذلك على جهله، وكان السلف يتدافعون الفتيا ولا يفتي مفتٍ منهم حتى يشهد له جمع من العلماء بأنه أهل لأن يفتي.

فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص جاء إليه سائل يسأله فسأله عن مسألة، فقال له: انظر إلى ذلك الرجل فاسأله، وأشار إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فذهب إليه وسأله فأفتاه.

فرجع إلى عبد الله بن عمرو وقال: إنه يقول كذا وكذا، فقال: اذهب إلى ذلك الرجل وأشار إلى ابن عباس، فذهب إليه وسأله فأفتاه، فلما رجع قال: يقول كذا، فسكت.

فقال: وأنت ما تقول؟ قال: أقول بقولهما، وعبد الله بن عمرو من أوسع الصحابة في رواية الحديث.

فينبغي لطالب العلم ألا يتسرَّع في الفتوى وأن يتخلص منها ما أمكن؛ لأنه إذا أفتى إنساناً تحمل معه آثار ما أفتاه به، وإذا وجد من يكفيه ألفيتا، فهذا خير ساقه الله له، وإذا لم يجد ذلك ووجد نفسه ملزماً بذلك فليفت وليتَّق في ذلك الله.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الزواج لمن لا يجد مهراً إلاَّ بالدين؟

الجواب: يقول النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»[1]، ولم يقل: إذا كان واجداً، وإذا لم يجد فليستدين، ولكن قال في آخر الحديث: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم».

وإذا وجد من يعطيه ديناً ليتزوج، ولم يكن في ذلك إرهاق ومشقة ظاهرة، ويعلم من نفسه أنه سوف يستطيع سداد الدين؛ فلا حرج، وإن كان يخشى ألا يستطيع فليصبر، وليكثر من العمل الصالح والاشتغال بالعلم إذا كان من طلبة العلم، حتى ييسر الله له أسباب الزواج.

سؤال: سماحة الشيخ: يتخرج الطلاب من الأقسام الشرعية بعلم متفاوت فمنهم من تكون حصيلته العلمية جيدة، ومنهم من تكون حصيلته متدنِّية، فبماذا تنصح الجميع إذا عادوا إلى ديارهم وقراهم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

الجواب: أنصحهم جميعاً ألا يتكل المتفوق على تفوقه، وألا ييأس من دونه في التحصيل، وأن يجتهد الجميع في التحصيل والحرص عليه، واستغلال الوقت فإن الوقت وسع.

وإذا نظر العاقل إلى اليوم والليلة، ونظر في الوقت الذي يستغله من اليوم والليلة في الكسب المالي، والعبادة، وتحصيل العلم والمجالسة؛ وجد أن ما يصرف لتحصيل العلم، وللعبادة شيء يسير، فإذا تأمَّلت في الأربع والعشرين ساعة، لا تنظر إلى أنك تنام عشر ساعات، ولا أنك تقرأ في تحصيل العلم أربع، وبديهي أنك لا تقضي العشر ساعات الأُخر في أداء الأعمال الوظيفية والعبادة، فانظر أين ذهبت هذه المدة؟ فينبغي للإنسان أن يحرص على صرفها فيما ينفعه.

والنفس قد تمل من التكرار في علم واحد، فيحرص الإنسان على أن يعوِّد نفسه التنقُّل، فإذا ملَّ من تحصيل علم لا يقول: أبقى جالساً لأستريح، يأخذ كتاباً من كتب التاريخ والسِّير والآداب حتى يكون وقته مشغولاً بما ينفعه.

سؤال: سماحة الشيخ: ما حكم الخلاف والاختلاف؟ وما توجيهكم لمن يحرصون على إثارة المسائل الخلافية؟

الجواب: الله جلَّ وعلا لما ذكر الخلاف قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩] فالخلاف شر، والسعي لإثارة أسباب الخلاف لا خير فيه، وعلى طالب العلم أن يهتم

بمعرفة أصول العلم، وأن يترك مسائل الخلاف، إلاَّ أن يتجاوز مرحلة التحصيل الأساسي؛ اقتداء بالسلف.

وانظر إلى طريقتهم: حيث إنهم يتدرَّجون في التعلُّم والتعليم والتأليف، فابن قدامة رحمه الله ألَّف في الفقه كتاب (العمدة) وهو كتاب مهم وثمين للطلاَّب المبتدئين، ثم ألَّف بعده كتاب (المقنع) وهو أوسع من العمدة، ثم ألَّف بعده كتاب (الكافي) وهو أوسع من المقنع، ثم جاء بـ (المغني) الذي لا تخفى ثمرته وسعة ما حوى على كل ممارس لهذا العلم.

وها هو أيضاً إمام الدعوة السلفية في المملكة الإمام محمد بن عبد الوهاب أول ما بدأ يؤلِّف الرسائل الخاصة بالعقيدة كانت لا تتجاوز الصفحة والصفحتين وهي موجودة في كتاب (مجموعة الرسائل النجدية)، ثم توسَّع بعد ذلك وألَّف (ثلاثة الأصول)، وجار فيها بالقواعد العظيمة الهامة الأربع، ثم بعد ذلك ألف كتاب (شروط الصلاة وما يتبعها) في رسالة لطيفة.

فمنهج السلف الصالح: إنما هو أن يبدأ طالب العلم دون دخول في الخلافيات والمشاكل حتى تكون عنده حصيلة مستقرة، ثم تكون هذه الحصيلة المستقرة بعدما تتوسع مداركه منطلق مناقشاته وأفكاره، مع اعتنائه بالحفظ ما أمكنه مركزاً في ذلك على كلام الله جلَّ وعلا، وكلام رسوله ﷺ.

وإذا رأيت الإنسان يحرص على إثارة مسائل الخلاف، ويطيل

النقاش فيها؛ فاعلم أنه ربما يكون من أهل الحرمان من تحصيل العلم، نسأل الله الهداية للجميع.

سؤال: سماحة الشيخ: لقد كثر في هذا الزمن وانتشر وجود الاستراحات والأحواش التي يجتمع فيها الشباب إلى وقت متأخر من الليل، والتي غالباً ما يكون فيها جهاز الدش المؤثر على عقول وأخلاق الشباب، وحيث إن ذلك سيؤثر بلا شك على طالب الجامعة وتحصيله العلمي، أرجو النصيحة لمن هم على هذه الشاكلة؟

الجواب: أوجه النصيحة أولاً للأساتذة؛ لأنَّ الأستاذ يعلم في طلابه من الذي سهر ليله في تحصيل العلم، ومن الذي سهر على خلاف ذلك؛ لأنَّ الطالب تظهر عليه آثار السهر إن كان في تحصيل العلم، فبمجرد ما يوجه له أستاذه بعض الأسئلة يجد ثمرة السهر، ومن أضاع ليله في هذه التجمُّعات من غير فائدة يجده يتلعثم عند أي سؤال وإن كان سهلاً.

ثم إن السهر في الليل إذا لم يكن في تحصيل علم فإنه على خلاف السُّنَّة، فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكره النوم قبل صلاة العشاء؛ لأن النوم قبلها مظنة تفويتها، ويكره الحديث بعدها؛ لأن السهر بعدها مظنة تفويت صلاة الفجر، فهؤلاء يخالفون السُّنَّة ثم يرتكبون المعاصي بمشاهدة ما تبثه أجهزة البث التي جاءت للمسلمين بكل شر وبلاء ومحنة.

فهذه الدشوش أو الأطباق أو غيرها، إنما جاءت لبلادنا وبلاد غيرنا بالشر العظيم، ومع ذلك قد يصعب التخلص منها والسلامة، إلاَّ

لمن أراد أن ينجي نفسه ويقيها وأهله الشرور والآثام. ومن هنا ينبغي للإنسان أن يحذرها، ويحذِّر منها، فالوالد والأخ والمدرِّس يحذِّر الناس من هذه الاستراحات، ما لم تكن استراحة لا يعمل فيها إلاَّ ما يرضي الله جلَّ وعلا، وهي قليلة؛ لأنَّ غالب هذه الاستراحات لا تخلو من الخوض في أعراض الناس، وتنقص أهل العلم، أو من لوقيعة بالولاة، أو مشاهدة ما تعرضه وسائل البث الفاجرة، وكل ذلك شر.

وطالب العلم ينبغي أن يَحذر وأن يُحذر من كل تجمعات من شأنها أن تفسد عليه حياته، أسأل الله التوفيق للجميع والهداية والسداد.

سؤال: سماحة الشيخ: نشكركم على مجيئكم إلينا، ونحن متشوِّقون إلى مثل هذه اللقاءات، وحبذا لو تكررت، ونحن نرجو من سماحة الشيخ أن يجعل هذا اللقاء عادة في كل فصل بإذن الله، فما رأي سماحتكم؟

الجواب: يقول الله جلَّ وعلا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: الآية ١٦]، أسأله سبحانه أن يوفِّقني وإيَّاكم إلى التقوى في كل أمورنا، وأن يهيِّىء لنا أسباب الخير في كل وقت وفي كل مكان، وأرجو الله أن يوفِّقني لمشاركتكم في اجتماعات عدة، وأن يسهِّل أسباب ذلك، إنه مجيب الدُّعاء، وصلَّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.



محاضرة

فَضِيلَة الشَّيْخ : صَالح بن فَوزَان الفَوزَان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة
الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء
(حَفِظَهُ اللهُ)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجه وتمسَّك بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنها فرصة طيِّبة أن نلتقي مع إخواننا وأبنائنا في هذه الجامعة المباركة، ومعلوم ما لهذه اللقاءات من الفوائد الجمة على المُلقي والمتلقي، وما يحصل فيها من التلاحم والتعاون على البر والتقوى.

فأشكر الله سبحانه وتعالى أن أتاح لنا هذه الفرصة وثم أشكر القائمين على هذه الجامعة وأخص منهم فضيلة الشيخ سليمان بن عبد الله أبا الخيل وكيل الجامعة الذي سعى جزاه الله خيراً في الترتيب لهذا اللقاء ونسأل الله أن يجعل هذا اللقاء ثمرة يستفاد منها وأن يتبعه لقاءات أخرى مع علماء هذه البلاد، ونحن ندلي بجهدنا المتواضع وبما ييسره الله سبحانه وتعالى من هذا اللقاء.

إن طلب العلم الشرعي، حث الله تعالى عليه في محكم كتابه

وحث عليه رسول الله ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢].

فالله جلَّ وعلا يحث في هذه الآية على أن تتفرغ طائفة من المؤمنين لتلقي العلم من أجل أن ينتفعوا في أنفسهم، ومن أجل أن يبلغوه لغيرهم من إخوانهم، ولما كان تفرغ الأمة جميعاً لطلب العلم، لا يتأتى فإنه سبحانه وتعالى حث على أن تتفرغ من كل فرقة من المسلمين طائفة، فإذا تفرغت طائفة من المسلمين من كل جهة ومن قطر ومن كل قبيلة تتلقى العلم عن أهله، ثم ينطلقون به إلى بلادهم وإلى قبائلهم وإلى إخوانهم فينشروا هذا العلم ويفهموا إخوانهم في الدين؛ فإنه يحصل الخير الكبير وتستنير الطرق. وهذا متحقق إن شاء الله في هذه الجامعة المباركة، وفي غيرها من الجامعات الشرعية التي تركز على تعليم الطلاب العلوم الشرعية وتؤكد على التفقُّه في الدين، فهذا الذي أسست لأجله هذه الكليات المباركة، وهذه الجامعة كأخواتها من الجامعات الأخرى تجد العناية والاهتمام من ولاة أمور المسلمين، من أجل أن يتحقَّق هذا الغرض الجميل؛ لأنه لا حياة للأمة؛ ولا استقامة لها إلاَّ بالسَّير على المنهج الشرعي الذي بعث الله به رسوله محمد ﷺ، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ...﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣]، صراط الله هو: الدين والشرع، فمن تمسَّك به وسار عليه فإنه

يهتدي ويسلم من التفرق والضلال الذي وقعت فيها الطوائف المنحرفة، ولا يتحقق اتباع صراط الله تعالى إلَّا بالتفقُّه في الدين، وتعلُّم العلم الشرعي، وقد قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1].

فكفى بهذا الحديث حافزاً ودافعاً للمؤمنين أن يتفقهوا في أمور دينهم، وأن يعرفوا ما أوجب الله عليهم، وأن يعرفوا ما حرم الله عليهم، ويقوموا بأداء الواجبات، ويتجنَّبوا المنهيات ويسلكوا الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى رضوانه وجنته، وبذلك يسلمون من الانحراف ومن المناهج الضالة ومن الفرق المنحرفة التي تسير على سبل متفرقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٥٣]، فكل سبيل يخالف سبيل الله فإنه يوقع أصحابه في الضلال، ويؤول بهم إلى الهلاك، ومن هنا يجب على المسلم أن يهتم بالتعرف على الصراط المستقيم حتى يسير عليه، ويقوم ببيانه للناس قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة»[2] وسلوك طريق طلب العلم تشتمل السفر للتعليم في البلاد التي فيها العلماء وفيها الكليات الشرعية وتشتمل على الدراسة والحفظ، حفظ النصوص والتفقه في معانيها.

فالسبيل لطلب العلم، هو الانشغال بطلب العلم حفظاً

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

للنصوص وتفقُّهاً في معانيها. كذلك العناية بحفظ الكتب النافعة واقتنائها والعناية بالاطلاع عليها، كل هذا من سلوك السبيل لطلب العلم.

ومن ذلك أيضاً سؤال أهل العلم عما أشكل هذا أيضاً من سلوك السبيل لطريق العلم الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وأن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، والعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»(١)؛ وذلك لأن العالم يضيء للناس فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم مثلما يضيء لهم القمر في الليل، أما العابد فإنما يضيء لنفسه مثل النجم، فالنجم لا يضيء إلاَّ لنفسه فقط. العابد عبادته مقصورة عليه لا تتعدى إلى غيره فصار مثل النجم، أما العالم فإن نفعه يكون لنفسه ويتعدى لغيره فذلك كمثل القمر، وفي حديث آخر يقول ﷺ: «وما اجتمع قوم ببيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»(٢)، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء. وقد تقدم ص ٧٩.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة. وقد تقدم ص ١٤.

فضل عظيم لطلبة العلم إذا جلسوا يتذاكرون العلم، فإن هذه الفضائل تنزل في مجالسهم، تنزل عليهم السكينة من الله التي بها تطمئن قلوبهم، وترتاح بها نفوسهم، وتغشاهم رحمة الله سبحانه وتعالى.. أرحم الراحمين، وتحفهم الملائكة ملائكة الرحمان يجلسون حولهم ومعهم ويحفونهم من جميع الجهات، ويلزم من هذا أن تبتعد عنهم الشياطين فالشياطين لا تجتمع مع الملائكة، فملائكة الرحمن ينصرونهم ويؤيدونهم ويعفونهم، وأعظم من ذلك أن الله جل وعلا يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى تعظيماً لشأنهم فإذا ذكرهم الله جل وعلا فهذا أعظم المطالب ولا يحصل عليها إلاَّ طلبة العلم، وكما في الحديث الآخر: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١)، وأعظم ذكر الله هو طلب العلم والتفقُّه في كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، ويتجلَّى لنا من تفضيل النبي ﷺ للعالم على العابد وأن كل منهما قام بعمل كريم، أن طلب العلم أفضل من نوافل العبادة، فيكون أفضل من الذي يصلِّي النوافل ويشتغل بها، أو يعمل أي نوافل أُخرى لأنَّ الرسول ﷺ قال: «فضل العالم على العابد»، فدل أن طلب العلم من أفضل أنواع العبادة، ولا شك أن طالب العلم إذا جلس يتفقه في دين الله أن ذلك أفضل من أن يقوم ويصلي صلاة نافلة؛ لأن صلاة النافلة وإن كان فيها خير كبير، لكنها نفعها قاصر على صاحبها، وأيضاً هو لا يتفقه تفقه طالب العلم الذي يتدبر كتاب الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

وسنَّة رسوله ﷺ فيستنير بتفقهه ويتبصَّر وينفع نفسه وينفع إخوانه، ويكون مبلغاً لدين الله عزَّ وجلّ، وناهيك أن يكون وارثاً للنبـي ﷺ لأن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم.

يروى أن أبا هريرة مرَّ على الناس يبيعون ويشترون في سوق المدينة، فقال: ويحكم أنتم تبيعون وتشترون، وميراث محمد ﷺ يقسم في المسجد وأنتم هنا، فطفقوا وذهبوا مسرعين إلى مسجد رسول الله ﷺ، لأنهم ظنوا أن هناك أموالاً توزع بعد الرسول ﷺ، فدخلوا المسجد فلم يجدوا أموالاً وإنما وجدوا أناساً يتعلَّمون العلم ويطلبونه، فرجعوا إلى أبـي هريرة، فقالوا: ما وجدنا ما تقول، فقال: ما وجدتم؟ قالوا: وجدنا أناساً يتذاكرون العلم ويتدارسونه، قال: ويحكم هذا ميراث رسول الله ﷺ[1]، رسول الله ﷺ لم يورث ديناراً ولا درهماً؛ لأن الدراهم متاع عاجل ومتاع جائر، وخطرهما أشد من نفعهما إلاَّ أن يوفِّق الله الإنسان للاستعانة بهما على طاعة الله سبحانه وتعالى، أما ميراث الرسول ﷺ وهو العلم فإنه ينفع القلوب، وينفع الأبدان، وينفع العالم، وينفع الجاهل، وينفع كل أمة الإسلام.

هذا وإنكم ــ ولله الحمد ــ قد حظيتم بقبولكم في هذه الجامعة المباركة، بكلياتها وسنواتها الدراسية بحظ وافر، إذا أنتم عرفتم مقدار

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤٢٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٥٨): إسناده حسن.

هذه النعمة وحفظتم لها حقها، فعملكم هذا أشرف عمل يقوم به الناس، فمن يمينكم وخلفكم يشتغلون بأمور الدنيا في التجارات، وفي طلب المطالب الدنيوية، ولكنكم أنتم فزتم بما هو أعزّ وأنفع وأطيب، وهو طلب العلم والتفقه في دين الله عزَّ وجلّ.

وإن أول ما يجب أن يتحلَّى به طالب العلم إخلاص النية لله عزَّ وجلّ فطلب العلم عبادة، والعبادة لا تصح إلاَّ بالنية، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١)، اجعلوا هذا الحديث نصب الأعين وأخذكم للعلم تقرّباً لله، بأن تكون النية خالصة لله عزَّ وجلّ ورغبة في طلب العلم، والتفقُّه في الدين من أجل العمل لطاعة الله سبحانه وتعالى، وتجنب ما حرم الله سبحانه وتعالى، ونفع المسلمين ويكون قصده وجه الله سبحانه وتعالى والدار الآخرة، ولا يكون قصد طالب العلم مطمعاً دنيويّاً أو حصولاً على الشهادة ونيلاً لمرتبة أو وظيفة، فإن هذه أغراض دنيئة لا تليق بطالب العلم، فليكن قصده ونيته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى من طلب العلم، والانتفاع والنفع للمسلمين، وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والبصيرة، هذا هو الذي يجب أن يقصده طالب العلم، أن ينفع نفسه،

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب. وقد تقدم ص ٢٣٨.

وأن ينفع إخوانه المسلمين، وأن يعمل لله عزَّ وجلّ بعلم وبصيرة فتكون أعماله مؤسَّسة على دليل من كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، أما الذي يقصد غير ذلك فإن له ما قصد والله يعلم السرائر ويعلم النيات، ويجازي كل على حسب نيَّته يقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإسراء: الآيتان ١٨، ١٩]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦].

فالأساس هي النية، ولتكن النية صالحة لطالب العلم من أول بدايته في طلب العلم ومستمرة إلى نهايته وإلى وفاته وانتقاله من هذه الدنيا، فليكن دائماً على نية صالحة صادقة مع الله سبحانه وتعالى في علمه وقوله وعمله.

ثانياً: من آداب طالب العلم أن يبدأ بأولويات العلم، فيبدأ بصغار العلم قبل كباره، أما إذا بدأ العلم من فروعه ومن أعلاه فإنه لا يحصل على العلم الحقيقي وإن حصل على شيء يسير فإنه لا ينتفع به، لكن يبدأ من أوليات العلم شيئاً فشيئاً فيتدرَّج من الأسهل إلى ما هو فوقه إلى ما هو فوقه وهكذا حتى يصل إلى مستوى يتحقق فيه تحصيله، وطالب العلم لا ينتهي عند هذا. ولهذا جاء في الحديث: «اثنان لا يشبعان:

طالب العلم، وطالب الدنيا»[1]، طالب العلم لا ينتهي إلى حدّ، والعلم ليس له نهاية وفوق كل ذي علم عليم، طالب العلم لا ينتهي من طلبه وإذا شعر في نفسه أنه قد اكتفى، وأنه صار عالماً فهو جاهل، أما ما دام يشعر في نفسه أنه بحاجة إلى مزيد من العلم فهذا هو العالم، ولهذا جاء في الحكمة التي قالها بعض العلماء: من قال: إنَّه عالم فهو جاهل، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف: الآية ٧٦]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٥]، ويقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه: الآية ١١٤]، وطالب العلم دائماً بحاجة إلى المزيد، وأنَّ هناك من هو أعلم منه، هكذا يكون طالب العلم.

ثالثاً: من آداب طالب العلم أنه لا يتسرَّع في إصدار الأحكام والفتاوى، بل يرجع إلى من هو أفقه منه، وإلى من هو أعلم منه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على ما أوتوا من علم الفقه، يتذاكرون الفنون، وكان كل واحد منهم يرسل سائل إلى الصحابي الثاني ليعرف ما عنده من الجواب من بعض المسائل، فطالب العلم مادام يعلم أن هناك من العلماء من هم أكثر منه علماً وأفقه منه فإنه يشير به إليه، فلا يتدخل في الأحكام الشرعية وفيه أفقه منه، لا سيما إذا كان ذلك في الفتوى، فإصدار الأحكام موكولة إلى العلماء وعليه أن يحيل إليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين.

ويسلم من التبعة، ومن التدخل في شيء قد لا يصل فيه إلى المطلوب وكثيرٌ من طلبة العلم هداهم الله يسرعون في الأحكام، وإذا حصل بحث أو سؤال تسرعوا في إصدار الحكم، وربما يعترضون على فتاوى العلماء الذين هم أفهم منهم، وأفقه منهم وما يحصل في هذا من البعض هو من إساءة الأدب، فلماذا نفسك تشرع في الأمر، وتدخل فيما ليس من شأنك، أما إذا لم يكن هناك علماء وسئل الإنسان أو احتاج إلى بحث في مسألة ليعرف حكمها فعليه أن يجتهد وألا يتسرع، عليه أن يصبر، وأن يدقق في كلام أهل العلم وفي الأدلة الشرعية، فإذا اقتنع بقول مبني على دليل فليقل به للضرورة.

إذا لم يكن هناك من يوصل الأمر إليه فهو بحاجة إلى أن يعرف حكم هذه القضية لأنها قضية ملحة لا تقبل تأجيل، فعليه أن يجتهد في البحث والتدقيق والرجوع إلى النصوص وإلى كلام المحققين من أهل العلم ثم بعد ذلك يقول ما يرى أنه هو الصواب هذا من آداب طالب العلم، ولتعلموا أن العلوم التي يخدم بعضها بعضاً، لذلك فإن طالب العلم لا يقتصر على علم من العلوم وإنما يدرس العلوم التي يخدم بعضها بعضاً ويساعد بعضها بعضاً فهناك كتب في التفسير وفي الحديث وشروحه وفي الفقه وشروحه، وهناك كتب تسمى كتب الآلة، وهي كتب اللغة العربية ضرورية جدًّا لطالب العلم كالنحو والصرف والبلاغة والوقوف على أسرار اللغة العربية، ثم أيضاً كل علم له أصول ولها

قواعـد فعليـك أن تـدرس قـواعـد هـذا العلـم، فـالتفسيـر لـه أصـول أو ما يسمَّى بعلوم القرآن هي طريق إلى معرفة معنى القرآن.

والحديث له أصول تسمى علوم الحديث أو مصطلح الحديث تدرس إلى جانب الحديث وحفظ الحديث، كذلك الفقه له أصول تسمَّى أصول الفقه، وله قواعد فقهية تسمَّى القواعد الفقهية، يدرس أصول الفقه وقواعد الفقه حتى يعرف مدارك الأحكام، ومناط الأحكام، ويعرف كيفية استنباط الأحكام من الأصول فهذا شيء لا بد منه، وكما قلنا إن معرفة علوم الآلة ضرورية، لأن القرآن نزل بلغة العرب، والرسول ﷺ عربـي وأحاديثه بلغة العرب، فلا بدَّ أن يعرف قواعد اللغة العربية فيعرف النحو والصرف والبلاغة حتى يتوصل بذلك إلى فهم النصوص من القرآن والسنَّة.. ومن الضروري أيضاً أن ينظر طالب العلم في علم السلف ومنهجهم في طلب العلم وفي الفقه فهم أجدر وأولى من تدرس مناهجهم لقربهم من عهد النبوة والقرون المفضلة التي أثنى عليها الرسول ﷺ، وعلومهم ليس فيها تكلُّف وليس فيها تطويل، كلام قليل، وفقه غزير، فتجد كلام عالم من السلف كلاماً قليلاً لكن تجد فيه فقهاً غزيراً، فهم أقل الناس كلاماً وأقلهم تكلُّفاً، وأعظمهم فقهاً في دين الله عزَّ وجلّ، فالرجوع إلى منهج السلف مما يعين على تعلُّم العلم النافع.

أما علـوم الخلف، ففيها الخير وفيها الشـر، وفيها الغث، وفيها السميـن، لكن لا يميـز بين ثمينهـا وجيِّدهـا ورديئها إلاَّ مـن عرف فهم

السلف وهو يميز له ما عليه الخلف من الحق والباطل، والهدى والضلال هذا ما يتعين على طالب العلم أن يعتني به، وهو فقه السلف الصالح، ويعرف كيفية استدلاله بالأدلة، وتأدبه في طلب العلم، وتأدبه مع كلام الله وكلام رسول الله ﷺ وعدم تهجمه على النصوص قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١﴾ [سورة الحجرات: الآية ١]، فالسلف الصالح تأدبوا مع الرسول ﷺ حتى إنهم بعد وفاة الرسول ﷺ إذا سمعوا حديث الرسول ﷺ كأن الرسول بينهم، يجلون كلام الرسول ﷺ، ويعظمونه كما يعظمون الرسول ﷺ وكأن الرسول جالس بينهم، هذا من تأدبهم مع الرسول ﷺ، وهذه لأمور تحتاج إلى بسط أفضل وأكثر من هذا ولكن ذكرت شيئاً منها على ما تيسر لي على وجه الإيجاز، وأرى أن الأسئلة كثيرة فأترك بقية الوقت للإجابة على ما أستطيع منها.

الأسئلة وإجابات الشيخ عليها

سؤال: فضيلة الشيخ صالح حفظه الله كثير من الشباب اليوم فيقول إن مسمى (السلف) اسم جديد ليس له علاقة بأهل السنَّة والجماعة، وإنما هو مسمى طائفة وفرقة جديدة لها بعض انحرافات عقدية فما توجيهكم حفظكم الله؟

الجواب: القول بأن لفظ (السلف) لفظ جديد، هذا كلام لا صحة له، لفظ (السلف) لفظ صحيح يشهد له القرآن والسنَّة النبوية.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

﴿اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ . . .﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٠] الآية. أليس هذا أمر باتباع السلف من المهاجرين والأنصار صحابة الرسول ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، قال الراوي لا أدري، ذكر اثنين أو ثلاثة، ثم قال: «ثم تأتي من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون». . . إلى آخر الحديث(١). فثناؤه ﷺ على القرون المفضلة تزكية لهم وحرص على اتِّباعهم والاقتداء بهم ونهى عن الاقتداء بمن جاء بعد القرون المفضلة؛ لأنهم غير منضبطين كي لا يحصل عنده خلط، ولكن لا يقبل منهم إلاَّ من كان سائراً على منهج السلف قال تعالى لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحشر: الآية ١٠]، فالذي يقول غير ذلك في السلف فهذا في قلبه غل على سلف هذه الأمة فعليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأُمور»(٢)، فأمر بالتمسك بسنَّته وسنَّة الخلفاء الراشدين، فالخلفاء

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢) من حديث العرباض بن سارية. وقد تقدم ص ٥٣٠.

الراشدون هم أئمة السلف الصالح، والسلف الصالح من جاء بعدهم ممن سار على طريقهم أما من ادعى غير ذلك فإنه يكون مخالفاً لتزكية الله لهم وتزكية الرسول ﷺ لهم.

سؤال: فضيلة الشيخ صالح ،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أحبك في الله جلَّ وعلا، ظهر في الآونة الأخيرة ظاهرة التهاون في الصلاة المفروضة وخصوصاً في صلاة الفجر والعصر، فهل من توجيه حفظكم الله؟

الجواب: التهاون في الصلاة ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة مريم: الآية ٥٩]، ومن أراد أن ينظر إلى وجه ربه فليحافظ على صلاة الفجر وصلاة العصر، وإذا حافظ على هاتين الصلاتين فإنه يكون محافظاً على ما بينهما من باب أولى؛ لأن الخير يجر إلى الخير.

سؤال: فضيلة الشيخ، قد ظهر في هذه الأزمنة ظواهر بدعية من تكفير للعلماء وولاة الأمور وفرق التضليل وفرق مخالفة لمنهج السلف الصالح مما جعل الشخص يعرض عن العلم الشرعي ويشتغل بذلك، فهل من كلمة حول ذلك، جزاكم الله خيراً؟

الجواب: قلت لكم قريباً إن من آداب طالب العلم ألا يتسرع في الأحكام ولا سيما الأحكام الخطرة، فإن النبي ﷺ يقول: «من قال لأخيه

يا كافر يا فاجر يا عدو الله؛ فقد باء بها أحدهما»[1] فإن كان المرء قيلت فيه وهو مستحقاً لها، وإلاَّ رجعت إلى قائلها فصار هو الكافر، وصار هو الفاجر، وصار هو عدو الله، فالأمر خطير جدًّا، فلا يجوز لطالب العلم أن يتسرع بالحكم بالتكفير، وهذا الأمر ليس جديداً، وإنما هو منذ عهد الخوارج الذين ظهرت بذرتهم في عهد الرسول ﷺ عندما قال قائلهم للرسول ﷺ: اعدل فإنك لم تعدل[2]، والذين قالوا لرسول الله ﷺ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله[3]، والذين كفَّروا عثمان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، فهؤلاء هم الخوارج، كفَّروا صحابة رسول الله ﷺ الذين قال فيهم، «والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[4]. هذا هو منهج الخوارج في القديم، ولا يزال يظهر بين حين وآخر، وقد ظهر في هذا الزمان على ألسنة هؤلاء الذين يكفِّرون الناس بغير دليل، إما بجهل وعدم بصيرة، وإما عن هوى وظلم بالمسلمين، فالأمر خطير جدّاً، وواجب على المسلمين عموماً وعلى طلاب العلم خصوصاً أن يكفوا ألسنتهم عن التكفير والتفسيق والتبديع، ومن ظهر

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة. وقد تقدم ص ١٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٣٨)، ومسلم (١٠٦٣)، وابن ماجه (١٧٢) من حديث جابر بن عبد الله. واللفظ لابن ماجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد. وقد تقدم ص ٥٠٢.

كفره أو فسقه أو فجوره، فهذا لا يحتاج إلى أن يحكم عليه، لأن أمره ظاهر، أو يترك أمره إلى من هو أعلم منه، ومن هو أفقه منه ينظرون في شأنه إذا اقتضت الضرورة ذلك، فمطلوب منا الكف عن الناس، فإذا اقتضت الضرورة بيان شيء من ذلك، فهذا يوكل لأهل العلم وأهل البصيرة ينظرون في شأن هذا الشخص وما صدر منه، وما قاله وكتبه على ضوء الأدلة من كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ فيكون الأمر صادر من جهة مختصة بالعلم... وصلاحية بأن تحكم على الشخص أو الأشخاص إذا اقتضت الضرورة ذلك من أجل أن يحذرهم الناس فهذا هو المطلوب.

والحاصل أن الإنسان لا ينشغل بمثل هذه الأمور ينشغل بطلب العلم ويحرص على الاستقامة على دين الله، وينشر الخير وأما كون طلبة العلم أو الشباب يشتغلون بالتكفير والتفسيق والتبديع فهذا شرٌّ مستطير، وهو يورث شروراً كثيرة وينزع الثقة بين المسلمين، ويزرع العداوة وسوء الظن وغير ذلك من المحاذير.

سؤال: السلام عليكم ورحمة الله... حيَّاك الله يا شيخنا، نرجو منك إكثار مثل هذه الزيارة في جامعة الإمام محمد بن سعود، وعندي سؤال: هل يجوز إهداء ثواب ختم القرآن للأحياء أم لا؟ وما رأيكم بإضافة بعض الأسماء إلى أسماء الله، جزاكم الله خيراً؟

الجواب: أما الإجابة على الشق الأول من السؤال: وهو تلاوة القرآن هل يجوز إهداء ثوابها بين الأحياء والأموات، هذا قال به بعض أهل العلم،

قال: بأنه يجوز إهداء ثواب القراءة إلى المسلم حيًّا وميتاً؛ لأن القراءة عمل صالح فيجوز إهداء ثوابها إلى أخيه المسلم.

ولكن الصحيح القول الثاني: وهو أن هذا الأمر لا دليل عليه، من الكتاب والسنَّة، وإنما يقتصر على ما ورد جواز إهدائه من الكتاب والسنَّة من الدعاء والاستغفار للمسلمين أحياءً وأمواتاً، وردت في الكتاب والسنَّة جواز الصدقة عن أخيه المسلم حيّاً أو ميتاً، وإهداء ثواب الصدقة، كذلك إهداء ثواب الحج أو العمرة إلى الغير، ورد به الدليل أيضاً، فيكون مخصصاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة النجم: الآية ٣٩].

أما ما لم يرد به الدليل فإنه يبقى على المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة النجم: الآية ٣٩].

أمّا الإجابة على الشق الثاني من السؤال: فإن الإضافة إلى أسماء الله تعالى لا تجوز، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فأنتم تعرفون أن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا يجوز أن ينسب إلى الله، أو يوصف، أو يسمى إلاَّ بما ورد في الكتاب والسُّنَّة.

سؤال: فضيلة الشيخ صالح، حفظه الله ورعاه، ما حكم من ضرب زوجته، في الشهر السادس فأسقطت جنينها، وكانت هي التي اعتدت عليه أوّلاً؟

الجواب: الذي ضرب زوجته، في الشهر السادس، عليه كفارة أو عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ويضمنه بالدية وهي قيمة

خمس من الإبل، وخمس من الإبل، نصف عشر دية المرأة؛ لأن دية المرأة من الإبل خمسون بعيراً، عشرها خمس هذا هو الواجب، أما قولها يضربها، فهذا غير مشروع حتى ولو ضربت زوجها، لا سيَّما إذا كانت حامل، لأنها زوجته؛ ولأنها حامل؛ وإذا ضربها فإنه يجني عليها وعلى الطفل، فالواجب ألَّا يرد عليها.

سؤال: فضيلة الشيخ في وقتنا الحاضر ظهرت جماعات تدَّعي الإسلام، فما موقفنا منها، وما مدى صحة ما يدعون إليه، وما العلاج الذي يتبع نحوهم، وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: الإسلام ليس دعوى مجردة وإنما هو حقيقة، فمن ادعى الإسلام نظرنا في شأن دعواه وحقيقة تمسكه بالإسلام وقيامه بأركان الإسلام وأركان الإيمان، فمن دخل الإسلام يشجع على ذلك، وبالتالي فأنه يجب علينا أن ندعو الكفار إلى الإسلام، فمن دخل في الإسلام أحسنا به الظن، فإن ظهر منه ما يتنافى مع الإسلام كدعوة لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو فعل شيئاً من الشرك، أو فعل ناقضاً من نواقض الإسلام وأسباب الردة فإننا نحكم عليه بأنه خارج من دين الله وذلك كأن يسب الله ورسوله ويستهزىء بالدين أو يترك الصلاة متعمداً، أو يعمل السحر والكهانة وغير ذلك فإنه مرتد.

سؤال: لعله أشار إلى الجماعات الإسلامية ونصيحتكم من ذلك؟

أمّا الجماعات التي تدَّعي الإسلام، ولم يظهر منها ما يناقض الإسلام، فإننا نحكم بإسلامهم أفراد أو جماعات، ومن ادَّعى الإسلام

وظهر منه ما يناقض الإسلام حكمنا بردته وكفره سواء كان فرداً أو جماعة.

سؤال: دعوة موجَّهة لفضيلة الشيخ، هذه دعوة إليكم أوجِّهها لزيارة مدينة العلا، خاصة مكتب الدعوة هناك، فإننا بحاجة إلى وقفتكم معنا والتوجيه والرعاية والدعوة إلى الله، والله يحفظكم ويرعاكم؟

الجواب: أنا أؤيد هذا، ولعل الله أن ييسر لنا الذهاب إلى تلك المناطق وغيرها.

سؤال: ما رأيكم في اقتناء بعض الكتب مثل (القطبين) للعدناني، وما حكم ما يفعله بعض طلبة العلم من الانتساب إلى السلفية، وما هي السلفية؟

الجواب: يا إخواني أوصيكم بالعناية بدروسكم ومقرراتكم؛ لأنكم طلبة، وهذا يُضَيِّع عليكم الوقت بدون فائدة، بل قد يلحق بكم وبمجتمعكم الضرر، أما هذه الكتب التي ذكرت وغيرها فأقول: ما كان فيها من حق يجب أخذه، وما كان فيهما من خطأ فلا بد من بيانه، فإذا كان أحد منكم اطَّلع على خطأ في هذه الكتب التي ذكرت فليحتسب الأجر ويبين الخطأ، وعليه أن يتصل بالمؤلف وغيره من طلبة العلم ليحذرهم من الخطأ.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

❑ ❑ ❑

الفهارس

[١] فهرس الآيات القرآنية .

[٢] فهرس الأحاديث .

[٣] فهرس الموضوعات .

[١]

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾	٥	١٨٧
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾	٦، ٧	٤٧٤
البقرة		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾	٢١	١٤، ١٦
﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٢٩	٤٨٦
﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾	٤٤	٤٦٣
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨ ﴾	٧٨	٣٣٨
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾	١٠٩	٢١٩
﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾	١٣٦	٣٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾	٥٦ ـ ٥٨	١٤، ١٥
النجم		
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)﴾	١، ٢	٢٠
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾	٣، ٤	٢٠
﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾	٢٣	١٦، ١٩
﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)﴾	٣٩	٥٥٧
الحديد		
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾	١٠	١٥٨
المجادلة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	٤٨٨
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	٥، ٧٩، ١٤٢، ٢١٢، ٤٥٨، ٤٧١
الحشر		
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	٧	٢٠
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ		

❑ ❑ ❑

[٢]

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث		الصفحة
(أ)		
«أبَـيّ لا ترموا حتى تطلع الشمس. . .»		٢٣٦
«أتصومين غداً. . .»		٣٩، ٣٥٠
«اثنان لا يشبعان: طالب العلم، وطالب الدنيا. . .»		٥٤٩
«أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة. . .»	(سلمان الفارسي)	٢٨٥
«أحرق نخل بني النضير. . .»		٣٨٣
«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك. . .»		٤٢٠
«إذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف. . .»		٣٠٩
«إذا أنامت فأحرقوني. . .»	(رجل من بني إسرائيل)	١٢٣
«إذا حاصرت أهل الحصن فأرادوا أن تجعل لهم. . .»		٤٣٩
«إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن. . .»		١٢٠
«إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة. . .»		٥١٤
«إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم. . .»		٥٢
«إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد. . .»		٩٥
«إذا علا مرتفعاً يكبر الله. . .»		٦٦

طرف الحديث		الصفحة
«إذا قمت للصلاة فأسبغ الوضوء، ثم...»		٣٣٢
«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث...»		٢٤٤
«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ...»		٥١٠
«أرى الناس قد استعجلوا في أمر كانت...»	(عمر بن الخطاب)	٣٩٢
«أربع في أمتي من أمر الجاهلية...»		٤٣٤
«ارجع فصلِّ فإنك لم تصل...»		٣٣٢
«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...»		١٢٧
«أزرة المؤمن إلى نصف الساق...»		٨٨
«أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون...»		٣٧٩
«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون...»		١٣٧، ٣٧٩
«أصليتَ؟...»		١٣٦
«أصُمتِ أمس...»		٣٩، ٣٥٠
«اعدِل فإنك لم تعدل!»	(رجل من الخوارج)	٥٥٥
«اعملوا فكل ميسر لما خلق له...»		٩١
«أفطرنا في يوم غيم على عهد النبـي ﷺ...»		٣٢٨
«افعل ولا حرج...»		٢٣٣
«ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ...»		٣٧٩
«ألا تعجبون من حب مغيث لبريرة...»		٥٦
«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح...»		٥٠٩
«ألحقوا الفرائض لأهلها، فما بقي...»		٧٢
«اللَّـهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم...»		٨٠
«اللَّـهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك،...»		٦٩
«أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه...»		٤٧٨

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث		الصفحة
«كنا مع النبـي ﷺ في سفر...»		١٦٦

(هـ)

(و)



[٣]

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

• • •